د. طَالِب محيبس حَسَن الوَائلي

# الصَفَويُّون

## من الطَرِيقَة الصوفيّة حتى تأسيس الدَوْلَة

# الصَفَويُّون

## من الطَريقَة الصوفيّة حتى تأسيس الدَوْلَة

الكتاب: الصَفَوِيُّون

من الطَريقَة الصوفيّة حتى تأسيس الدَوْلَة

تأليف: د. طَالِب محيبس حَسَن الوَائِلي

الطبعة الثانية: ٢٠١٢

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين




طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: ٠٩٤٤٦٢٨٥٧٠- ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

# الإهداء

إلى

الخالدين في الأذهان... فضلكما لن يوفه العرفان والشكر..

نهلت من فراتكما معرفة الماضي وحبا أسطوريا للوطن، فداعبني نسيم دجلتكما ليسوق سفني إلى هموم الحاضر والمستقبل، والتصميم على كسر حواجز المستحيل، فسكنتما شغاف القلوب حيث استقر العراق والمعرفة.

أستاذي:

أ. د. كمال مظهر أحمد

أ. د. هاشم صالح مهدي التكريتي

إليكما ولكل من علمنا حرفا... أُهدي جهدي المتواضع هذا

## بعض المصطلحات الفارسية المستخدمة

| | |
|---|---|
| برگ: | ورقة |
| جلد: | المجلد |
| چاپ: | الطبعة |
| شمارة: | العدد |
| ضميمه: | ملحق |
| ناشناس مؤلف: | مؤلف مجهول |
| بيشين: | المصدر السابق |
| همان منبع: | المصدر نفسه |
| نقل از: | نقلا عن |
| يك گروه مؤلف: | مجموعة مؤلفين |
| وديكران: | وآخرون |
| به كوشش: | باهتمام (بإشراف) |
| نسخه خطى: | مخطوط |

# المحتويات

# فهرست ملاحق الدراسة



## فهرست الخرائط

# المقدمة

يعد تشكيل الدولة الصفويّة حدثا مهما في تاريخ العالم الإسلامي الحديث بعد أن أصبحت قطبا جديدا في السياسة الدولية منحت إيران[1] هويتها الدولية والمذهبية المتميزة والمؤثرة، وما شهدته البلاد من تحوّلات سياسية واجتماعية واقتصادية نتيجة ذلك الحدث.هذه الانطلاقة كانت وليدة شرعية لجهود كبيرة امتدت عبر أكثر من قرنين من الزمن، بذلتها الأسرة الصفويّة التي دخلت التاريخ منذ أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حينما وصل مؤسسها الشيخ صفي الدين إسحق الأردبيلي إلى سدة الإرشاد في گيلان، وكانت نتيجة جهود التهيئة والإعداد هذه تمكن اسماعيل من السيطرة على أقاليم واسعة بأقل من عقد من السنين.

وعلى الرغم من أهمية هذا الحدث في بناء الدولة الإيرانيّة الحديثة وانطلاق صراع النفوذ السياسي الحديث بين القوى الإقليميّة؛ فإن الدراسات التي تناولته اتصفت بالإجمال والعموميّة والجزئية، إذ أطل على القراء والباحثين العرب بمقالات وكتب متحيزة وعاطفية سلبا أو إيجابا، أو دراسات مجتزأة في أغلب الأحيان، ولم تخصص دراسة موسعة للموضوع تبتعد عن المنهج الوصفي التقريري، وتلتزم تحليل النصوص ومقارنتها ونقدها ظاهريا وباطنيا سلبيا وإيجابيا، والأخذ بالحسبان هوية الكاتب واتجاهاته وعصره وإمكانياته، وهو ما

(١) أصبحت إيران الاسم الرسمي لبلاد فارس منذ ١٥ آذار ١٩٣٥م، بعد أن اتخذ الشاه رضا بهلوي قرارا بذلك.

حاولت هذه الدراسة تبنيه والاضطلاع به قدر الامكان، على أن ما تقدم لا يعني على الإطلاق إنكار وجود دراسات رصينة في العراق والوطن العربي، لكنها لا تختص بهذه المرحلة، بل تناولتها جزءا من موضوعات وتوجهات أخرى.

أوجبت ظروف البحث وطبيعة الموضوع العودة إلى قرنين من الزمن يمثلان عمر الطريقة الصوفية بوصفهما مقدمة لهذا الظهور، لذا كان طبيعيا أن يختص الفصل الأول من بين فصول الدراسة الأربعة بدراسة تاريخ الأسرة الصفويّة، وأصولها العرقية، ومتابعة التطور الفكري للطريقة الذي انتهى بها إلى تبني التشيع، وتطور الاهتمامات السياسية وعلاقات المد والجزر الحميمة لرموزها بحكام الدول الذين عاصرتهم. واختص أحد مباحث الفصل بمتابعة واستقصاء الأصول العرقية للأسرة والغوص في كتب الأنساب لتأييد دعوى الصفويين بانتسابهم إلى آل البيت، بعد أن لاحظ الباحث تهافت الحجج التي أوردها مؤرخون كبار لهم بصمات مهمّة على تاريخ إيران، وإغفالهم العديد من الأخبار التي لا تؤيد رؤاهم وقناعاتهم، حتى أضحت الجوانب العلميّة الخاصّة بنسبهم العلوي ضحيّة الجوانب السياسية والدوافع القوميّة، لاسيما أن عددا من المستشرقين اتخذوا آراء هؤلاء وكأنها مسلمات تاريخية، فاختص الفصل بمناقشة آراء أحمد كسروي المؤرخ الإيراني المعروف، وفاروق سومر أستاذ التاريخ التركي، وغيرهما ممن شكّك في مصادر النسب الصفويّة، مع محاولة تأييد رؤى دراستنا بالاستناد إلى عدد من أشجار نسب بعض الأسر المرتبطة بالصفويين يمكن العودة إليها ضمن ملاحق الدراسة، ويختص هذا الفصل أيضا باستقصاء العلاقة بين الشيخ زاهد الگيلاني وصفي الدين، والجهود التي بذلها الأخير في تنظيم الطريقة والتطور الذي شهدته في عهده وعهود أبنائه من بعده، والأسباب والظروف التي أحاطت بالطريقة وشيخها جنيد، ودعته إلى التحول إلى النشاط العسكري، والخروج من أردبيل مركز الطريقة الرئيس، والرعاية التي حصلت عليها الطريقة ممثلة بشيخها حيدر بن جنيد من خاله أوزون حسن سلطان الآق قوينلو(الخروف الأبيض)، والتطورات التي أدت إلى مقتله ودخول أسرته إلى السجن، والنشاط الذي قام به ابنه الشيخ علي وأتباعه في نصرة السلطان رستم

آق قوينلو وانتهى بمقتله وتشرد أخوته واختفائهم في لاهيجان.

وتستلزم الظروف الغامضة التي عاشها شيوخ الطريقة في لاهيجان دراسة متأنية لظروف اختفاء بقية أبناء حيدر هناك من خلال الفصل الثاني، وتقصّي أسباب تجاوز الولد الأوسط إبراهيم لصالح أخيه إسماعيل، بالاستناد إلى الخبر التاريخي والتحليل النفسي، وصورة الظهور الجديد للصفويين بقيادة إسماعيل، وخوضه عمليات ناجحة ضد شروان والآق قوينلو والسيطرة على عاصمتهم تبريز، وتحوّل الشيخ إسماعيل إلى شاهنشاه، وقيامه بتنظيم الدولة إداريا ومحاولة الاستعانة بأصحاب المناصب في الدويلات السابقة، وتتبع النشاط العسكري الصفوي الناجح في عراق العجم وفارس وعراق العرب، والعمليات العسكرية ضد الأوزبك وتأمين المناطق الشرقية للبلاد، والمبحث الأخير في هذا الفصل يعالج أوضاع الدولة الاقتصادية والمالية أيام الشاه اسماعيل الأول.

أما الفصل الثالث فيختص بدراسة هويّة الدولة الإثنيّة والعقيديّة والثقافيّة، فلم يكن تبني الشاه اسماعيل للمذهب الشيعي عقيدة للدولة الوليدة، خطوة ارتجاليّة أو مزاجيّة، بل نمت عن وعي لطبيعة المجتمع الإيراني والهويّة العقيديّة للقوى الإقليميّة، وحاولنا في هذا الفصل توضيح الأسس العقائديّة والأرضيّة الفكريّة للمجتمع الإيراني قبل عهد إسماعيل، وتفحص طبيعة ارتباط الإيرانيين بأهل البيت وتغلغل العقائد الشيعيّة في ضمائرهم وطقوسهم نتيجة أحداث تاريخيّة تواصلت منذ العصر الإسلامي الأول، وترسخت في الوجدان الشعبي الإيراني بصرف النظر عن اعتراض المؤرخين عليها ومحاولة تسفيهها، وهي تفيد في معالجة أثر التراث الشيعي في إيران في نجاح المشروع المذهبي الصفوي، فقد بالغ بعض الباحثين في وصف المجتمع الإيراني قبل اسماعيل بأنه كان سنيّا لأسباب مختلفة، فالشيعة يتبنون هذا الرأي ليثبتوا أن الجزيرة العربيّة كانت الساحة الأولى لنشوئه ورفض تهمة "فارسية التشيع"، وأعداء الصفويين يتبنون الرأي نفسه بغية التنديد بخطوة اسماعيل المذهبيّة هذه، وإبداء الأسف لتحول هذه الجموع إلى التشيّع. كما يوضح هذا الفصل الأسباب التي دفعت اسماعيل لتبني التشيّع دون غيره من المذاهب والعقائد الموجودة حينذاك، ويعنى بتقصي

الأساليب والوسائل التي اتّبعها لتنفيذ مشروعه، وتبيان أسباب نجاح التجربة الصفويّة، في وقت فشلت قبلها تجارب مذهبيّة أخرى. كما تحاول الدراسة تحديد المستشار الأبرز لإسماعيل الذي أقنعه بهذا المشروع، والتأكيد على أثر كل من شمس الدين اللاّهيجي ونجم الدين مسعود على الدولة بعد أن أحاطا اسماعيل منذ لجوئه إلى لاهيجان بالرعاية والاهتمام. كما يوضح هذا الفصل البناء الاثني والقومي لدولة إسماعيل والعناصر المكونة لها من القزلباش التركمان والتاجيك والكرد والعرب وغيرهم، وبغية تأييد وجهات نظر الدراسة في وطنيّة الدولة الصفويّة، عمدنا إلى متابعة نتف من النتاج الأدبي والفكري لرموز الدولة ورعاياها.

ويختص الفصل الرابع بدراسة السنوات العشر الأخيرة من حكم الشاه إسماعيل الأول والصدام الصفوي العثماني، لاسيما معركة جالديران التي تعد أبرز المحن التي واجهت الدولة الصفوية بسبب ما لقيته من هزيمة منكرة أمام جيش السلطان سليم الأول الذي كان خاتمة لسياسة سلمية طويلة تجاه إيران انتهجها السلطان بايزيد، وعلى الرغم من صدور بعض الدراسات التي تتناول هذا الموضوع إلا أنها مازالت قليلة، لا سيّما وأن معظمها التزم خطاً فكريّاً وسياسيّاً مسانداً للرواية العثمانيّة التي تدين إسماعيل الصفوي وتحمله مسؤوليّة الصدام، بسبب عدم قراءة التاريخ الصفوي الذي لم يكتب بصورة كافية في عهدهم. لكن التحولات الداخليّة في الدولة العثمانيّة ووصول سليم إلى السلطة وطموحاته التوسعيّة ومشاكله النفسيّة أدت إلى أن تكون الدولة الصفويّة، وقبل ذلك أنصارها في الأناضول، هدفا لحملة شرسة قادها ضدهم، شجعتها بعض السياسات الصفويّة غير المحسوبة. فمع أن أوربا كانت وجهة التوسع العثمانيّة، لكنها تحولت نحو العالم الإسلامي بسبب بعض العوامل والظروف التي حددها المؤرخون ما يستلزم مناقشتها وتصويبها، منها أثر أوربا، والعوامل الطائفية الإسلامية، ووصول البرتغاليين إلى المنطقة، والظروف الداخلية العثمانية التي أدت إلى وصول السلطان سليم إلى الحكم، فضلا عن السياسة العثمانيّة تجاه الدولة الصفويّة، كل ذلك أدى إلى الصدام في جالديران وهو صدام استوجب

تحضيرات طويلة منها أمنيّة وعسكريّة وتنظيميّة، فاختار الشاه اسماعيل أرض جالديران واصطدم مع العثمانيين دون تهيئة مناسبة للتحدي، وكانت النتيجة الانكسار الذي حصل نتيجة لمجموعة من الأسباب والظروف. ثم استمرت سياسة سليم في قضم الأقاليم الصفويّة دون أن يظهر في أفق السياسة الصفويّة استجابة مناسبة للتحدي العثماني، ما عدا بعض ردود الفعل غير الناجعة مثل انطلاق حملة صفويّة في مجال إقامة العلاقات الخارجيّة مع القوى الإقليميّة والأوربيّة، على أن العامل الايجابي الوحيد لهذه الهزيمة، هو تحول السياسة الصفويّة الداخليّة نحو بعض العقلانيّة والعدالة وحرية العقيدة.

حاولت هذه الدراسة أن تستند في متابعة عناصرها المتشعبة إلى مجموعة متنوعة من المصادر، توزعت على عدد من التخصصات واللغات، على وفق طبيعة الحادثة أو الموضوع المراد دراسته، على أن تكون الأقرب إلى الحادثة أو الموضوع، دون أن تكون مادة هذه المصادر حجة نهائيّة في تثبيت الخبر إذا لم تتفق مع المنطق التاريخي والتحليل العلمي، وفي مقدمة هذه المصادر كتاب "صفوة الصفا. در ترجمه أحوال وأقوال وكرامات شيخ صفي الدين اسحق اردبيلي" لدرويش توكلي بن إسماعيل الأردبيلي المعروف بابن بزاز (ت٨٠٠هـ/ ١٣٩٧-٨م)، وسيدرس باستفاضة في الفصل الأول لارتباطه الشديد بعصر الشيخ صفي الدين وابنه صدر الدين الذي كتب في عهده، واعتمد الباحث نسخة منه يدّعي محققها أنه رجع إلى جميع نسخ هذا الكتاب المخطوطة.

والمصدر الثاني الذي يحمل الأهمية نفسها، تلك الوثيقة التي وصلت إلينا من العهد التيموري، المسماة "وقفية تيمور" وهي عبارة عن عهد مختوم بالختم التيموري يخصص فيها أقاليم وإقطاعات واسعة للشيخ علي حفيد صفي الدين ويذكر فيها تسلسل الأسرة وصولا إلى الإمام علي(عليه السلام)، وهي ثاني أقدم مصدر لنسب الأسرة، وكتاب آخر هو "سلسلة النسب الصفويّة" لحسين بن أبدال الزاهدي (ت بعد١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م) الذي يأخذ أهميّته من أن مؤلفه حفيد الشيخ زاهد الگيلاني، واستناده إلى عدد مهم من المصادر الجيّدة. وعلى الرغم من تأخر عهد الكتاب إلا أنه يحمل أخبارا دقيقة ومنقحة عن أجداد الأسرة حتى فيروز

زرين كلاه. واستندت الدراسة إلى كتاب غياث الدين بن همام الــدين الحــسيني خواندمير (ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٥-٦م)، "تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد وبشر"، أقدم المصادر المعاصرة لعهد إسماعيل الأول[1] وأكثرها دقة، وهو مــن أكثــر التواريخ التي أستند إليها بقية المؤرخين، إذ اختص الجزء الرابــع منــه بــذكر الحوادث الخاصة بعهد تأسيس الدولة الصفويّة، فضلا عن كتاب حسن بك روملو (ت بعد ٩٨٥هـ/١٥٧٧م)، "أحسن التواريخ" في جزئه الحادي عشر الذي تضمن حوادث سنوات إسماعيل الأول وطهماسب وإسماعيل الثاني، فابتدأ مــن ســنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م وانتهى بحوادث سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م، وكتب علــى صــورة الحوليات، فذكر حوادث كل سنة على حدة. وهو مــن أهــم مــصادر العــصر الصفوي الأول، إلى جانب مصادر أخرى مهمة، مثل "جهانكشاى خاقان" لمؤلف مجهول ونسخة من مخطوطته مصورة في مكتبة جامعة طهران، ويُعتقد أنه يعود إلى أمير محمود بن غياث الدين خواندمير (ت٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م)، صاحب كتاب "تاريخ شاه إسماعيل وشاه طهماسب صفوي". كذلك استندت الدراسة إلى كتــاب "تاريخ شاه اسماعيل"، لمؤلف مجهول أيضا وهو مــايزال مخطوطــا ونــسخته الأصلية موجودة في مكتبة جامعة كامبردج ببريطانيا، تحت رقم A200، ومنــه صورة في جامعة طهران.

ومن مصادر الدراسة الفارسية المعاصرة كتاب أحمد كسروي "شيخ صــفى وتبارش" أو "الشيخ صفي وأصله" الذي جمع فيه آراءه بخصوص هذا الموضوع وسبق أن نشرها في مجلة آيندة الإيرانية سنة ١٩٢٧م، وسيدرس باستفاضة في الفصل الأول.

أما كتاب الباحث الايراني الدكتور منوچهر پارسادوست[2] "شاه اســماعيل اول پادشاهى با اثر هاى دير پاى در ايران وايراني" أو "الشاه إســماعيل الأول

---

(١) انتهى مؤلفه منه في ١٩ رجب ٩٣٠هـ/ ٢٣مايس ١٥٢٤.

(٢) الدكتور منوچهر پارسادوست، متخصص بتاريخ العلاقات العراقية الايرانية، وله كتابــان بهــذا الموضوع، هما ريشه هاى تاريخى اختلافات ايران وعراق الذي يدرس الخلافات بين البلدين من عهد اسماعيل حتى العصر الحاضر، و نقش عراق در شروع جنگ الذي يحــاول فيــه إثبــات مسؤولية العراق عن الحرب الاخيرة بين البلدين.

الملك صاحب الأثر العظيم والفاعل في إيران والايرانيين" فهو من المصادر المهمة في دراسة عصر الشاه يقع في أكثر من تسعمائة صفحة حاول مؤلفه جمع كل شاردة وواردة عن الشاه اسماعيل وعصره. ومع الجهد الكبير الذي بذله الباحث إلا أن الكتاب يفتقر أحيانا إلى التحليل وتمحيص الأخبار قبل تدوينها من ذلك الخبر المخطوء الذي نقله عن أحمد كسروي حول الأصل الفارسي للمشعشعين(١)، وخبر آخر يتعلق بممارسات غير أخلاقية للشاه(٢) نقله عن كتاب "عالم آراى صفوى" لمجهول(٣)، وهذه وغيرها أخبار لا تحتاج إلى جهد كبير لتفنيدها ورفضها، ولا ندري كيف فاتت هذه الأمور على مؤرخ كبير مثل منوچهر پارسادوست، وهي على كل حال لا تقلل من أهمية الكتاب الذي أفادت منه دراستنا كثيرا حتى ولو لم ينعكس ذلك على هوامشها.

كما اعتمدنا على عدد من دراسات المستشرقين، منها كتب الباحث الفرنسي المعروف روجر سيوري وبحوثه، مثل كتاب "ايران عصر صفوى" الذي ترجمه إلى الفارسية، كامبيز عزيزى، وكتاب "تحقيقاتي در تاريخ ايران عصر صفوى" الذي هو مجموعة مقالات قام بجمعها والتعليق عليها كل من عباسقلى غفارى فرد ومحمد باقر آرام، إلى جانب عدد آخر من بحوثه التي تتعلق بالموضوع، وكتاب المؤرخ الألماني المعروف والتر هينتس، "تشكيل دولت ملي در إيران"، أو "تشكيل الدولة الوطنية في إيران" الذي ترجمه إلى الفارسية كيكاووس جهانداري وهو يغطي مقدمات ظهور الدولة الصفويّة. وكتاب المؤرخ التركي فاروق سومر أستاذ التاريخ التركي الوسيط في جامعة استانبول وأنقرة، "نقش تركان آناطولى در تشكيل وتوسعه دولت صفوى"، أو "أثر أتراك الاناضول في تشكيل الدولة الصفويّة وتوسعها"، وحصلنا على ترجمة فارسية له قام بها كل من الدكتور إحسان اشراقى و محمد تقى امامى، وربما يفهم غرض الكاتب من

---

(١) منوچهر پارسادوست، شاه اسماعيل اول پادشاهى با اثر هاى دير پاى در ايران وايراني، چاپ دوم، تهران، ١٣٨١ش/ ٢٠٠٣م، ص٣٠٢.

(٢) يراجع للاطلاع على هذا الخبر: همان منبع، ص٤٥٩.

(٣) يتبين من الحوادث المذكورة في هذا الكتاب، انه يعود إلى سنة١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م، أي أنه ليس معاصرا أو قريبا من الحوادث.

عنوانه، إذ يحاول تصوير الدولة الصفويّة أنها دولة الأناضوليين في إيران، وهو برأينا المتواضع مبالغة كبيرة.

ويعد الجزء الرابع من كتاب المؤرخ البريطاني إدورد براون "A Literary History of Persia"، أو "تاريخ فارس الأدبي" الذي يغطي الفترة الحديثة (١٥٠٠ - ١٩٢٤م)، من أهم الكتب التي لا يستغني عنها باحث في تتبع أحداث العصر الصفوي، إذ استند إلى مجموعة كبيرة من المصادر والمخطوطات النادرة وتوصل الى نتائج مهمة أفادت الدراسة في بعض جوانبها. فيما وفرت دراسة جون كنجسلي بيرج الأستاذ في جامعة استانبول "The Bektashi Order of Dervishes" أو "طريقة الدراويش البكتاشية" التي تعد أهم دراسة محايدة عن الفكر البكتاشي وتاريخ الطريقة البكتاشية، معلومات نادرة عن معتقدات الجيش الانكشاري وانتشار الطريقة في الدولة العثمانية والطبيعة العقائدية المتشيّعة لأفرادها، إذ أخذت معلوماته مكانها في الفصل الرابع عند دراسة الصراع الطائفي بين العثمانيين والصفويين، هذا إلى جانب كتابات نصر الله فلسفي وعبد الحسين نوائي وعباس إقبال، وغيرهم من المؤرخين الايرانيين.

كما استندنا إلى الترجمة الفارسية لكتاب إسماعيل حقي أوزون چارشي لي، "تاريخ عثماني" الذي ترجمه وهاب لى، وهو من أهم مصادر دراسة التاريخ العثماني التركية يشارك في الأهمية كتاب أحمد فريدون بيك (ت٩٩١هـ/١٥٨٣م) الوثائقي، "مجموعة منشآت سلاطين عثمانية" المطبوع في استانبول ويضم نصوص مراسلات السلاطين العثمانيين مع الصفويين وغيرهم من الحكام بلغاتها الأصلية التي كتبت فيها.

ولم تكن إفادة الدراسة من المصادر التاريخية باللغة العربية قليلة، إذ وفرت معلومات مهمة لتوضيح بعض جوانبها، في مقدمتها كتاب الدكتور كامل مصطفى الشيبي، "الصلة بين التصوف والتشيع" لاسيما الجزء الثاني الذي عالج "النزعات الصوفية في التشيع من بعد عصر الأئمة حتى سقوط الأسرة الصفويّة"، وهو في الاصل أطروحة دكتوراه قدمها في بريطانيا. والدراسة القيّمة للباحث عباس إسماعيل صباغ، "تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية" التي خصصها

لمتابعة مواسم الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين، ورجع فيها الى مصادر متنوعة وقدم تحليلات ممتازة أفادت منها هذه الدراسة كثيرا، فضلا عن دراسة الدكتور وجيه كوثراني، "الفقيه والسلطان" التي درس فيها العلاقة بين السلطة السياسية ورجال الدين من ناحيتي النظرية والسلوك، فقدم رؤية مقارنة بين التجربتين التاريخيتين: العثمانية والصفويّة – القاچارية.

كما أفادت دراستنا من مؤلفات رسول جعفريان باللغتين الفارسية والعربية، لكن كتابه "الشيعة في إيران" المترجم إلى العربية وفّر معلومات مفيدة لبّت حاجة الفصل الثالث من الدراسة فيما يتعلق بتغلغل التشيع في إيران قبل عهد الشاه إسماعيل، وأفادت من كتاب آقا بزرك الطهراني، "الذريعة في تصانيف الشيعة" وهو كتاب كبير جدا يقع في عشرات المجلدات وله الفضل في معرفة كل ما يتعلق برجال العهد الصفوي ومؤرخيه.

ولا ننسى المعلومات الدقيقة التي وفّرتها أطروحة علي خليل أحمد المتميزة، "الدولة العثمانية في سنوات المحنة. المقدمات الوقائع النتائج" واستند فيها الى مجموعة متنوعة وكبيرة من المصادر التركية والأجنبية فيما يخص دراسة أوضاع الدولة العثمانية وتنظيماتها في الفصل الرابع، ورسالة الماجستير لحسين محمد القهواتي، "تاريخ العراق بين الإحتلالين العثمانيين الأول والثاني ١٥٣٤-١٦٢٨م" التي قدمت رؤى وتحليلات تتعلق بالاحتلال الصفوي للعراق والصراع مع العثمانيين، فضلا عن عدد كبير من مقالات "دائرة المعارف الاسلامية" التي كتبها جمع من المستشرقين، وعدد آخر من المصادر التي اختصت بدراسة أجزاء من الموضوع، هذا إلى جانب عدد من مواقع الانترنت التي يمكن الاطلاع عليها في قائمة المصادر.

وهنا لابد من كلمة شكر لتلك القلوبِ الكريمة التي أحاطتني بحب ورعاية تعجزُ الكلمات عن وصفها، وأوّل من طوّق عنقي بفضله أستاذي الجليل الدكتور كمال مظهر أحمد الذي تابع مختلف مراحل دراستي في كليّة الآداب، وعلّمني حب التاريخ واحترامه قبل أن يعلّمني التاريخ نفسه، أما أستاذي الدكتور هاشم التكريتي، فقد نلت منه أكثر مما أستحق من المساندة والتوجيه العلمي والفكري

بأسلوب أبوي حميم وكرم أصيل طوال مراحل تعليمي الجامعية، حتى أنّي خلت الشاعر لم يقل "وكأنك تعطيه الذي أنت سائله" إلا لوصف كرمه ونبل أخلاقـه، ولا أنسى تلك الحوارات المعمقة والملاحظات القيّمة التي تمتعت بها مع الاستاذ عبد المجيد حميد المتخصص في اللغة الفارسية وآدابها والسيد حسين الحسيني الزرباطي. كما أشكر زميلي الدكتور ضياء الدين عبد الحسين القريشي لما بذله من وقت وجهد في تنفيذ خرائط الكتاب بحرفية ودقة.

أخيرا نعتقد أن تاريخ الدولة الصفوية قبل محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ/١٧٠٠م)، غير الدولة الصفوية بل وإيران بعده، من نواحي المجتمع والفكر والسياسة والاقتصاد، وهناك من أسقط بعض أوصاف مرحلة ما بعد المجلسي على مرحلة الشاه إسماعيل، دون قصد أو بقصد سياسي/ طائفي في الغالب، وندّعي أننا بذلنا في هذه الدراسة وسعنا لتقديم رؤية جديدة لموضوعها، مراعين الموضوعية والحياد قدر الامكان، بغية تفسير أفضل لعدد من الظواهر السياسية والاجتماعية التي لازلنا نعيشها وتمثل انعكاسا ونتائج له، ورقيبنا الله وضميرنا، وليس غيرهما، فإن كان فيما نقدمه من خلل او زلل فقديما قال الجاحظ: "نعم البديل عن الزلة الاعتذار"، إذ يظل الكمال للباري وحده، وهو نعم المولى ونعم النصير.

# الفصل الأول

## الصفويون من الإرشاد الصوفي إلى المشروع السياسي
## حتى العام ٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م

تكتسب دراسة تاريخ نشوء الدولة الصفويّة وتكوّنها أهمية بارزة في أن ظهورها يمثل الحدث الأكبر في تاريخ إيران الحديث، فبنشأتها أعيدت الوحدة السياسية والوطنية لإيران، بعد تسعة قرون، في ظل عقيدة دينية / سياسية واحدة هي المذهب الشيعي الإثني عشري الذي أعلن عن اعتناقه بصورة رسمية، ومكّن من نقل إيران من عصور التفتت والاحتراب الطائفي والعنصري إلى مواجهة العصور الحديثة، والغزو الأوربي للمنطقة[١].

كان اسماعيل الصفوي (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)، أول من حقق وحدة إيران السياسية مستندا في ذلك على الفقه السياسي، والتاريخ، والقوة العسكرية القبلية، بمعنى أنه اعتمد في مشروعه على عناصر تاريخية بعيدة وقريبة مهمة حاول من خلالها انتزاع المشروعية السياسية من خصومه، لقد استند على تراث أسرته الديني ونسبها القرشي ونضالها السياسي والعقيدي الذي استمر أكثر من سبعة عشر عقدا، أعطت لهم، ومهما اختلفت الاجتهادات ميزة على العثمانيين، كما استند على عامل جغرافي تمثل في الهضبة الإيرانية[٢] التي شكلت عنصراً

(١) حكمت إيران بين القرون الحادي عشر والتاسع عشر الميلاديين، ما يقرب من خمس عشرة سلالة كانت أصول معظمها من بدو أواسط آسيا بإستثناء السلالة الصفويّة. يراجع: الملحق رقم (١٢).

(٢) تمتد هذه الهضبة بين هضبة أرمينية غربا وهضبة بامير شرقا وتشغل من الشمال سلاسل جبال البرز المطلة على بحر قزوين، أما الجانب الجنوبي للهضبة فيتكون من سلاسل جبلية تطل=

استراتيجياً وخطاً دفاعياً مهماً خلال الصراع العثماني الصفوي لوعورة طبيعتها وصعوبة مسالكها، ومهّدت له القيام بأعماله العسكرية، فضلاً عن تأييد القبائل التركمانية والتاجيك[1] وغيرهم بوصفهم القاعدة الأساسية والمحرك الأساس للدولة الصفويّة، واعتماده وحدانية مذهبية باتخاذه التشيّع مذهبا رسميا لتوحيد إيران، فاجتمعت لإسماعيل، بفعل ما تقدم، صفة الشاه والمرشد الأكبر متخذا من السيف والقلم والدعوة باللسان أساليب متكاملة لتحقيق أهدافه السياسية[2]، ليتمكن في النهاية من الاستيلاء على منطقة امتدت من هراة شرقاً وديار بكر وبغداد غرباً وضمّت شيروان وأذربيجان والعراقين[3].

---

=على سهول العراق والخليج العربي والبحر العربي، وتضم من الغرب إلى الشرق أقاليم أذربيجان وعراق العجم وكردستان وأقاليم كيلان وفارس وكرمان.

(١) تاجيك: كلمة قديمة كان سكان منطقة الرها يطلقونها على العرب، وأصلها تازيك، ثم أطلقت على الفرس تمييزا لهم عن الترك، وهي مشتقة من اسم قبيلة طي العربية الاكثر قربا للايرانيين، لكنّ محمد معين يقول أنها كلمة تركية مركبة من تات بمعنى فرد، وچيك وتعني الحَقير، ومعناها الفرد الحقير، ولو كان هذا الرأي صائبا لما اعتز الفرس بهذه التسمية. يقارن: بارتولد، "تاجيك"، دائرة المعارف الاسلامية، إعداد وتحرير: ابراهيم زكي خورشيد وآخرون، المجلد التاسع، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٩٧-٩٩؛ محمد معين، فرهنگ فارسي، چاپ پنجم، تهران، ١٣٦٢ش/ ١٩٨٤م، جلد اول، ص٩٩٦. حرف ش بعد السنة يشير إلى التقويم الفارسي الشمسي الذي يبدأ في يوم ٢١ آذار من كل سنة، ويمكن استخراج التقويم الميلادي عن طريق إضافة ٦٢٢ سنة إلى الشمسي.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث. الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون- الفرس - مسلمو الهند، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٢٢.

(٣) وهما عراق العجم، وهو اقليم في إيران يحده من الغرب أذربيجان ومن الجنوب جزء من العراق وعربستان ومن الشرق خراسان وفارس، ومن الشمال بلاد الديلم وقرفين. وتسمى أحيانا بلاد الجبل. أكبر مدنه أصفهان وكاشان وقزوين فضلا عن الري في أقصى شماله. محمد بن يزيد القزويني(٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء الثاني، بيروت، بلا تاريخ، ص١٤٦٠؛ محمد باقر الحسيني المرعشي الداماد (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الامامية، قم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٩٣؛ محمد مهدي بحر العلوم (١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م)، رجال السيد بحر العلوم (الفوائد الرجالية)، الجزء الثاني، طهران، ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م، ص٣١٥؛ محمد أمين بن عابدين (ت١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م)، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الابصار، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج٤، ص٣٥٧ ؛ حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م)، خاتمة مستدرك الوسائل، الجزء الثاني، قم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٦٠. وعراق العرب "وادي الرافدين". ياقوت بن عبد الله الحموي=

ومن بين أهم القضايا التي شغلت بال المؤرخين المحدثين نسب الأسرة الصفويّة وأصولها العرقية، بعد أن حاول بعضهم البحث في بطون الكتب عما يفنّد ادعاءهم بالنسب العلوي متأثرين في ذلك بما شاع في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، حينما ادّعت أعداد كبيرة من رعايا الدولتين القاجارية والعثمانية النسب الهاشمي للاستفادة من قوانين الإعفاء من الخدمة العسكرية، والحصول على بعض الهبات والمنح التي شرعتها السلطات الحاكمة مستهدفة استثمار الشعارات الدينية ورعاية نسل آل البيت، في تقوية مرجعيتها الدينية والسياسية عند المسلمين، فحاولت أسر كثيرة اختلاق أشجار نسب لها، مما اضطر الشاه ناصر الدين القاجاري(ت١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م) إلى تأسيس وزارة تدرس أشجار النسب التي يقدمونها لبيان الصحيح من المنحول منها[١].

### أولا. أصول الأسرة الصفويّة وتحركاتها الأولى حتى العام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م:

من أجل التعرف على أبعاد النفوذ الروحي والمعنوي الذي تمتعت به هذه الأسرة الصفويّة قبل عهد الشيخ صفي الدين وخلاله وبعده، ينبغي معرفة أصول الأسرة الإثنية التي أخذت اسمها من صفي الدين هذا، وأفاد أحفاده من تلك الروحانية وهذا اللقب، فسارت طريقتهم في دروب النجاح وتحولت بعدها إلى دولة ومشروع سياسي.

ولد الشيخ صفي الدين اسحق الأردبيلي في قرية كلخوران التي تبعد ثلاثة كيلومترات شمال أردبيل مركز أذربيجان على السواحل الغربية لبحر قزوين، وأشارت المصادر التي تضمنت شجرة النسب الصفويّة اتصاله بالحمزة بن موسى الكاظم سابع أئمة الشيعة الاثني عشرية بعشرين ظهرا[٢]، وأول مصدر

---

=(ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، الجزء الرابع، بيروت، ١٩٥٦م، ص٩٢-٩٥.

(١) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٦٢٥.

(٢) يذكر المؤرخ اليعقوبي أن لموسى بن جعفر ثمانية عشر ولدا ذكر من بينهم أبو القاسم الحمزة. لكن النسابة الشهير ابن عنبة يقول أن له ثلاثة وعشرين ابنا من بينهم خمسة لم يعقبوا وثلاثة=

تضمن شجرة النسب هذه، كتاب "صفوة الصفا" الذي انتهى ابن بزّاز الأردبيلي من تأليفه سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م[1]، فوردت الشجرة في مصادر النسب المعتبرة بالصورة الآتية:

**"صفي الدين اسحق ابن [ابن] أمين الدين جبرائيل ابن محمد صالح ابن قطب الدين أحمد ابن صلاح الدين رشيد ابن محمد شمس الدين الحافظ ابن حبيب الدين فيروز شاه ابن معين الدين محمد شرف شاه ابن محمد بن حسن ابن محمد ابن إبراهيم ابن جعفر ابن محمد ابن إسماعيل ابن أحمد ابن محمد الأعرابي ابن أبو محمد القاسم ابن أبو القاسم حمزة ابن موسى الكاظم عليه السلام"[2].**

---

=أعقبوا بناتا فقط وخمسة في عقبهم خلاف وعشرة أعقبوا بغير خلاف من بينهم حمزة. يقارن: أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، الجزء الثاني، بيروت، بلا تاريخ، ص٤١٥؛ جمال الدين بن أحمد الحسيني ابن عنبة (ت ٨٢٨هـ/١٤٢٥م)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، النجف، ١٩٨٨م، ص١٩٦-١٩٧.

(١) وتضمن شجرة النسب التالية:
"صفي الدين أبو الفتح اسحق بن الشيخ أمين الدين جبرائيل بن الصالح بن قطب الدين أبو بكر (أحمد) بن صلاح الدين رشيد بن محمد الحافظ لكلام الله بن عواض (عوض) بن بيروز الكردي السنجاني، رحمة الله عليه (بيروز شاه زرّين كلاه) بن محمد شرفشاه بن محمد بن حسن بن محمد بن إبراهيم بن جعفر بن محمد إسماعيل بن محمد أحمد الأعرابي بن أبو محمد القاسم بن أبو القاسم حمزة بن الإمام الهمام موسى الكاظم...".
درويش توكلي بن إسماعيل بن بزّاز أردبيلي (ت٨٠٠هـ/١٣٩٧-٨م)، صفوة الصفا. در ترجمه حوال واقوال وكرامات شيخ صفي الدين اسحق اردبيلي، مقدمه وتصحيح: غلامرضا طباطبائي مجد، تبريز، ١٣٧٣ش/ ١٩٩٤م، ص٧٠.

(٢) غياث الدين بن همام الدين الحسيني خواندمير(ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٥-٦م)، تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد وبشر، تقديم: جلال الدين همايى، تهران، ١٣٣٣ش/ ١٩٥٥م، جلد چهارم، ص٤؛ أمير محمود خواندمير (ت٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م)، تاريخ شاه إسماعيل وشاه طهماسب صفوي (ذيل تاريخ حبيب السير)، تصحيح وتحشيه: محمد علي جراحى، تهران، ١٣٧٠ش/ ١٩٩١م، ص١٠-١١؛ اسكندر بيك تركمان (ت١٠٤٢هـ/ ١٦٣٣م)، تاريخ عالم آراى عباسى (نسخه خطى)، مكتبة المتحف العراقي، بغداد، ص٥؛ ناشناس مؤلف، تاريخ شاه إسماعيل (نسخه خطى)، كتابخانه مركزى دانشكاه تهران، م٢/ ٢٧٣٠، برگ C أ؛ حسين أبدال زاهدي (ت بعد١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م)، سلسلة النسب صفويه، برلين ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، ص١٠؛ ميرزا محمد معصوم (ت١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م)، تاريخ سلاطين صفويه، (نسخه خطى)، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ص١-٢؛ محمد الأمين المحبي (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، الجزء الثاني، القاهرة، ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، ص٢٦٧-٢٦٩؛ آقا بزرگ=

وأسوة بكل أشجار النسب التي تتعرض إلى النقد والتجريح، حاول الكثير من أعداء الصفويين من عثمانيين ومماليك وأوزبك وقاجاريين وبهلويين التشكيك بالنسب الذي ادّعاه الصفويون[1]، بوصفه أساسا من أسس مشروعية تصديهم لحكم المسلمين، حين اشترطت غالبية المذاهب الإسلامية القرشية في الخليفة[2]، فاختُلف في قبول النسب الصفوي، فمن المؤرخين من أصرّ على اتصالهم بالعلويين[3]، ومنهم من أنكر ذلك[4]، بل أن البعض اختلف مع ذاته حول هذا

---

=الطهراني (ت١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الطبعة الثالثة، الجزء الثاني، بيروت، ١٩٨٣م، ص٣٨٣؛ محسن الأمين (ت١٣٧٢هـ/١٩٥٢م)، أعيان الشيعة، المجلد الثالث، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٣٢١؛ نظام الدين مجير شيباني، تشكيل شاهنشاهى صفويه إحياء وحده ملى، تهران، ١٣٤٦ش/ ١٩٦٧م، ص٤٤؛ غلام سرور، تاريخ شاه إسماعيل صفوى، ترجمه: محمد باقر آرام وعباسقلى غفارى فرد، تهران، ١٣٧٤ش/ ١٩٩٥م، ص٢٢-٢٣؛ لارنس لاكهارت، انقراض سلسلهء صفويه، تهران، ١٣٤٤ش/ ١٩٦٦م، ضميمة١؛ حسين أبو سعيدة الموسوي، المشجر الوافي. القسم الأول في السلسلة الموسوية، الجزء الثالث، الطبعة الثالثة، قم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٢-١٤. سيلاحظ القارئ اختلافا بسيطا بين هذه المصادر.

(١) مرتضى بن علي نظمي زادة (ت١١٣٦هـ/١٧٢٤م)، كلشن خلفا، ترجمة: موسى كاظم نورس، النجف، م١٩٧١، ص٥٥-٦٢.

(٢) وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان. دراسة في تجربتين تاريخيتين (العثمانية – الصفويّة القاچارية)، بيروت، ١٩٩٠م، ص٥٠.

(٣) يراجع على سبيل المثال: شرف خان البدليسي (ت٩٨٢هـ/١٥٧٤م)، شرفنامه، ترجمة: محمد علي عوني، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١١٨؛ إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري (ت١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م)، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد، ١٩٦١م، ص١١٦؛ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، مقدمة كتاب "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" لمحمد يوسف الصالحي الشامي، بيروت، ١٩٩٣، ص٣٥-٣٦؛ أحمد يشار أوجاق، "الحياة الدينية والفكرية"، الدولة العثمانية – تاريخ وحضارة (كتاب)، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، ترجمة: صالح سعداوي، المجلد الثاني، استانبول، ١٩٩٩م، ص١٩٧.

(٤) ومنهم على سبيل المثال: مرتضى راوندي، تاريخ اجتماعي ايران حكومتها وسلسله هاى ايران از حمله أعراب تا استقرار مشروطيت، تهران، ١٣٥٤ش/ ١٩٧٦م، جزء دوم، ص٣٧٨؛ ميشيل مزاوي، بيدايش دولت صفوى، ترجمه: يعقوب آژند، تهران، ١٣٤٣ش/ ١٩٦٥م، ص١٢٢؛ ن. و. بيگلوسكايا وديگران، تاريخ ايران از دوران باستان تا بايان سده هيجدهم ميلادى، ترجمه: كريم كشاورز، تهران، ١٣٥٤ش/ ١٩٧٦م، ص٤٧١؛ حسين محمد القهواتي، تاريخ العراق بين الاحتلالين العثمانيين الأول والثاني ١٥٣٤- ١٦٢٨م، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٧٥م، ص٢٩؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٨٠، ١٨١،=

الموضوع[1]، مع أن معظم الرافضين لنسبهم العلوي اعتمدوا نتائج تحقيقات المؤرخ الإيراني سيد أحمد كسروي[2] حول أصل الأسرة وهويتها الطائفية من خلال مقارنته لعدد من النسخ الخطيّة لكتاب ابن بزّاز، وعرض هذه الآراء لأول مرة في مقالات متفرقة[3]، ثم جمعها مفصلة في كتابه "شيخ صفي وتبارش"[4].

بنى كسروي نظريته على أن النسخة الأصلية من كتاب "صفوة الصفا" تلاعب بها مير أبو الفتح بن مير مخدوم الحسيني (ت٩٧٦هـ/ ١٥٦٨-٩)، في أيام الشاه طهماسب بن إسماعيل (٩٣٠-٩٨٤هـ/ ٥٢٤-١٥٧٦م) وبأمر منه، وتم تغيير بعض المعطيات والروايات عن الشيخ صفي وإضافة أخرى لم تكن

---

=١٨٥، ١٨٩-١٩١؛ شهباز آزاد مهر، تاريخ إيران إز كورش تا خاتمي، تهران، ١٣٨٢ش/ ٢٠٠٤م، ص٣٩٤.

(١) مثال ذلك المؤرخ العراقي عباس العزاوي. يقارن: تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، بغداد، ١٩٣٩م، ص٣٢٧؛ مذكرات في الدولة العثمانية (مخطوط)، المركز الوطني للمخطوطات، بغداد، برقم ٣٣٠٥٧، مسجلة على مايكرو فيلم برقم ٧٥٠؛ وكذلك: كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التشيّع والتصوف، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٤٤٦؛ كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيّع، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٢م، الجزء الثاني "النزعات الصوفية في التشيّع من بعد عصر الأئمة حتى سقوط الأسرة الصفويّة"، ص٣٥٤. سيشار له لاحقا: النزعات الصوفية... .

(٢) (١٨٩٦-١٩٤٦) مفكر قومي فارسي وعلماني متشدد برز في الأربعينيات من القرن الماضي، وكان يعد أهم أصحاب المدارس الفكرية في إيران، بل ودعا إلى دين جديد وصفه بـ"الباك دينان" أي الدين النزيه، وتأتي أهميته من بحوثه وكتاباته التي أثرت في أجيال مختلفة، جمعت مقالاته في كتاب عد منهاجا للأدب الفارسي الجديد، فقد حياته بسبب نقده اللاذع لمؤسسة رجال الدين الشيعة وأدائهم التاريخي، مع أنه كان رجل دين ويرجع نسبه إلى أهل بيت النبيﷺ ، وكان يؤم المصلين في أحد مساجد تبريز، أطلق عليه نواب صفوي الرصاص عندما كان يهم بالخروج من عمله في وزارة العدل في طهران، ولما لم يمت بادره أحد أنصار صفوي بسكين داخل قاعة المحكمة فقتله. يراجع لمزيد من التفاصيل الموقع الآتي على شبكة الانترنيت:

**www.kasravi.info**

(٣) "تژاد وتبار صفويه"، آينده (مجلة)، مجلد دوم (٥)، شماره ١٧، تهران، ١٣٠٥ش/١٩٢٧م، ص٣٥٧-٣٦٥، مجلد دوم (٧)، شماره ١٩، ص٤٨٩-٤٩٧، مجلد دوم(١١)، شماره ٢٣، ص٨٠١-٨١٢. وهناك ملخص لأفكاره هذه في كتابه: "تاريخ بانصد ساله خوزستان"، تهران، ١٣٣٠ش/١٩٥٢م.

(٤) احمد كسروى، شيخ صفي وتبارش، تهران، ١٣٢٣هـ/١٩٤٥.

موجودة في كتاب ابن بزّاز الأصلي[1]، وهذه القضايا تتعلق بثلاثة محاور، الأول أصل صفي الدين وجذوره العرقية، والثاني مذهبه وفيما لو كان الشيخ سنيا أم شيعيا، والثالث اللغة التي كان يتحدث بها. وتوصل إلى ثلاث نتائج، تفيد أن الشيخ صفي لم يكن سيدا وأن أبناءه وأحفاده جعلوا منه سيّدا، وأنه كان سنيّا، لكن حفيده إسماعيل تبنى التشيّع، وأن لغة الشيخ كانت الفارسية وأن أبناءه من بعده تكلموا التركية[2].

والمشكلة الأساس في نظريّة كسروي أنه إذ شكّك في أمانة معلومات "صفوة الصفا" فهو في الآن نفسه يستمد منه معلوماته في بناء نظريته، فيقول معتمدا عليه أنه وجد بيتين باللغة الأذرية يعودان للشيخ صفي يستفاد منه أنه ليس سيدا[3]، دون أن يذكر هذين البيتين في وقت يمتلئ الكتاب بأبيات الشعر، وهذا يناقض ما ذكره من قول لصدر الدين موسى بن صفي (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م) أنه سمع من أبيه أنهم سادة[4]. وعندما يقول كسروي إن نسخة أخرى تضمنت شجرة نسب سقط منها أربعة أظهر[5]، فإنه يعرف أن سقوط قضايا أو فقرات من المخطوطات لا يمكن أن يكون حجة ناهضة للشك في مضمونها بسبب إمكان سقوطها خلال نسخ المخطوطات، كما يمكن أن يحذف النسابون بعض الأسماء بسبب شهرة أصحابها.

ويستدل كسروي بعدد من الإشارات على عدم علوية الأسرة الصفويّة، منها عدم ورود لقب سيد أو أمير أو شاه في كتب التاريخ أمام اسم صفي أو أبنائه وهو الاسم الذي اعتاد الإيرانيون إطلاقه على المنتسبين للأسرة العلوية، بل ظلت كلمة شيخ مرادفة لأسمائهم، ويضرب مثلا لذلك بعض الأسماء المعاصرة لصفي وأولاده منها اسم محمد نوربخش[6]، ومؤسس الحركة المشعشعية محمد

---

(١) همان منبع، ص٧.

(٢) همان منبع، ص٤.

(٣) همان منبع، ص٤.

(٤) همان منبع، ص٢٢.

(٥) همان منبع، ص٢٥.

(٦) هو محمد بن محمد بن عبد الله القهستاني المنتهي نسبه بالامام موسى بن جعفر، هاجر والده=

المشعشعي[1]، وغيرهما ممن اقترنت أسماؤهم بلقب السيد[2]، ومع أن "صفوة الصفا" أشار أكثر من مرة إلى أجداد صفي الدين بلقب سيد[3]، فإن الذي ذكره كسروي أمر بديهي في ظل التقاليد الصوفية، ذلك أن صفي الذي وصفته المصادر بأنه "قطب الأقطاب"[4]، و"باد شاه آخروي"[5]، لا بد أن يطلق عليه لقب شيخ بوصفه منصبا لرأس الطريقة التي تتكون عادة من الشيخ والمريدين، وقد حرصت كتب الصوفية على تحديد معالم لقب الشيخ وواجباته وصفاته[6]، وهو أهم الألقاب التي ينبغي أن تطلق على أبرز زعيم صوفي في حينه، كما أطلق هذا اللقب على زعماء متصوفة علويين بمكانة صفي الدين منهم على سبيل

---

=من القطيف وسكن خراسان وهناك ولد له محمد هذا سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م الذي عرف بالتصوف، وكان أحد أتباع علي شهاب الدين الهمداني المعروف باسحق الختلاني الذي قتل، فيما سجن نوريخش هذا فهرب ليسكن في نواحي الري (طهران)، له بعض المؤلفات، منها "الشجرة الوفية في ذكر المشائخ الصوفية" وديوان شعر. توفي ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤-٥م. آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص١٩٥، ١٠٠٦، ١٢٩٩؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين. تراجم مصنفي الكتب العربية، الجزء الثاني عشر، بيروت، بلا تاريخ، ص٨٢.

(١) هو محمد بن فلاح الموسوي المشعشعي، ولد في واسط سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م، وترعرع في أسرة فقيرة، سافر للدراسة في الحلة على يد الشيخ أحمد بن فهد الحلي، فابدع في دراسته فاستغل هذا التفوق ونسبه العلوي لاعلان مشروعه السياسي، فتمكن من تأسيس دولته التي ضمت مناطق شاسعة من اقليم عربستان وجنوبي العراق، توفي سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م. محمد هليل الجابري، إمارة المشعشعين، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة بغداد ، ١٩٧٣م، ص٢١، ٢٦-٤٦.

(٢) كسروي، شيخ صفي وتبارش، ص٢٨-٢٩.

(٣) يراجع مثلا: ابن بزّاز، بيشين، ص١٢٠١-١٢٠٢.

(٤) بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي (ت١٠٣٠هـ/١٦٢١م)، توضيح المقاصد، قم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٧م، ص٤؛ عباس القمي (ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)، الكنى والألقاب، تقديم: محمد هادي الأميني، الجزء الثاني، النجف، ١٩٥٦م، ص٤٢٤؛ آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج١٥، ص٤٩.

(٥) وتعني الملك الآخروي. ابن بزّاز، بيشين، ص١٠٥.

(٦) يراجع على سبيل المثال للاطلاع على صفات الشيخ والمريد،: عبد الحليم محمود، أقطاب التصوف. السيد أحمد البدوي رضي الله عنه، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٢٠-٢٥.

المثال الشيخ بكتاش[1] والشيخ أحمد البدوي[2] والشيخ إبراهيم الدسوقي[3]، هذا مع أن بعض الباحثين شكك بعلوية بعض الأسماء التي تحدث كسروي عنها مثل النوربخشيين والمشعشعين[4]، ويبدو أن إطلاق لفظ السيد مرتبط إلى حد كبير بالوسط الشيعي، فالشيخ أحمد الرفاعي[5] الذي عرف بين أتباعه بـ"شيخ

---

(١) ويسمى أيضا حاجي بكتاش، وأسمه محمد رضوي، متصوف تركي، ولد في نيسابور، تنسب اليه فرقة البكتاشية التي انتشرت في الاناضول والعراق وبلاد الشام، ويرجع الفضل له في دخول الانكشارية الاسلام بعد أن بارك فيهم، وتتهم فرقته بأنها من غلاة الشيعة، لأنهم يؤلهون علي ويشتمون الخلفاء الراشدين الثلاثة، ويرأس فرقتهم "الشيخ الأعظم"، توفي نحو سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧-٨م.

John Kingsley Birge, The Bektashi Order of Dervishes, London, 1937, PP. 24-32;
عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، الطبعة الثانية، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣٧٠، ٥٠٥. ورد نسبه العلوي في: مناقب حاجي بكتاش، (مخطوط)، ورقة ٣٨؛ بيان سلسلة حاجي بكتاش، ورقة ٣٤ب؛ رياض السياحة، ورقة ٨٣ ب. مقتبس في: كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٣٨.

(٢) هو أبو العباس أحمد شهاب الدين بن علي بن ابراهيم الحسيني البدوي (٥٩٦-٦٧٥هـ/١٢٠٠-١٢٧٦م)، صوفي ولد بفاس، قام بجولة في أنحاء العالم الاسلامي فاستقر بالقاهرة، وكان الملك الظاهر أحد أتباع طريقته، دفن في طنطا. من تصانيفه: صلوات، ووصايا، والاخبار في حل الفاظ غاية الاختصار، وطبقات المصطفيين والمصطفيات. إسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ/١٩٢٠-١م)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون على اسامي الكتب والفنون، الجزء الثاني، بيروت، بلا تاريخ، ص٨٠؛ عبد الحليم محمود، المصدر السابق، ص٢٠-١١٦؛ عمر رضا كحالة، المصدر السابق، ج١، ص٣١٤.

(٣) إبراهيم الدسوقي: (٦٣٣-٦٧٦هـ/ ١٢٣٥-١٢٧٧م) من أهالي دسوق غربي مصر، يتصل نسبه بالامام الحسين، من كبار المتصوفين، كان يفتي على مذهب الشافعي، عدت معرفته للغات السريانية والعبرانية والفارسية كرامات له. خير الدين الزركلي، الأعلام، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٨٠م، ص٥٩؛ مجموعة باحثين، علماء المسلمون والوهابيون، جمع وعناية: حسين حلمي بن سعيد استانبولي، استانبول، ١٩٨٤م، ص٤٨.

(٤) يراجع على سبيل المثال: الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٥٤.

(٥) هو أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن يحيى، يصل نسبه الى الحسين السبط، لقب بالرفاعي نسبة الى جده السابع رفاعة الذي هاجر الى المغرب واستقر قرب اشبيلية، حتى قدّر لحفيده يحيى القدوم للحج فاستقر في البصرة، ولد أبو العباس في واسط سنة ٥١٢هـ/١١١٨م ودرس على أعلام المذهب الشافعي في عصره، من بينهم خاله العالم المشهور الشيخ منصور البطائحي الذي كفله بعد وفاة والده، حتى احتل مكانه بعد وفاته فكثر أتباعه حتى قيل إن عدد خلفائه في حياته بلغ مئة وثمانين ألفا فازدهرت مدرسة واسط الصوفية على يديه حتى أخذت اسمه، خلف مجموعة من المؤلفات، تميز عن غيره بتشديده على العمل والجد، دفن بعد وفاته في واسط سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م. يراجع: أبو العباس أحمد الفاروثي (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين، القاهرة، ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، ص٢٢، ٢٩، ٣١، ٣٥؛ تقي الدين أبو الفرج الواسطي (ت٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م)، ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين، القاهرة، ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، ص١٧-٢١.

المتقين"[1] وحدد بنفسه مهمات المشيخة الصوفية وشيخها[2]، قد عرف بلقب السيد أولا بين صفوف الشيعة الممتنين من مواقفه المتسامحة بل والداعمة لهم لنشر مذهبهم في واسط[3]، فيما كانت الأسرة الصفويّة سنية شافعية وتعيش بين أوساط سنية على المذهب الشافعي أيضا[4]، وأن لقب سيد بدأ إطلاقه يتزايد على الصفويين مع تصاعد المدّ الشيعي داخل الطريقة الصفويّة كما سنرى، والأمر ذاته ينطبق على قوله بعدم حرص الصفويين على ارتداء العمامة العلوية وارتدائهم الطاقية التركمانية[5]، إذ أن أزياءهم مرتبطة بالأقوام التي يعيشون بينها، فضلا عن ارتباطها بالتصوف وليس لخوفهم من ادعاء السيادة[6].

وإذ يضيف كسروي أن صاحب "عمدة الطالب" لم يذكر شيئا عن نسب صفي

---

(١) وصف الفاروثي أستاذه الرفاعي بالقول:
"هذا كتاب سميته ارشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين، أعني سيدنا وشيخنا وإمام طريقتنا القطب الغوث ... شيخ الطوائف السيد أحمد الرفاعي".
الفاروثي، المصدر السابق، ص٢.

(٢) يراجع: أحمد أبو العباس بن علي الرفاعي (ت٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، الحكم الرفاعية، تحقيق: محمود السامرائي، بغداد، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص٣٢.

(٣) يقول الشيخ حول أصول طريقته:
"المحبة كل المحبة للنبي والوله به وكثرة الصلاة والسلام عليه ... والتمسك بسنته والغيرة له ولشيعته".
مقتبس في: أبو الهدى الصيادي (ت١٣٢٨هـ/ ١٩٠٩م)، الطريقة الرفاعية، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٦٩م، ص١٠-١١.

**(4) Compare: Fadlullah B. Ruzbihan Khunji, Persia in A. D. (1478- 1490) Tarikh-I Alam-Ara-Yi Amini, Edited and translation: V. Minorsky, London, 1957, P. 33;**
كسروي، شيخ صفي وتبارش، ص٣٩؛ ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ١٠ب؛ هـ. ر. رويمر، بر آمدن صفويان، تاريخ ايران. دوره‌ء صفويان پژوهش از دانشگاه كمبريج (كتاب)، ترجمه: يعقوب اژند، چاپ دوم، تهران، ١٣٨٤ش/ ٢٠٠٦م، ص١٢-١٤.

(٥) كسروي، شيخ صفي وتبارش، ص٢٨.

(٦) ينقل أحد المؤرخين السنة المعاصرين للصفويين حديثا لشيخه شاه مجتبى بن أمير بدر الدين لاله، يقول: كان نسب سيادة صفي الدين ظاهرا في أيامه، لكنه لا يسعى إلى بيانه، وعندما سئل: هل أنتم تكرهون إظهار هذا النسب؟ كان جوابه: بأي أعمال حسنة أنتسب لهذا النسب الشريف.
درويش حسين كربلائي، روضات الجنان. نقل از: غلامرضا طباطبائي مجد، دردِ طلب أحوال وآراء شيخ صفي الدين اردبيلي، تبريز، ١٣٧٦ش/ ١٩٩٨م، ص٢١.

حينما ذكر كل العوائل والأعراق من سلالة الحمزة بن موسى الكاظم[1]، فان ابن عنبة على الرغم من أنه ذكر كل أبناء الحمزة، ومنهم القاسم ثم ابنه أحمد وأخويه حمزة ومحمد، فإنه لم يذكر من ذريته سوى أبناء الأخير، ولم يذكر شيئا عن أبناء أخويه علي وأحمد[2]، على الرغم من أن ذرية هؤلاء لم تندثر، لذا فعمدة الطالب لم يذكر أنساب كاملة من أبناء الكاظم وليس الصفويين حسب، فليس كل من لا يذكره صاحب العمدة ليس علويا، ومصادر الشجرة الصفويّة أقدم من ابن عنبة لأن ابن بزّاز سبقه بأكثر من خمسة عقود[3]، كما أن وقفية تيمورلنك المختومة بختم آل تمغا التيموري[4] التي تتضمن هذه الشجرة هي أقدم من ابن عنبة، لأنها حررت سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م، وأضيف بموجبها إقطاعيات كثيرة في أردبيل إلى الخواجة علاء الدين علي سياه بوش (ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م) حفيد صفي الدين[5].

يقسّم كسروي الشجرة الصفويّة إلى ثلاثة أقسام، يمتد الأول من إسماعيل بن محمد بن أحمد الإعرابي حتى الإمام موسى بن جعفر، ويقول انه لاشك فيه لأنه مذكور في كتب الأنساب، والجزء الثاني يبدأ من صفي الدين حتى فيروز شاه

---

(١) كسروي، شيخ صفي وتبارش، ص٣٥.

(٢) ابن عنبة، المصدر السابق، ص٢٢٨-٢٢٩.

(٣) انتهى ابن عنبة من تأليف كتابه سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م.

(٤) عثر أحد جنود الشاه عباس الصفوي (٩٩٦-١٠٣٨هـ/ ١٥٨٧-١٦٢٩م) على هذا السند في قلعة أندخور الواقعة في بلخ شمالي أفغانستان الحالية، ولازال محفوظا في مسجد الشيخ صفي في أردبيل، واطلعت الباحثة البريطانية آن لمبتون على هذه الوثيقة وتأكدت من صحتها بعد أن طبقت معايير النقد التاريخي المعروفة عليها، وقررت أن هذه المقاطعات أهديت بموجب هذه المستندات الشرعية التي تعود الى سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣-٤م. يقارن: زاهدي، بيشين، ص٤٨؛ اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص١٢؛ والتر هينتس، تشكيل دولت ملي در إيران. حكومت آق قوينلو وظهور دولت صفوي، ترجمة: كيكاووس جهانداري، چاپ چهارم، تهران، ١٣٧٧ش/ ١٩٩٩م، ص٥؛

Ann K. S. Lambton, Landlord and Peasant in Persia, Oxford, 1953, P. 112.

(٥) سيد حسن بن مرتضى حسيني استرابادى (ت بعد ١١١٥هـ/١٧٠٣-٤م)، أز شيخ صفي تا شاه صفي، به اهتمام: إحسان اشراقي، تهران، بلا تاريخ، ص١٨-١٩؛ حسن الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، الجزء الثاني، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٥٢-٥٣. يراجع للاطلاع على نص الوقفية: الملحق رقم (٥).

وهو معروف أيضا، والجزء الثالث الممتد من فيروز حتى إسماعيل، أي الجزء الأوسط، وهو الذي يشك في صحته لكونه غير معروف ولم يذكر في كتب النسب، والواقع أن أشخاص هذا القسم معروفون ومذكورون في كتب الأنساب، ولكن على نطاق ضيق نظرا لضعف أثرهم التاريخي(١).

وإذا كان كسروي قد رفض الخبر الوارد في "صفوة الصفا" والقائل بتحرك فيروز شاه برفقة حفيد أحد أتباع الصوفي المعروف إبراهيم بن أدهم(٢)، في حملة كردية انطلقت من سنجار وامتدت حتى أذربيجان بهدف نشر الإسلام(٣)، منطلقا في رفضه من أن أذربيجان كانت في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تحت الحكم السلجوقي، وأن أهلها أسلموا منذ القرنين الأول والثاني الهجريين(٤)، فإن كتب التاريخ تطالعنا أن هذه المنطقة شهدت دخولا واسعا للإسلام خلال القرن الخامس بفضل الصوفية(٥)، بعد أن تعرّضت مرات عديدة لغزوات قبائل الغز التركمانية والكرج (جورجيا) والروم وحملاتهم التدميرية، والتي رافقتها حملات تنصير، كما شهدت هذه المناطق نشاطا عسكريا كرديا واسعا في أذربيجان انتهى إلى تأسيس إمارات كردية، منها الإمارة الروادية التي شكل حكومتها وهسوذان بن ماملان أو مهلان سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م دام حكمها حتى ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م، وكانت قد سبقتها جهود كردية في

---

(١) يراجع للاطلاع على توثيق النسب الصفوي: الملحق رقم(١).

(٢) ابراهيم بن أدهم: أبو اسحق (ت١٦١هـ/ ٧٧٨م) من الحكماء، بلغ الغاية في الزهد، يقال أنه أمير من بلخ كان يلهو كالامراء فتحول الى التنسك وارتدى ثياب الرعاة، وهام في الارض حتى بلغ الكوفة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩-٧٥٠م ثم ذهب الى الشام وقتل على الساحل السوري غازيا، أنشئت في القرن الرابع عشر الميلادي طريقة صوفية أخذت اسمه، وظلت زواياها تعمل حتى ١٩١١. سميح عاطف الزين، ابراهيم بن أدهم، بيروت، ١٩٨٨، ص١٠٣-١٠٨؛ الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج١، ص١٧. على أن أحد أجداد فيروز شاه اسمه ابراهيم ويلقب بالأدهم. تراجع الملحق رقم(١).

(٣) ابن بزّاز، بيشين، ص٧٢؛ زاهدي، بيشين، ص١٠؛ اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص٥؛ ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ٣أ.

(٤) كسروي، شيخ صفي وتبارش، ص٣٦.

(٥) كوثراني، المصدر السابق، ص١٣١.

أذربيجان بهذا الاتجاه بقيادة ديسم بن إبراهيم الكردي(١)، فضلا عن إمارات مثل شدّادي ومرواني وعنازي أوغوللري، كما أن أجزاء من أذربيجان أصبحت في أوائل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، جزءا من الدولة الأتابكية التي ضمّت أيضا الموصل وسنجار(٢)، وشهدت المنطقة معارك ضارية خاضها ألب أرسلان(٣) ضد الكرج خلال القرنين التاليين دون أن يتمكن من حسم الأمر، ويعدد ابن الأثير هذه الحوادث في السنوات ٥١٤هـ/ ١١٢٠-١م، و٥١٧هـ/ ١١٢٣-٤م، بل ويؤكد أن إهمال الثغور أدى إلى هيمنة الكرج عليها خلال بيان حوادث سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠-١م(٤).

وفي الوقت الذي يرفض كسروي علوية الصفويين فإنه يستدل على الأصل الكردي لهم بأن فيروز شاه اقترن اسمه في "صفوة الصفا" بالكردي، وأن سنجارا

---

(١) يقارن: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧-٨م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، الجزء الثاني، الطبعة التاسعة، بيروت، ١٩٩٢م، ص٥٨٨. يراجع للاطلاع على هذه الجهود: محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني - ابن الأثير - (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، الجزء السابع، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص١٤٠؛ محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ترجمة: محمد علي عوني، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٣٦م، ص١٣٦-١٤٢.

(٢) يراجع لمزيد من التفاصيل: فاروق سومر، نقش تركان آناطولى در تشكيل وتوسعه دولت صفوى، مترجمين: إحسان اشراقى و محمد تقى امامى، تهران، ١٣٧١ش/ ١٩٩٣م، ص٦؛ حسن شميساني، مدينة سنجار من الفتح الاسلامي حتى الفتح العثماني، بيروت، ١٩٨٣م، ص١١٩

(٣) ألب أرسلان محمد عضد الدولة بن داود بن ميكائيل بن سلجوق الغزي التركماني، تولى الملك بعد وفاة عمه ومقتل أخيه على يديه، فعظم أمره وخطب له في خراسان والعراقين، لاسيما بعد أن هزم الروم في معركة ملاز كرد الشهيرة، القريبة من أرمينية، وغزا بلاد الروم مرتين، مات مقتولا سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤١٤-٤١٨.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٨، ص٣٦٨-٣٧٠، ج٩، ص١٩٤، ٢٢٤، ج١٠، ص٢٩٧؛ غريغوريوس الملطي ابن العبري (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول، تحقيق: انطوان صالحاني اليسوعي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٠١-٢٠٢، ٢٢٨؛ أبو طالب تاج الدين علي بن أنجب بن الساعي الخازن البغدادي (ت٦٧٤هـ/ ١٢٧٥-٦م)، (منسوب) الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير، تحقيق: مصطفى جواد، الجزء التاسع، بغداد، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، ص١٧٧.

كانت منطلق الحملة الكردية التي سار معها جدهم فيروز شاه[1]، والحال أن هذه المدينة كانت تحكمها في ذلك الوقت الإمارة العقيلية (٣٨٠-٤٨٩هـ/ ٩٩٠-١٠٩٦م) أعوان الحمدانيين واستمروا في حكمها حتى بعد أن خرجوا على أسيادهم[2]، لأن تحرك فيروز شاه مع الكرد هو الذي جعله يحمل هذا اللقب، لذا ليس غريبا أن يتحرك عربي أو علوي عاش مع الكرد في هذه الحملة، وما قاله لا يقوم دليلا على عدم علويته، لاسيما وأن كتب الأنساب طالما تضمنت أشجار نسب علوية لعشائر عاشت بين صفوف الكرد منذ مئات السنين فصارت كردية[3]، كما تطالعنا كتب التراث بأعلام حملوا لقب الكردي إلى جانب ألقاب أخرى تدل على عدم كرديتهم[4].

ولا يجد الدكتور كامل الشيبي مبررا لافتراض كردية الأسرة، استنادا إلى أن سنجان مرو هي المكان المقصود في "صفوة الصفا"، لانطلاق الحملة وليس سنجار، ويستدل بذكر ياقوت الحموي ثلاثة مواضع باسم سنجان منها موضع

---

(١) يقارن: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٩٩؛ ج٣، ص٢٦٣؛ احمد كسروى، نژاد وتبار صفويه، تهران، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، ص٤٩٤؛ كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٤٩.

(٢) حسن شميساني، المصدر السابق، ص٩٤.

(٣) يراجع على سبيل المثال: أشجار نسب الأسر الجبارية والطالبانية والبرزنجية. محمد حمدي الجعفري، عشائر وأسر السادة الحسينية في العراق والوطن العربي، الجزء الأول، بغداد، ٢٠٠١م، ص ٢٤٢-٢٦٠.

(٤) منهم على سبيل المثال: المحدث عمر بن إبراهيم بن خالد الكردى الهاشمي مولاهم (ت بعد ٢٢٠هـ/٨٣٥م). شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، لسان الميزان، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٢٨٠؛ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧-٨م)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، الجزء الثالث، بيروت، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢-٣م، ص١٧٩. وعبد الله بن سعيد الربيعي الكردي. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص١١٢. والشيخ كردي علي بن الكردي الفارسي الفقيه الثقة نزيل حلب. أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، الجزء الأول، طهران، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٣٨. وأبو الحسن علي بن أحمد بن الكردي الفارسي قاضي جرجان. حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي (ت٤٢٧هـ/١٠٣٦م)، تاريخ جرجان، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٣٠١؛ الذهبي، ميزان الاعتدال...، ج٥، ص٢١٦.

بباب الأبواب، وأخرى في نيسابور والموضعان في خراسان، كما يذكر مدينة أخرى اسمها سنجال من أعمال أرمينيا أو أذربيجان(١). والواقع أن هذا الافتراض صعب القبول لأنه ليس معقولا أن الحملة الكردية قدمت من خراسان القصية، مع أن وجود لقب الكردي السنجاني مقترنا بفيروز شاه وليس الكردي السنجاري في نص ابن بزاز تدعو إلى الالتباس حقا.

وإذا كان يمكن لكسروي التشكيك بدقة شجرة النسب الصفويّة، أسوة بأشجار النسب المشابهة، حينما يقرر عدم وجود شجرة النسب قبل أيام إسماعيل وطهماسب(٢)، وهو ظن ليس واردا كما تقدم، فإنه ليس واردا شكّه في سيادتهم أيضا، لأن لدينا إشارات متواترة تعود إلى ما قبل نشوء الدولة تقرّ بعلويتهم، في مقدمتها إشارة الخواجة عبد الرحيم بن شمس الدين بن محمد الأقطابي الخطاط الشهير بخلوتي تبريزي (ت٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م) الذي ألف كتابا عن الشيخ إبراهيم الصفوي (والد جنيد)، وكتب يقول "إبراهيم العلوي الموسوي"(٣)، وهو شاهد على أن الصفويين عرفوا بالسيادة قبل قيام دولتهم. كما جاءت شهادات لرجال من أعداء الصفويّة يقرون بعلويتهم، منها ما ورد على لسان الفضل بن روزبهان

---

(١) يقارن: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٩٩، ج٣، ص٢٦٣؛ الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٥٤.

(٢) كسروي، شيخ صفي وتبارش، ص٣. على أن هناك أسر معروفة في العراق وغيره ارتبطت مع الصفويين بالشجرة نفسها مثل أسرة عبد الرحمن الكواكبي (١٨٥٥-١٩٠٢م) صاحب كتاب "طبائع الاستبداد" الذي بدأت أسرته تتوارث نقابة الأشراف في حلب والآستانة وبغداد في ظل العثمانيين، بوصفهم من آل البيت من جهتي الأم والأب منذ أيام أحمد الكواكبي (منتصف ق١١هـ/ ١٦-١٧م). سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي سيرة ذاتية، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٥. والأسرة الجبّاريّة في قرية علياوة في خانقين العراقية، وأسرة السادة آل نجف المعروفة في العراق، وأسرتي آل الحكيم الهمداني وآل أصلان في كربلاء، وأسرة السادة البهبهانية الحائرية في شيراز، وغيرها. يراجع للإطلاع على بعض المشجرات المرتبطة بالصفويين: محمد حمدي الجعفري، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٢-٢٤٣؛ الملاحق(٢) و(٣) و(٤) و(٦)؛ سلمان هادي الطعمة، عشائر كربلاء وأسرها، الجزء الأول، بيروت، ١٩٩٨، ص١٦.

(٣) نقل از: غلامرضا طباطبائي مجد، بيشين، ص٢٢. وتراجع ترجمته في: آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٨، ص٢٥١.

الخنجي[1] الذي اعترف بعلوية الشاه إسماعيل على الرغم من كرهه للصفويين[2]، وترجمة صاحب كتاب "الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل"[3]، لعلاء الدين علي جد الشاه إسماعيل المدفون في بيت المقدس، وكذلك رسائل خليل الله شيروان شاه (٨٢١-٨٦٩هـ/ ١٤١٨-١٤٦٤م) التي يخاطب فيها الشيخ جنيد (ت٨٦٤هـ/١٤٦٠م) باسم السيد ومن زمرة السادات[4]، ومنها كتاب السلطان العثماني بايزيد الثاني (ت٩١٨هـ/ ١٥١٢م) إلى إسماعيل، والذي كان أطلق على آبائه صفات وألقابا تطلق على السادة عادة[5]، ومنها كتاب السلطان يعقوب (ت٨٩٦هـ/ ١٤٩١م) إلى السلطان بايزيد الثاني الذي يخبره فيه بقتل الشريف الأجل السلطان حيدر (ت٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م) والد إسماعيل[6].

ويستدل من الرسالة التي تلقاها إسماعيل من شيبك خان الأوزبك، على اعترافه بانتسابهم إلى علي بن أبي طالب، لكنه يرى أن الإمام بريء من إسماعيل كما طلب الله تعالى من نوح أن يتبرأ من ابنه، مع أنه خاض ضد

---

(١) هو الفضل بن روزبهان الخنجي الشافعي، (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)، أصله من خنج من أكوار شيراز، رد على كتاب العلامة الحلي المتوفى ٧٢٦هـ/١٣٢٦م، "نهج الحق" بكتاب سماه "إبطال المنهج الباطل وإهمال كشف العاطل"، فرد عليه نور الله الشوشتري (ت١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) بكتاب سماه "إحقاق الحق"، أخذ الإجازة من شمس الدين السخاوي المشهور، من كتبه، تعليقة على الإحياء للغزالي، وأخرى على الكشاف، وغيرهما. غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٦٠٧؛ حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص١٧٤؛ آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٨، ص٢٥١.

(٢) ينقل عن كتابه ابطال المنهج الباطل: أنه كانت له بنت، فلما بلغت مبلغ النساء خطبها منه شرفاء مكة وعلماء الحرمين فقال بنتي هذه لا كفو لها، لأن سلطان العجم وإن كان علويا (أي الشاه إسماعيل الصفوي) إلا أنه من الرفضة (الشيعة)، وسلطان الروم وإن كان من أهل السنة إلا أنه ليس بعلوي إلى آخر ما قال. مقتبس في: نور الله الحسيني المرعشي التستري (ت١٠١٩هـ/١٦١٠م)، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، شرح وتحقيق: شهاب الدين النجفي المرعشي، الجزء الأول، قم، بلا تاريخ، ص٧٥.

(٣) مجير الدين العليمي الحنبلي (ت٩٢٧هـ/١٥٢٢م)، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، تحقيق: إحسان حقي، الجزء الثاني، بيروت، بلا تاريخ، ص٣٠٨-٣١٠.

(٤) أحمد فريدون بيك (ت٩٩١هـ/ ١٥٨٣م) مجموعة منشآت سلاطين عثمانية، استانبول، ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، جلد أول، ص٣٠٣.

(٥) همان منبع، ج١، ص٣٣٨.

(٦) همان منبع، ج٢، ص٣٠٢.

الصفويين حروبا طويلة، إذ يقول في رسالته إلى إسماعيل ما نصه:

"تقولون إنكم من أبناء أولئك العظماء، ومضمون الآية الكريمة ﴿إنه ليس من أهلك﴾ (هود٤٦)، وإن الإمام علي بريء من أمثالكم، و العلي الأعلى يقول ﴿إذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾(المؤمنون١٠١)، وفي يوم الحساب السؤال عن الأعمال فقط وليس عن الأب والنسب"[١].

هذا فضلا عن إقرار علماء الشيعة الكبار بذلك[٢]، وعلى الرغم من أن جميع نسخ "صفوة الصفا" تضمنت شجرة نسب الصفويين، فإن كسروي ظل يشك بمصداقية الشجرة، بالاعتماد على نسخة واحدة لم ترد فيها هذه الشجرة، قال عنها هو نفسه أنها ناقصة[٣]، كما أن الكتاب الذي قام بتصنيفه مير أبو الفتح بن مير مخدوم الحسيني، مستندا إلى "صفوة الصفا"، معروف وقد أسماه "مكشف القلوب"، وهو موجود في المكتبة الرضوية بمشهد بخط المؤلف في ٣٨٥ صفحة، فيما يؤكد المستشرق الروسي بازل نيكيتين الذي درس الموضوع بالتفصيل، أن هناك نسخة أصلية من "صفوة الصفا" مكتوبة بخط مؤلفه ابن بزّاز موجودة في الخزانة الغروية بالنجف[٤].

---

(١) نقل از: همان منبع، ج١، ص٣٨٥؛ كسروي، شيخ صفي وتبارش، ص٣٨؛ نصر الله فلسفى، زندگانى شاه عبّاس اول، جلد اول. مقدمات سلطنت او از ولادت تا پادشاهى، چاپ چهارم، تهران، ١٣٦٩ش/ ١٩٩١م، ص١٥٤-١٥٦. ويقول الأخير أنه رأى النص الأصلي لهذه الرسالة في جامعة استانبول.

(٢) منهم على سبيل المثال: علي بن الحسين الكركي المحقق الكركي (ت٩٤٠هـ/ ١٥٣٣-٤م)، جامع المقاصد في شرح القواعد، تحقيق: مؤسسة آل البيت، الجزء الأول، قم، ١٩٨٨م، ص٦٧؛ حسين عبد الصمد العاملي (ت٩٨٤هـ/ ١٥٧٦-٧م)، العقد الحسيني، تحقيق: جواد المدرسي، يزد، بلا تاريخ، ص٢؛ حسين بن جمال الدين محمد الخوانساري (ت١٠٩٩هـ/١٦٨٨م)، مشارق الشموس في شرح الدروس، الجزء الثاني، قم، بلا تاريخ، ص٣٣٩؛ نعمة الله الجزائري (ت١١١٢هـ/١٧٠٠-١م)، نور البراهين، تحقيق: السيد الرجائي، الجزء الأول، قم، ١٩٩٦م، ص٣٧.

(٣) كسروي، شيخ صفي وتبارش، ص١٣. وقد اعتمدت هذه الدراسة على نسخة من "صفوة الصفا" قام بجمعها ومقارنتها غلام رضا طباطبائي المحقق الايراني المشهور، ولم يشر إلى سقوط صفحات من جميع النسخ التي أشار اليها كسروي.

(٤) ترجم الدكتور أمير خاني هذه الدراسة من الروسية الى الفارسية، ونشرها في مجلة (دانشكده ادبيات تبريز) العدد ٣، لسنة ١٣٣٩ش/ ١٩٦٠م، ص٢٧٣. ويقال ان مخطوط الكتاب الأصلي=

ومع أن كسروي يعد أبرز المشككين بالنسب العلوي للصفويين، إلا أن مؤرخا تركيا قام بدراسة مشابهة، وتوصل إلى أن الصفويين أسرة تركية على مذهب الشيعة الاثني عشرية، استغلوا الطريقة الصفويّة والحوادث السياسية في إيران وبدّلوا نسبهم وربطوه بالسادة الحسينية، ووصلوا إلى الحكم[1]، هذا مع أن "صفوة الصفا" يطالعنا برواية عن الشيخ صفي تنفي ارتباطه بالترك، حينما رفض ارتداء أثواب أهدتها له سيدة تركية لأن اسمها تركي ومن أسرة ملكية[2]، كما قام مؤرخ تركي آخر بالدراسة نفسها، وانطلق من منطلقات كسروي نفسها، واستخدم آليات مشابهة وهي مقارنة نسخة من "صفوة الصفا" مع كتاب "مكشف القلوب" لمير أبو الفتح بن مير مخدوم الحسيني بوصفه نسخة محرفة عن الأول، فوصل إلى نتائج مشابهة لنتائج كسروي، لكنه انفرد بالتفاتة بارعة مفادها أن الحملة الكردية التي تحرك معها فيروز شاه جد الصفويين هي تلك التي قادها وهسوذان بن ماملان نحو تبريز سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م[3].

لذا فالشبهات التي ألقاها كسروي وغيره، سواء على شجرة النسب، أو على علوية الأسرة الصفويّة، مجرد افتراضات لا ترقى إلى مستوى الحقائق

---

=موجود في الخزانة المرتضوية تحت تصنيف ج٢-٧٨٧. ومنها نسخ كتبت تحت عناوين أخرى منها "المواهب السنية في المناقب الصفويّة"، و "صفوة الأنبياء"، و "الإنباء في ذكر كرامات الأقطاب والأولياء". مقتبس في: آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج١٥، ص٤٩. ولم يتسن للباحث الإطلاع على نسخة الخزانة الغروية في النجف، بسبب صعوبة الوصول اليها في الوقت الحاضر.

(١) اسماعيل حقى أوزون چارشي لي، تاريخ عثماني، ترجمه: وهاب لى، تهران، ١٣٧٩ش/ ٢٠٠١م، ص٢٤١-٢٤٢. والأصل التركي للكتاب:

**Ismail Hakki Uzuncarsil, Osmanlli Tarihi, 2 Baski, Ankara, 1961.**

(٢) ابن بزّاز، بيشين، ص٨٩٩. كما يقرر المؤرخ البريطاني براون أن الأسرة الصفويّة تركمانية.

**Edward G. Browne, A Literary. History of Persia, Vol. IV, Modern Times (1500-1924), Cambridge, 1969, P. 19.**

(٣) مزاوي، بيشين، ص١٢٤؛

**Zeki Velidi Togan, Sur l' origine des Safavides, in Michel Mazzoui, The Origins of the Safavids Shiism, Suffism and Gualt, Franz Steiner Verlag GMBH, Wiesbaden, 1972, P. 48.**

نقل از: سومر، بيشين، ص٨.

التاريخية[١]، بل أن جميع الرافضين لعلوية الأسرة لم يبرهنوا على نسب آخر يؤيد بوثائق معتبرة[٢]، وربما كان الهدف من دراساتهم أيديولوجيا أكثر منه علميّا، لاسيما المؤرخ أحمد كسروي المعروف بتعصبه القومي.

لم تتطرق المصادر الإيرانية إلى سيرة أصحاب السلسلة التي سبقت فيروز شاه بن محمد شرف شاه الملقب "زرين كلاه" أو (الطاقية الذهبية) الذي يبدو أنه عاش في حوالي القرن الخامس الهجري، واشترك في حملة مكونة من آلاف المقاتلين الكرد انطلقت من سنجار قادها حفيد أحد أتباع الصوفي المعروف إبراهيم بن أدهم استهدفت مواجهة آثار غزوات الكرج على مغان وكرجستان[٣]. ويبدو أن فيروز شاه هذا كان شخصا عاديا، ولا يمكن قبول الخبر القائل بأنه كان يتولى مرقد الإمام علي بن موسى الرضا في مشهد[٤] لسببين، أولهما عدم ورود مثل هذا الاسم في المصادر الخاصة بتاريخ المرقد الرضوي[٥]، وثانيا لأن الحملة مصدرها سنجار وليس سنجان مرو كما يذهب لذلك بعض المؤرخين[٦].

وعندما كتب التوفيق لهذه الحملة ووصلت أذربيجان، طلب فيروز شاه أن يقيم في أردبيل[٧] ليستثمر معارفه الفقهية، ويتولى تدريس أهالي مغان والمناطق المجاورة علوم الإسلام وأصوله، فقضى معظم حياته هناك، واكتسب احتراما

---

(١) وللأمانة العلمية فإن كسروي كرر في كتابه أن ما يورده مجرد افتراضات. كسروي، شيخ صفي وتبارش، ص٩، ٢٨.

(٢) العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ص٣٢٧.

(٣) محمد شفيع الحسيني (ت١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م)، نسب نامه صفويه، جلد اول، برگ٣ أ، نقل از: غلام سرور، بيشين، ص٢٣.

(٤) محمد شفيع الحسيني، بيشين، ج١، برگ٢ب – ٣أ. لكن كارل بروكلمان ووالتر هينتس يريان أنه قدم من بلاد العرب الجنوبية. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٦٨م، ص٤٩٣؛ والتر هينتس، بيشين، ص٢.

(٥) يك گروه مؤلف، تاريخ عتبة رضوية مقدسة، مشهد، ١٣٧١ش/ ١٩٩٣م، ص١٤٢-٣١١.

(٦) غلام سرور، بيشين، ص٢٣؛ كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٤٨-٣٤٩.

(٧) تقع أردبيل في أذربيجان الشرقية على بعد ٥٦ كيلومتر عن بحر الخزر (قزوين). شترك، "أردبيل"، دائرة المعارف الاسلامية، م٢، ص٥٤١.

كبيرا، وزادت ثرواته ومواشيه[1]، وربما دفعته الظروف الأمنية للانتقال إلى قرية رنكين الحصينة قرب أجمة گيلان حيث المراعي الشاسعة والأمان والهدوء[2]، وبعد وفاته فضل ابنه إسماعيل الذي عرف بسيد عوض الخواص الانتقال إلى قرى اسفنجان في نواحي أردبيل، فعاش هناك حتى وفاته[3]، وكان أحد أبنائه، والمسمى محمد، اختفى و عمره سبع سنوات، فطال غيابه حتى لقد ظن الناس أنه مات، لكنه عاد في سن الرابعة عشرة يحمل في حمائله المصحف، ويرتدي ملابس التصوف وهي قلنسوة داخل عمامة بيضاء ورداء، ويقال إن الناس تعجبت من هيأته فنسجوا إشاعة تقول أن الجن اختطفته لتعلمه الشرائع والقرآن الذي حفظه فعرف بالحافظ، وتطوع لنشر المعارف الدينية والوعظ، وهو بذلك أصبح الأكفأ لخلافة والده على ممتلكاته بعد وفاته[4]، وبعد وفاته خلفه ابنه الأكبر رشيد المكنى صلاح الدين والذي عاش على الفلاحة ورعاية المواشي، لكنه لسبب ما أقدم على تقسيم أملاكه على الفقراء والمقربين منه، ولبس ثياب التصوف وانتقل إلى قرية كلخوران[5]، ليتوفى هناك في السبعين من عمره.

ويبدو أن الدافع لانتقال صلاح الدين رشيد هو إحدى غزوات الكرج المستمرة على تلك المناطق، والتي عاثت في البلاد قتلا وتدميرا وشملت غاراتهم موطنه الجديد بعدئذ في أيام ابنه قطب الدين أحمد الذي عانى منها، وأجبر على المغادرة إلى منطقة أخرى داخل أردبيل، ويقال أن إحداها كانت موجهة ضد والده لما قام به من إعادة السكان إلى الإسلام، و يقول مؤلف مجهول إن هذه الغارة أرسلت انتقاما من صالح بن قطب الدين، ويبدو أنه اشتبه بين صلاح الدين وصالح، لأن صاحب "صفوة الصفا" الأقرب زمنيا، والذي اعتمد عليه المجهول

---

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤.

(٢) زاهدي، بيشين، ص١١.

(٣) همان منبع، ص١١؛ شفيع الحسيني، بيشين، برگ٣ أ.

(٤) ابن بزّاز، بيشين، ص٧٣؛ زاهدي، بيشين، ص١١؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤؛ عبد العظيم رضايى، تاريخ ده هزار رسالهء ايران، جلد توم. از سلسلهء غزنويان تا انقراض صفويه، تهران، ١٣٨٢ش/ ٢٠٠٤م، ص ٣٥٩.

(٥) ابن بزّاز، بيشين، ص٧٣؛ زاهدي، بيشين، ص١٢؛ ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، ص١٤ب؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤.

في بعض معلوماته، أرخ هذه الغارة وصالح هذا له من العمر سنة واحدة[1]، ويروى أن بكرات خان أحد زعماء الكرج، اندفع نحو كلخوران بجيش تعداده ١٢ ألف مقاتل بعد أن سمع أن قطب الدين أحمد كان يدعو النصارى إلى الإسلام، فهرب إلى مركز أردبيل فتبعه إلى هناك وكان سببا في استباحة المدينة ثلاثة أيام، لكنه نجا من هذه المذبحة بسبب اختبائه في سرداب مع أنه أصيب بجرح في رقبته[2]، وربما هي الغارة التي أرخها ابن العماد الحنبلي في سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥-٦م[3]. وتوفي بعد مدة طويلة[4] فخلفه ابنه سيد صالح في رعاية ممتلكاته الزراعية، ويبدو أن تراجع الهجمات الكرجية كان سبب الهدوء الذي شهدته السنون التي عاشها فاستمر في الدعوة للإسلام ومساعدة الناس إلى أن مات في كلخوران ودفن هناك[5].

فقد ابنه أمين الدين جبرائيل أراضيه بسبب موجات جديدة من الغزوات الكرجية وهو في الثلاثين من عمره، فلبس ثياب الدراويش وغادر إلى شيراز لتلقي العلم، فعاد بعد عشر سنوات ليصبح من مريدي خواجة كمال الدين عربشاه الأردبيلي، فتزوج امرأة ثانية اسمها دولتي بنت عمر بن جمال من أهالي بارق[6]، وكان لشيخه عربشاه أثر في هذه الزيجة التي بولغ في أهميتها، حتى

---

(١) يقارن: ناشناس مؤلف، تاريخ شاه إسماعيل، برگ ١٤ب؛ ابن بزّاز، بيشين، ص٧٣. ويذكر أحد المؤرخين عددا من الغارات الغزّية على تلك الأنحاء. محمد أمين زكي، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٦.

(٢) ابن بزّاز، بيشين، ص٧٤؛ زاهدي، بيشين، ص١٢؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤.

(٣) عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المجلد الثاني، القاهرة، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١-٢م، ص٢٨٩. سيشار له فيما بعد (ابن العماد الحنبلي).

(٤) تقول المصادر أن قطب الدين عمّر طويلا، وتوفي بعد أن ولد حفيده صفي الدين اسحق سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م الذي يقول عن جده قطب الدين أنه كان يحبه كثيرا، ويحمله على كتفه ويتنقل به، ويذكر أنه اعتاد على أن يضع أصابعه الصغيرة في أثر الجرح الغائر الذي تركه الكرجيون في رقبة جده. ابن بزّاز، بيشين، ص٧٤؛ زاهدي، بيشين، ص١٢؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤.

(٥) ابن بزّاز، بيشين، ص٧٥؛ زاهدي، بيشين، ص١٢؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤.

(٦) قرية قرب أردبيل يقال لها أحيانا باروق. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٣٩٢.

صوّرها أحد الباحثين اقترانا بين العنصر الفارسي وبين شرف العرق الذي يمثله جبرائيل[١]، ويبدو أن احتفاء المؤرخين بهذا الزواج سببه ولادة الشيخ صفي الدين اسحق سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢-٣ الذي سيكون له شأن كبير، بعد أن قرر جبرائيل العودة إلى كلخوران إثر زوال الخطر والعودة إلى مزاولة الزراعة والدهقنة، لكن الأجل لم يطل به فتوفي قبل أن يكمل ابنه هذا السادسة من عمره[٢].

## ثانيا. الأثر التاريخي للشيخ زاهد الگيلاني في تاسيس الطريقة الصفويّة:

كان ترتيب صفي الدين إسحق الخامس بين إخوته الذكور[٣]، واللافت للنظر أن هذا الشاب جمع المتناقضات، فهو على الرغم من تعلقه بوالدته لم يتردد في السفر بحثا عن بغيته، وكذلك اختياره التصوف على الرغم من الدلال الذي عاش فيه، والثروة التي تركها والده لهم، وهكذا عرف عنه الاضطراب والبحث الدائم عن التغيير والأفكار الجديدة في عطاء الزعماء الصوفيين في بلدته، فقضى بعض سنوات شبابه يتقصى ويسأل القائمين على مراقد الصوفية القريبة[٤].

كان من عادة الصوفية حينذاك الذهاب إلى قمم الجبال المجاورة للانقطاع إلى عبادة الله، وممارسة أنواع قاسية من الرياضة، فاختار صفي أن يذهب معهم، لكنه ترك ذلك بعد حين وعاد إلى بلدته، لأنه لم يجد ما يشفي غليله،

---

**(١) يرى الدكتور الشيبي أن دولتي هذه هي بنت عربشاه المذكور، ويستدل بهذه الحادثة لرفض فرضية لأحمد كسروي يحتمل بها الأصل الفارسي للصفويين. كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٥١.**

**(٢) ابن بزّاز، بيشين، ص٧٥؛ ناشناس مؤلف، تاريخ شاه إسماعيل، برگ ٥ أ، ب؛ زاهدي، بيشين، ص١٤-١٦؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥.**

**(٣) وهؤلاء الإخوة بالترتيب هم كل من: محمد، صلاح الدين، إسماعيل، يعقوب، صفي الدين، فخر الدين، فضلا عن بنت أكبر من صفي. زاهدي، بيشين، ص١٠.**

**(٤) لاسيما مرقدي الشيخ فرج الأردبيلي، تلميذ الشيخ جنيد البغدادي (ت٢٩٧هـ/ ٩١٠م)، و الشيخ محي الدين الأردبيلي تلميذ الشيخ شهاب الدين السهروردي (ت٥٨٧هـ/ ١١٩١م). ابن بزّاز، بيشين، ص٩١؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤.**

وسارع للسفر إلى شيراز للقاء الشيخ نجيب الدين بزغش[1] في شيراز، بعد أن سمع بكراماته، لاسيما أن أخوته كانوا يسكنون هناك ويمارسون التجارة[2]، فاستأذن أمه وسافر على طريقة المتصوفة حافيا ومن دون زاد أو راحلة، وكان عمره قد بلغ العشرين، لكن ظنه خاب لأن الشيخ كان قد توفي[3]، وفضّل الذهاب إلى ديوان الشيخ عبد الله خفيف[4]، فيما رفض أن يذهب إلى بيت أخيه الأكبر صلاح الدين، فتعلم من القائمين على مدرسة هذا الشيخ ممارسة الرياضة الشديدة والصيام ستة أيام في الأسبوع، وأكل الحشائش والتمسك بالإعراض عن الدنيا، واستمر في بحثه عن بغيته خمس سنوات أخرى، فالتقى برموز التصوف هناك من بينهم الشاعر المعروف سعدي الشيرازي[5] والشيخ عبد الله فارسي قطب[6] اللذان

---

(١) هو أبو سعيد بزغش الشيرازي (ت٦٧٨هـ/١٢٧٩-٨٠م): من العرفاء ومن أصحاب شهاب الدين السهروردى، له ترجمة في "نفحات الانس"، ص٤٢٢ و "رياض العارفين"، ص٢٨٥. مقتبس في: آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص٤١.

(٢) زاهدي، بيشين، ص٢٠.

(٣) همان منبع، ص١١؛ ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ٥ب.

(٤) عبد الله خفيف: أحد كبار مشايخ الصوفية خلال المئة الرابعة للهجرة، اسمه الكامل أبو عبد الله محمد بن خفيف بن اسكفشاذ الضبي، أصله من الديلم لكنه ولد في شيراز ونما وترعرع، استلم الخرقة من أبي محمد جعفر خدا المتوفي سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢م، بالغت المصادر وتنوعت أخبارها فيما يتعلق بعمره حتى أن أحدهم قال أن عمره بلغ ١٢٦، لكن آراء كثيرة قالت أنه عمّر مئة وعشر سنوات. فتوفي سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١-٢م. يراجع: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، تاريخ بغداد، بيروت، بلا تاريخ، الجزء الثامن، ص٣٤٣، الجزء الرابع عشر، ص٤١٥؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٧، ص٤٠٢؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج٦، ص٧٢.

(٥) سعدى الشيرازي: شرف الدين مصلح بن عبدالله الاديب الفاضل الصوفى المتوفى سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م ببلده، صنف من الكتب "بوستان" منظوم فارسي في الاخلاق، وگلستان فارسي نثرا ونظما. محمد الفراتي، مقدمة ديوان روضة الورد "گلستان" لسعدي الشيرازي، طهران، ٢٠٠٤م، ص ٣-٦؛ إسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م)، هدية العارفين. أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، الجزء الثاني، استانبول، ١٩٥١م، ص٤٦٢.

(٦) عبد الله فارسي قطب: أحد مشايخ التصوف في شيراز خلال القرن السابع/ الثامن الهجري، اسمه عبد الله بن محمد بن فارس الفارسي، توفي سنة٧١٢هـ/ ١٣١٢م. إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٥٠٦.

جمعتهما معه صداقة قوية[1]، وحينما أدرك قطب مرام صفي ورغبته في البحث عن شيخ يشفي غليله معرفيا وطقوسيا، نصحه بالاتصال بالشيخ إبراهيم زاهد الگيلاني[2] المقيم في گيلان، فقفل راجعا إلى أردبيل، وتوجه من هناك بسرعة إلى قرية هليه گران في گيلان على بحر قزوين. يقول صاحب سلسلة النسب، إن صفي الدين قضى أربع سنوات للبحث عن بلد الشيخ زاهد، والواقع أن شهرة الأخير تجعل من الصعب تصديق ذلك، فهذه السنوات هي تلك التي قضاها الشيخ في شيراز[3]، على الرغم من كثافة الثلوج وتمنع والدته عن السماح له[4].

وبعد مسيرة أربعة أيام وصل صفي الدين إلى ديوان الشيخ زاهد في أوائل رمضان ٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م، فوجده قد دخل الخلوة في مصلاه وامتنع عن مقابلة الناس[5]، كما هي عادته في كل سنة، بوصفها من لوازم بعض الطرق الصوفية، ولما تناهى إلى سمع الشيخ خبر الضيف الجديد طلبه إلى اللقاء[6]. وكما وجد صفي ضالته فيبدو أن الشيخ زاهد قد وجد ضالته هو أيضا، فبعد أن أدرك قدراته الشخصية المتميزة نال منه اهتماما خاصاً من خلال تعليمه المعارف

---

(١) ابن بزّاز، بيشين، ص١٠٤.

(٢) الشيخ زاهد: تاج الدين ابراهيم بن روشن أمير بن بابل بن الشيخ بندار الكردي السنجاني الگيلاني الحنفي، ذكر ابن بزّاز نسبه وقال انه يصل الى الشيخ جنيد البغدادي، ولد في قرية سياورود گيلان سنة ٦١٥هـ/١٢١٩م، تتلمذ على يد الشيخ جمال الدين الگيلاني (حفيد جنيد البغدادي)، كان يعيش من كدّ يده بزراعة الرز، على الرغم من أنه كان أبرز زعماء التصوف في زمنه، اكتسب ثقة غازان شاه خان المغول (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٥-١٣٠٣-٤م) وسلب لبّه حتى اشتهر بين الناس بتقبيل قدمي الشيخ، لقب بتاج العلماء والزاهد، تتلمذ عليه كل من صفي الدين وتاج الدين التبريزي. توفي في رجب ٧٠٠هـ/ آذار ١٣٠١م. ابن بزّاز، بيشين، ص٨، ١٢؛ زاهدي، بيشين، ص٢٨، ٣٩؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٦-٧؛ أمير محمود خواندمير، بيشين، ص١٣-١٤؛ محمد بن رافع السلامي(ت بعد ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، تاريخ علماء بغداد "منتخب المختار"، تحقيق: عباس العزاوي، بغداد، ١٩٣٨م، ص١٤٦. يراجع لمزيد من التفاصيل: غلامرضا طباطبائي مجد، بيشين، ص٤٧-٥١.

(٣) يقارن: زاهدي، بيشين، ص٢٨؛ أمير محمود خواندمير، بيشين، ص١٤.

(٤) ابن بزّاز، بيشين، ص٨، ١٢؛ زاهدي، بيشين، ص٢٨، ٣٩؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٦-٧.

(٥) ابن بزّاز، بيشين، ص١٢٢.

(٦) همان منبع، ص١٢٢.

الدينية وتلقينه التقاليد والأسرار الصوفية، كما أمره بترك الرياضة الروحية القاسية، وطلب منه أن يتناول اللحوم والأرز بدلا من الحشائش، والصوم ثلاثة أيام في الأسبوع بدلا من ستة، وغير ذلك[1]، وربما رأى الشيخ أن معاناة الشاب الأردبيلي الذي نشأ بين جليد الجبال من أجواء گيلان الحارة الرطبة[2] ستكون رياضة بديلة، وأثبت الشاب لشيخه صحة ظنونه، فكانت المودة تزداد بينهما حتى زوجه ابنته فاطمة، بل جعله ذراعه الأيمن في الدعوة والإرشاد، وتبالغ المصادر في تصوير مدى اهتمام الشيخ زاهد بصفي الدين، حتى قيل أنه كان يبادله الزيارة بين الحين والحين إلى أردبيل[3]، على الرغم من سنيه الثمانين.

وهكذا بدأ أنصار الشيخ يتضايقون من تفوق هذا الغريب، وما صار له من حظوة عند شيخهم، وبغية إلغاء مثل هذه المعارضة أقدم صفي على تزويج ابنته[4] إلى شمس الدين محمد بن الشيخ زاهد[5]، وربما كان للاختلافات المذهبية والقومية والمناطقية سبب في هذا الحسد، إلى جانب الخشية من أن ينافس جمال الدين علي الگيلاني نجل الشيخ، على زعامة الطريقة بعد وفاته، وبالفعل فقد استلم صفي الدين زعامة الطريقة سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠١م بعد وفاة الشيخ عن ٨٥ سنة[6] وأشرف على دفنه في قرية شيخانة ور التي تبعد ٢٠ كيلومترا عن بحر قزوين[7].

---

(١) همان منبع، ص١٢٣؛ زاهدي، بيشين، ص٢٨؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤.

(٢) يراجع للاطلاع على جغرافية أردبيل ومناخها القاسي: ب. سبولر، "جيلان"، دائرة المعارف الاسلامية، م١٣، ص١٥٢-١٥٦.

(٣) أمير محمود خواندمير، بيشين، ص١٣-١٤. والمسافة بينهما تقرب من ٢٥٠ كيلومتر، تقطع عادة بثمانية أيام.

(٤) وهذه ابنته من زوجته الأولى ابنة أخ سليمان الكلخوراني التي ولدت له فضلا عن هذه البنت ولدين هما علاء الدين وشرف الدين، أما ابنة الشيخ زاهد فولدت له ثلاثة أولاد هم على التوالي: محي الدين (ت٧٢٤هـ/١٣٢٤م)، صدر الدين موسى (ت٧٩٤هـ/١٣٩٣م)، وأبو سعيد (؟/؟). ف. بابنكر، "صفي الدين"، دائرة المعارف الاسلامية، م١٤، ص٢٣٧.

(٥) ابن بزّاز، بيشين، ص١٣٠-١٣١؛ أمير محمود خواندمير، بيشين، ص١٥.

(٦) إذا حسبنا أن كل ٣٣ سنة قمرية تساوي إثنتان وثلاثون سنة شمسية يكون الشيخ عاش حوالي اثنتين وثمانين سنة لاغير.

(٧) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤.

### ثالثا. الطريقة الصفويّة. مرحلة التأسيس (٧٠٠- ٧٣٥هـ/ ١٣٠١- ١٣٣٤م):

فكّر صفي الدين في إحداث تغييرات جذرية على الطريقة الصوفية التي تسلم مشيختها تهيؤا لمشروع آخر في ذهنه ربما يتجاوز أعلى المناصب السياسية، وهو الوصول إلى الزعامة الدينية المطلقة التي يختلف إلى رحابها الحكام فيسعون للإخلاص في خدمتها، والتسابق لنيل رضاها وبركاتها، إذا ما لمسوا منها زهدا بالطموحات السياسية، ففكر في أن يغير كل الركائز التي استندت إليها الطريقة في ما مضى، وهي الجغرافية والفكر والإنسان المريد، فكان تغيير مقر المشيخة من گيلان إلى أردبيل يعد نقلة كبيرة لأن گيلان معروفة بعزلتها الجغرافية التي حققها بحر الخزر وسلاسل جبال طالما تضافرت مع مناخها لحمايتها من الغزوات الخارجية[١]، فظلت ملجأ منيعا للفارين من بطش السلاطين والخلفاء، لاسيما أجيال العلويين والكرد، فيما تمكنه أردبيل التي يقيم فيها من الاتصال بيسر مع أعوانه في آسيا الصغرى أو العراق وبقية أقاليم إيران، فأردبيل التي لا تبعد سوى أربعين كيلومترا عن حدود بلاد الروس يؤهلها هذا الموقع لأداء مهمات تجارية متقدمة في نواحي بحر قزوين مثل تفليس وباكو ودربند من جهة، ونواحي إيران مثل تبريز وأصفهان وطهران من جهة ثانية، فضلا عن أن هذه البلاد ثلجية تتوقف الحياة فيها معظم أيام الشتاء، وصخورها بركانية صلدة غير مؤهلة لأنواع كثيرة من الزراعة، فلا توجد في خارجها مثلا أشجار تذكر[٢]، لاسيما أنها لم تنهض بعد من كبوة الاحتلال المغولي الذي دمرها وخرب معالمها[٣]، فهي إذن تمثل جغرافية أزمة وتجارة يمكن للفكر الغيبي أن ينتعش بها، على العكس من گيلان الزراعية والمحمية جغرافيا، ففي المناطق التجارية يلتصق المريد بشيخه أكثر، لاسيما في ظروف الأزمة، من مناطق

---

(١) سبولر، المصدر السابق، م١٣، ص١٥٤.

(٢) هذه المعلومات الجغرافية مستمدة من: شترك، أردبيل، م٢، ص٥٤١-٥٤٤؛ ر. ن. فراي، "أردبيل"، دائرة المعارف الاسلامية، م٢، ص٥٤٤-٥٤٥.

(٣) يراجع للاطلاع على ظروف الاحتلال المغولي لايران: مصطفى طه بدر، محنة الاسلام الكبرى. زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٤٨-١٥٦.

الرخاء الزراعي التي طالما استفز نشاط أهلها الصوفي وقيمهم الاقتصادية السلطة السياسية القائمة آنذاك[١].

وأما على صعيد الفكر الصوفي والطريقة، فقد فضّل صفي التحول نحو طريقة جديدة ومذهب يختلفان عن روح ومذهب شيخه الزاهد الذي كان حنفي المذهب، وأحد مشايخ الطريقة السهروردية[٢]. فتؤكد المصادر أن صفيا كان على المذهب الشافعي، وكذلك حال أردبيل بصورة عامة.

وهنا لابد من الإشارة إلى تهافت بعض الآراء التي تذهب إلى أن الشيخ صفي الدين كان شيعيا، لأن طهماسب بن اسماعيل حفيد صفي يعترف في جوابه لعبيد خان أوزبك أن آباءه وأجداده كانوا سنة[٣]، فضلا عما يستفاد من أخبار "صفوة الصفا" الخاصة بتفسير الشيخ لبعض الآيات القرآنية، التي يذهب فيها مذهبا سنيا لا شيعيا، منها تفسيره للآية القرآنية ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (النحل٤٣)، بأن أهل الذكر هم "أهل لا إله إلا الله"[٤]، وليس أئمة آل البيت على وفق التفسير الشيعي، وما ورد حول لمس الشيخ لرأس إحدى بناته بعد أن توضأ، فجدد وضوءه، لأنه رأى أنها من جنس النساء على وفق تفسير الشافعي للآية القرآنية ﴿وإذا لامستم النساء...﴾( النساء٤٣؛ المائدة٦)[٥]، كما لم يشر الشيخ صفي، حسب ابن بزّاز، إلى أي مصنف شيعي في مجالات الفقه والعقيدة، في الوقت الذي يذكر كتب البخاري والإمام أحمد والغزالي

---

(١) كما حصل مع شيروان شاه وابنه سيامك الذي اتهم الشيخ زاهد الگيلاني بتحريض الفلاحين للتخلي عن النشاط الزراعي لصالح الانقطاع الصوفي، بعد أن استفزه نفوذه وكثرة أعوانه وعزم على البطش به لولا تكفل السلطان المغولي أرغو خان (٦٨٣-٦٩٠هـ/١٢٨٤-١٢٩١م)، بحمايته. ابن بزّاز، بيشين، ص١٩٧؛ بيگلوسكايا وديگران، بيشين، ص٤٧٠.

(٢) محمد عارف اسبيناقجي باشازاده (مؤلف ومترجم)، انقلاب الاسلام بين الخواص والعوام. تاريخ زندكاني ونبردهاي شاه اسماعيل وشاه سليم عثماني. وقايع سالهاي ٩٠٥-٩٣٠هـ، به كوشش: رسول جعفريان، قم، ١٣٧٩ش/ ٢٠٠١م، ص٢٣؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٨٧.

(٣) "شاه تهماسب صفوى. مجموعه اسناد ومكاتبات همراه با يادداشتهاى تفصيلي"، به اهتمام: عبد الحسين نوائى (گردآورنده)، تهران، ١٣٦٤ش/ ١٩٨٦م، ص٣٧.

(٤) ابن بزّاز، بيشين، ص٤٤١.

(٥) يقارن: ابن بزّاز، بيشين، ص٨٨٦؛ كسروي، شيخ صفي وتبارش، ص٩.

والسهروردي والرازي وهذه الكتب على التوالي، "الجامع الصحيح المختصر" و"المسند"، "إحياء علوم الدين" و"عوارف المعارف" إلى جانب "مرصاد العباد"[^1]، ولا مجال هنا لقبول تبرير المدافعين عن تشيّعه[^2] بأنه مقيم بين السنّة ما يستدعي منه التقية، بسبب أنه عاش في عهد السلطان الشيعي محمد خدابنده (ت٧١٦هـ/ ١٣١٦م)[^3]، وابنه يعقوب (ت٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) الذي لم يؤذ شيعيا خلال حكمه على الرغم من مخالفته لتوجهات والده[^4].

وينبغي التنويه أن تسنن صفي لا يمثل فرزا طائفيا في مواجهة فكر آخر، إذ لم يشأ أن يخرج بالفكر الصوفي الذي تبناه عن مجمل الاتجاهات الصوفية المتسامحة أولا والمنفتحة على معظم العقائد المذهبية المعروفة، لتأخذ من مختلف المصادر والتعبيرات، فقد تبنى عقيدة إسلامية تحررت نسبيا من قيود علم الكلام والفقه والاختلافات والتمايزات المذهبية، وتتضمن العديد من المشتركات التي تجمع بين التسنن والتشيّع، فكانت أشهر كتب التفسير والحديث من مختلف المذاهب السنية مصادر لهذه العقيدة، إلى جانب مصادر التصوف المعروفة التي

[^1]: ابن بزّاز، بيشين، ص٤١٤، ٤٣٥، ، ٤٤٢، ٤٧٦.
[^2]: يعد مير أبو الفتح صاحب كتاب "مكشف القلوب" أول المدافعين عن تشيعهم. كسروي، شيخ صفي وتبارش، ص١٤-١٥. ومن المعاصرين يراجع: جعفر السبحاني، رسائل ومقالات، قم، بلا تاريخ، ص١٢٥.
[^3]: هو السلطان المؤيد غياث الدين الجايتو محمد المشتهر بـ "خدابنده" بن أرغون شاه بن أباقا خان بن هولاكو خان بن قولوي خان بن جنگيز خان، سلطان المغول الايلخانيين، كان يسمى قبل اسلامه ألجايتو، اعتنق المذهب الشيعي وجعله مذهبا رسميا لدولته، فاستدعى العلامة الحلي ليتولى الشؤون الدينية والتوجيه في دولته، لكن الأخير اعتذر واكتفى بارسال كتابه "منهاج الكرامة في معرفة الإمامة"، ليكون كتاب دعوة لنشر الفكر الامامي بين الناس، وهناك قصة طويلة وغريبة عن تشيعه أوردها المجلسي، وأهم ما فيها أنه أورد اسمه "خر بنده"، وهو خطأ لأن معنى خر بالفارسية "حمار" أو "أحمق"، ويكون معنى المصطلح: عبد الحمار، أما خدا فمعناها "الله" وخدا بنده: عبد الله. أما معنى الجايتو: السلطان المبارك. يقارن: محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ/١٦٩٩م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار، الجزء التاسع والتسعون، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢٨٦؛ كرامرز، "ألجايتو خدابنده"، دائرة المعارف الاسلامية، م٤، ص١٨٢-١٨٣؛ أحمد سيّاح، فرهنگ دانشگاهي ٢ فارسي به عربي الف - ى، جاب دوم، تهران، ١٣٧٥ش/ ١٩٩٧م، ص٢٠٧.
[^4]: ابن بزّاز، بيشين، ص٤٧.

تتضمن الكثير من مجالات العرفان الشيعية، مثل اعتقاد الشيعة بقدسية الأئمة من آل البيت وتقديس الأولياء عند الصوفية، واعتقاد الشيعة بامتلاك الأئمة علوما خصّ بها النبي(ﷺ) عليا وأبنائه، ويعتقد الصوفية أنها انتقلت عنهم إلى الأولياء[1]، إذ لم يكن صفي ينوي استفزاز السلطة الشيعية التي كان يعيش في ظلّها، بل ورد عنه بعض رباعياته التي يبجّل فيها عليا، منها تلك التي يرى فيها أن الله(ﷻ) سيغفر لمحبي علي كل خطاياهم ويمحو ذنوبهم مهما بلغت[2]، وكان مدركا لجغرافية إيران المذهبية، إذ كان غالبية سكانها أما شافعية أو أحناف أو شيعة[3]، دون أن يؤدي هذا التقسيم بالضرورة إلى انقسام مذهبي حاد[4]، وربما كان انفتاح الشيخ على عقائد أتباعه سببا في بداية تغلغل العقائد الشيعية إلى طريقته الصوفية ورسوخها، لذا قد يبدو التساؤل عن مذهب الشيخ صفي أمرا ثانويا بسبب نمط العقيدة التي اعتنقها ودعا إليها.

وبينما لم يكن صفي يملك من الأرض في مبتدأ أمره سوى مساحة ثورين من الأرض، أي ما يعادل ٦-٧ هكتارات، أصبح يملك أكثر من عشرين قرية

---

(١) يراجع للاطلاع على هذا التشابه: كامل الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيّع، ص٢٠٥-٢٠٩.

(2) Browne, Op. Cit., Vol. IV, P. 72.

يقول أحد أبيات الرباعية:

"هركس كه جوى مهر علي در دل اوست هرجند گنه كند خدا مى بخشد"

نقل از: غلامرضا طباطبائي مجد، بيشين، ص٤٨.

(٣) رسول جعفريان، الشيعة في إيران. دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجري، تعريب: علي هاشم الأسدي، مشهد، ١٣٧٨ش/ ١٩٩٩م، ص٤٨٤-٤٨٦؛ محمد جواد مشكور، تاريخ ايران زمين، شاه آباد، بلا تاريخ، ص ٢٦٧.

(٤) يراجع للاطلاع على الجغرافية المذهبية لإيران خلال ذلك العهد: الملحق رقم (١١)؛ حمد الله بن أبي بكر بن حمد مستوفي قزويني (ت٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، نزهت القلوب. در صفت بلدان وولايات وبقاع، به سعى واهتمام: گى لسترنج، تهران، ١٣٦٢ش/ ١٩٨٤م، ص ٧٧-٨٧؛ سومر، بيشين، ص٨؛ كوثراني، المصدر السابق، ص١٣٦؛ پارسادوست، شاه إسماعيل...، ص١٨٤-١٨٥؛ رسول جعفريان، تاريخ إيران اسلامى. دفتر جهارم "صفويه از ظهور تا زوال ٩٠٥-١١٣٥هـ"، جاپ دوم، تهران، ١٣٨١ش/ ٢٠٠٣م، ص٢٠-٢١؛ جغرافية التشيّع في العالم تاريخيّاً وإنسانياً، دراسة موجودة على شبكة الانترنت:

http://www.imamreza.net

في أواخر أيامه[١]، سخّرها في إطعام أتباعـــه ورعـــايتهم، وإعطـــائهم المـــنح والإعانات، لاسيما الفقراء منهم والمعوزين، فكثرت أعدادهم وتنوعت أعـــراقهم ومواطنهم ومراتبهم الاجتماعية، حتى انضم إليهم القادة والحكام، ولـــم يقتـــصر جهده الاجتماعي على محاولة حل النزاعات التي كانت تنشب بين أتباعـــه بـــين الفينة والأخرى، أو إنقاذ الناس من ظلم الحكام، أو مساعدتهم من المحـــن التـــي يمرون بها نتيجة غارات اللصوص وقطاع الطرق، بل تعدّاه إلى تسخير معارفه الطبية لمداواة جروح الفلاحين المحرومين وفقراء المدن ومعالجة الأسقام التـــي كانت تفتك بأجسادهم النحيلة، وهو إذ يعيش بين ظهراني الأقوام التركية الـــذين كانوا ينظرون إلى الأطباء باحترام عال حتى كانوا يسجدون لهم إذا ما مرّوا[٢]، تراه تمكن من الهيمنة على عواطف الناس وعقولهم، فامتلك كـــل مـــا يملكـــون وسخرها لخدمة مشروعه الفكري.

أمر الشيخ صفي أتباعه بالتخلي عن الدنيا والتوجه نحو الآخرة، على عكس بعض الطرق التي أعلنت الثورة ضد حكوماتها، من مثل الحركة البابائية التـــي ثارت ضد السلاجقة في بلاد الـــروم ســـنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٢م[٣]، كمـــا أمـــرهم بالمحافظة على الواجبات الدينية والاهتمام بالطقوس العبادية من صلاة وصـــيام وغيرهما، وجعل الطريقة توأما للشريعة[٤]، مخالفا طرقا معاصرة لـــه أســـقطت العبادات عن أتباعها، مثل الحبيّة والإباحتيّة والمتكاسلة[٥]، ليتجنب بذلك تكفيـــر الفقهاء لطريقته.

ونتيجة لهذه السيرة الطيبة والعطاء الكبير سلب الشيخ لبّ الحكام المحيطين به، فوقفوا باحترام وتجلة أمامه، وتسابقوا إلى عرض خدماتهم لـــه ولأتباعـــه،

---

**(١) بيگلوسكايا وديگران، بيشين، ص٤٧٠-٤٧١؛ مرتضى راوندي، بيشين، ص٣٧٧- ٣٧٨.**

**(٢) حمد الله مستوفي، بيشين، ص٧٤.**

**(٣) يراجع للاطلاع على تفاصيل أكثر: كلود كاهن، "بابـــائي"، دائـــرة المعـــارف الاســـلامية، م٥، ص٥١٨-٥٢٠.**

**(٤) مرتضى راوندي، بيشين، ص٣٧٦.**

**(٥) أبو اليسر محمد بن محمد بن عبد الكريم البزودي (ت٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، أصول الدين، القاهرة، بلا تاريخ، ص٣٥٢؛ محمد بن حسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٢-٣م)، الإثنا عـــشرية، تحقيق: مهدي الأوزوردي الحسيني، قم، بلا تاريخ، ص٢٣-٢٤.**

نتلمسها من خلال رسائل المؤرخ رشيد الدين وزير الإيلخانيين (ت٧١٨هـ/ ١٣١٨م) التي يطلب في إحداها إذنا من الشيخ بإرسال كميات من المواد الغذائية والأغنام إلى دار الإرشاد بغية إحياء احتفالات المولد النبوي[١]، بل أن الإيلخان محمد خدابنده أصرّ على حضور الشيخ لمباركة عاصمته الجديدة السلطانية التي بناها، وحينما علم بتعذر حضوره إلى جانب عظماء دولته وفضلائها أرسل مبعوثا خاصا للشيخ، لكنه جدد اعتذاره بسبب الشيخوخة، فأرسل ابنه صدر الدين بدلا عنه[٢]. بل أن حسن الجلائري (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤-٥م) تربى في أحضان صفي الدين بعد أن أرسله والده طفلا إليه ليلقنه علوم الدين وأصول الطريقة[٣]، والمتتبع لسيرة الشيخ صفي وأقواله لا يلمس له طابعا بعينه فكانت كراماته تتعلق في معظمها بالأمراء المغول على صورة مساعدة روحية، أو إنقاذ لهم من الأخطار، أو تنبؤ بإمارة، أو انتصار[٤].

وكان الأتباع والمريدون يتوافدون عليه بكثافة من الأناضول والشام وديار بكر ومختلف مدن إيران، محملين بالهدايا والنذور، فبلغ عدد زائريه خلال ثلاثة أشهر فقط أكثر من ثلاثة عشر ألفا عبروا طريق مراغة - تبريز[٥]، وينقل ابن بزّاز عن الخواجة محي الدين المسؤول عن إعاشة ضيوف الشيخ، أنه كان يوزع خمسة آلاف رغيفا على الموجودين في ديوانه يوميا[٦]، وقد احتاج في إحدى المناسبات إلى نحر أكثر من ألف رأس من الأغنام[٧]، فكان أنصاره ومريدوه في تزايد مستمر يوما بعد يوم، حتى بلغوا مئات الألوف، ويقال في هذا الصدد أن

---

(١) نقل از: هينتس، بيشين، ص٢.

(2) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 62.

(٣) ابن بزّاز، بيشين، ص٣٤٨-٣٤٩.

(٤) كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٥٤.

(٥) ابن بزّاز، بيشين، ص٧٩٤؛ زاهدي، بيشين، ص٣٨. ويقول أمير محمود خواندمير، ان العدد اثنا عشر ألفا. أمير محمود خواندمير، بيشين، ص١٨.

(٦) ابن بزّاز، بيشين، ص٧٩٤؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٣، ص٤١٨؛ أمير محمود خواندمير، بيشين، ص١٨.

(٧) زاهدي، بيشين، ص٣٨؛ هينتس، بيشين، ص٩.

الأمير الأشرف چوبان المغولي[1] سأل الشيخ صفي ذات مرة، عن عدد أنصاره، فأجابه: "أن كل واحد من رجالك يقابله مئة من أتباعي ومريدي"[2].

إن الأسباب التي أدت إلى هذا النجاح لم تكن مرتبطة بقابليات الرجل، أو توجهات الحكومات القريبة منه فحسب، بل يعود إلى التنظيم الدقيق للطريقة التي جعلها تتكون من أكثر من مستوى على رأسها المرشد أو الشيخ، وجعلها وراثية، أي أن يحصل الولد على سجادة والده المرشد على وفق وصية الوالد، حتى ولو كان صبيا ويوجد من هو أسن منه بين إخوته أو عمومته، كما أوجد نظام الخلفاء الذين يمثلون الواسطة بين الشيخ المرشد وجموع المريدين في مواطنهم القصية، ويبذلون حمادى جهودهم لإيصال أفكار الشيخ وأصول الطريقة، فيما يتولى عدد من الخلفاء المقربين من الشيخ إدارة شؤون دار الإرشاد التي سميت "البقعة"، وقد ارتبط الخلفاء في وقت لاحق برئيس القبيلة الذي أطلق عليه في زمن إسماعيل "خليفة الخلفاء"[3].

يعود هذا النجاح أيضا إلى تلك الظروف الأمنية والاقتصادية التي رافقت احتلال جنكيزخان لمناطق إيران سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م والتي عانى الفلاحون منها، فهي نتيجة طبيعية لسياسة الدمار وطوفان الموت الذي صاحب تحركاتهم حيثما حلوا، فضلا عن سياستهم الاجتماعية والاقتصادية التي اتسمت بانتشار نظام الإيلچية[4] وتعسفهم، فلم تكن عناصرهم تتردد عن انتزاع ما تريد من الفلاحين بالقوة، بل وإنزال عقوبة التعزير والجلد بالمقصرين مهما كانت الأعذار، والتعدي على النساء والأطفال، وربما يلجأ عناصرها إلى تحويل عقود الأراضي لأسمائهم أو لمن يدفع رشوة مناسبة إليهم دون علم صاحب الملك،

---

(١) الأشرف جوبان: هو الوصي على عرش أبو سعيد بن محمد خدابنده، وحاكم أذربيجان الفعلي، توفي سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م. بارتولد، "أبو سعيد"، دائرة المعارف الاسلامية، م١، ص٤٩٠.

(٢) ابن بزاز، بيشين، ص٧٤٠؛ شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١١٩.

(٣) هينتس، بيشين، ص٧-١١.

(٤) الإيلچية: تشكيلات متحركة يؤسسها المغول المقتدرون في أماكن وجودهم بهدف توفير الخدم والحماية، وتأمين الموارد المالية والعينية لإعالة هذه الأسر ودوابها، عن طريق جباياتها من سكان القرى والمناطق التي يمرون بها، فضلا عن توفير الأماكن الملائمة لهم. پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٠١-١٠٢.

وبغية التخلص من سطوتهم وظلمهم يبادر الناس إما إلى الانضمام لـلايلچية، أو للإسراع بتقديم ما يريدون من رشاوى وأموال، حتى لو اضطروا لبيع أطفـالهم إلى الأغنياء والأمراء من المغول، والأسوأ من ذلك أن جنود المغول لم يخصص لهم رؤساء القبائل الذين يتبعونهم رواتب فيعتمدون على ما يمكن جبايتـه مـن الناس، وكم من قرية أبيدت بسبب عجزها عن دفع الإتاوات والرشاوى، وبمرور السنوات ترسخت هذه التقاليد حتى عجز غازان خان محمود[1] وأخـوه محمـد خدابنده عن حماية الناس ورفع الظلم عنهم، ولم يستجب لهما القـضاة والجنـد حينما أمروا بإلغاء نظام الايلچية، ولم يتغير شيء عندما اجتاحت جموع التتـار بقيادة تيمورلنك البلاد سنة٧٨٣هـ/ ١٣٨١م، أو عندما تـشكلت تلـك الـدويلات الصغيرة والمتناحرة، بل استمر الوضع نفسه [2].

دفعت هذه الظروف الإيرانيين إلى الهجرة المضطردة نحو المناطق الآمنـة في الهند أو آسيا الصغرى، كما دفعتهم للالتفاف حول زعامات صوفية تمكنـت من توفير الحماية والحياة الآمنة لأتباعها، بفعل علاقاتها الجيدة بالحكـام، مثـل الصفويّة، أو تلك التي قادتهم لتوجيه ضربات عسكرية مبرحة للاحتلال المغولي مثل السربدارية في خراسان بقيادة علـي بـن المؤيـد (ت٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م)[3] والنوربخشية والمشعشعية وغيرها، ومن هنا ينبغي أن يفهم سر اعتقاد هـؤلاء الأتباع والمريدين بكرامات مرشديهم وشيوخهم، وطبيعة القدسية المغالية أحيانـا التي أولوهم إياها، في ظروف الجهل والفاقة، كمـا يفهـم اعتقـادهم بالرؤيـا واعتمادهم إياها في عباداتهم ومعاملاتهم.

---

(١) غازان خان محمود: (٦٧٩-٧٠٣هـ/ ١٢٨٠-١٣٠٣م)، كان بوذيا، وأعلن إسـلامه، اسـتهل عهدا جديدا عرف بالعهد الإيلخاني، فلم يعد تابعا لخانات المغول.

(٢) يراجع للاطلاع على مزيد من التفاصيل: پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٠١-١٠٢.

(٣) علي بن المؤيد: آخر الحكام السربداريون في خراسان، تولى الحكم فيها سنة ٧٦٦هـ/ ١٢٦٤-٥م، عرف بالعدل والاحسان إلى الضعفاء، والعناية بالشؤون الفكرية والعمرانية والتفـاني فـي سبيل الدين، وفي أيامه تحسنت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، واستطاع أن يصون خراسان وأهلها من هجوم التتار، توفي سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م. حسن الأمين، المـصدر الـسابق، ج١، ص٢٠٦؛ مؤسسة النشر الاسلامي، مقدمة كتاب "الدروس الشرعية في فقه الامامية"، لـشمس الدين محمد بن مكي العاملي، الجزء الاول، قم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٥٩-٦٠.

كما حاول السلطان خدابنده أن يتبنى التشيّع مستفيدا من السجال الطائفي الناتج عن تبني المماليك للعالم الإسلامي السني وحمايتهم للخليفة العباسي الذي لجأ إلى القاهرة في أعقاب سقوط عاصمة الخلافة العباسية على يد أسلافه المغول سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، مستندا إلى تجربة شيعية سبقه إليها أخوه غازان خان، حينما تبنى التشيّع[١]، فسار على خطاه ليظل الصراع محتدما بينهما، لاسيما بين السلطان الناصر المملوكي (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م)، ومحمد خدابنده الذي كان يطمع بالهيمنة على مكة[٢]، كما حاول خدابنده أيضا تأمين جبهته الداخلية عن طريق الانفتاح على الطرق الصوفية واسترضائها وكسب أتباعها في الداخل، ولما تراجعت سياسة خدابنده بوفاته وأضحت هذه الطرق وزعمائها هدفا للسلطة السياسية المغولية[٣]، بدأت سلسلة من الانتفاضات الشعبية ضد الهيمنة المغولية هدفها تحرير إيران والتخلص من الظلم والإبادة، فتمكنوا بالفعل من قض مضاجع المغول الغرباء، ومن هنا فقد شهدت القرون اللاحقة للاحتلال نمو نوع من الشعور الوطني الإيراني[٤].

وبعد هذا الإنجاز الباهر لقي الشيخ صفي الدين اسحق ربه في منتصف يوم الاثنين ١٢ محرم ٧٣٥هـ الموافق ١٢ أيلول ١٣٣٤م، عن عمر ناهز الخامسة والثمانين[٥]، قضى منها ربع قرن في صحبة الشيخ زاهد، وحوالي خمس وثلاثين سنة على رأس الطريقة التي أخذت اسمه، وشاء أن يبقي ابنه صدر الدين موسى الذي كان الثاني بين أسباط الشيخ زاهد، على رأس الطريقة دون أن

---

(١) جعفر المهاجر، الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي. أسبابها التاريخية ونتائجها الثقافية والسياسية، بيروت، ١٩٨٩م، ص١٠٨.

(٢) حينما اجتاح المغول العالم الإسلامي ووصلوا إلى بلاد الشام لقيت قوة منهم هزيمة في معركة عين جالوت ضد المماليك سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٠٠، ٢٣٠.

(٣) أصبح ابنه القاصر أبو سعيد يعقوب بعده سلطانا، وأصبح الأمير جوبان وصيا عليه، فقرر هذا مقاومة مجموعة الاصلاحات التي نهض بها خدابنده، وعمل بالضد من سياساته، لاسيما الطائفية منها. بارتولد، المصدر السابق، م١، ص٤٩٠-٤٩١.

(٤) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٠١-١٠٢.

(٥) عبد العظيم رضايى، بيشين، ص٣٦٠.

يفكر باختيار أحد تلاميذه أو مريديه الذين يكاد "صفوة الصفا" يمتلئ بأسمائهم وكراماتهم ومؤهلاتهم وهي لا تقل عن مؤهلات ابنه، وهذه هي المرة الأولى التي يقف فيها الابن على رأس الطريقة بعد أبيه في سلسلة الخرقة الصوفية[1]، مما يدل ربما على أن المشروع السياسي الصفوي كان في حسابات صفي قبل أن يموت، وربما جاء في هذا الوقت أثر النسب العلوي بوصفه ورقة مضافة في منحه المشروعية، ذلك أن الصوفيين يعتقدون أن ارتباط الولي بآل البيت تمنحه قوة مضافة في إظهار الكرامات[2]، فبدأت بوادر إعلانه والاهتمام به، وأبرزت شجرة النسب الصفويّة كما تقدم.

**رابعا. تطور الطريقة الصفويّة في ظل أبناء صفي الدين:**

كان التصوف أهم سمات المجتمع الإيراني قبل ظهور الطريقة الصفويّة وبعدها، وقد ساعدت ظروف البلاد في ظل الاحتلال المغولي وما تبعه من تداعيات سياسية دالت خلالها دول وزالت أخرى، وكانت النتيجة المزيد من المعاناة والحرمان للمواطن الإيراني[3] الذي لم يجد من يقف إلى جانبه سوى الطرق الصوفية التي كان لها أثر عظيم على الصعيدين السياسي والاقتصادي،

---

(١) وردت هذه السلسلة كما يلي:

صفي الدين إسحق ـــ إبراهيم زاهد الگيلاني ـــ جمال الدين التبريزي ـــ شهاب الدين محمد أهري ـــ قطب الدين الأبهري ـــ أبو نجيب السهروردي ـــ القاضي وجيه الدين ـــ محمد الأسود ـــ محمد شاه الدينوري ـــ جنيد البغدادي ـــ أبو الحسن السقطي ـــ أبو حفص المعروف بفيروز الكرخي ـــ علي بن موسى الرضا ـــ موسى الكاظم ـــ جعفر الصادق ـــ محمد الباقر ـــ علي زين العابدين ـــ الحسين السبط ـــ علي بن أبي طالب ـــ محمد رسول الله ﷺ.

نقل از: صدر الدين سلطان ابراهيم الأميني (ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م)، فتوحات شاهي، نسخه خطى، دانشكاه تهران، شماره ١١٠٣؛ سيد حسن استرابادى، بيشين، ص١٥؛ حسن الأمين، المصدر السابق، ج٢، ص٥١. يراجع كذلك: ابن بزاز، بيشين، ص٥٦-٥٧؛ غلامرضا طباطبائي مجد، بيشين، ص٥٧-٥٨.

(٢) كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٣٨.

(٣) مصطفى بدر، المصدر السابق، ص١٤٩.

لكن بوادر المشروع السياسي بدأت تلوح في الأفق حينما حرص الشيخ صفي الدين على ترشيح ابنه للتصدي لقيادة الطريقة فكانت سابقة في تاريخ التصوف.

لقد بدأت الطريقة الصفويّة تأخذ منحا جديدا بعد وفاة مؤسسها صفي الدين، بعد أن أوصى لابنه صدر الدين إسحاق الذي ولد سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م، واستلم سدة الإرشاد وعمره ٣١ سنة، وكان ذو شخصية ممتازة، حرص والده على تدريبه وإعداده، وصادف إنه كان في السلطانية عاصمة المغول حينما حضرت أباه الوفاة، فتولى الشيخ كمال الدين الأصفهاني القيام بتغسيله وتكفينه ودفنه، استنادا إلى وصيته، وبعده بأقل من شهر توفيت زوجته بيبي فاطمة بنت الشيخ زاهد، ودفنت إلى جانبه[١].

### ١. الطريقة الصفويّة في ظل صدر الدين (٧٣٥- ٧٩٤هـ/ ١٣٣٤- ١٣٩٢م):

كان أول عمل قام به صدر الدين موسى هو بناء ضريح والدم على هيأة مسجد كبير مثمن الأضلاع تعلوه قبتان كبيرتان يضم أربعين غرفة ينقطع داخلها الأتباع للتعبد والاعتكاف، فاستمر العمل فيه ما يقرب من عشر سنوات[٢] بغية تحويله إلى مزار يعطي للطريقة ومؤسسها هيبة وقدسية، أطلق عليها اسم "بقعة الشيخ صفي"، وحرص على وضع راية إلى جانب المنبر جلبها من الحجاز، ادّعى أن فاطمة الزهراء بنت النبي محمد(ﷺ) صنعتها[٣]، وبهذا بدأت الطريقة تتجاوز أو تتمرد على أهم الأطر والمرتكزات الصوفية وهي البساطة والتقشف لصالح المشروع السياسي، فضلا عن أن طريقته بدأت تُستدرج بهدوء إلى التشيّع الذي يتبنى نظرية الوصية ويفهم بصورة أفضل أهمية النسب العلوي في منح المشروعية العقائدية للقيادة، وهو أمر دفع أحد الباحثين ليقرر اعتناق صدر الدين

---

(١) أمير محمود خواندمير، بيشين، ص٢٠-٢١.

(٢) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه إسماعيل، برگ ٨ب. يراجع للاطلاع على تفاصيل مهمة عن هذا الضريح: علي أكبر علائي، آرامگاه شيخ صفي الدين. موجودة على شبكة الانترنت:
www.ichodoc.ir/p-a/changed/11/html/11_300~1.htm-71k-

(٣) هينتس، بيشين، ص١٢.

للتشيع[1]، كما رافق هذا الإجراء بادرة لا تقل عنه أهمية، إذ أنفذ خلفاءه إلى الأناضول والشام لزيادة دائرة مريديه وأنصاره[2]، وإلقاء بذرة الطريقة في أوساط اجتماعية/ اقتصادية مناسبة تمكنها من النمو والانتشار بعيدا عن مخاطر التقوقع والارتباط بشخص المرشد ودار الإرشاد المعرضين دوما إلى شرور السياسة، هذا ويعد الشاعر الصوفي المشهور قاسم أنوار (ت٨٣٧هـ/ ١٤٣٣-٤م) أبرز مريديه وتلاميذه، إذ نظم في مدحه وصحبته أبياتا من الشعر[3].

كان على صدر الدين مواجهة أولى التحديات بعد وفاة الشيخ صفي، وهو تجدد القتال بين قريتين متناحرتين من توابع أردبيل عاشتا بسلام على أثر تدخله، وهما تول والأرق، إذ بدأت الأولى بالهجوم على الأرق الضعيفة، التي اكتفت بالدفاع عن نفسها، وبعد أن دعي الشيخ الجديد للتدخل، أرسل رسولين إلى القريتين، فرفضت تول عرض السلام وأصرّت على الحرب، وشنت هجوما ليليا على غريمتها، لكنها فشلت ولقيت هزيمة منكرة، وإذا كان صدر الدين قد فشل في أداء مهمة أبيه، فان أتباعه نشروا شائعة في أردبيل تقول أنهم شاهدوا عيانا الشيخ صفي الدين اسحق يقاتل القرية الباغية (تول)، ويجبرها على الفرار وقبول الصلح[4]، وهي شائعات وجدت من يصدقها في ظل ثقافة ذلك الزمان.

---

(١) مرتضى راوندي، بيشين، ج٢، ص٣٧٧.

(٢) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٢٤؛ رسول جعفريان، تاريخ إيران اسلامى، ج٤، ص٢٦. يسمي أحد الباحثين العراقيين هذا النشاط "التبشير الصفوي الطائفي"، وهي تسمية بحاجة الى مراجعة وتصويب. سيار الجميل، بقايا وجذور. التكوين العربي الحديث، عمان، ١٩٩٧م، ص١٠٦.

(٣) هو معين الدين على بن نصير بن هارون أبي القاسم الحسينى التبريزي المعروف بقاسمى، ولد بسراب إحدى مناطق تبريز سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م، لقبه الشيخ صدر الدين بقاسم الأنوار، ساح بلاد قزوين وگيلان ومازندران وگرگان وسمرقند وكرمان، وصاحب الشاه نعمة الله بماهان، كان عارفا بالتصوف ويميل إلى الحروفية. سكن هراة مدرسا وواعظا إلى أن اغتيل شاه رخ في٨٣٠هـ/ ١٤٢٧م بيد احمد لر الحروفى، وكان قد أمر باغلاق المدارس وتخريب الخانقاهات ونفي العلماء ومنهم قاسم الأنوار هذا، إذ نفاه إلى سمرقند، وبعد رجوعه سكن خرجرد جام وتوفى هناك ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م، له "انيس العاشقين"، ترجم في "سلسلة النسب صفويّة" و "نفحات الانس" و ديوانه عرفاني طبع بطهران مع مقدمة لسعيد النفيسى. عباس القمي، المصدر السابق، ج٣، ص٤٧؛ آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص٨٦١.

(٤) أمير محمود خواندمير، بيشين، ص٢٢.

وكان التحدي الأخطر الذي واجه صدر الدين موقف السلطة السياسية المعادي لتوسع نشاط الأسرة وطريقتها، الذي بدأ يثير قلقها، إذ قام الأشرف جوبان المغولي باستدراج الشيخ صدر الدين إلى مقره في تبريز وحجزه لديه مدة ثلاثة أشهر[1]، لكن مقامه ومنزلته في قلوب أتباعه أجبره على إطلاق سراحه بعد أن حاول أن يدس السم في طعامه، ويقول معظم المؤرخين أن السبب الذي دفعه إلى إطلاق سراحه رؤية رآها أشرف أو إحدى نسائه[2]، ولما عاد إلى أردبيل تعرض إلى محاولة قتل أخرى، كما أن الحاكم المغولي عاد وألحّ في طلبه من جديد، وسط تخلي الكثير من أعيان أردبيل عنه، فأحس الشيخ أن مقامه هناك بات مستحيلا، ففضل الانتقال إلى گيلان الحصينة حيث مرقد جده الشيخ زاهد ومنازل أخواله ومساجدهم ومريديهم، وخلال وجوده هناك انطلق حاكم مغولي آخر هو أرغون بك[3] حفيد جنكيزخان، لمهاجمة أذربيجان سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م، فوقع أشرف في أسره بعد ١٤ سنة من الحكم، ولما كان أرغون بحاجة إلى بركات الشيخ وتأييده أرسل في طلبه، فحضر إلى معسكره وهناك رأى غريمه السابق في قفص الأسر، فطلب منه التدخل لإطلاق سراحه، ولكن أرغون لم يستجب لطلبه وبادر إلى قتله بعد مدة قصيرة[4].

وهكذا توفرت للشيخ صدر الدين ظروف جديدة كان لزاما عليه استغلالها للسير قدما في مشروعه، لاسيما بعد أن دخلت البلاد مرحلة جديدة على أثر نهاية سلطة المغول الإيلخانيين نتيجة الغزو التيموري للبلاد سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م، كما شهد عهده هزيمة السلطان أحمد جلاير[5] سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م، على يد قره يوسف (ت ٨١٣هـ/ ١٤١٠م) رئيس قبيلة القره قوينلو التركمانية، الذي كان يكن

---

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٣، ص٤١١-٤٢٢.

(٢) يراجع مثلا: زاهدي، بيشين، برگ ٢٨ب؛ أمير محمود خواندمير، بيشين، ص٢٣.

(٣) هو جاني بك خان بن أوزبك الذي سبق له أن هرب من ظلم أشرف وشكل بمعاونة القاضي محي الدين بردعي الذي هرب هو الآخر، جيشا سماه الفيروزي، عماده عناصر دولته الفارين إلى القفقاس.

(٤) أمير محمود خواندمير، بيشين، ص٢٣.

(٥) (٧٨٤-٨١٣هـ/١٣٨٢-١٤١٠م).

للشيخ احتراما كبيرا، كما أن عهده شهد معاودة الكرج غزواتهم لأردبيل حتى قيل أنهم تمكنوا من خلع باب مسجدها وأخذوه معهم، لكن الشيخ صدر الدين تمكن مع أتباعه من استرداده ثانية[1]، وواصل سياسة أبيه في إطعام المريدين والإنفاق عليهم حتى لقب في سخائه وفتوته بخليل العجم، إذ أنه بدأ في تشجيع تنظيمات الآخية[2]، فوصفه الثائر الصوفي محمد نوربخش بأنه:

**"كان من أوتاد الأولياء وفتيانهم... وكمال الفتوة... وإطعام الفقراء والمساكين"[3].**

وخلال شيخوخة صدر الدين موسى بدأت ملامح القيادة والنجابة تظهر على ولده خواجة علي فأوصى له بقيادة الطريقة من بعده، وبالفعل فقد استلم سدة الإرشاد بعد وفاته سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م[4]، بعد أن جلس على سدة الإرشاد مدة طويلة تناهز ٥٩ سنة، تزايد خلالها باضطراد عدد الأتباع الذين توافدوا على أردبيل من آسيا الصغرى وإيران والعراق وغيرها يحملون معهم الهدايا والنذور، ودفن بجوار والده في أردبيل.

### ٢. مشيخة علاء الدين وضم الأسرى العثمانيين للدعوة:

عرف علاء الدين علي (ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م) هذا بشدة زهده وارتدائه اللباس الأسود على الدوام، فلقب بسياه بوش[5]، وعرفت عنه الكثير من الكرامات التي

---

(١) مزاوي، بيشين، ص١٣٠.

(٢) الآخية: تشكيلات دينية عسكرية ترتبط بأصحاب المهن في الارياف والمدن، وهي تتريك لمفردة (الفتوة) العربية، مفردها آخي، ولا علاقة لها بكلمة أخ. كان لها أثر مهم في تأسيس الدولة العثمانية وحركات الغزاة المسلمين. تيشنر، "آخي"، دائرة المعارف الاسلامية، م٢، ص٤٥٥-٤٦٠.

(٣) مقتبس في: كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٥٦.

(٤) زاهدي، بيشين، ص٣٢أ؛ رسول جعفريان، تاريخ إيران اسلامى، ج٤، ص٢٦؛ عبد العظيم رضايى، بيشين، ص٣٦٠.

(٥) ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه اسماعيل، به كوشش: علي أصغر منتظر الصاحب، تهران، ١٩٧١م، ص١٨. يقول الدكتور الشيبي أن أتباع محمد نوربخش أول من جعل لبس السواد شعارا لهم، لكن الواقع أن أبا مسلم الخراساني أول من أمر بارتدائه وجعله شعارا للعباسيين=

رسّخت مكانته في قلوب أتباعه، خلال ذلك اتجه تيمورلنك ليحتل آسيا الصغرى فاصطدم بالجيش العثماني بقيادة السلطان بايزيد الأول (٧٩١-٨٠٣هـ/ ١٣٨٩-١٤٠٣م) المسمى يلدريم (الصاعقة)، في أنقرة، وكانت النتيجة لصالح اليتموريين، فأسروا أعدادا كبيرة من العثمانيين بمن فيهم السلطان[١]، وفي طريق عودته إلى تبريز التي اتخذ منها قاعدة[٢]، التقى تيمور بالشيخ علي وفاز بإعجابه[٣]، بعد أن رآه يتجرع السم أمامه[٤]، ويقال أنه كان يستمع إليه بإعجاب وكأنه أحد مريديه[٥]، وعندما طلب تيمور منه أن يعرض أمانيه، طلب أن يطلق سراح الأسرى العثمانيين الذين قال بعض المؤرخين أن عددهم بلغ أكثر من ثلاثين ألفا[٦]، وبالفعل فقد منحهم له، فأمر الشيخ بإطلاق سراحهم، وأسكن الذين فضّلوا البقاء عنده حول مرقد جده صفي الدين، فيما سمح للذين رغبوا بالعودة

---

=الذين واضبوا على ارتدائه. يقارن: كامل الشيبي، الطريقة الصفويّة ورواسبها في العراق المعاصر. دراسة مزجية لأصول الشبك والنحل الصوفية في شمال العراق، بغداد، ١٩٦٧م، ص١٤.

(١) علي خليل أحمد، الدولة العثمانية في سنوات المحنة. المقدمات الوقائع النتائج، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة بغداد، ٢٠٠٤م، ص٥٤-٧٥. يقال أن السلطان العثماني توفي كمدا، بعد أن وضعه تيمور في قفص حديدي يسمى (تختروان) يحمل على فرسين، وأمر نساءه أن يقمن بخدمة ضيوفه شبه عاريات. يراجع لمزيد من التفاصيل: هارولد لامب، تيمورلنك، ترجمة: عمر أبو النصر، بيروت، ١٩٧٤م، ص١٥١؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، بيروت، ١٩٨٢م، ص٥٠-٥٨؛ نيقولا فاتان، "صعود العثمانيين ١٣٦٢-١٤٥١"، تاريخ الدولة العثمانية (كتاب)، إشراف: روبير مانتران، ترجمة: بشير السباعي، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٧٥؛ أحمد حطيط، حروب المغول، بيروت، ١٩٩٤م، ص٦٥-٧٩.

(٢) محمد أسد الله صفا، تيمورلنك، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٧٧.

(٣) يقال أنه قابل تيمور ثلاث مرات. عباس اقبال آشتياني وديكران، تاريخ ايران، تهران، ١٣٨٠ش/ ٢٠٠١م، ص٥٦٧. وهو أمر بعيد عن الواقع، بسبب أن طريق الحملة لم يمر بأردبيل وأنحائها، كما لم يرد ذلك في المصادر الأولية باستثناء واحد ذكر المقابلات الثلاث بالتفصيل، لكنها تضمنت أخبارا غير منطقية. يقارن: ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه اسماعيل، ص١٥-١٩.

(٤) يلاحظ المتتبع كيف كان دس السم في حالة الشيخ صدر الدين مؤامرة لقتله، وكيف تحول تجرعه في حالة ابنه علي سياه بوش إلى كرامة.

(٥) اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص١٦؛ هينتس، بيشين، ص٥.

(٦) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ١٠أ، ب؛ زاهدي، بيشين، ص٤٨.

إلى آسيا الصغرى، فعادوا مع عدد من الخلفاء ليكونوا دعاة لطريقته في آسيا الصغرى[١]، فسمي هؤلاء بصوفية الروملو كما سيتضح.

وأمر تيمور أن تكون أردبيل وقراها وتوابعها وقفا لدار الإرشاد[٢]، وبذا تمكن الشيخ علي من تجنيب أردبيل وتوابعها خطر التدمير الذي عادة ما كان يرافق حملات الجيش التيموري، فضلا عن مصالح مريديه وأتباعه، لاسيما بعد أن أصدر تيمور مرسوما يتضمن السماح للشيخ وخواصه بمقابلته في أي وقت، ومنع الجنود والقادة من التجاوز على ممتلكات الشيخ وأتباعه، وإعفائها من كل الضرائب[٣].

وبالعودة إلى صوفية الروملو، فإذا كان مصيرهم قد حسم بفضل الشيخ علي، فقد كان لهم تأثير بعيد المدى على الطريقة الصوفية، لاسيما في مجال العقيدة، لأنهم كانوا أتباعا للطريقة البكتاشية بوصفهم جنودا في الجيش الإنكشاري، فعلى سبيل المثال انتشر اللباس الأبيض، وهو شعار البكتاشية بين المريدين[٤]، ومن جانب آخر أصبح هؤلاء يمثلون قوة عسكرية ضاربة في خدمة الطريقة ومشيختها، فظهرت من بينهم أعداد من الفدائيين على أساس أنها تطور لنظام الفتوة، وهو ما بدا الشيخ علي حريصا على تطويره، فضلا عن أن الأخير ربما حاول ترسيخ مشروعه الديني/ السياسي مستغلا الظروف التي كانت تمر بها آسيا الصغرى بسبب تداعيات معركة أنقرة والصراع الذي اندلع بين أبناء بايزيد على السلطة[٥]، ويبدو أن مرامي الشيخ قد تحققت إلى مدى بعيد، بفضل

---

**(١) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ١١أ؛ مزاوي، بيشين، ص١٣٠. لكن بعض المصادر التتارية والعثمانية تقول: إن تيمورا أمر بترحيل طائفة (قره تاتار) الذين بقوا في الأناضول منذ أيام الغزو المغولي إلى ما وراء النهر، بناء على وصية من السلطان بايزيد الأسير. يراجع لمزيد من التفاصيل: أحمد شهاب الدين بن محمد بن عربشاه الدمشقي الحنفي (ت٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)، عجائب المقدور في أخبار تيمور، لاهور، ١٨٦٨م، ص١٣٠-١٤٢؛ علي خليل أحمد، المصدر السابق، ص١١٦-١١٧.**

**(٢) الملحق رقم (٥).**

**(3) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 33.**

**(٤) كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٣٨-٣٣٩.**

**(٥) كان لبايزيد خمسة أولاد هم موسى الذي وقع في الأسر، و سليمان ومحمد وعيسى الذين كان=**

ما كان للأسرى العائدين إلى صفوف العثمانيين من أثر في نشر مبادئ الطريقة في آسيا الصغرى.

وبعد وفاة تيمور استمرت العلاقة الطيبة بين ابنه شاه رخ (ت٨٥١هـ/ ١٤٤٧م) والشيخ علي، فلما تحرك لمحاربة قره يوسف قره قوينلو في أذربيجان، مرّ بأردبيل، ولما علم بوفاة خصمه قبل وصوله إليه، قرر البقاء في ضيافة الشيخ ليلة الجمعة ٢٨ ذي القعدة سنة ٨٢٣هـ/ ٥ كانون الأول ١٤٢٠م.

وكما هو الحال مع والده، تحاول بعض المصادر التأكيد على تشيع الشيخ علي من خلال عدد من الأخبار(١)، منها أنه كان يوصي الدعاة الذاهبين إلى أرجاء العالم الإسلامي بأن: "عليكم مسؤولية نشر المذهب الشيعي الاثنى عشري، وإعلاء شأنه"(٢)، وما ذكر من تلقيه أمرا من محمد الجواد، تاسع أئمة الشيعة عن طريق الرؤيا بالذهاب إلى شيعة دزفول ليعيدهم إلى خيمة الإمام علي، وحينما أعرض هؤلاء عنه، توقف نهر دزفول عن الجريان لمدة ١١ يوما، فجاءوا مستغيثين معلنين توبتهم وعودتهم إلى مذهب التشيّع(٣)، كما عدّ بعضها طلبه من تيمور محاربة اليزيدية "أصحاب معاوية"(٤) لصالح اتجاهاته الشيعية(٥).

---

=الفرار رائدهم، أما ابنه مصطفى فلم يعلم عنه شيء بعد المعركة. وقد أطلق تيمور سراح موسى من الأسر ليعود بجثمان أبيه، كما اعترف لسليمان بالسيادة على الروملي، أما محمد فقد تولى أمور منطقة أماسيا منذ سنة ١٤٠٢م، فضلا عن أخيه عيسى الذي نصب نفسه حاكماً على بورصة. واستمر الصراع إلى أن استطاع محمد الأول (ت٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) التخلص من إخوته سنة٨١٦هـ/ ١٤١٣م واستعادة وحدة الدولة العثمانية. يراجع للاطلاع على التفاصيل: نيقولا فاتان، المصدر السابق، ج١، ص٨٠-٨١.

(١) Browne, Op. Cit., Vol. IV, P. ١٩.

(٢) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. ٣٣;

ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ١٠ب.

(٣) زاهدي، بيشين، ص٤٦؛ مزاوي، بيشين، ص١٣٠؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٢٩؛ Browne, Op. Cit., Vol. IV, P. ٤٥.

(٤) Browne, Op. Cit. Vol. IV, PP. ٣٦, ٤٦.

يختلف اليزيديون اليوم في هذا الاسم وهذا الاعتقاد، فيقول البعض ان اسمهم أيزيديون، ولا علاقة لهم بيزيد ومعاوية، لكن أنور معاوية الأموي أمير اليزيدية، صرح لإحدى الصحف ينفي هذه الآراء. مقتبس في:

http://fkrh.com/modules; http://bahzani.org/services.

فيما يذكر المؤرخ محمد أمين زكي، أن اليزيدية يقولون أنهم هاجروا من درسم الى سنجار على أثر هذه الحرب. محمد أمين زكي، المصدر السابق، ج١، ص٣٩٧-٣٩٨.

(٥) جعفر المهاجر، المصدر السابق، ص٢٠.

والواقع أن هذه الأخبار لا يمكن قبولها، بسبب ما توضحه السنوات الأخيرة من حياته، فبعد أن قرر الشيخ علي الذهاب للحج سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٨م، عـرّج على دمشق وفي طريق عودته مرّ ببيت المقدس وفضل الإقامة فيها، إلى أن وافته المنية بعد سنتين، ولا يخفى أن فلسطين كانت آنذاك سنيّة متشددة تابعة للمماليك في مصر، وهي لا تقبل إقامة رجل بمكانة الشيخ علي ونشاطه بين ظهرانيهم لو كان يشكل خطورة عقائدية أو سياسية، فالمصادر العربية أرّخت لهذا التواجد بإيجابية، فوصفه السخاوي بـ"شيخ الصوفية في العراق"[١]، وأن "لمريديه فيه من الاعتقاد ما يجلّ عن الوصف"[٢]. ووصفه آخر بـ "الشيخ الصالح العابد... بن الشيخ العابد المسلك صدر الدين... كان والده من أعيان الصالحين ببلده...، توفي بالقدس الشريف أواخر جمادى الأولى سنة ٨٣٢هـ [١٤٢٩م]... ودفن بباب الرحمة"[٣]. ويؤكد أنه كان "شيخا للشيخ محمد بن الصائغ المشهور بخليفة الأردبيلي الآتي ذكره مع علماء الحنفية"[٤]. والأمر الذي يستحيل معه قبول تشيعه، ارتداؤه السواد الذي عرف بأنه لباس العباسيين[٥]، وكان حتى ذلك الوقت يعد من المحرمات على الشيعي، إلا تقية، لأنه لباس فرعون على حد قول

---

(١) المقصود هنا عراق العجم.

(٢) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦-٧)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الجزء السادس، القاهرة، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، ص٢٩.

(٣) العليمي، المصدر السابق، ج٢، ص٥١٠. وهناك رواية غريبة تقول أنه مدفون في كشمير، ويبدو أن تشابه لقب الشيخ مع لقب السيد سلطان على رودبند المعروف أيضا بخواجه على سياه پوش المتوفي سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤-٥م، هو الذي أوقع بعض المؤرخين بالخطأ. يقارن: آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ق١، ج٩، ص٣١٣، ٧٥٩.

(٤) العليمي، المصدر السابق، ج٢، ص٥١٠.

(٥) كان يقال عمن ثار ضد العباسيين بانه (بيّض)، أي ارتدى البياض ضد لباس العباسيين. ويعد عبد الرحمن الفاتح الأموي أشهر من واضب على لبس البياض. جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١-٢م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، الجزء الخامس والعشرون، بيروت، ١٩٨٥م، ص٤٦٧.

كبار علمائهم، مع أنهم استثنوا العمامة والخف والكساء، أو حدادا على الموتى[1]، ولديهم في ذلك أحاديث كثيرة، والسبب الذي دعا هؤلاء المؤرخين للإصرار على تشيعه ما قيل من أنه كان مجازا بالأربعينية[2] من الإمام محمد الجواد عيانا، وبعض ملامح الاستدراج الشيعي للطريقة، وإذا ما عدنا بالذاكرة إلى أن الصوفية أخذت الخرقة بالتسلسل من أبيه الإمام الرضا وأن لمجمل الفرق الصوفية في أئمة الشيعة اعتقاد عظيم، أدركنا السبب في هذا اللبس، لاسيما أن هذه الأربعينية هي صوفية.

استمر الشيخ علي في قيادة الطريقة مدة ثمان وثلاثين سنة، ولا نعرف فيما إذا كانت الشيخوخة هي التي منعته من العودة إلى أردبيل، أم أنه اتخذ من هذه البلاد مركزا متقدما لنشر جموع جديدة من المريدين في مناطق جديدة مثل مصر وفلسطين. لكنه تمكن من تثبيت أعداد كبيرة من الأنصار، اتضح أثرهم في أيام حفيده جنيد كما سيأتي. وبعد وفاته ترك ثلاثة أولاد هم جعفر و عبد الرحيم، فضلا عن شرف الدين إبراهيم الذي كان برفقته وأوصى أن يكون مرشدا للطريقة[3].

---

(١) محمد بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، المقنع، قم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٥٤١؛ أبي الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، منتهى الطلب، الجزء الأول، تبريز، ١٣٣٣ش/ ١٩٥٤م، ص٢٣٢، ٢٤٤؛ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٢-٣م)، وسائل الشيعة، الجزء الرابع، قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣-٤م، ص٣٨٢.

(٢) الأربعينية: طريقة من الرياضة الصوفية، يضبط فيها المريد أحواله بالاعتزال عن الناس، وتقليل المنام والطعام، والمداومة على الذكر، وهي موروثة عن القرآن الكريم والحديث النبوي، إذ قال تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾ (الأعراف ١٤٢)، وقول الرسول ﷺ "من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه". المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ/ ١٥٦٧-٨م)، كنز العمال، تحقيق: بكري الحياني وصفوة السقا، الجزء الثالث، بيروت، بلا تاريخ، ص٢٤؛ آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج١٢، ص٢٨٤. وكان جماعة من الصالحين يختارون لها ذا القعدة وعشر من ذي الحجة. عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٥.

(٣) نظام الدين مجير شيباني، بيشين، ص٦٥-٦٦.

### ٣. رسوخ الطريقة الصفويّة في ظل الشيخ إبراهيم (ت٨٥١هـ/ ١٤٤٧م):

حينما قرر الشيخ علاء الدين علي الرحيل لأداء فريضة الحج، ترك ابنه إبراهيم في أردبيل، لكن الأخير لم يتمكن من تحمل مسؤولية البقاء وإدارة شؤون الطريقة، وبعد يومين من سفره قرر اللحاق به، ليسير في ركابه حيث الحجاز، ومن ثم رافقه في إقامته ببيت المقدس[١]، وعندما عاد إلى أردبيل أبدى نشاطا في إدارة المشيخة الصوفية، مع ما كان يتمتع به من هدوء، لكن الأمراض التي ظل يعاني منها ألجأته إلى الانغماس أكثر في الزهد والتقوى[٢]، ودعت بعض المؤرخين إلى تجاهل نشاطه وإلغاء وجوده، إذ أوصل بعضهم ابنه جنيد بعلي سياه بوش مباشرة[٣]، كما لم يخصص له مؤلف "حبيب السير" سوى أسطر بسيطة[٤]، والجديد في سيرته أنه، وبتخويل من شاه رخ بن تيمور حاكم أذربيجان، أصبح مسؤولا إداريا عن أردبيل فضلا عن إدارته لدار الإرشاد، لذا لقبته المصادر بالشيخ الملك[٥]، كما أنه بدأ يفتح بعض المقرات لطريقته في أنحاء العالم الإسلامي سمّاها "الدواوين الصفويّة" تموّل منه مباشرة، وأشرف عليها عدد من الخلفاء الذين أرسلهم[٦].

وهكذا كانت الطريقة الصفويّة تتقدم باضطراد بفضل إخلاص المريدين لشيوخهم، والتزام خلفاء صفي الدين بمنهجه الذي جدّوا بتطويره لصالح مستقبل الطريقة، فتطور اعتقاد الناس والحكام بها، ونتيجة للسمعة الطيبة التي تناهت إلى أسماع السلطان العثماني، تلقت دار الإرشاد في عهده هدايا وتحف من البلاط

---

(١) السخاوي، المصدر السابق، ج٦، ص٢٩؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٣، ص٤٢٢.

(٢) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ١١أ؛ عبد العظيم رضايى، بيشين، ص٣٦٠.

(٣) محمد راغب الطباخ، أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء، الجزء الثالث، ص٥٦. مقتبس في: كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٦٠؛ راجر سيورى، "اوضاع ايران در استانه ظهور صفويان"، صفويان (كتاب)، ترجمة وتدوين: يعقوب آژند، تهران، ١٣٨٠ش/ ٢٠٠٢م، ص٤٠.

(٤) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٣، ص٤٢٢-٤٢٣.

(٥) همان منبع، ج٤، ص١١؛ غلام سرور، بيشين، ص٣٠.

(٦) ايليا پاولويچ بتروشفسكى، اسلام در ايران. از هجرت تا پايان قرن نهم هجري، ترجمه: كريم كشاورز، جاب هفتم، تهران، ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م، ص٣٨٥.

العثماني، وكميات من الأموال[1]، ومن المؤكد أن ذلك كان بفضل الأسرى العثمانيين الذين عادوا لممارسة أدوارهم قريبا من السلطان وحاشيته، وربما من المفيد هنا أن نذكر وصفا قدّمه أحد المؤرخين للطريقة الصفويّة ومتصوفيها، إذ قال:

**"إنهم زهاد منقطعون إلى العبادة، وهم ليس في إيران حسب، بل في أرجاء تركيا وبلاد الشام وحتى بلاد البربر، وهم أصحاب كرامات وموضع تقدير واحترام كل الناس"[2].**

ترك الشيخ إبراهيم بعد وفاته سنة ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م، ستة أولاد، من بينهم جنيد الذي أوصى والده له بقيادة الطريقة، على الرغم من أنه الأصغر بينهم[3]، لتبدأ مرحلة جديدة وحاسمة في حياة المشروع السياسي الصفوي، إذ بدأت ملامح دخول الطريقة الصوفية إلى ساحة الصراع السياسي، بعد عقود من التصوف المسالم.

**خامسا. تحول الطريقة الصفويّة إلى الدعوة السياسية:**

كانت الطريقة الصفويّة صورة من الارتخاء الاجتماعي والخمول السياسي، حينما اقتصر أثرها على الوظائف الدينية المعنوية، دون أن تتدخل في الشؤون الإدارية والسياسية والعسكرية للأقاليم التي عاشوا فيها، إلا في نطاق ضيق، لذا كانت مختلف السلطات تكنّ لمشايخها الاحترام والتبجيل، وإذا ما تعرضت مصالح السلطات السياسية إلى مخاطر مرتبطة بالصفويين بصورة أو بأخرى، تراها تُعالج بهدوء واحترام واضحين لدار الإرشاد الصفويّة، ولكن مع وصول

---

**(١) هينتس، بيشين، ص٤.**

**(٢) وهو مارينو سانوتو الذي ألف كتابا عن تاريخ المنطقة بين سنتي ١٤٩٢ حتى ١٥٣٣م في مجلد من ٣٨ جزءا، نقل از: همان منبع، ص١٨؛ بيگلوسكايا وديگران، بيشين، ص٤٧٥.**

**(3). Browne, Op. Cit., Vol. IV, P. 47.**

**وأولاده هم على التوالي: أبو سعيد، أحمد، بايزيد، خواجة جان ميرزا، إبراهيم خواجگى، فضلا عن جنيد. زاهدي، بيشين، ص٦٥؛ نظام الدين مجير شيباني، بيشين، ص٦٦؛ غلام سرور، بيشين، ص٣١.**

الشاب المتحمس جنيد بن إبراهيم إلى سجادة الإرشاد بدأت ملامح المشروع السياسي الصفوي تتضح بقوة على ساحة الصراع الإقليمي.

**١. مرحلة جديدة في عمر الدعوة وبروز جنيد:**

كان جنيد شابا في العشرين من عمره عندما استلم قيادة الطريقة[١]، وكان ذا شخصية طموحة وقلقة[٢]، مع ذلك بدأ عهده بالسير على خطى آبائه في تقوية الطريقة وتوسيعها، لكن أمرا جديدا بدأ يطرأ على أوضاع الطريقة، عندما بدأت جموع من المريدين تتوافد على أردبيل برفقة عوائلها هربا من الجوع والفاقة[٣]، وللاستفادة من ظروف الاستقرار والغنى الذي تتمتع به دار الإرشاد، وقام جنيد باستقبالهم وإسكانهم في معسكر بالقرب من دار الإرشاد، وهنا ينقل والتر هينتس (Walter Hinz) عن مؤرخين معاصرين، أنه لم يُر الكثير منهم يحملون السلاح في المعارك[٤]، بل أن بعض الوافدين للقتال بين يدي الصفويين كانوا عراة ليس لديهم ما يلبسونه[٥]، لذا ينبغي البحث عن العوامل الطاردة لهؤلاء داخل الدول التي ينتمون إليها، وليس في أردبيل، وعدم قبول الأخبار التي ترى أن هؤلاء قدموا لأردبيل بطلب من جنيد لصالح تطلعاته السياسية وطموحاته[٦].

لقد أدت الحروب المتوالية بين الزعماء المحليين المتنافسين على التوسع إلى طرد المالكين والمهاجرين الجدد لأعداد متزايدة من الفلاحين والعبيد، ففي الدولة العثمانية، مثلا، كان الأسلوب المتبع على وفق التنظيمات التي أقرها أورخان بن

---

**(١) ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه إسماعيل، ص٢٢. على الرغم من صمت المصادر عن ذكر السنة التي ولد فيها جنيد، لكن يمكن بسهولة الاستنتاج من الخبر أعلاه أنه ولد سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٨م.**

**(٢) هينتس، بيشين، ص١٧.**

**(٣) راوندي، بيشين، ج٢، ص٣٧٨.**

**(٤) هينتس، بيشين، ص١٧.**

**(٥) سومر، بيشين، ص١٨-١٩.**

**(٦) غلام سرور، بيشين، ص٣١؛ رسول جعفريان، تاريخ إيران اسلامى، ج٤، ص ٢٧. وهما يتبنيان رأيا لفضل الله بن روزبهان.**

عثمان (٧٢٦-٧٦٥هـ/ ١٣٢٤-١٣٦٢م) وسار عليها أبناؤه، أن توكل الأراضي المحتلة لمالكيها السابقين طالما لم يقفوا ضد الفاتحين، على أن يتعهدوا بدفع الجزية وتقديم عدد من الفرسان والمحاربين للدولة تبعا لحجم الأرض المملوكة[١]، مما يعني احتفاظ الفلاحين وعبيد الأرض بمساكنهم، وبمستوى ثابت من الحياة لا يجبرون معها على الهجرة بحثا عن لقمة العيش.

لكن السلطان بايزيد الأول اتبع سياسة إقطاعية جديدة حين فرض سيطرته المباشرة على المناطق المحتلة وطرد أسرها الحاكمة، وأحل عبيده وغلمانه محلهم، مما عدّ خروجا على التقاليد العثمانية، فلقيت هذه السياسة مقاومة، وكانت إحدى أسباب هزيمته في معركة أنقرة[٢]، وعندما أقدم بايزيد على ضم إمارتي سيواس وتوقان في الأناضول، هام عبيدها وفلاحوها الفقراء على وجوههم طلبا للملجأ والأمان فوجدوا في زعماء الصوفية ضالتهم، وتزايدت الهجرة إلى أردبيل في عهد السلاطين الذين جاءوا في أعقاب معركة أنقرة[٣]، إذا ما استثنينا المراحل الأولى من حكم السلطان محمد الأول الذي حاول عدم استفزاز إمارات الأناضول[٤]، فقد اتبع السلطان محمد الفاتح سياسة مركزية شديدة بغية إضعاف الأرستقراطية التركية منذ النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس

---

**(١) قسمت هذه الأراضي الى ثلاثة أقسام تبعا لحجمها، وهي، تيمار، زعامت، خاصت. فالذي يقدم من فارسين الى اربعة، هذا الإقطاع يدعى (تيمار)، والزعامت تقدم من خمسة فرسان الى عشرة، أما الإقطاعيات المدعوة (خاصت) فهي أعظم من الزعامت، إذ كانت تمنح للولاة المحليين. بروكلمان، المصدر السابق، ص٤٥٨-٤٥٩؛ ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٠م، ص٣٠؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص٣٩.**

**(٢) علي خليل أحمد، المصدر السابق، ص٥٨، ٦٨-٦٩؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص٥٢.**

**(٣) هم: محمد الأول (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٣-١٤٢١م)، مراد الثاني (٨٢٤-٨٥٥هـ/ ١٤٢١-١٤٥١م)، ومحمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٥هـ/ ١٤٥١-١٤٨١م).**

**(٤) عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية. الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين، بيروت، ١٩٩٩، ص٤٤- ٤٥؛ علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، طرابلس الغرب، بلا تاريخ، ص٥٠.**

عشر الميلادي[1]، فقام بطرد الأسر التركية التي كانت تمثل الأرستقراطية العثمانية، ومنها أسرة آل جندرلي التي شغلت عناصرها منصب الصدر الأعظم طوال قرن كامل لاسيما في أيام فتح القسطنطينية، ناقلا المنصب إلى زاگانس باشا، ذي الأصول الغجرية النصرانية، كما صادر أملاكهم وأراضيهم بوصفها ملكا للدولة[2]، وزادت إجراءات ابنه بايزيد التي استهدف من ورائها تطييب خواطر علماء الدين والدراويش وإنصاف الفئات التي صودرت أملاكها في السابق، فأعاد إليها أملاكها السابقة[3]، الأمر الذي يعني مزيدا من المتضررين، فأفقدت الإجراءات والإجراءات المضادة، مزيدا من القبائل الأناضولية ورؤسائها امتيازاتهم السلطوية والاقتصادية وأفقرت رعيتهم[4]، بسبب المساحات الشاسعة للأراضي المصادرة التي بلغت أكثر من عشرين ألف قرية[5]، فكان الوافدون يجوبون الصحاري في الصيف والربيع، فيما يعز عليهم الملجأ في الشتاء فيؤجرون أنفسهم لمن هو حاجة لهم[6].

وخوفا من كثرة أتباع جنيد الجياع الذين توافدوا عليه من أذربيجان وآسيا الصغرى، اشترط ميرزا جهانشاه قره يوسف (ت٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م) حاكم أذربيجان والعراقين القره قوينلي على جنيد أن يخرج بأتباعه إلى حيث يشاء[7]، دون أن يقبل منه أي عذر وفكّر في ضرب نفوذه المعنوي عن طريق إيجاد ضد نوعي له، فسارع إلى تحريض عمه الشيخ جعفر ليكون مرشدا للطريقة بدلا منه،

---

(١) محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني. أسباب انحطاط الدولة العثمانية وزوالها، بيروت، ١٩٥٤م، ص٦٧.

(٢) داود دورسون، دين وسياست در دولت عثماني، ترجمه: منصوره حسيني وداود وفائى، تهران، ١٣٨١ش/٢٠٠٣م، ص٢٠٣.

(٣) همان منبع، ص٢٠٣.

(٤) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، المجلد الأول، استانبول، ١٩٨٨م، ص٢٠٣.

(٥) داود دورسون، بيشين، ص٢٠٧.

(٦) حسن بك روملو (ت بعد ٩٨٥هـ/١٥٧٧م)، أحسن التواريخ، به كوشش: عبد الحسين نوائي، تهران، ١٣٧١ش/ ١٩٩٣م، جلد١١، ص٨٧؛ اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٥٢.

(٧) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ١١أ؛ عبد العظيم رضايى، بيشين، ص٣٦١.

فضلا عن حرمانه من إمكانياته المالية وموارد دار الإرشاد في أردبيل لصالح عمه الذي سارع إلى التحالف مع جهانشاه لطرد ابن أخيه من أردبيل[١]، ولينفرد بالوصاية على أملاك آبائه.

اتجه جنيد بمريديه إلى آسيا الصغرى وهناك أرسل إلى السلطان العثماني مراد الثاني سجادة ثمينة ومسبحة، طالبا منه تخصيص منطقة داخل حدود دولته يلتجئ إليها ويتعبد فيها[٢]، فقبل السلطان الهدايا وردّ عليها بمبلغ من المال، لكنه اعتذر عن قبول دخوله لأراضيه[٣]، فاتجه سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م نحو الجنوب الغربي حيث إمارة قره مان شبه المستقلة، التي كان أهلها وحكامها من الشيعة العلويين، وسبق أن كانت لها علاقات قوية بدار الإرشاد في أردبيل. هنا بدأت الملامح الشيعية الاثني عشرية تظهر باضطراد على جنيد، دون أن يمثل ذلك اندماجا بالتشيّع في معاملاته وعباداته[٤]، وهو أمر له مغزاه لجهة مشروعية مشيخة جنيد للطريقة على وفق نظام الوصية التي تركها والده وأعلنت على الملأ

---

(١) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٤٠٧.

(٢) اسبيناقجي باشا زادة،بيشين،ص١٤٨؛ اسماعيل حقي، بيشين، ص٢٤٢؛ هينتس، بيشين، ص٢٠.

(٣) سافوري (راجر سيوري)، "جنيد"، دائرة المعارف الاسلامية، م١٢، ص٤٢٨. وينقل والتر هينتس أن الصدر الأعظم استقبل الوفد وأكرمه وقدمه للسلطان في استانبول، لكنه اشار عليه بالرفض، فقال له: لا أرى هذا الرجل الا ميتا عن قريب، وذكر له مثل فارسي يقول: "يمكن لسبعة دراويش الجلوس على سجادة صغيرة، لكن لا يمكن لسلطانين الجلوس معا في بلاد". هينتس، بيشين، ص٢٠.

(٤) إن الفرق بين التشيّع والتصوف، يكمن في أن الاجتهاد في الزهد والعبادات في التشيّع يؤدي الى الانغماس أكثر في العبودية لله، أما في التصوف فان الاجتهاد في الطريقة (الرياضات الصوفية) أو الشريعة (العبادات والمعاملات) يؤدي إلى التسامي والوصول الى حالة من حالتين: إما الاتحاد وهو الوحدة المطلقة بالحقيقة (الله)، أو حلول الحقيقة في بدن المريد، فلا يكون داخل الجبة سوى الله، حينها لا حاجة للشريعة أو الطريقة، أو الصوم والصلاة. يقول الحسين بن منصور الحلاج (ت٣٠٩هـ/ ٩٢٢م):

أنا من اهوى ومن اهوى انا ... نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتني ابصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا

كامل مصطفى الشيبي، شرح ديوان الحلاج مع نص محقق ومقدمة، الجزء الاول، بغداد، ١٩٧٤م، ص١٣.

في حينها، وأن جنيدا أحق بالإمامة، بوصفه خليفة النبي(ﷺ)[1]، في مواجهة مطالبة عمه الشيخ جعفر بن علي سياه بوش بمشيخة الطريقة بوصفه أسن من جنيد وأكثر علما وخبرة، فبدأ الشيخ يستدعي التشيّع بوصفه معينا فكريا يقف في مواجهة نظرية السن والخبرة التي تشبث بها عمه بالتحالف مع السلطة السياسية ممثلة بميرزا جهانشاه، فضلا عن تحوّل مهم طرأ على نشاط الطريقة الصفويّة حينما بدأ مريدو الشيخ جنيد بإطلاق لقب سلطان على شيخهم[٢]، الأمر الذي مثل إيذانا بتسييس الطريقة وعسكرتها، وسط إشاعات فحواها أن ظهور دولة العلويين الموعودة التي ستظهر في آخر الزمان بات وشيكا، فاستغلها أنصار جنيد يؤيدهم المنجمون بأن الدولة ستظهر على يديه وأنه سيحارب في ركابه[٣]، ولما وصل إلى قونية العاصمة اختار بقعة بناها الشيخ صدر الدين القونوي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، لكنه لم يقم طويلا هناك بسبب احتجاج زعيم ديني محلي يدعى الشيخ عبد اللطيف وتكفيره لجنيد، فاضطر للانسحاب نحو جبال كيليكية (أرمينيا الصغرى) لاجئا عند قبائل الورساق التركمانية الموالية له، فلاحقته مؤامرات هذا الشيخ الذي حرّض عليه حاكم قره مان إبراهيم بك قره مان أوغلو، متهما إياه بالزندقة، فأصدر الحاكم أمرا باعتقاله ومريديه[٤].

اضطر جنيد للخروج ومريديه على وجه السرعة نحو أربل، ومن ثم إلى حلب إذ أقام بصحبة الشيخ محمد بن أويس الأربلي، أحد أتباع الصفويين هناك، ووالد زوجته الأولى، لكنه لما عرض عليه مشروعه السياسي اختلف معه، إلى حد اضطر معه أن يطلّق ابنته[٥]، فذهب إلى كلز (أو كلس) في ضواحي حلب، وبنى فيها مسجدا وحماما، وتجمع حوله الناس من جديد، وينقل عن مؤرخ

---

**(1) Birge, Op. Cit., P. 63.**

**(٢) ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه اسماعيل، ص٢٢؛ مزاوي، بيشين، ص١٥٠؛ سيورى، اوضاع ايران در آستانه ظهور صفويان، ص٤٨.**

**(٣) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ١١أ.**

**(٤) هينتس، بيشين، ص٢٢.**

**(٥) العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ٣٣٤-٣٣٥؛ كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٦١.**

معاصر لجنيد أنه أشهر غلوا وتطرفا في سيرته وعقيدته، فرمي بأنه مشعشعي المذهب وتارك للجماعة، وأن الناس ضاقت به ذرعا، فعقد له علماء حلب سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦-٧ مجلسا فقهيا لمحاكمته، غير أنه لم يحضر[١]، فاضطر أن ينتقل إلى جبل موسى في أنطاكية، وبنى هناك بيوتا من الخشب، وبدأ أتباعه يتوافدون عليه بكثافة من بلاد الروم والعجم، فانتشر أمره هناك لاسيما بعد انضمام أتباع الشيخ بدر الدين[٢] له، والأثر الكبير الذي تركه هؤلاء الأتباع على فكره وتوجهاته[٣]، فأحس الشيخ أحمد بكري[٤] أحد المتصوفة المحليين بخطر

---

(1) **Browne, Op, Cit., Vol. IV, P. 47;**

كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٦١.

(٢) واجه السلطان العثماني محمد الأول سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م خطرا داخليا تمثل في ثورة عقائدية صوفية ذات أبعاد اقتصادية انطوت على محاولة تقريب بين الإسلام والنصرانية، وهي حركة الشيخ بدر الدين قاضي العسكر السابق وكبير وزراء أخيه موسى وأحد أقرباء أمير قونية السلجوقي، والواقع أن تعاليمه الجديدة التي قالت بالملكية المشتركة، وأن النصارى متساوون مع المسلمين في الإيمان بالله وعبادته، وحظيت بقبول فلاحي آسيا الصغرى (حديثي العهد بالإسلام) الذين كانوا يعانون من سادتهم الإقطاعيين، وقد أعان بدر الدين في نشر مذهبه حاجبه السابق بُور كلُوَجة مصطفى، وشخص آخر اسمه طورلاق كمال، لكن محمد الأول أرسل وزيره بايزيد باشا واستطاع القضاء عليها وقتل بور كلوجة مصطفى وأتباعه، أما بدر الدين فقد لاذ بالفرار متجهاً نحو الأفلاق إذ أعاد تجميع جيشه واحتل أحد الممرات الجبلية في البلقان فتحرك السلطان بنفسه لمقاتلته فأخلى مكانه هارباً بعد أن تخلت غالبية قواته عنه وانضمت إلى جيش السلطان، وقبض عليه وأعدم بفتوى اتهمته بالخيانة سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٥٠-١٥١؛ بروكلمان، المصدر السابق، ص٤٢٥-٤٢٧؛ عبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص٤٠؛ علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، ص٥١.

(٣) غلامرضا طباطبائي، بيشين، ص٣١. ترى بعض المصادر أن جنيدا تأثر بالفكر المشعشعي خلال وجوده في بلاد الشام، وهو أمر لا يمكن الأخذ به لعدم ورود خبر يفيد بالتقائه بالمشعشعين إلا من ناحية التقائه معهم بفكرة المهدوية التي أعلنها جنيد أيضا، وربما تأثرت المصادر بوصف الشعشاعي (المشعشعي) الذي أطلقه عليه سبط ابن العجمي. يقارن: موفق الدين الحلبي الشافعي (ت٨٨٤هـ/ ١٤٧٩-٨٠م) كنوز الذهب في تاريخ حلب. مقتبس في: العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ص٣٣٤؛ غلامرضا طباطبائي، بيشين، ص٣٣.

(٤) يسميه الغزي، شمس الدين العجمي عالم انطاكية. نجم الدين محمد بن بدر الدين الشافعي الغزي (ت١٠٦١هـ/١٦٥١م)، الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، تحقيق: جبرائيل جبور، الجزء الثالث، بيروت، ١٩٤٥م، ص١٣٥. على أن معظم معلومات الغزي عن هذا الموضوع غير دقيقة.

وجود جنيد وأتباعه في بلدته، فكتب إلى الملك الظاهر جقمق سلطان المماليك في القاهرة (ت٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) الذي أمر كافل حلب جانم المكحّل بإلقاء القبض على الشيخ وأتباعه، فأنفذ قوة بقيادة نائبه واصطدم بأتباع جنيد وكانت النتيجة مقتل سبعين مريدا من جماعته[١]، فضّل بعدها الفرار نحو الشمال وذهب وحيدا سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٧-٨م إلى مدينة جانيق على البحر الأسود[٢].

تصور جنيد، وهو في جانيق العثمانية، أن خلاصه وطوق النجاة لمشروعه يكمن في إتباع السياسة التي اتّبعها العثمانيون في تكوين دولتهم، وهي قيادة مجاميع من الغزاة والتوسع على حساب الإمارات النصرانية، مستغلا ضعف هذه الإمارات، بغية إحراج القوى الإسلامية المناوئة لمشروعه، ووجد في طريقه مملكتين نصرانيتين برزتا منذ أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، هما طرابزون اليونانية وكيليكية على الأطراف الشمالية الشرقية لشبه جزيرة الأناضول[٣]، فاختار طرابزون لتكون منطلقا لدولته الموعودة وهنا لقي تشجيعا من حاكم مدينة جانيق العثماني لمهاجمتها، ولكن لبغية مختلفة وهي إضعافها وقضمها بسهولة في المستقبل[٤]، وشرع جنيد حينها بتجميع أنصاره من جديد، وشنّ هجومه سنة٨٦٠هـ/ ١٤٥٦م، منطلقا من الجبال المحاذية للمدينة، وتمكن بعد معركة كبيرة ضد قوات ملك طرابزون من الحصول على كميات كبيرة من الغنائم والأسرى الذين بيعوا في أسواق الرقيق[٥]، كما تمكن من محاصرة المدينة ثلاثة أيام، لكن مناعة أسوارها وقوة استحكاماتها حالت دون احتلالها، واضطر نتيجة

---

(١) يسميه الغزي، شمس الدين العجمي عالم انطاكية. نجم الدين محمد بن بدر الدين الشافعي الغزي (ت١٠٦١هـ/١٦٥١م)، الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، تحقيق: جبرائيل جبور، الجزء الثالث، بيروت ، ج٣، ص ١٣٥.

(٢) هينتس، بيشين، ص٢٢.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ١٤.

(٤) قاد السلطان محمد الفاتح بنفسه سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م قوة تمكنت من ضم طرابزون نهائيا لدولته دون مقاومة، ونقل الأسرة المالكة (آل كومنينس) الى العاصمة استانبول. فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص١٦٩؛ بروكلمان، المصدر السابق، ص٤٣٧.

(٥) راوندي، بيشين، ص ٣٧٨. اصطفى جنيد إحدى الأسيرات من الجركس لنفسه، وأولدها ابنه الأكبر خواجة محمد. ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، ص١٥أ؛ زاهدي، بيشين، ص٤٧.

الهجمات المضادة للانسحاب نحو المناطق الجبلية الوعرة(١).

ثم لجأ جنيد سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م إلى حصن كيف المنيع والمستقل في كردستان الذي كان يسيطر عليه أحد أحفاد صلاح الدين الأيوبي، وهناك وردته رسالة من حسن الطويل(٢) رئيس قبيلة الآق قوينلو عبّر فيها عن حبه واحترامه وإعجابه به، ففرح جنيد بالرسالة وعدّها إيذانا له باللجوء مع أتباعه إلى ديار بكر، لا سيما أن أوزون حسن هو خصم جهانشاه قره قوينلو اللدود(٣)، ومع ما كان بينه وبين جنيد من خلاف على أثر غزوته لطرابزون(٤)، لكن مصلحته دعته أن يتجاوز ذلك.

لقد فكّر أوزون حسن أن يستفيد من جنيد بوصفه مرشدا للطريقة الصفويّة في مشاريعه المستقبلية وصراعاته السياسية القادمة ضد جهانشاه الذي كان قد اتخذ من تأييد الجناح الجعفري للطريقة الصفويّة غطاءً شرعيا لدولته، أسوة بكل المشاريع الإسلامية المجاورة(٥)، كما أراد أن يستثمر سواعد مريديه ودمائهم في

---

(١) هينتس، بيشين، ص٢٤-٣٠.

(٢) (٨٤١-٨٨٢هـ/ ١٤٣٨-١٤٦٨م) هو حسن بيك تركمان، أو أوزون حسن، زعيم قبائل الآق قوينلو التركمانية التي انحدرت من تركستان، والذي استطاع سنة ٨٥٨هـ/ ١٣٥٣م، من أن يوحدها، ويسيطر على أجزاء واسعة من شمالي العراق والأناضول، ويجعل من ديار بكر عاصمة له، وخاض صراعا مريرا ضد قبائل تركمانية أخرى تدعى القرة قوينلو التي تمكنت من الهيمنة على مناطق واسعة، آل معظمها في النهاية إلى أوزون حسن بعد أن تمكن من إسقاطها. يراجع للتفاصيل: مينورسكي، "أوزون حسن"، دائرة المعارف الاسلامية، م٥، ص٢١٣-٢٢٣.

(٣) سافوري، جنيد، م١٢، ص٤٢٧.

(٤) هينتس، بيشين، ص٢٢.

(٥) بعد سقوط بغداد بيد المغول بثلاث سنين، استحضر الظاهر بيبرس البندقداري معه الى القاهرة شخصا إدّعى أنه أحمد بن محمد الظاهر ابن الناصر المستضئ العباسي، فأثبت نسبه في مجلس بيبرس أمام جمع من علماء الدولة وأركانها، فوجد فيه قوة جديدة لملكه، وأمر بجمع الناس وأعلن فيهم الامر وبايعه بالخلافة، ولقبه بالمستنصر، وأمر أن يخطب باسمه على المنابر وأن ينقش اسمه على النقود وأقيمت له المظاهر وأنزل في دار فخمة، وكان ذلك سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م. ولم يكن له ولا لمن ولي بعده عظيم أثر يذكر في الملك، بينما اتخذ العثمانيون من رواية مفادها أن عثمان بن أرطغرل صاهر صوفيا يدعى أده بالي، واستلم منه سيف الجهاد، وظل السلاطين يتقلدونه في احتفال رسمي، كما اتخذ النوربخشية والمشعشعين من النسب العلوي غطاء للمشروعية. يراجع: محمد بن أحمد الحنفي ابن إياس (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)،=

تقوية مؤسسته العسكرية ورفدها بالرجال، بوصفها الوسيلة الأنجع التي تمكنه من التوسع[1].

وتؤيد كتب التاريخ امتلاك أوزون حسن لهذا الأفق السياسي، فوصفته ببعد النظر والحصافة إلى جانب التقوى والورع والتسامح[2]، فاستقدم جنيدا وأتباعه إلى ديار بكر، وأمر مقدمي دولته وأعيانها الخروج لاستقباله مسافة ثلاثة أيام، واستقبل بكل حفاوة وتكريم، وكان أول إجراء اتخذه أوزون حسن تعيين مراتب عسكرية لقادة الصوفية ورجالهم وضمهم إلى جيشه، وفي سنة٨٦٣هـ/ ١٤٥٨-٩ قام بتزويج جنيد بأخته خديجة بيكم، فشكل هذا الزواج مرحلة جديدة من التحالف الصفوي - الآق قوينلي، لتحقيق غايات سياسية مستقبلية، إذ كان هذا الزواج شائعا بين البلاطات المتقاربة[3]، وإذا كان الشيخ جنيد قد تزوج من أخت أوزون حسن، فإن هناك زواج سياسي مضاد قد تم في ديار آبائه في أردبيل، حينما تزوج قاسم بن الشيخ جعفر، ابنة جهانشاه، بغية التقليل من نفوذ جنيد[4].

---

=بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٠١؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩-٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء السابع، القاهرة، بلا تاريخ، ص٢٠٦؛ خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج١، ص٢١٩؛ بروكلمان، المصدر السابق، ٤٠٨؛ كوثراني، المصدر السابق، ص٤٤.

(١) العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ص٣٣٤.

(٢) بينما تصف المصادر تشيع جهانشاه القره قوينلو بأنه كان اسميا، وأنه كان ظالما شاربا للخمر، تؤكد على تقوى أوزون حسن وابتعاده عن التعصب الديني، حتى أنه سمح لزوجته دسبينا كاترينا اليونانية أن تبقى على نصرانيتها و تمارس طقوسها بحرية. حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٤٠٨.

(٣) يقف التصدي المشترك للتوسع العثماني وراء العلاقات المتميزة بين إمارة طرابزون وأوزون حسن، التي أثمرت عن اقتران الأخير بكاترين بنت كالو إيوانس Calli Evance، الأمير السابق، وهي المعروفة في أوربا باسم دسبينا Despina، فأولدت له يعقوبا الذي قتله إخوته بعد وفاة والدهم، وثلاث بنات، إحداهن مارتا Marta التي زوجت فيما بعد إلى حيدر بن جنيد، فضلا عن أنه كان سببا في العلاقات الممتازة مع البندقية، والتنسيق المشترك ضد التوسع العثماني. رسول جعفريان، تاريخ إيران اسلامى، ج٤، ص٢٨؛ شهباز آزادمهر، بيشين، ص٣٩٠.

(٤) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٤٠٧.

وبعد أن استقر في آمد عاصمة ديار بكر، استحصل الشيخ جنيد موافقة أوزون حسن وأرسل خلفاءه ومقدمي طريقته إلى المدن والبلدان للدعوة وجمع المريدين، لكن المقام لم يطل به قبل أن يدرك أن بقاءه في ظل أوزون حسن يمثل تأجيلا لمشروعه وتقزيما لمكانته، فبعد ثلاث سنوات في ديار بكر، وإحدى عشرة سنة في الغربة، قرر الانطلاق نحو أرض آبائه في أردبيل واستئناف نشاطه العسكري، فاستقبلته جموع غفيرة من أتباعه، لكن جهانشاه ومن ورائه عمه الشيخ جعفر كانا له بالمرصاد، لاسيما بعد اقترانه بخديجة بيكم التي تركها عند أخيها لأنها كانت حاملا بولدها الوحيد حيدر في شهورها الأخيرة، فأمر قوة تابعة له بإخراج جنيد الذي كان قد غادر إلى خارج أردبيل، وتجمع لديه عشرة آلاف مقاتل، فاتجه بهم نحو الشمال حيث بلاد الكرج مجتازا أراضي شيروان[1] بسهولة، ونال الكثير من الغنائم، ثم انحدر نحو القفقاس من خلال أراضي شيروان شاه خليل الله، لكن الأخير اعترض بقوة عليه بسبب غزوه لحلفائه الكرج الذين كانوا يدفعون له الجزية[2].

كان السبب الأساس وراء موقف القوى الإقليمية من جنيد، الخشية من أنه لن يدعهم يهنأون بدولهم، ولم تنطل حيلته عليهم حينما أعلن أن هدفه الجهاد ضد النصارى حسب، وكانوا يريدون منه أن ينزوي في صومعته للعبادة وتشجيع أتباعه على ترك الدنيا لأهلها والزهد بالحكم، ليكون حينها الولي المقدس والمطاع، دون أن يكون للمذهب أو تفاصيل العقيدة أثر في هذا الموقف، إذ حاول الكثير من المؤرخين إعطاء حركة الشيخ جنيد صورة طائفية، وحاولوا إلباسه المذهب الشيعي، وهو أمر لا ضرورة له في ظل الصراع السياسي المحتدم حينذاك، فجهانشاه قرة قوينلو كان شيعيا، فيما كان كل من أوزون حسن

---

(١) إقليم مركزه الشماخية أو شماخي، وتقع عبر نهر الكر، وعلى بحر قزوين، وهو اقليم غني بسبب وجود النفط فيه ولازال، إذ يشير ياقوت الى انه كان يباع بألف درهم يوميا، فضلا عن الزراعة والصناعات الحرفية التي اشتهر بها، تسمى اليوم (باكو). ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٣٨٢؛ كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، تعريب: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، ١٩٥٤م، ص٢١٢-٢١٤.

(٢) بيگلوسكايا وديگران، بيشين، ص٤٧٣.

و شيروان شاه من السنّة، ولم تتردد هذه الأطراف عن التحالف مع أطراف أخرى حتى لو كانت نصرانية على وفق مصالحها السياسية، ولخّص شيروان شاه خليل الله مطالب السلطان من رجال الدين في جواب لرسالة كان جنيد استأذنه فيها عبور أراضيه للجهاد ضد الكرج، فقال:

**"أنت الآن في ريعان الشباب، ومقارعة الحكومات ليس من اختصاص الدراويش، فواجبك محاربة النفس الطامحة للسيادة، قبل محاربة الكفار. توجه إلى إرشاد الناس وتعليمهم العقيدة الإسلامية، هذا هو واجبك وليس قتال الحكومات والدول، إن الله سبحانه وتعالى وهب لكل قبيلة مكانا خاصا بها، ولكل دولة حكومة وجيشا وحدودا لا يمكن التجاوز عليها، لذا أرجو أن تخلع عن جسدك عباءة الدم والقتال، وارتداء عباءة الزهد والتقوى لأنها الأفضل والأصلح"[١].**

وإذا كان شيروان شاه قد تردد قليلا في التصدي العسكري لجنيد، فان عمه جعفر الصفوي أرسل له يحضّه على التصدي لأطماع ابن أخيه جنيد والقضاء عليه[٢]، ووصف جنيدا بأنه ليس شيخا للطريقة، وليس له ولاية، وانه باغ ومتمرد، وطلب منه رفعه من طريقه[٣]، وبناء على ذلك، فقد أرسل إلى جهانشاه طالبا العون العسكري لضرب جنيد، فأجابه بفوج من المقاتلين، وقبل أن يخوض الحرب معه، أرسل شيروان شاه إلى جنيد يطلب منه مبارحة أراضيه، لكنه ردّ بقتل الرسول، مما دعا مرسله للتقدم نحو قواته، وأمر بإغلاق مضيق قره سو الواقع إلى الغرب من سلسلة جبال البرز في القفقاس، وفي يوم الخميس ٢٨ جمادى الأولى٨٦٤هـ/ ٤ آذار ١٤٦٠، اندلعت معركة بين الطرفين فأصيب الشيخ بسهم قاتل، وعلى الرغم من البسالة التي أبداها الصوفية، لكنهم لاذوا بالفرار بعد مقتله، وتتفق المصادر أن بعضا من رجاله أخذوا جثته من أرض المعركة ودفنوه في تلك المنطقة[٤].

---

**(١) يراجع للاطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٣٨.**

**(٢) رويمر، بيشين، ص١٨.**

**(٣) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٤٠٧.**

**(٤) هينتس، بيشين، ص٥٣. يراجع لمزيد من التفاصيل: مرتضى راوندي، بيشين، ص٣٧٧.**

شاعت التطورات أن تحيل الطريقة الصوفية الصفويّة إلى حركة سياســية، اتخذت بعض الشعارات الشيعية بوصفها جزءا من أدوات الصراع السياسي، كما هو حال الحركات الثورية المعاصرة، مثل السربدارية والنوربخشية والمشعشعية، التي استلهمت فكرة المهدية الشيعية، الأمر الذي انعكس على معتقدات المريدين الذين ظلوا في كل هذه الحركات ينظرون إلى شيوخهم بنوع من التقديس والمغالاة. وهو ما سيلقي بظلاله على الطريقة فيما بعد.

**٢. عسكرة الطريقة في ظل حيدر (٨٦٤- ٨٩٣هـ/ ١٤٦٠-١٤٨٨م):**

ولد حيدر في آمد مركز ديار بكر بعد مقتل والده جنيد بحوالي شهر[١]، فكفله خاله أوزون حسن الذي حرص على تعليمه مختلف العلوم وفنون الصناعة، إلى جانب شروط الجندية ولوازمها من قتال وتنظيم وأسلحة، وظل في بلاطه حتى بلغ التاسعة من عمره، حينذاك انطلق في صفوف جيش الآق قوينلو المتوجه لمنازلة جهانشاه في أذربيجان[٢]، فشهد حسم هذا النزاع سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧-٨م لصالح خاله الذي تمكن من قتل خصمه ودخول عاصمته تبريز وصيّرها عاصمة لملكه[٣]، كما شهد انتصاره في معركة خاضها في منطقة محمود آباد ضد أبي سعيد التيموري[٤]، حينما صحبه خاله إلى موطن أجداده في أردبيل وأجلسه على سجادة الإرشاد في احتفال كبير في ذي الحجة ٨٧٤هـ/ حزيران ١٤٧٠م، ذلك على الرغم من صغر سنه[٥]، وهنا قرر أوزون حسن أن يعفو عن الشيخ جعفر

(١) ولد حيدر في جمادي الآخرة ٨٦٤هـ/ نيسان ١٤٦٠م. هينتس، بيشين، ص٥٢.

(٢) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٦١١.

(٣) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص١٣. وتمكن أيضا من السيطرة على أرمينيا وأجزاء من العراق العربي وأعالي دجلة وعراق العجم وكرمان وفارس وكردستان، فضلا عن أذربيجان، واستطاع أن يهزم الجيش المملوكي المصري. شهباز آزادمهر، بيشين، ص٣٩٠-٣٩١.

(٤) هو سلطان ميرزا أبو سعيد بن محمد بن ميران شاه بن تيمور، ولد سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٧م، وقتل سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٩م على يد أوزون حسن، بعد أن تحالف مع أبناء جهانشاه قره قوينلو المقتول للأخذ بثأره. يراجع لمزيد من التفاصيل: بارتولد و بقردج، "أبو سعيد"، <u>دائرة المعارف الاسلامية</u>، م١، ص٣٩١-٣٩٣.

(5) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 61.

لكثرة أتباعه وانتسابه للصفويين، وبعد تعهده بتربية حيدر دينيا وتلقينه أسرار الطريقة وعلم التنجيم[1].

وهكذا عادت الطريقة الصفويّة في أردبيل إلى سابق عهدها، وعاد الصوفية يتلقون الدروس ويمارسون الطقوس، بعد توقف دام أكثر من عقدين، ولما سمع أتباع الصفويّة في گيلان وتالش وآسيا الصغرى والشام وغيرها بذلك تداعوا إليه، للاستفادة من الرعاية التي يحظى بها شيخهم من خاله، فيكسبون بذلك لقمة العيش والأمان، فشرع حيدر منذ ذلك الحين بتدريب أتباعه وإعدادهم عسكريا وبدنيا، فضلا عن تدريبهم على صناعة مختلف الأسلحة التي يقال انه صنع الآلاف منها بيده، وأنه حوّل دار الإرشاد إلى مشجب للأسلحة[2]، والواضح أن ذلك تمّ بعد وفاة الشيخ جعفر عم والده التي لا يعرف تاريخها بالتحديد، لأن الأخير تمكن خلال مدة وصايته على حيدر من تحجيم تحركاته إلى حد بعيد[3]. فتمكن بما أوتي من قوة شخصية وإعداد ذهني وإداري من إعادة الهيبة إلى الطريقة، وكان حريصا على تدريب أتباعه على مختلف الرياضات القتالية القاسية، ومختلف الأسلحة، وأظهر براعة فائقة في ذلك، فيقول عنه فضل الله روزبهان المعاصر له:

"إنه رجل شجاع، قوي، رياضي يمارس كافة أنواع الرياضات الصعبة، وكان ماهرا في استخدام السيف والرمح والقوس"[4].

كانت شخصية حيدر القلقة والطموحة تشبه إلى حد كبير شخصية والده جنيد، فاتخذ كأبيه لقب سلطان، كما وضع أمام أنظاره امتحانا عسيرا يتلخص بطلب الثأر من قاتل أبيه شيروان شاه، وإذا أخذنا في الحسبان مناعة أراضي شيروان وغناها، وإمكانية أن تشكل قاعدة عسكرية واقتصادية لمشروع الدولة المنتظر، أدركنا أن الثأر لم يكن هدفه الوحيد. فبدأ بتهيئة الطريقة وأتباعها انتظارا للوقت الذي تحين فيه الفرصة للانطلاق، فاتجه نحو أنصاره بالرعاية وتقديم المعونات اللازمة

---

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٣، ص٤٢٧؛ هينتس، بيشين، ص٨٦؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٤٣.

(2) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 67.

(٣) هينتس، بيشين، ص٩١.

(4) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 62.

للأعوان الجدد الذين توافدوا على أردبيل، بفضل جهود الخلفاء والدعاة الذين أرسلهم لجمع المريدين(١)، بوصفهم الأمل الوحيد لتنفيذ مشروعه، فازدادت بالمقابل منزلته في عيون أتباعه، لذا لا غرابة أن ينقل بعض المؤرخين رواية تقول أن أهالي المناطق المحيطة بأردبيل نصحوا أنصار حيدر بالذهاب لزيارة قبر الرسول(ﷺ) بدلا من زيارة شيوخ أردبيل، وكانوا يردّون، أن زيارة الأحياء أفضل من زيارة الأموات(٢).

وربما يؤكد هذا مدى إيمان هؤلاء الأتباع بمرجعية الصفويين الدينية ومستوى القدسية التي يحملونها لشيوخهم، يدفعهم إلى ذلك مستوى الجهل الذي يعيشون فيه وحاجتهم لهؤلاء المشايخ بوصفهم المنقذ من مشكلة الجوع والهوان الاجتماعي. وأوجد حيدر نظام "أمراء الصفويّة"، ليترأسوا مجموعات ترتبط بخليفة(٣)، كما حاول حيدر خلال وجوده في أردبيل أن يوجد لنفسه نهجا عقائديا يؤطر حركته، فاتخذ شعارا هو العمامة الحيدرية(٤) التي وصفها شاهد عيان، كان ضمن الحملة التي قادها اسماعيل سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م نحو شيروان، بقوله:

**"كان القزلباش يلبسون في رؤوسهم طاقية حمراء فيها اثنا عشر خطا بعرض إصبع واحد، ولها قمة مخروطية، يمثل كل خط اسم إمام من أئمة الشيعة، وكانوا لا يحلقون اللحى والشاربين، ويرتدي كل فرد منهم جوشنا [درع] مصنوع من أفخر أنواع الفولاذ الايراني، وعلى رؤوسهم قلنسوة فولاذية يضعها تحت الطاقية، ولدى كل منهم حصان، وبعضهم مشاة، مسلحون بالرماح والقسي والفؤوس"(٥).**

كما وصف شاهد عيان آخر القزلباش فقال:

**"أمر (حيدر) أتباعه أن ترتفع من وسط عمامتهم ذات الأكوار العديدة، قطعة مدببة على هيأة هرم مقسمة من قمتها إلى أطرافها إلى اثنتي عشرة شقة**

---

**(١) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٣٣.**

**(٢) سومر، بيشين، ص١٧؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٤٥.**

**(٣) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ١٣ب.**

**(٤) جان فوران، مقاومت شكننده. تاريخ تحولات اجتماعي در ايران، ترجمه: احمد تدين، چاپ پنجم، تهران، ١٣٨٣ش/ ٢٠٠٥م، ص٤٤.**

**(٥) انجوللو، سفرنامه هاى ونيزيان، ص ٣٢٣-٣٢٤.نقل از: پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٣٤٨.**

تذكر بعلي وأبنائه"[1].

سمّى العثمانيون استهزاء هذه العمامة "قزل باش"، وهي كلمة تركية من مقطعين معناها بالعربية "أحمر الرأس"، وبالفارسية "سرخ سر"، وأطلقوه على كل أتباع الصفويين[2]، كما أمر حيدر أتباعه باتخاذ زي موحد أزرق اللون[3]، فأصبح جزءا من التعبئة الإعلامية لمشروعه السياسي، حتى أن أوزون حسن أمر رجال دولته بارتدائها، بعد أن ارتداها بنفسه[4].

وبينما كان خاله يعيش أيامه الأخيرة قام بتزويجه بابنته الكبرى مارتا التي عرفت بين التركمان بحليمة بيكي آغا، أو عالم شاه بيكم، وكانت قد تزوجها غصبا أحد أعداء أبيها من القره قوينلو، وكاد أبوها أن يقتلها لولا تدخل عمتها، ويبدو أنها هي التي اقترحت تزويجها لابنها حيدر الذي بلغ سن الرشد[5]، واكتسبت هذه الزيجة أهمية كبيرة نظرا لأن حصيلتها كانت أولاد، أصبح لهم فيما بعد شأن سياسي مهم، وهم على التوالي: يار علي، إبراهيم، سليمان، وإسماعيل.

فقد الشيخ حيدر الدعم والحماية بوفاة خاله سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٨م، عن عمر بلغ أربعا وخمسين سنة[6]، وخلفه ابنه شاه خليل (٨٨٢-٨٨٣هـ/ ١٤٧٨-١٤٧٩م)، لكنه سرعان ما قتل بمؤامرة دبرها شقيقه الثاني يعقوب ميرزا

---

(١) مقتبس في: كامل الشيبي، النزعات الصوفية ...، ج٢، ص٣٦٣. وهو المؤرخ البريطاني بيرجس الذي زار إيران وضمّن مشاهداته في كتاب طبع في لندن سنة ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م.

(٢) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ١٣أ؛ ناشناس مؤلف، تاريخ عالم آراى صفوى، به كوشش: يد الله شكرى، تهران، ١٣٥٠ش/ ١٩٧٢م، ص٣٠. سماه الشاه طهماسب (التاج الطهماسبي)، وبقي معمولا به حتى عهد الشاه سلطان حسين الأول (١١٠٦-١١٣٥هـ/ ١٦٩٥-١٧٢٤م)، آخر الشاهات الصفويين، وفي عهده أوقف العمل به، فكأن قدر هذه الدولة كان مرتبطا بهذا الشعار. دوسرسو، سقوط شاه سلطان حسين، ترجمه: ولي الله شادان، تهران، ١٣٦٤ش/ ١٩٨٦م، ص٦١.

(٣) عبد الحسين زرين كوب، روزگاران. تاريخ ايران از آغاز تا سقوط سلطنت پهلوي، تهران، ١٣٨٣ش/ ٢٠٠٥م، ص٦٥٩.

(٤) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ٢١أ؛ حبيب الله شاملوئى، تاريخ ايران از زمان تا بهلوى، تهران، ١٣٤٧ش/ ١٩٦٩م، ص٥٨٥.

(٥) ميرزا محمد معصوم، بيشين، ص٧. يراجع للاطلاع على تفاصيل القصة: نظمي زادة، المصدر السابق، ص١٨٣.

(٦) مينورسكي، المصدر السابق، م٥، ص٢١٣-٢٢٣.

(٨٨٣-٨٩٦هـ/ ١٤٧٩-١٥٨٨م)[١]، البالغ من العمر ست عشرة سنة، الذي لم يكن في أعماقه مرتاحا لنفوذ ابن عمته داخل الأسرة المالكة، فمنع أتباعه وقادته من ارتداء العمامة الحيدرية[٢]، دون أن يظهر ابتداءً معاداته للنفوذ الصفوي، واستمر يبدي الاحترام اللازم للشيخ حيدر ودار الإرشاد، وكان يزور أردبيل أحيانا[٣].

كان حيدر قد أتم حينها تحويل القزلباش إلى تنظيم عسكري دقيق يستند على المزاوجة بين النظامين الصوفي والقبلي، عندما تشكّلت قاعدته من المتصوفة المحيطين بدار الإرشاد وأفراد القرى القريبة لأردبيل، يقودهم عدد من النقباء، فضلا عن عناصر تنتمي إلى قبائل تركمانية يأتمرون بأوامر رؤساء قبائلهم، عرفوا جميعا بالولاء المطلق للمرشد الصفوي[٤]، وكانت أكبر هذه القبائل هي: روملو وشاملو واستاجلو وذو القدر وقاچار وغيرها[٥]. ويذكر والتر هينتس، أنه اطلع على سند كتبه حيدر بذاته يحمل توقيعه، مؤرخ في شعبان ٨٨٨هـ/ أيلول ١٤٨٣م، يقضي بأن أراضي شيروان، كانت ملكا لزاهد الگيلاني وأغتصبها الشيروانيون منه، وأنه الوريث الوحيد للشيخ زاهد، وجاء فيه:

**"على كافة الحكام والقائمين على تلك الأراضي أن يعلموا أنها من تبعية الشيخ زاهد، وإننا من أعقاب ذلك الشيخ، فيجب مراعاة ملكيتنا لها وعدم التقصير في حقنا"[٦].**

---

(١) سيورى، اوضاع ايران در آستانه ظهور صفويان، ص٤٨.

(٢) من هنا بدأ استعمالها يضمحل، وتراجع معها النشاط التجاري للفينيسيين الذين كانوا يأتون إلى أذربيجان محملين بكميات كبيرة من الأقمشة الحمراء لصناعة هذه العمامة، إلى أن أعاد الشاه إسماعيل إليها الاعتبار. هينتس، بيشين، ص٩٣.

(٣) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٤٧.

(٤) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٣٥.

(٥) ناشناس مؤلف، تاريخ قزلباشان، به كوشش: مير هاشم محدث، تهران، ١٣٦١ش/ ١٩٨٣م، ص٨-١١، ٤٩-٥١؛ عباس إسماعيل صباغ، المصدر السابق ص٤٢-٤٤؛ نظام الدين مجير شيباني، بيشين، ص٨١، ٩٨؛ حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٣١١؛ هينتس، بيشين، ص٩٥.

(٦) مقتبس في: والتر هنتس، بيشين، ص٩٨-٩٩. جهانبخش ثواقب، تاريخ نگارى عصر صفويّة وشناخت منابع ومآخذ، شيراز، ١٣٨٠ش/ ٢٠٠٢م، ص٥٣٦؛ آقا بزرگ الطهراني، المصدر=

ومع أن الشيخ حيدر لم يكن الوريث الشرعي لزاهد الگيلاني، لأن أبناءه كانوا معروفين حينذاك في گيلان وظلّوا أوفياء للطريقة الصفويّة، وهم أحق بالمطالبة بها، وقد عرفنا عددا من أبنائهم خلال القرون اللاحقة، منهم حسين أبدال زاهدي (ت بعد١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م)، صاحب كتاب "سلسلهٔ نسب صفويه"، والشاعر والفيلسوف محمد علي بن أبي طالب بن عبد الله بن علي بن عطاء الله حفيد الشيخ زاهد الگيلاني المعروف بعلي الحزين (ت١١٨١هـ/ ١٧٦٧م)[١]. لكن حيدر أبقى هذا الأمر في طي الكتمان في بداية نهضته، كي لا يستفز يعقوب وحلفائه الشيروانيين، وأن حيدرا لم يبدأ نشاطه العسكري إلا حينما أنهى استعداداته وأصبح عمره أربعة وعشرين سنة (٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م)[٢]، فكان وقتها غالبا ما يلاحظ قائما على تدريب أتباعه بنفسه على فنون القتال الشخصية والجماعية وتطبيق الفعاليات والتمارين التعبوية لقطعات القزلباش[٣]، ولما كان قد وضع نصب عينيه القصاص من قاتلي أبيه الشيروانيين، لجأ إلى تأجيل ذلك بسبب علاقة القربى بين ابن خاله يعقوب بك وفرخ يسار بن خليل الله شيروان شاه (ت٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) الذي خلف أباه في الحكم، وكان قد تزوج بأخته، فطلب حيدر من يعقوب بك السماح له بمهاجمة أراضي النصارى في داغستان والشركس[٤]، ولما كان الشركس يقيمون في شمال القفقاس، طلب منه أيضا استحصال موافقة صهره فرخ يسار على استخدام أراضيه للعبور نحو أهدافه، لاسيما ممري دربند وشيروان الجبليين العصيين[٥].

كتب التوفيق لحملته هذه فعاد من داغستان محملا بالغنائم التي وزعها على أتباعه وأهالي أردبيل، وأرسل قسما منها إلى ابن خاله يعقوب مع عدد من

---

=السابق، ج١، ص٦٧.

(١) جهانبخش ثواقب، بيشين، ص٥٣٦؛ آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج١، ص٦٧.

(٢) هينتس، بيشين، ص٩٧.

(3) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 65.

(٤) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٤٧.

(٥) كان الترك يسمون دربند (دمير قاپى)، ومعناها البوابة الحديدية، فيما أطلق عليها العرب (باب الأبواب)، كما كان الشيروانيون يعتقدون أن هذه المنطقة عصية على الاحتلال. كى لسترنج، المصدر السابق، ص٢١٤.

الأسيرات الجورجيات الجميلات ليؤلف قلبه ويجذبه لتأييد غزواتــه القادمــة[1]، وأعاد الكرّة بمهاجمة داغستان في ربيع ســنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م، ونجــح أيــضا بالحصول على كميات جديدة من الغنائم، من بينها ستة آلاف أسير[2]. فأســهمت هذه الانتصارات في تقوية شوكة الصفويين، كمــا كانــت حــافزا للمعــوزين والمضطهدين وطالبي الجاه أو المال أو الأمان، للالتحاق بالشيخ حيدر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان ذلك مبررا لخشية يعقوب بك على مستقبله ومستقبل دولته، لذا طلب من حيدر الحضور إلى تبريز، فلبى الدعوة وذهــب مــن دون الخدم والأعوان، مرتديا لباس الصوفية التقليدي لئلا يستفز ابن خاله، وبعــد أن استراح في مجالس الدراويش هناك؛ ذهب إلى دار السلطنة، فاستقبله يعقوب بك بمنتهى الاحترام، وطلب منه أن يعلن ولاءه الكامل له[3].

وقد أضاف فضل الله بن روزبهان، الكاتب في بلاط يعقوب الذي انفرد بذكر هذا الخبر، أن يعقوبا طلب من حيدر أن يقسم بــالقرآن أمامــه بعــدم التعــرض والإضرار بدولة الآق قوينلو، وأن يكفّ عن النشاط العسكري، ويمتنع عن إرسال الخلفاء إلى الأقاليم، فتعهد حيدر بذلك[4]، وهو أمر يصعب الأخذ به استنادا إلى أن حيدرا تحرك فيما بعد بموافقة يعقوب، فبعد أن عاد حيدر إلى أردبيل، بــدأ يفكّــر بالكيفية التي يواصل فيها مشروعه السياسي، فأرسل والدتــه إلــى ابــن أخيهــا يعقوب[5] الذي كان قد غادر تبريز إلى قم خوفا من الطــاعون، لتــستأذنه بقتــال

---

(١) هينتس، بيشين، ص ٩٩.

(٢) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٦١١؛ لكن فضل الله بن روزبهان المؤرخ المعاصر يقــول ان عدد الأسرى هو عشرة آلاف.

Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 70.

(3) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 65.

(4) Ibid., P. 67.

(٥) تصور أحد المؤرخين أن أم حيدر هي أخت يعقوب، والواقع أنها عمته لأنها أخت أبيــه أوزون حسن، يقارن: حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٦١٦؛ پارسادوســت، شــاه اســماعيل...، ص١٤٧. أما أخت يعقوب فهي زوجة حيدر الذي من المستبعد أن تطيعه في مثل هذه المغامرات العسكرية. يقارن: ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ١٥أ؛ حسن بك روملو، بيــشين، ج١١، ص٦١٩.

الشركس، فوافق يعقوب على مخاطبة فرخ يسار من جديد للسماح لحيدر باستخدام الممرات الجبلية للوصول لأهدافه[١]، وتحرك سنة٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م، لكنه توقف عند نهر كر[٢] لمدة شهرين، بانتظار تجمع المزيد من القوات[٣]، كما أرسل من هناك عددا من الخلفاء لجمع المريدين، وبالفعل فقد التأم عنده جيش بلغ تعداده أكثر من ستة آلاف رجل، معظمهم من مساكين تالش والجبل الأسود والشام وغير ذلك[٤].

وحينما رأى حيدر هذا العدد من المتحمسين المخلصين، فضّل المخادعة، وتوجه نحو شيروان مرة واحدة، فأغار بنجاح على منطقة جالپرت، وهي من توابع بردع، فنهب كل ما وقعت عليه أيدي جنوده في هذه المنطقة، وعندما وصل إلى منطقة محمود آباد أمر باستباحة المنطقة[٥]، في وقت كان فرخ يسار مشغولا باحتفالات زفاف أولاده، كما كان جيشه حينها خارج الخدمة. وإلى أن أقدم حيدر على مهاجمة شماخي مركز شيروان، خرج إليه فرخ يسار، فلقي منه هزيمة منكرة بعد معركة رهيبة، وهرب على أثرها إلى قلعة گلستان القريبة، وهنا أرسل إلى يعقوب يعلمه بما جرى ويستنجده، وخلال هذه التحضيرات لم يتوقف حيدر عن مهاجمة مناطق شيروان وتدميرها، فهاجم دربند وحاصر قلعتها[٦].

أرسل يعقوب ابنه بايسنقر (ت٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) الذي كان هو ايضا قد تزوج

---

(١) هينتس، بيشين، ص ١٠١. ومما يذكر أن ممارسات المرأة السياسية في تلك المرحلة ليس أمرا مستغربا، فكان لسارة خاتون والدة أوزون حسن، نشاطا سياسيا مهما من خلال زياراتها للبلاط العثماني، حينما فاوضت السلطان محمد الفاتح أكثر من مرة، وحققت بما لديها من دالة عليه إنجازات مهمة، لاسيما فيما يتعلق بالمحافظة على ملكية ابنها لطرابزون، كما كان لزوجته الأولى سلجوق شاه بيكم أثر في إدارة البلاد قبل وفاته وبعدها. مينورسكي، المصدر السابق، م٥، ص٢١٤- ٢١٥، ٢٢٢.

(٢) يعرف هذا النهر ب(سيرس)، وسماه العرب (الكر) أو (كَر)، وينبع من الجبال غربي تفليس بجورجيا (بلاد الخزر)، وبعد أن يمر بتفليس ينحدر الى شمكور، ثم يلتقي بنهر آخر هو أرس، ثم يصب في بحر قزوين. كى لسترنج، المصدر السابق، ص٢١٣.

**(3) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 66.**

(٤) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٦١٦؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٥٢.

(٥) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٦١٦.

**(6) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 66;**

پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٥٢-١٥٣.

بابنة فرخ يسار، وبإمرته قوات كبيرة لنجدته، وفي الآن نفسه قام گيچي بيـــك، أحد قادة فرخ يسار، بتهيئة قوة من فلول الشيروانيين قدرت بعشرة آلاف مقاتل، وتهيأ للالتحام بالجيش الصفوي، لكنه لقي هزيمة أخرى على يد أتباع حيـــدر[1] الذين أخذت معنوياتهم تزداد مع كل انتصار، ومع كل مغنم مـــادي يحـــصلون عليه، وبينما كان الصوفية يحاصرون قلعة دربند وتمكنوا من هدم أحد جدرانها، وصلتهم أنباء تقدم جيش الآق قوينلو والـــشيروانيين نحـــوهم، فتركـــوا القلعـــة والتحموا بالجيشين في رجب ٨٩٣هـ/ حزيران ١٤٨٨م، في منطقة طبرســـران، وهو الموقع الذي لقي فيه والده جنيد حتفـــه[2]، ودارت معركـــة رهيبـــة بـــين الطرفين، أبلى خلالها حيدر بلاءً حسنا وصل إلى حد التهور، فكان ينتقـــل بـــين صفوف الجيشين، حتى قيل أنه، وبفضل شجاعته أربك خصومه، وتمكن مثلا من إسقاط سليمان بيشن أوغلي قائد جيش فرخ يسار عن حصانه، ولما كان الجموع تنتظر انقضاض حيدر عليه، شاء الأخير أن يعفو عنه ويتركه يعود إلى جيشه[3]، وبينما كانت المعركة تسير لصالح الصوفية، أصاب سهم طائش الـــشيخ حيـــدر فأرداه قتيلا[4]، لكن رجاله استمروا يقاتلون بضراوة، إلى أن تمكنت جموع الآق قوينلو والشيروانيين من محاصرة الجيش الصفوي وتبديد شملهم، وهنـــا أرســـل بايسنقر أحد رجاله ليحزّ رأس حيدر، وليطوف به في تبريز وضواحيها، إلى أن تمكن أحد أتباعه الصوفية من سرقة الرأس ودفنه في مكـــان خفـــي[5]. وهكـــذا تمكنت الصدفة والتهور من إفشال جهود الصفويين مجددا في الحـــصول علـــى موطئ قدم في شيروان والانطلاق لتأسيس دولتهم، على الرغم من التحضيرات الكبيرة من عقيدة وتدريب وتجهيز، وقيادة ممتازة تمتع بها حيدر.

---

**(1) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 68.**

**(2) Ibid., PP. 71-73;**

**حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٦١٧**

**(٣) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٦١٨؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص١٥٣.**

**(٤) اسكندر بك تركمان، بيشين، ص١٦؛ ميرزا محمد معصوم، بيشين، ص٧؛ ســـيورى، اوضـــاع ايران در آستانه ظهور صفويان، ص٤٩-٥٠.**

**(٥) لم يكشف عنه إلى أن ظهر اسماعيل، فأمر بضمه للجثة سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، ودفنـــه قـــرب آبائه في أردبيل. إسكندر بك تركمان، بيشين، ص١٦.**

والأمر الخطير الذي رافق الطريقة منذ أيام جنيد، هو فردية المرشد، فالطريقة انتظرت تسع سنوات طويلة بانتظار حيدر الصبي القابع في بلاط خاله، دون أن تنتقل إلى أبناء جنيد الستة الآخرين[1]، وهم بالتأكيد أكبر عمرا منه، فهل كان من الممكن للطريقة الصفويّة أن تنتهي لولا نهوض حيدر؟ ويبدو أن جنيدا وابنه حيدر انفردا من بين إخوتهما بتمسكهما بالمشروع السياسي، فيما كان في أردبيل مرشدا آخر وهو جعفر الذي حاول انتهاج خط محافظ، فلم يفكر في إرسال خلفاء إلى البلدان المجاورة، واكتفى بإدارة دار الإرشاد.

موضوع آخر ظل يتكرر في كتب التاريخ هو عقيدة حيدر، وفيما إذا كان ما تبناه هو التشيّع[2]، مع أنه ما من سبب يدعونا إلى الاعتقاد أنه كان شيعيا، فإنه عاش في بلاط خاله أوزون حسن السني، وحينما عاد إلى أردبيل لم يدّع أحد أن جده جعفر الذي قام على تربيته كان شيعيا، وإذا وجدت في شعره بعض التعبيرات الشيعية مثل تقديس الإمام علي وأبنائه المعصومين، أو الاعتقاد بأوامر المعصومين عن طريق الرؤيا، وإعلانه أنه تلقى تصميم العمامة الحيدرية عن الإمام علي[3]، هذه كلها يعدها علماء السنّة جزءا من تقاليد الصوفية وعقائدها، أو جزءا مما أصبح يعرف بين الباحثين بـ"الإسلام الشعبي"[4]، أو "التسنن الاثني عشري"[5] المدعوم بالفقه الشافعي الذي تغلغل في إيران مقرونا بولاء ومحبة آل البيت[6]، وعلى الأقل لا يمكن القول أن عقائد حيدر تنتسب إلى التشيّع العقائدي،

---

(١) وهم كل من: ابراهيم، محمد، يار عليشاه، حسن، داود، محسن، فضلا عن حيدر. فاضل الموسوي الصفوي(خلخالي زادة)، شجرة طيبة، قم، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٢. والمؤلف أستاذ جامعي إيراني، يعود أصله إلى الأسرة الصفويّة.

(٢) يبدو أن الشاعر محتشم كاشاني أول من أشار لتشيعه، حينما كتب بيتا شعريا يقول:
"شيخ حيدر كز كمال اعتقاد    دست بيعت داد با آل علي".
ومعناه، من حسن اعتقاد الشيخ حيدر، مبايعته لآل علي. ناشناس مؤلف، عالم آراي صفوي، ص٢٥٨.

(٣) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ١٣ب.

(٤) يراجع للاطلاع على معالم الاسلام الشعبي:رويمر، بيشين،ص١٣–١٦؛سومر، بيشين، ص١٢–١٤.

(٥) عباس حسن الموسوي (كمال السيد)، نشوء وسقوط الدولة الصفويّة. دراسة تحليلية، قم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٣٦. عالجنا هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٦) عرف عن الامام محمد بن ادريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤/ ٧٦٧-٨١٩م) محبته لعلي وأبنائه،=

ويصح أن يقيّم هذا الموضوع على وفق ما تم لآبائه من قبــل، وإذا لاحظنـــا أن عهدي حيدر وأبيه لم يكونا عهود إرشاد بمقدار ما كانت عهود نــضال سياســـي، تُختزل خلالها الكثير من العقائد ويُتجاوز فيها الكثير من الشعارات التـــي يرفعهـــا السياسيون الحالمون في أوقات الدعوة. على أن معظم الصفات التي ألصقت بجنيد وابنه، لاسيما ما يتعلق منه بالغلو والقسوة، مصدرها المدونات المناوئة للمـــشروع الصفوي، مثل فضل الله بن روزبهان، وعاشق باشا زادة العثماني[١]، فيما ساعدت المصادر الفارسية التي ظهرت بعد تأسيس الدولة على ترسيخ بعض هذه القضايا، لاسيما تشيع جنيد وابنه، فيما لم تؤشر المصادر المعاصرة لهما معطيات مهمة تدل على تشيعهما، سوى بعض الشعارات والأشعار التي تنسب إلى حيدر والتي يمجد فيها عليا والمعصومين من ولده[٢]، وهذه لا تكفي لوحدها دليلا على تشيّعه، إذ أننا نجد في مؤلفات عدوهم اللدود ابن رزوبهان عبارات تقدس آل البيت[٣].

### ٣. الأسرة الصفويّة من سجن اصطخر إلى ساحات القتال:

كان حيدر قد أوصى أن يكون ابنه يارا علي مرشدا للطريقة بعد وفاته، وبالفعل فقد اجتمع الصوفية عليه في أردبيل، طائفة لتهنئته، وأخرى لتحرضه على الثـــأر[٤]،

---

=فيقول في ذلك:

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان إنّي رافضي.

(١) هو درويش أحمد المعروف بعاشق باشا زادة، مؤرخ عثماني، ولد سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وهو أول من صنف للعثمانيين في عهد السلطان محمد الفاتح إذ بدأ بكتابة تواريخه سنة ١٤٧٦م، له كتب عديدة أهمها "تواريخ آل عثمان"، أو "عاشق باشا تاريخي" طبع في استانبول سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣-٤م؛ و"غريبنامه" و "فقرنامه". يقارن: عاشق باشا زاده، تواريخ آل عثمان، استانبول، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م؛ فريدون أمجن، "في اللغة التركية وآدابها"، الدولة العثمانية- تاريخ وحضارة (كتاب)، م٢، ص١٢؛ اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص١٣١.

(٢) يتبنى كتاب تاريخ كمبردج هذا الموقف. يراجع: رويمر، بيشين، ص١٣-١٥.

(٣) صنف ابن روزبهان كتابا بعنوان "وسيلة الخادم إلى المخدوم در شرح صلوات جهارده معصوم"، والعنوان لا يحتاج إلى الترجمة، إذ يترجم للمعصومين الأربعة عشر ولفضلهم وتقـــديمهم علـــى الناس، وقد اطلع الباحث على نسخة فارسية مطبوعة من هذا الكتاب في مكتبة الشيخ رســـول جعفريان في قم، من نشريات مكتبة المرعشي النجفي، ١٩٩٤.

(٤) سيورى، اوضاع ايران در آستانه ظهور صفويان، ص٥١.

لكن يعقوب أمر بإرسال قوة عسكرية إلى أردبيل لاعتقال أخته حليمة بيكم وأبنائها الأربعة: علي، إبراهيم، إسماعيل، وسليمان وابنتيها، بري خانم، وحوري خانم[1]، وفكّر بقتل علي، إلاّ أن أمه حليمة تدخلت بقوة لدى أخيها فوهبه لها، فقرر أن يسجنهم في قلعة اصطخر في شيراز، كما أمر بمنع إخوتهم أو أبناء عمومتهم الصفويين من التواجد في دار الإرشاد[2]، كي لا تعود الصفويّة إلى نشاطها العسكري من جديد.

وبعد أن توفي السلطان يعقوب في ١١ صفر ٨٩٦هـ/ ٢٤ أيلول ١٤٩٠م، تفرق إخوته وتصارعوا بينهم على الحكم، فتمكن شقيقه الأصغر صوفي خليل موصللو (ت٨٩٦هـ/ ١٤٩١م) بمساعدة منصور برناك من القضاء على معارضيه، فقتل أخاه مسيح، وابن أخيه محمود بن أوغرلو محمد اللذين ادّعيا السلطة في بروجرد وهمدان، وأمر بإيداع ابن أخيه رستم بن مقصود (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) في سجن النجق، لكنه قتل في معركة ضد سليمان بك بيژن أوغلو حاكم ديار بكر، قرب بحيرة وان في أواخر سنة٨٩٦هـ/١٤٩١م، ونُصب بايسنقر سلطانا، وفي المقابل قام دانا خليل بإطلاق سراح رستم من سجنه، وقاد جيشا باتجاه تبريز حيث مقر بايسنقر الذي فرّ نحو جده فرخ يسار في شيروان، ليعود في ذي القعدة ٨٩٨هـ/ تموز١٤٩٣م، ليقود هجوما مشتركا مع قوات شيروان على أذربيجان[3]، وهنا فكّر رستم الذي ورث السلطنة والمقربون منه بإطلاق

---

(١) تصمت المصادر عن ذكر أي خبر عن أبناء حيدر الآخرين إلا قليلا، كما صمتت من قبل عن بقية أبناء جنيد وإخوته من أبناء إبراهيم، إذ يقول سيورى أن حيدرا ترك سبعة أولاد، من بينهم الثلاثة المعروفين، لكن بعض كتب الأنساب تقول أنهم ثمانية، وهم: حسن ميرزا، سليمان ميرزا، داود ميرزا، محمد ميرزا، محسن ميرزا، خاقان ميرزا، والثلاثة المعروفين. وبعد ذلك لاندري لماذا يقول سيوري في مكان آخر أن اسماعيل هو آخر صفوي بعد مقتل علي. يقارن: غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٧٢٦؛ أمير محمود خواندمير، بيشين، ص٣٨؛ حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٧، ٦١٩؛ إسكندر بك تركمان، بيشين، ص ٢١؛ حسن الأمين، المصدر السابق، ج٦، ص٣١؛ سيورى، اوضاع ايران در آستانه ظهور صفويان، ص٤٢؛ راجر سيورى، ايران عصر صفوى، ترجمه: كامبيز عزيزى، چاپ دهم، تهران، ١٣٧٤ش/١٩٩٦م، ص٢٤-٢٥؛ غلام سرور، بيشين، ص٦٥؛ أبو سعيدة الموسوي، المصدر السابق، ج٣، ص١٥.

(2) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 75.

(٣) سيورى، اوضاع ايران در آستانه ظهور صفويان، ص٥٢-٥٤؛ هينتس، بيشين، ١١٦-١١٨.

سراح الأسرة الصفويّة[1]، ومحاولة الاستفادة من قدرات الصفويين لمواجهة تهديدات بايسنقر والشيروانيين على أذربيجان، ولم يمر شهر من هجوم بايسنقر إلا والسلطان يارا علي بن حيدر في تبريز، ليسعى إليه رستم معتذرا وواعدا بتعويض مافات[2]، وليتحرك بجيش من الصوفية والآق قوينلو يقوده آيبه سلطان القاچاري، فالتقى بجيش الشيروانيين وبايسنقر في منطقة مشكين[3].

يذكر صاحب "تاريخ شاه إسماعيل"، إن آيبه سلطان أصيب بجروح بليغة في المعركة، وكادت قواته أن تتشتت لولا مبادرة يارا علي وأعوانه من قادة القزلباش[4] بتدارك الخلل، وتحقيق النصر[5]، كما بادر علي إلى توجيه قوة بقيادة معاونه قره پيري بك قاچار لمحاربة كوسه حاجي بايندر حاكم أصفهان الذي قدم لمساعدة بايسنقر، وتمكنت القوة من دحر جيش كوسه حاجي وقتله[6]، وهكذا عاد علي إلى تبريز مظفرا، وطلب من رستم أن يعود بأمه وأخويه إلى أردبيل[7] لإكمال رسالة آبائه في إرشاد الناس وتوجيههم، فوافق على ذلك، وعادت أردبيل موئلا لأعداد متزايدة من المريدين والصوفية.

ولما اطمأن رستم لموقفه السياسي، وبعد أن بدأت مختلف الأوساط تتحدث عن البسالة والإقدام اللتان أبداهما يارا علي في الحرب ضد بايسنقر، وأدرك أن أهداف علي تتعارض مع سياسات الآق قوينلو، بدأ يخشى منه على عرشه[8]، فأرسل إليه رسالة رقيقة تدعوه للإقامة في تبريز،فاستجاب لذلك وظل علي محاطا بالجواسيس طوال المدة التي قضاها رستم في مقره الصيفي في خوي، وحينما أراد العودة كان قد عزم على القضاء على السلطان علي وإخوته، فلما أخبره أحد مريديه المقربين

---

(١) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١١٩.

(٢) سيورى، اوضاع ايران در آستانه ظهور صفويان، ص٥٣.

(٣) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤١٩؛ غلام سرور، بيشين، ص٢٧.

(٤) كان يساعد علي في جيشه عدد من القادة، منهم حسين بك لله شاملو، وده بك طالش وأبدال علي بك، والذين سيكون لهم نشاط لاحق أيام اسماعيل.

(٥) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ٢٥أ.

(٦) همان منبع، برگ ٢٧أ؛ غلام سرور، بيشين، ص٢٧.

(٧) سيورى، اوضاع ايران در آستانه ظهور صفويان، ص٥٣-٥٤.

(٨) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١١٩.

من رستم بنواياه، استشار رجاله،وقرّ قرارهم على مغادرة تبريز إلى أردبيل برفقة ثلاثمئة من خلّص أتباعه[١]، والتهيؤ هناك للمواجهة، ولما عاد رستم إلـــى تبريـــز بعث قوة يقودها كل من آيبه سلطان وابن عمه حسين بك عليخاني للقبض عليه[٢].

ولما وصل علي إلى قرية شماسي بالقرب من أردبيـــل، أدرك أن المـــوت ملاقيه، فاستدعى سبعة من الصوفيين المخلصين وأمرهم بنقل أخويـــه إبـــراهيم وإسماعيل إلى مكان آمن، وحينما اصطدم بالقوة الآق قوينلية كادت المعركة أن تنتهي لصالحه حينما فرّ مهاجموه، ولما كان مشغولا بملاحقتهم عثر جواده خلال عبوره أحد الأنهار، وظلت قدمه معلقة بالركاب، فما استطاع خلاصا وغرق في النهر[٣]، فلما سمعت أمه بذلك أمرت بإحضار جثة ابنها ودفنته إلى جانب أجداده في أردبيل، وذلك سنة ٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م[٤].

وبمقتل الشيخ علي بن حيدر أضحت الطريقة الصفويّة أقـــرب إلـــى الحـــزب السياسي الخالص منها إلى الطريقة الصوفية التي تهتم بالزهد والرياضـــة الروحيـــة والانقطاع إلى الطقوس والفرائض، مستندة إلى جموع من المحرومين والفقراء مـــن الأناضول وغيرها، وكلهم مؤمنون بأوامر المرشد ونواهيه، فكانوا بحاجة إلى توجه الطريقة للحرب بمقدار رغبة مرشديهم لذلك، بصرف النظر عن آراء الآخـــرين أو تقييماتهم، وإذا ما كانوا مجاهدين أو لصوص، مؤمنين أم عبدة أصنام[٥].

وبهذا فالطريقة الصفويّة التي ظهرت في أذربيجان كانت مطلبا شعبيا لسكان المنطقة التي عانت من ظروف الاحتلال المغولي وتسلط رجاله، وتمكنت مـــن التطور والانتشار في منطقة واسعة، نتيجة جهد عظيم ومثابرة منقطعة النظيـــر، بذلها شيوخها وأتباعها عن طريق تنظيمها الدقيق ابتداء منذ عهد مؤسسها صفي الدين، لكن هذه الطريقة تحولت في عهد جنيد من الدعوة السلمية إلـــى الطـــور

---

**(١) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ٢٨ب؛ هينتس، بيشين، ص١١٨.**

**(٢) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٠.**

**(3) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 73; Browne, Op. Cit., Vol. IV, P. 50.**

**(٤) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ٢٨ب.**

**(٥) تراجع تقييمات فضل بن روزبهان لهؤلاء ومريديهم:**

**Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., PP. 61-70, 80.**

العسكري بحجة مجاهدة الكفار، بغية تلبية مطالب أتباعه وحاجاتهم، فتمكن بذلك من جذب أعداد كبيرة من المريدين، لكن هذا الإطار العسكري تطور أكثر في عهد حيدر الذي أدخل الكثير على الطريقة، مستفيدا من دعم خاله أوزون حسن، فكانت الأسرة الصفويّة هدفا للسلطات الحاكمة، وعانت من السجن والقتل، فقتل ثلاثة من شيوخها، وقُتلت أعدادٌ كبيرة من أنصارها واضطُهد الآلاف منهم، لكن هذه الظروف والتطورات انعكست إيجابيا على مستقبل الطريقة، حين وفرت تربة خصبة لتبلور الدولة و ظهورها على يد اسماعيل، الذي استغل قناعة الناس بنسب الأسرة العلوي وفضلها ونضالها.

# الفصل الثاني

## الصفويون من الدعوة إلى الدولة

## (٨٩٩- ٩٢٠هـ / ١٤٩٤- ١٥١٤م)

أدرك جنيد ومن تلاه من شيوخ الطريقة الصفويّة، أنهم ليسوا بحاجة إلى التصوف وطقوسه، بمقدار حاجتهم إلى الجهر بمشروعهم السياسي بالتدريج، بالاستناد إلى سيرة آبائهم وتراثهم الصوفي، ففضّلوا أن يلقوا بأنفسهم وبالطريقة وأتباعها في معترك السياسة بصورة نهائية، وتحول رموز الطريقة من طورها المعنوي إلى التعامل مع مشاكل الحياة وسلوك الحاكمين، على الرغم من الفجائع المتتالية التي حلّت بدار الإرشاد، ومنها مقتل جنيد وابنه وحفيده، ثم جاء أبناء حيدر الباقون ليأخذوا نصيبهم من النضال، لاسيما إبراهيم وسليمان وإسماعيل.

**أولا. تنصيب إسماعيل سلطانا، ونشاطه المبكر:**

إذا كانت المصادر التاريخية قد تولت ذكر أدق التفاصيل عن إسماعيل وهو أصغر أولاد حيدر، الذي آلت إليه قيادة المشروع الصفوي ونجاحه، فإنها صمتت بصورة مريبة عن ذكر أخبار أخوته الآخرين، لاسيما إبراهيم (اختفى ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م)، فلم تذكر شيئا عن ميلادهم أو صفاتهم أو نهايتهم إلا لماما، وهي في معظمها متناقضة.

### ١. ظروف اختفاء إبراهيم، ووصول أخيه إسماعيل إلى سدة الإرشاد:

تتفق المصادر الصفويّة على أن عليا عندما رأى جيوش رستم تقترب منه، ولاح له جيش آيبه سلطان المكوّن من أربعة آلاف مقاتل، وأدرك أن المعركة لن تكون لصالحه، بسبب عدم امتلاكه سوى ثلاثمئة صوفي، وخوفا منه على مستقبل الدعوة وسلامة أخوته ووالدته الذين كانوا برفقته، أمر والدته بالعودة إلى أردبيل، وهنا تختلف المصادر فتقول بعضها أن عليا استدعى أخاه إبراهيم وألبسه العمامة الحيدرية، علامة على خلافته[1]، فيما تقول أخرى أن عليا إستدعى إسماعيل[2] الذي لم يبلغ من العمر حينئذ سوى سبع سنوات[3]، وألبسه العمامة الحيدرية، وربط على وسطه حزاما وأوصاه أن يأخذ بثأر جده وأبيه وثأره لأنه سيقتل في هذه المعركة، وقال له أن القرعة والطالع وقعا عليه لقيادة المشروع الصفوي، ولقّنه بعض الأسرار التي ورثها عن آبائه، وانتخب سبعا من الشخصيات الكبيرة من خلّص مريديه من الصوفية سمّاهم "أهل الاختصاص"، وهم: حسين بك لله، ودده بك طالش، وخادم بيك خليفة، وقره پيري بيك قاچار، ورستم بيك قره مان لو، وبيرام بيك قره ماني، وإلياس بيك إيغور أوغلو[4]، وأمرهم بحماية إخوته والإشراف عليهم، والانطلاق بهم نحو أردبيل، فأخفوهم في بقعة الشيخ صفي الدين، وفي اليوم التالي وصل آيبه سلطان إلى أردبيل وشرع في البحث عن أبناء الشيخ حيدر في بيوت أردبيل ومساجدها، وخلال تلك المداهمات لم يتردد الجنود في سلب ونهب ما وقعت عليه عيونهم، وعاثوا فيها فسادا[5].

أما إبراهيم وأخواه فقد غادروا البقعة واختبأوا في دار أحمد كاكلي، لكنه خوفا من بطش آيبه سلطان نقلهم إلى دار امرأة اسمها خان جان، وبعد شهر من

---

(١) أمير محمود خواندمير، بيشين،ص٣٠؛ نظمي زادة، المصدر السابق، ص١٨١.

(٢) منها على سبيل المثال: ناشناس مؤلف،تاريخ شاه اسماعيل، ص٢٨ب؛ ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه اسماعيل، ص٣٢؛ أمير محمود خواندمير، بيشين، ص٣٨.

(٣) هينتس، بيشين، ص١٢١.

(٤) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان. تاريخ شاه اسماعيل، (نسخه خطى) كتابخانه مركزى دانشكاه تهران، م٢/ ٢٩٦٣، برك٤٤ب؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٢٤؛ طاهرى، بيشين، ص٣٢.

(٥) ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه إسماعيل، ص٣٢؛ هينتس، بيشين، ص١٢٣.

هذا التاريخ انتقلوا إلى بيت امرأة أخرى اسمها أوبه جراحه من قبيلة ذي القدر، بعدها إلى مسجد جامع الله ورميش في أردبيل والتقى هناك مع أحد الصوفية الذين كانوا بمعية يارا علي، وجرح في المعركة الأخيرة مع آيبه سلطان وتخفى هناك، فلما علم بخبرهم بادر إلى إخبار زميله رستم بيك قره ماني الذي كان في جملة جنود علي وكان يتخفى في الجبال القريبة برفقة سبعين فردا من الصوفية، فنقلهم إلى قرية گرگان القريبة، وسكنوا دار فرخزاد الگرگاني الواعظ[1].

بعد ثلاثة أيام فضّل أهل الاختصاص وعدد آخر من أنصارهم نقلهم إلى منطقة أكثر أمنا، وهنا جاء محمد بيك تركمان زوج السيدة باشا خاتون بنت الشيخ جنيد عمة أولاد حيدر[2] الذي كان يرتبط هو وأخوه أحمد بيك بعلاقة صداقة قوية مع الأمير إسحق والي رشت، وبعد أن اتفق أهل الاختصاص معهما استأذنوا والدتهم علم شاه بيگم بنقل أبنائها إلى گيلان[3] التي لم يكن الصفويون غريبين عنها، إذ سبق لها أن كانت منطلقا وملاذا لرجال الدعوة الصفويّة[4]، وللوصول إلى رشت سكنوا مدة في منزل الأمير مظفر حاكم مدينة تول وناو، وكانت استخبارات آيبه سلطان تلاحقهم، فأرسل إلى الحاكم يطالبه بتسليمهم له فتجاهل طلبه وأرسلهم إلى مدينة كسكر ليستضيفهم حاكمها الأمير سياووش، وبعد ثلاثة أيام توجهوا نحو رشت ليلا برفقة مئتين من أتباعهم[5]، واستغرقت الرحلة بين مقتل علي ودخولهم رشت أربعين يوما مليئة بالرعب والخوف.

استقبل الأمير إسحق والي رشت الذي كان معروفا بميله للأسرة الصفويّة أبناء حيدر، فأبدى اهتماما كبيرا بهم على الرغم من أن عيون رستم كانت تراقب الموقف وتتقصى أخبار الفتيان، لكن جهوده لإلقاء القبض عليهم اصطدمت دوما بإنكار الأمير اسحق أن يكونوا موجودين على أرضه، وفي رشت فضّل الصبيان أو من يقوم برعايتهم الإقامة في مسجد سفيد، وهناك تعرفوا على صائغ يدعى الأمير نجم الدين مسعود (ت٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م) الذي قدّر أن يكون له شأن سياسي كبير، وكان

---

(١) ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، ٢٩ب-٣٠أ؛ هينتس، بيشين، ص١٢٣.

(٢) ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برك ٢٩ب؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٤.

(٣) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤١٢.

(٤) كانت گيلان لاسيما رشت ملاذا لصدر الدين بن صفي الدين، ولم ينقطع أبناؤه وأحفاده عن زيارتها في أكثر من مناسبة.

(٥) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤١؛ ناشناس مؤلف، تاريخ عالم آراى صفوى، ص٤٢.

دائبا على خدمتهم وتلبية طلباتهم[١]، وبعد بضعة أيام دعاهم إليه كاركيا ميرزا علي حاكم لاهيجان[٢] الذي يعد أكبر حكام گيلان، وهو من نسل آل البيت، فوصلوه في أوائل عام ٩٠٠هـ/ أواخر ١٤٩٤م، واحتفى بهم وخصص لهم منزلا مناسبا فيما لم ينقطع نجم الصائغ عن متابعتهم فضلا عن كاركيا سلطان حسين وكاركيا سلطان هاشم أشقاء مضيّقهم[٣].

وتكاد المصادر تجمع أنه بعد مرور سنة على وجودهما في لاهيجان سئم إبراهيم من الحياة هناك وأودع التاج الحيدري الذي ورثه عن أبيه إلى أخيه إسماعيل، وبدّل قيافته فخلع العمامة الحيدرية وارتدى عمامة الآق قوينلو، وكما يؤكد أحد تلك المصادر أنه ترك أخاه إسماعيل ووالدته وإخوته في لاهيجان، وساح في الأرض واختفى عن الأنظار ولم تذكر كتب التاريخ ما انتهى إليه أمره[٤]. فيما تقول مصادر أخرى أن إبراهيم حنّ إلى والدته في أردبيل وعاد إليها لكن أعداءه عثروا عليه وقتلوه[٥] وأن أخاه سليمان رافقه في هذه الرحلة الغامضة[٦].

---

(١) رحيم زاده صفوى، شرح جنگها وتاريخ زندگانى شاه اسماعيل صفوى، تهران، ١٣٤١ش/ ١٩٦٣م، ص١١٦.

(٢) هو كار كيا ميرزا علي بن كاركيا محمد بن كار كيا ناصر بن محمد المشهور بمير سيد بن مهدي بن أمير كيا الحسيني العلوي سلطان گيلان، ولد سنة ٨٤٧هـ/ ١٤٤٣-٤م، وقتل سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤-٥م. آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص٤٥٩؛ محسن الأمين، المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٣، ٥٧٠.

(٣) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤١؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برگ٣٢أ-٣٢ب؛ ناشناس مؤلف، تاريخ عالم آراى صفوى، ص٤٢.

(٤) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٢؛ نظمي زادة، المصدر السابق، ص١٨١؛ عبد الحسين نوائى وعباس قلى غفارى فرد، تاريخ تحولات سياسى اجتماعى اقتصادى وفرهنگ ايران در دوران صفويه، تهران، ١٣٨١ش/ ٢٠٠٣م، ص٥٨.

(٥) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه إسماعيل، برگ ١٨ب؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٢؛ ابو الحسن قزويني (ت بعد ١٢٧٧هـ/ ١٧٩٦م)، فوايد الصفويّة. تاريخ سلاطين وامراى صفوى پس از سقوط دولت صفوى، تصحيح مقدمه حواشي: مريم مير احمدى، تهران، ١٣٦٧ش/ ١٩٨٩م، ص٦؛ عباس اقبال آشتياني وديكران، بيشين، ص٥٦٨؛ مرتضى راوندي، بيشين، ص٣٧٩.

(٦) اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص١٩؛ غلام سرور، بيشين، ص٣٢؛

**Sir John Malcolm, the History of Persia. From the most early period to the present time, Tahran, 1976, Vol. I, P. 499.**

وينفرد أحد المؤرخين بالقول أن إبراهيم توفي في لاهيجان. =

لا يمكن لمثل هذه الأخبار أن تكفي لتفسير اختفاء إبراهيم وأخيه إذ تعجز المصادر التاريخية عن تقديم تفسير مقنع لتحول الزعامة من إبراهيم إلى إسماعيل، إذا ما أخذنا بالحسبان ارتهان المشروع الصفوي منذ مقتل حيدر بن جنيد بمرامي زعماء القزلباش ورغبات أهل الاختصاص وتوجهاتهم مستغلين وجود صبيان على رأس الطريقة. وفي ظل ذلك فأمام المؤرخ أدوات أخرى يمكنه اللجوء إليها لتفسير التاريخ منها الاستنارة بالدراسات النفسية والسلوكية عن طريق الاستدلال على سلوك هذا النوع من الأطفال، فالأمر الذي لا لبس فيه أن مرحلة الطفولة تؤلف منعطفاً وأساسا في تنشئة الفرد النفسية والاجتماعية من بين كل مراحل النمو اللاحقة، وإذا ما عرفنا أن إبراهيم جاء في مرتبة وسطى بين تسلسل أخوته، فإن بعض الدراسات النفسية تقول عن أمثاله من الأطفال أنهم غالبا ما يلجأون إلى تبني سلوكيات مشاكسة بهدف إثبات الذات بين أفراد العائلة، وهم غالبا ما يحملون مزايا شخصية منها الميل للتحدي والمنافسة، والشعور بالغيرة، والأنانية، والميل للعناد، والتحررية، والاندفاعية، فضلا عن الميل للعنف[(١)]، كما أنهم يحاولون تعويض التفاعل مع محيط الأسرة بالميل للتفاعل مع المحيط الأوسع والمشاركة أكثر من الفئات الأخرى في النشاط الاجتماعي، وهم أكثر عرضة للإصابة بالإحباط والانسحاب والانطواء، أو الاندفاع والرد بعنف، وتعزي هذه الدراسات تفسير هذا السلوك إلى عدم حصول أولئك الأطفال على انتباه كاف، وتشجيع هم بأمس الحاجة إليه في تلك المرحلة، فجاءوا للحياة ليجدوا ساحة العائلة مشغولة بطفل أكبر استنفد مشاعر حنان واهتمام الأبوين والعائلة، فجعلهم يعيشون في الظل على الدوام[(٢)].

---

**=Percy M. A. Sykes, History of Persia, London, 1915, Vol. II, P. 241.**

**فيما ستسجل الأحداث التالية لسليمان إسهامات خطيرة في السياسة الصفويّة بعد تأسيس الدولة.**

**(1) Glen O. Gabbard, Psychodynamic Psychiatry Practice, Third Edition, London, 2000, P.234;**

**http://www.islamonline.net; http://www.asharqalawsat.com.**

**(٢) عبد الجليل إبراهيم الزوبعي وآخرون، علم نفس الطفل، الطبعة الثانية عشرة، بغداد، ١٩٩٥م، ص١٢٧-١٢٨؛ جوزيف عبود كبة وآخرون، أسس التربية وعلم النفس، الطبعة الثالثة، حلب، ١٩٦٣م، ص٩٨؛ عبد الرحمن عيسوي، معالم علم النفس، الإسكندرية، بلا تاريخ، ص٦٢.**

وقد يتفاقم هذا الشعور لديهم في حال حضور أخ أصغر يسرق منهم من جديد ما تبقى من اهتمام الأبوين وحنانهم[١]، وهو ما تم في حال إبراهيم وسليمان إذ كان الاهتمام منصبا على أخيهما علي بوصفه خليفة لأبيهما حيدر الذي قتل في وقت مبكر من حياتهما، ثم انصب الاهتمام أكثر بأخيهما الأصغر إسماعيل بعد ولادته إذا ما أخذنا بالحسبان الظروف الشاذة التي عاشتها الأسرة، وفقدان الرعاية الأبوية، وظروف الاعتقال لأربع سنوات ونصف في اصطخر ثم مقتل أخيهما علي، فضلا عن سنة أخرى من التشرد والتخفي من عيون رستم ميرزا، فربما أسهم هذا كله في صعوبة انقياد إبراهيم وأخيه سليمان لأهل الاختصاص وكان سببا في التخلص منهما بطريقة ما أو تنحيتهما عن مشيخة الطريقة، ومن ثم محاولة التعتيم على مصيرهما، وهو ما يؤيده عدم تردد بعض المصادر الصفويّة في نقل وصية يار علي من إبراهيم إلى إسماعيل خلافا للمنطق[٢]، ومن دون أن تبرر هذا التجاوز.

ومع أن اللجوء إلى التفسيرات النفسية يظل مجرد افتراضات علمية وأحكام استنتاجية احتمالية لا ترقى لتكون قوانين ثابتة، لأنها تعالج ظاهرة نفسية لا تملك خصائص الظاهرة المادية في الثبات والدقة، إلا أن ما يستفاد من ما تقدم من تحليل نفسي يؤيده ما نقله عباس العزاوي عن إبراهيم فصيح الحيدري[٣] أحد

---

(1) **Kaplan, H. & Sadock, B. J., Comprehensive text book of Psychiatry, Vol. VI, 6th Ed, Baltimore, 1995, PP. 510-512; Allan Kandel, Addacesant and drogues, London, 1980, P. 28;**

**أحمد عَزت راجح، علم النفس العام، القاهرة، ١٩٨٣م، ص١١؛ شيفر وملمان، سيكولوجية الطفولة والمراهقة. مشكلاتها وأسبابها وطرق حلها، ترجمة: سعيد حسني العزة، عمان، ١٩٩٩م، ص٢٥٤-٢٦١.**

**(٢) يراجع على سبيل المثال: ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برك٢٩أ؛ اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص١٨.**

**(٣) إبراهيم فصيح الدين الحيدري بن صبغة الله بن أسعد بن عبيد الله بن صبغة الله بن إبراهيم بن حيدر بن محمد بن حيدر الشافعي الصفوي (١٢٣٥-١٢٩٩هـ/ ١٨٢٠-١٨٨١م): أديب بغدادي المولد والمنشأ والوفاة، تولى نيابة القضاء ببغداد، وألف كتبا منها، "عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد" و"أصول الخيل والإبل الجيدة والردية" و"أعلى الرتبة في شرح النخبة" في الحديث، و"إمعان الطلاب في الإسطرلاب"، وغيرها. خير الدين الزركلي، المصدر=**

أحفاد إبراهيم بن حيدر، من أن جده ذهب حينها إلى بلاد ما وراء النهر وعاش هناك، وكان أول القادمين إلى كردستان العراق من أحفاده، محمد بن حيدر پير الدين بن الشيخ أمين الدين بن پير الدين بن إبراهيم بن حيدر الصفوي، وانتقل من ثم إلى بغداد، وكان حينها يتكلم التركية الجغطائية، وفي العراق ولد له حيدر جد الأسرة الحيدرية التي منها علماء عديدون[1]. فضلا عن السلوك المتمرد الذي انتهجه سليمان ضد أخيه اسماعيل حينما ظهر على ساحة الأحداث ومطالبته بالعرش، كما سيمر بنا.

**٢. الطريقة في ظل الشيخ إسماعيل (٩٠٠- ٩٠٧هـ/ ١٤٩٥- ١٥٠١م):**

مهما كانت الظروف الحقيقية التي مرت بها الطريقة الصفويّة، فإن إسماعيل الابن الأصغر للشيخ حيدر، أضحى المرشد الكامل لها، وحول شخصه دارت الطريقة ومريدوها على الرغم من عمره الذي لم يتجاوز السبع سنوات، إذ ولد إسماعيل بن حيدر في يوم الثلاثاء ٢٥ رجب ٨٩٢هـ/ ٢٥ تموز ١٤٨٧م[2]، أي قبل ما يقرب من السنة من مقتل والده. وبالعودة الى لاهيجان، فقد كلّف كاركيا ميرزا علي، الشيخ شمس الدين اللاهيجي[3] ليكون معلماً خاصا لإسماعيل يعلّمه

---

=السابق، ج١، ص٤٤؛ إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٤٢.

(١) العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ص٣٣١. يراجع للاطلاع على شجرة الأسرة الحيدرية في العراق: الملحق رقم (٦).

(٢) أمير محمود خواندمير، بيشين، ص٣٧؛ زاهدى، بيشين، ص٦٨؛ غلام سرور، بيشين، ص٣٩.

(٣) هو محمد شمس الدين الگيلاني اللاهيجي، متصوف وفقيه من أتباع الطريقة النوربخشية، ولد في لاهيجان من أعمال گيلان، قرأ على سيد محمد نوربخش وخلفه، لازم الشاه اسماعيل من بداية ظهور الدولة الصفويّة، فعينه صدر الممالك، وكان يعلم بعض الشاهات، تجاوز عمره التسعين واعتزل العمل، كان حيا سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م، توفي في شيراز، يقال أنه عرف مقامات الصوفية الأربعة الناسوت واللاهوت والملكوت والجبروت، وعرف بارتدائه الثياب السوداء، له عدة كتب، أهمها، شرحه لمثنوي مَوْزَدَة الأسرار للشبستري، بعنوان "مفاتيح الإعجاز في شرح غولشن راز"، وديوان شعر. آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص٥٤٢، ج٢٦، ص١٢٩؛ "معجم الفلاسفة. الفلاسفة- المناطقة- المتكلمون-اللاهوتيون- المتصوفون"، إعداد: جورج طرابيشي، بيروت، ١٩٨٧م، ص٥٢٢-٥٢٣.

القرآن الكريم وأصول الدين واللغتين الفارسية والعربية[1]، فضلا عن نجم الصائغ الذي تولى تعليمه مبادئ الرياضيات وعلم النجوم والحكمة[2]، فنال على يديهما تعليما جيدا درس من خلاله أصول المذهب الشيعي وأحكامه، كما حرص مربّوه الآخرون من أهل الاختصاص على تدريبه مختلف فنون القتال والصيد[3]، دون أن يترددوا عن اختلاق بعض القصص والحوادث لأغراض دعائية معروفة ولتعبئة الناس حول الصفويين، فضلا عن الجهر بأحداث من شأنها أن تشجع الفتى الصغير وتغرس في أعماقه أنه المنقذ والمخلص المدعوم من قوى غيبية، فمرّة يبالغون في قواه البدنية حينما ينشرون بين الناس والأتباع أنه قتل حيوانا ضخما أدخل الرعب في نفوس البلدات القريبة[4]، أو لقاءات تمت بينه وبين الإمام علي أمير المؤمنين، فذات مرة، وبينما كان في رحلة صيد في غابات لشته نشا دخل منفردا إلى عمق الغابة، ثم عاد بعد ساعة وهو يرتدي أزهى الحلل والوشاحات الخضر وسيفا قالوا أن عليا ألبسها له[5]، وقاموا بنشر هذه القصة مستغلين جهل الناس وسذاجتهم، لكنها بالنتيجة قد أتت أكلها.

وفي تلك الأيام لم ينقطع أتباع الطريقة الصفويّة ومريدوها عن زيارة "المرشد الكامل" على وجبات تبلغ الواحدة عشرة أفراد، حتى لا تثير ريبة عيون رستم بيك[6] الذي علم بمكان اختباء إسماعيل فأرسل إلى كار كيا ميرزا علي يطلبه، لكنه تنكر وطمأنه، وبعد ستة أشهر أكد الجواسيس لرستم معلوماتهم السابقة، فأرسل مهددا ومتوعدا وأصرّ على تسليمه، وبالمقابل أصرّ كار كيا على

---

(١) حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٢٠؛ هينتس، بيشين، ص١٢٤.

(٢) حسن الأمين، المصدر السابق، ج٦، ص٣٣.

(٣) هينتس، بيشين، ص١٢٤.

(٤) تراجع هذه القصة في: حسن الأمين، المصدر السابق، ج٦، ص٣٦.

(٥) وردت هذه القصة، وغيرها في معظم كتب الفترة الصفويّة. يراجع على سبيل المثال: ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ٤٢ب-٤٣أ؛ ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه اسماعيل، ص٤١-٤٢؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٤٣-٤٤؛ محمد كريم يوسف جمالى، تشكيل دولت صفوى وتعميم مذهب تشيع دوازده امامي به عنوان تنها مذهب رسمى، چاب دوم، أصفهان، ١٣٧٧ش/ ١٩٩٩م، ص١١١.

(٦) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ٣٢ب؛ هينتس، بيشين، ص١٢٤.

إنكاره، وهنا قرر رستم إنفاذ ثلاثمئة مقاتل إلى لاهيجان يقودهم قاسم بيك برناك تركمان، ومعه أمر بأن يحصل على جواب حاسم، وبعكسه فإنه سيهاجم گيلان ويحدث فيها مذبحة عظيمة، فتقول المصادر أن كار كيا ميرزا علي فكّر بحيلة قديمة ترددت كثيرا في التراث الفارسي، فقام بوضع إسماعيل في سلّة وعلقه على شجرة، وبذا أمكنه أن يقسم على المصحف الشريف أمام قاسم بيك أن إسماعيل ليس على أرض گيلان، ولما وصلت هذه الأخبار إلى رستم بيك لم يقتنع بها، وقرر التوجه بنفسه إلى لاهيجان[1]، إلا أن أحداثا جساما حصلت له فغيّرت من نيّته وجعلت إسماعيل يتنفس الصعداء، إذ أرسل السلطان العثماني بايزيد الثاني جيشا برفقة كوده أحمد ميرزا بن السلطان يعقوب آق قوينلو (ت٩٠٣هـ/ ١٤٩٨م) الذي كان قد لجأ إليه وتزوج إحدى بناته[2]، وتمكن أحمد بهذا الجيش من القضاء على رستم بعد أن حكم ست سنوات والجلوس على عرشه وذلك في ذي القعدة ٩٠٢هـ/ تموز ١٤٩٧م، لكن ذلك لم يستمر طويلا لأن منافسا آخر، هو آيبه سلطان، تحالف مع پرناك بيك والي فارس ضده وتمكن من إلحاق الهزيمة بأحمد وقتله في موقع قرب أصفهان يقال له حاج حسن ماضي وذلك في العام التالي، ونصب ألوند بن يوسف بيك بن أوزون حسن (ت٩١٠هـ/ ١٥٠٤-٥م) محله[3].

بعد سنة ألحق ألوند ميرزا هزيمة منكرة بأخيه محمد بن يوسف بيك في معركة قرب قرية عزيز كندي، وذلك في شوال ٩٠٤هـ/ أيار- حزيران ١٤٩٩م، وقتل في تلك المعركة آيبه سلطان آخر الشخصيات القويّة في الدولة، فتراجع محمد إلى السلطانية، ثم قتل في معركة خاضها في أصفهان ضد السلطان مراد بن يعقوب بيك (ق٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) الذي لم يبلغ العاشرة من عمره[4]،

---

(١) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ٤٠أ؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٧.

(٢) حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٢٥.

(٣) يحيى بن عبد اللطيف قزويني (ت٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م)، لب التواريخ، بي جا، ١٣٦٣ش/ ١٩٨٥م، ص٣٧٦.

(٤) سومر، بيشين، ص٢٤.

ولتتواصل الصراعات بين من تبقى من رموز الأسرة البايندرية[1] وهم كل من ألوند ميرزا والسلطان مراد بيك، فتلاقوا في معركة حامية قرب مدينة أبهر، لكن متصوفا معروفا يدعى بابا خير الله، تدّخل فيما بينهما، فاتفقا على اقتراحه أن يكون نهر قزل أوزون حدا فاصلا بينهما[2] سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م، فصار العراق العربي وفارس من حصّة مراد، فيما أضحت أذربيجان وديار بكر من حصّة ألوند ميرزا[3].

**٣. خروج إسماعيل من لاهيجان ومعاركه الناجحة ضد شروان:**

رددت المصادر الصفويّة أن إسماعيل كان يفاتح كار كيا ميرزا علي بين الحين والآخر برغبته في الخروج، لكنّه كان يؤكد أنه لازال صغيرا والوقت الذي ينبغي أن تظهر فيه الدولة الصفويّة لم يحن بعد، وعليه الانتظار مدة أخرى[4]، إلى أن حلّ منتصف محرم عام ٩٠٥هـ/ أواخر آب ١٤٩٩م[5]، ووافق كار كيا ميرزا علي، فخرج لتوديعه[6] دون أن يكون معه سوى أهل الاختصاص السبعة، ، إلا أن تفاصيل خروجه لا تدل على أن خروج اسماعيل كان طبيعيا، بل ربما أبعد من لاهيجان بطريقة ما.

---

**(١) بايندري: اسم العشيرة التي ترأست تحالف عشائر الآق قوينلو، وأخذت اسمها من اسم جدها بايندر، وتمكنت خلال زعامة أوزون حسن من السيطرة على الحكم، واسقاط حكومة القره قوينلو وهناك فروع بارزة أخرى أهمها پرناك، وموصللو. غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٣، ص١٥١ وما بعدها؛ هيوارت، "آق قويونلي"، دائرة المعارف الاسلامية، م٤، ص١٢٨-١٢٩؛ سومر، بيشين، ص٦٩.**

**(٢) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ١٤ب؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برگ٢٩أ؛ رحيم زاده صفوى، بيشين، ص١٤٢.**

**(٣) مير أحمد بن مير محمد حسيني قمى(ت١٠٠١هـ/١٥٩٣م)، خلاصهء تواريخ، به تصحيح: احسان اشراقى، تهران، ١٣٥٩ش/ ١٩٧١م، جلد اول، ص٦٤.**

**(٤) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٧؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٤٠؛ أحمد قمى، بيشين، ج١، ص٤٧؛ غلام سرور، بيشين، ص٤٢.**

**(٥) أبو الحسن قزوينى، بيشين، ص٦.**

**(٦) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٨؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٢٤؛ يحيى قزويني، بيشين، ص٢٤؛ ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، ص٤٤ب.**

اتجه إسماعيل بعدها ومن معه إلى طارم، ومنها إلى خلخـــال، ثـــم إلـــى گيوي، وأقـــام هناك شهرا في بيت ملك مظفر المعروف بخلفاء بيـــك، ليتجـــه بعدها إلى أردبيل، لكن قوة وتحذيرات حاكمها علي بيك جاگيرلـــو منعتـــه مـــن دخولها، ففضّل البقاء في ضواحيها، ومن ثمّ نصحه محمد بيـــك تركمـــان زوج عمته بالتوجّه إلى طالش قرب بحر الخزر (قزوين)، والإقامة لدى محمـــد بيـــك طالش، فاستجاب لذلك، وفي طريقه إلى هناك وحينما وصل إلى قرية أرجـــوان وأقام قرب نهر آستارا، علم أن مضيفه سيقوم باعتقاله وتسليمه لألوند ميرزا بن يوسف بيك آق قوينلو الذي بعد أن علم بتحركاته، أرسل إلى محمد سلطان طالش يطلب تسليمه إسماعيل على أن ينال مقابل ذلك حكومة أردبيل وخلخـــال، وفـــي الآن نفسه عرض عليه فرخ يسار شيروان شاه مبلغ ألف تومان للغرض نفسه[١].

وبعد هذا البلاغ نقل إسماعيل معسكره إلى أرزنجان ليكون قريبا من أعوانه الذين يسكنون في تلك النواحي، وليمكّنهم من الالتحاق به عند الحاجة[٢]، بعـــدها سلك طريق گوگجة تنـــگيز و أرزنجان على أمل أن يلحق أتباعه بـــه، وخـــلال الطريق إلى طارم بلغ عدد الملتحقين به أكثر من ألف وخمسمئة مقاتل[٣]، هناك علم أن السلطان حسين الباراني حفيد جهانشاه قره قوينلو يعد العدة للعودة إلـــى الحكم، وهو يقيم بالقرب منه، فوصلته رسالة منه يـــدعوه للاجتمـــاع وتنـــسيق الجهود، وبالنظر لما يملكه من قوة وعتاد لا قبل لإسماعيل بهما نصحه أتباعـــه بالتظاهر بقبول الدعوة ثم الإفلات في مرحلة لاحقة لأنه يعتقد أن دعوته غيـــر مخلصة وأنه يريد الغدر به وبأنصاره، فاستغل إسماعيل ظلام الليل وفـــرّ مـــن

---

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٧-٤٤٨؛ ناشناس مؤلف، تاريخ شـــاه اســـماعيل، برگ ٤٤ب-٤٥أ؛ ناشناس مؤلف، تاريخ عالم آراى صفوى، ص٥٣-٥٤؛ ناشـــناس مؤلـــف، جهانكشاى خاقان، ص٤٥ب-٤٧ب.

(٢) أحمد قمى، بيشين، ج١، ص٥٥؛ غلام سرور، بيشين، ص٤٢.

(٣) هناك حادثة بسيطة يستدل منها على صحة هذا الرقم بالنسبة لذلك التاريخ، وهـــو أن شخـــصا أسمه شاه قاسم صاحب مزرعة شاملو أو شام قزل أوزون، في برندق التابعة لخلخال قام بـــذبح أربعين رأسا من الغنم ترحيبا باسماعيل ومن معه. ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٤٥أ؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٢٧.

المنطقة تاركا نيران معسكره مشتعلة ليخدع حسين الباراني[١]، وهكذا تخلّص من هذه الورطة.

وصل إسماعيل ليلا إلى منطقة تدعى چغور سعد ومن هناك إلى منطقة أكثر أمنا هي دوقوزالم فاتخذها معسكرا، وهناك التحقت به مجموعة كبيرة من أتباعه الأناضوليين يقودهم قراچه إلياس الذي اشتكى له من غارة شنها منتش صاحب إحدى القلاع الحصينة في منطقة شوره گـل ضد قافلة قراچه وصحبه وسلبها، فأرسل إسماعيل عددا من أتباعه أغاروا على القلعة وقتلوا حراسها وسلبوا ما فيها لكن منتش تمكن من الفرار، وقد حضر فيما بعد إلى معسكر إسماعيل معتذرا، فعفا عنه وعن أتباعه الأسرى وصاروا من أتباعه[٢].

ولما أراد إسماعيل أن ينتخب هدفه الأول أرسل إلى والدته يستشيرها لدخول أردبيل، لكنها نصحته بالإحجام عن ذلك لأن أغلب مريديه غادروها بسبب الشتاء[٣]، لذا يمّم وجهه صوب شيروان شاه ليكون أول أهدافه فيأخذ أولا بثأر جده ووالده الذي لازال قبره هناك في طبرسران، وثانيا لأنها كانت الأكثر ضعفا من غيرها، إذ يمكنه اختبار قدراته معها قبل أن يتمكن أمراء الآق قوينلو نجدتها بسرعة، هذا إلى جانب تلك الأسباب التي سبق أن دفعت أباه وجده إلى مهاجمتها وهي غناها وثرائها ليحصل على غنائم يموّل بها حركته فيشجع الآخرين على الالتحاق به[٤]، لكن القوة التي كانت معه تناقصت بفعل الشتاء الذي قضاه في قرية أرجوان، ولم يبق معه سوى ثلاثمئة مقاتل حينما حلّ ربيع العام ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م[٥]، فكان عليه أن يرسل في طلبهم إلى الأناضول والشام وغيرها،

---

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٦١؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٢٥٤.

(٢) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٥٣-٤٥٤؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٤٢.

(٣) ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه اسماعيل، ص٤٤.

(٤) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٥٣؛ اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص٢٠؛ سيورى، ايران عصر صفوى، ص٢٤.

(٥) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٨. ويبدو أن هذه هي التسوية المعقولة لإختلاف المصادر في عدد الأتباع الذين التحقوا باسماعيل. يقارن: ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ٥٥أ؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٤٤ب؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٢٦؛ ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه اسماعيل، ص٤٤.

وخلال المدة التي كان ينتظر تجمع أتباعه يروى أنه غادر سرا إلى أردبيل لزيارة قبور أجداده ورؤية والدته واستئذانها بالخروج إلى أرزنجان.

أما في الأناضول فحينما وصلت أخبار خروج إسماعيل إليها التحقت به أعداد كبيرة من الأعوان خلال وقت قصير بفعل الانتشار المنظم للخلفاء في أرجائها، ويقال أن إسماعيل ذهب بنفسه إلى الأناضول لجمع الأتباع والمريدين[1]، ولما أحسّ إسماعيل أن بعض أتباعه مترددون في السير إلى شيروان حينما شهدت الليلة السابقة لتحركه جدلا كبيرا ومناقشات واسعة بغية اختيار وجهة أخرى وهدف أسهل[2]، لجأ إلى الاستخارة بالقرآن الكريم ليفرض من خلالها وجهة نظره عليهم، فجمع كبار أتباعه وأخبرهم أن الله ألهمه من خلال الاستخارة التحرك نحو بغيته، فسار أكثر من سبعة آلاف مقاتل على وفق رغبته دون اعتراض[3].

وخلال خروجه إلى شيروان إلتحق به نجم الصائغ ملتجئا إليه من بطش الأمير اسحق في رشت ووزيره كوسه عباس اللذان يبغيان قتله[4]، فواصل السير نحو هدفه، وحينما وصل إلى منطقة ياسين من توابع أرمينيا أمر خلفا بيك تركمان بالتوجه نحو الثغور الجورجية "لمجاهدة الكفّار"، واستطاع خلفا بيك من العودة ظافرا إلى شيخه محملا بالغنائم والأسلحة، فكافأه إسماعيل على صنيعه بجوائز كثيرة. وفي طريق الحملة على شيروان كان على الجيش الصفوي عبور نهر كُر، فأرسل إسماعيل مجموعة من ذي القدر وتكه لو بقيادة بيرام بيك قره ماني للسير مع النهر وإيجاد معبر مناسب للجيش، وأدرك وجيشه هذه الجماعة عند منطقة يقال لها قومين أولومى، ولم يعثروا بعد على المكان المناسب. هنا تدّعي المصادر الصفويّة أن إسماعيل لما رأى على مقاتليه الحيرة والتردد في العبور لكز فرسه مقتحما النهر بسرعة إلى حيث الضفة الأخرى[5]، وذلك في

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٧.
(٢) اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص٢٠.
(٣) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٧؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٤١.
(٤) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٧؛ غلام سرور، بيشين، ص٤٥.
(٥) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٥٤-٤٥٥؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٤٢-٤٣.

حدود جمادى الأولى ٩٠٦هـ/ أيلول- تشرين الأول ١٥٠٠م، وهكذا عبر الجيش ومعداته، وكان هذا بمثابة فأل حسن للجيش وقادته، وتقول هذه المصادر إن جموع الجيش عبرت دون أن يغرق أحد أو شيء[١]، وسنشير لاحقا إلى الكثير من هذه المواقف الدعائية المشابهة والمبيّتة التي وقفت وراءها عقول كبيرة ربما تتجاوز إمكانيات اسماعيل الذهنية، لأننا سنلاحظ أن هذه المنطقة ستغدو منطقة عبور مفضّلة للجيش في وقت لاحق[٢].

اتجه اسماعيل بجيشه نحو شماخي، وفي الطريق علم من عيونه أن فرخ يسار يعسكر قرب منطقة دژ قبله وينتظر قدومه بجيش قوامه عشرون ألف فارس وسبعة آلاف من المشاة[٣]، ووردة خبر جديد أن فرخ يسار لجأ خشية إلى قلعتي گلستان وحصار بيقرد، فاتجه اسماعيل إليه حيث يحتمي مع أنه لم يكن معه سوى ثمانية آلاف صوفي.

قسّم اسماعيل قواته، فوضع متصوفو الشاملو في الميمنة والاستاجلو على الميسرة فيما القلب الذي يقوده صار من حصة مجاميع تنتمي إلى التكه لو والروملو وذي القدر[٤]، ودارت معركة ضارية في منطقة جباني قرب القلعة الأولى أبدى هو فيها شجاعة منقطعة النظير على الرغم من عمره الصغير إذ قاتل ساعات طويلة في قلب المعركة[٥]، فشدّت شجاعته من عزيمة جنوده، وبالفعل فقد تمكن الجيش الصفوي من قتل أعداد كبيرة من جنود فرخ يسار وهرب البقية مع قائدهم نحو القلعة فتبعهم القزلباش قتلا، كما بادر شاه گلدي خادم حسين بيك لله بقطع الطريق أمام شروانشاه وقتله وقطع رأسه وجاء به إلى إسماعيل، فأمر بجمع الجثمان مع الرأس وحرقهما، ولكي يهيء أتباعه نفسيا لطاعته في المعارك اللاحقة أمر بجمع كل الغنائم التي حصل عليها القزلباش

---

(١) نقل از: محمد جمالى، تشكيل دولت صفوى...، ص١٢٥.
(٢) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٦٣.
(٣) همان منبع، ج٤، ص٤٥٧.
(٤) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ٦٠أ.
(٥) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٦٣؛ ناشناس مؤلف، جهانگشاى خاقان، برگ٥٨أ-٥٩ب.

ورماها في نهر كر بما فيها الخيول والبغال والجمال[1] وهو أمر سيواظب إسماعيل على فعله، لإدراكه أن الجوع والبحث عن المال دفع الكثير من أتباعه للالتحاق بجيشه وإن الغنائم في هذه المرحلة ستكون نقمة على جيشه، فربما سيفضل بعضهم الاكتفاء بها وترك إسماعيل مع ثلة المؤمنين به ويؤثرون السلامة، فتدمير الغنائم بهذه الطريقة على أنها "نجس كما هو صاحبها" تمكنه من جعل جموع القزلباش يستمرون في متابعته.

ويرجع سبب هزيمة الشيروانيين إلى اختلاط ميمنتهم بالميسرة والمشاة بالخيالة[2]، الأمر الذي دفع القزلباش إلى هجوم عام تمكنوا بعده من إرباك صفوفهم وتقطيع أوصال الجيش الشيرواني، كما يعود هذا الانتصار إلى الخبرة المتراكمة لقيادات القزلباش التي سبق أن قاتلت مع علي وحيدر وحتى جنيد، فوجهوا المعركة بدقة واختاروا أرضها بعناية.

وبعد أن أخذ قسطا من الراحة قرر اسماعيل التوجه إلى شماخي لإحتلالها، وخلال الطريق وردته معلومات أن شيخ إبراهيم بن فرخ يسار استطاع النجاة وجمّع قوات مهمة وهو يتهيأ لملاقاة اسماعيل في شهر نو، فقرر الاسراع بالتوجه إليه، لكن إبراهيم لما علم بعزم غريمه فضّل ترك جنوده والفرار عن طريق البحر إلى جهة گيلان، فدخل اسماعيل المدينة ظافرا ونصّب عليها خلفا بيك حاكما[3]، ثم توجه إلى محمود آباد ومن هناك وجه محمد بيك استاجلو وإلياس بيك إيغور أوغلي لاحتلال قلعة باكو التي كانت مستودعا لكنوز فرخ يسار ومجوهراته، وأمرهم بردم المستنقعات المائية التي تحيط بها وحاصروها عدة أيام، لكن مناعتها حالت دون ذلك، ولما حلّ الربيع وصل إسماعيل شخصيا إلى القلعة وبعث رسالة إلى حاكمها غازي بيك صهر فرخ يسار يطالبه بتسليم نفسه، لكن الأخير رفض طلبه وقام بقتل الرسول، مما دفع إسماعيل لإعلان

---

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٥٩؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برگ١٤١أ؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٤٣.

(٢) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٥٨-٤٥٩؛ محمد جمالى، تشكيل دولت صفوى...، ص١٢٥.

(٣) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٦٣؛ غلام سرور، بيشين، ص٤٧.

الهجوم العام، وبعد ثلاثة أيام تمكن من دخولها على جثث مئات المدافعين، ثم أعلن العفو عن السكان، وأمر خلفا بيك بمصادرة خزائن الشروانيين، كما بادر إلى نبش قبر خليل الله شيروان شاه قاتل أبيه حيدر وحوّل عظامه إلى رماد، وأمر بتدمير قصوره وتسويتها بالأرض(١).

انتقل اسماعيل وجيشه بعد ذلك للسيطرة على بقية القلاع وفي مقدمتها قلعة گلستان التي كان يعدها المفتاح الرئيس لتنفيذ مهمته العسكرية هذه فحاصرها طويلا مستخدما المداهنة والحيل الممكنة لاحتلالها، ولما عجز عن ذلك فكّر أهل الاختصاص بطريقة تحفظ ماء وجه مرشدهم الكامل ويحافظوا بها على تماسك جنودهم، فضلا عن تحاشي إعطاء فرصة لألوند ميرزا في تبريز لتجميع قواته والتوجه إليهم وتكرار تجارب جنيد وحيدر السابقة، لذا فكروا، وبعد أن أقنعوا إسماعيل، بإعلان مفاده أن على المرشد أن يدع القلاع ويلبي نداء أهالي تبريز ويخلّصهم من جور ألوند ميرزا(٢).

**٤. معركة شرور للسيطرة على تبريز واتخاذها عاصمة عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م:**

استفاد اسماعيل من الوهن الذي أصاب دولة الآق قوينلو نتيجة الحروب الداخلية بين أمرائها، وما أصاب البلاد من فوضى وانعدام الأمن حينما أضحت ساحة لهذه الحروب(٣)، فحين بدأ ألوند ميرزا يعد العدة لإنقاذ ما تبقى من قلاع الشيروانيين من يد الصفويين، وتوجه بالفعل على رأس جموع كبيرة من الجند نحو تلك الجهات، أرسل أحد أعوان اسماعيل واسمه محمد خليفة قاصدا ينقل له هذه الأخبار، فلقيه في قره باغ وأخبره أن ألوند عسكر في نخچوان القريبة من

---

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٥٨-٤٥٩؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برگ٦٣ب؛حسن بيك روملو، بيشين، ج١١،ص٤٦؛ناشناس مؤلف،عالم آراى شاه اسماعيل ص٣٧.

(٢) يقول أحد الباحثين أن المؤرخين الصفويين لم يقدموا تبريرا لترك القلاع، مستندا في ذلك إلى صاحب "أحسن التواريخ"، فيقول: إن مستشاري إسماعيل أعلنوا بين مريديه أن هاتفا طلب من المرشد الكامل في المنام الانسحاب وانقاذ تبريز، حتى لا يتخيلوا أنه انسحب مجبرا. يقارن: حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٤٧؛ محمد جمالى، تشكيل دولت صفوى...، ص١٢٦-١٢٧.

(٣) جان فوران، بيشين، ص٤٤.

قلعة گلستان التي يحاصرها القزلباش، وأنه أنفذ قوتين إحداهما بقيادة محمد قراچه إلى گنجه لتعبر من قومين أولومي وتعيد شيروان من أيدي الصفويين، وأخرى إلى منطقة گرما رود بقيادة حسن شكر أوغلي ليقود قوة الصدمة الأولى التي تشتبك مع الصفويين(١).

عليه فقد أرسل إسماعيل قوة يقودها قرابيري قاچار للاصطدام بقوة حسن شكر أوغلي وسد الطريق عليها قبل أن تدرك هدفها، فأدت هذه الخطوة البارعة إلى تعويق عمل هذه القوة وتحجيمها وهيمنة الخوف على عناصرها، مما دفع بقائدها إلى الانسحاب والالتحاق بسيده، لكن قره بيري لاحقه وتمكن من القضاء على عدد كبير من أفراد قوته ثم وفق بالعودة إلى معسكر اسماعيل ظافرا، لقد نزلت هذه الأخبار كالصاعقة على بقية القوات البايندرية التي أمر ألوند ميرزا بنشرها، ففضّلت الالتحاق بمعسكر سيدها في نخچوان، وخلق ذلك ارتباكا كبيرا في صفوف الآق قوينلو(٢). وفي ظل هذه الظروف والمعنويات المنهارة التحمت قوة منهم يقودها الأمير عثمان موصللي بكلي بجيش الصفويين، ففرّت القوة وقتل قائدها، وهكذا دبّ الذعر في نفس ألوند ميرزا، فقرر الانسحاب إلى منطقة چغور سعد وعسكر في منطقة شرور منتظرا قدوم غريمه إسماعيل(٣).

وهنا يؤكد مؤلف "تاريخ جهان آرا"، أن ألوند ميرزا لما أحس بتفوق معنويات الجيش الصفوي مال إلى المداهنة والخداع ليتمكن من تلافي الهزيمة الحتمية القادمة وليلجأ لاحقا لطريقة ما تخلصه من إسماعيل، فأرسل إليه يحضّه على حفظ السلام وصلة القربى وأنه لا ينوي معاداته ويدعوه إلى معسكره ليشربا نخب الصلح(٤)، فأجابه إسماعيل برسالة تنم عن دهاء أكبر، إذ عرض عليه استعداده للتجاوز عن أبناء حسن بيك ونسيان دماء الصفويين إذا ما قبل الدخول في التشيّع وإعلان "الكلمة الطيبة علي ولي الله"، وحينها سيجعل كل الولايات

---

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٦٣؛ حبيب الله شاملوئى، بيشين، ص٥٧٩.

(٢) محمد جمالى، تشكيل دولت صفوى...، ص١٢٩.

(٣) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٦٣.

(٤) أحمد بن محمد قزوينى غفارى (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧-٨م)، تاريخ جهان آرا، تهران، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣-٤م، ص٦٨.

التي يحتلها تسك النقود باسمه وستخطب المساجد أيام الجمع باسمه وسيعامله كأخ أكبر، وإذا ما رفض فميدان المعركة بينهما[1].

يبدو من محتوى الرسالة أن إسماعيل لم يكن يريد إلا أن يجبر عدوّه على خوض الحرب لأن قبوله بهذه الشروط معناه الخضوع لإرادة خصمه سياسيا ودينيا وهو وئام لن يدوم طويلا، فضلا عن أن ذلك سيجرده من تأييد بعض أنصاره، وبهذا قطع اسماعيل الطريق على عدوّه بالفتك به، وبالفعل فقد رفض ألوند هذه الشروط جملة وتفصيلا بجواب يدعو اسماعيل إلى النزال في ساحة الحرب[2]، ولما وصلت الرسالة إلى إسماعيل كان قد أتم التهيؤ للمعركة المنتظرة فسلم القيادة إلى قره بيري قاچار المعروف باسم توز قاپاران بيك[3] والأمير إلياس بيك حلواچي أوغلي قاچار وأمرهم بمهاجمة العدو من القلب فيما ارتكب ألوند ميرزا خطأ لا يغتفر حينما طوق قواته بأحمال الجيش وجماله وبغاله، كما سدّ منافذ الانسحاب عليها بالسلاسل الكبيرة فجعلها طعما سهلا للقزلباش إذ قتل منها في ذلك اليوم فقط أكثر من ثمانية آلاف مقاتل[4].

أسهمت الكثير من العوامل في نجاح الصفويين وكسب هذه المعركة غير المتكافئة، منها ما تقدم من أخطاء ميدانية ارتكبها قادة الآق قوينلو فضلا عن جلوسهم أثناء المعركة في أماكن آمنة يتفرجون على قواتهم وهي تقاتل في وقت كان الشاه إسماعيل يتنقل بين قواته[5] مقاتلا بالسيف والرمح في آن واحد، تشم ميمنة الجيش رائحة عرقه وتختلط لهثات مشاة الميسرة بلهاث جواده، تارة تجده في القلب يضرب يمينا ويسارا فيجندل الأبطال، وتارة يصلح ما تبعثر منها في الميمنة وينفث في رجالة الحميّة والعزم، وتارة يتراجع إلى المؤخرة لينبهها إلى خطر ما، يجول بجواده بين جنوده الذين يتعرفون عليه من صوته الجهوري ونداءاته "يا علي مدد"، فيرفع بذلك معنوياتهم فيقدمون على الموت بهمّة عالية،

---

(١) يراجع للاطلاع على نص الرسالة: ناشناس مؤلف، تاريخ شاه إسماعيل، برگ ٤٠أ-ب؛ ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه اسماعيل، ص٥٨.
(٢) ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه اسماعيل، ص٥٨.
(٣) تعني توزقاپاران: الشجاع الذي يخلط ميمنة العدو بميسرته.
(٤) قزوينى غفارى، بيشين، ص٢٦٦.
(٥) محمد جمالى، تشكيل دولت صفوى...، ص١٣١.

هذا إلى جانب ما أكده عدد من المؤرخين أن إسماعيل استخدم البندقية لأول مرة في تاريخ إيران في هذه المعركة[١]، فضلا عن مشاركة أبرز مقاتليه فيها[٢] منهم من قاتل إلى جانب أبيه وربما مع جده جنيد فاكتسبوا خبرة قتالية كبيرة خلال تلك المعارك واكتووا بنار الهزيمة مرات عديدة، لذا فقد كانت المعركة غاية في الدقة تخطيطا وتنفيذا ونتائجا إذ تمكن اسماعيل من إلحاق هزيمة منكرة بألوند ميرزا على الرغم من تفوقه بالعدة والعدد واشتراك أفضل ما لدى الآق قوينلو من قوات، فهرب إلى ديار بكر ليموت بعد سنة من هذا التاريخ ويتمكن إسماعيل من دخول تبريز ظافرا بلا مقاومة[٣].

حينما وصل إسماعيل إلى حكم تبريز كانت الدولة البايندرية مسرحا للاقتتال والصراع والتفتت وكانت مقسمة إلى دويلات عديدة، فكان مراد بيك بايندري يحكم في يزد، والسلطان مراد في عراق العجم، ورئيس محمد كره في لرستان وأبرقو، وحسين كياي چلاوى في سمنان وخوار وفيروز كوه، وباريك بيك برناك في العراق العربي، وكل من كاظم بيك بن جهانكير بن علي بيك وقاسم بيك بن جهان كير (شقيق أوزون حسن) في ديار بكر، وكل من قاضي محمد وجلال الدين مسعود في كاشان، ومولانا بديع الزمان التيموري في بلخ، وأبو الفتح بايندري في كرمان، وفي كردستان كان يحكم الأمراء الكرد، والمشعشعون في الأحواز، والسادة المرعشية في مازندران، وآل كيا في گيلان، أما المناطق الشرقية فكانت تحت سلطة حسين بايقرا الذي ورث الإمبراطورية التيمورية، لكن دولته كانت تسير نحو الزوال وتعاني الانقسام والضعف نتيجة هجمات الأوزبك[٤]، والأمير ذو النون في قندهار، فضلا عن الشاه اسماعيل في تبريز، وقد أعلن جميع هؤلاء استقلالهم التام[٥].

---

(١) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ٧٢أ؛ قزويني، بيشين، ص٢٤٢؛ أحمد قمى، بيشين، ج١، ص١٢١.

(٢) تراجع بعض أسمائهم في: محمد جمالى، تشكيل دولت صفوى...، ص١٣١.

(٣) عبد الله رازي، بيشين، ص٣٨٠.

(٤) نظام الدين مجير شيباني، بيشين، ص٩٨؛ سيد محمد علي حسيني زاده، علما ومشروعيت دولت صفوى، تهران، ١٣٧٩ش/٢٠٠١م، ص٣٢.

(٥) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٨٧؛ اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٥٢.

**ثانيا. تنظيم الدولة الصفويّة، وصراع القزلباش مع الأرستقراطية الفارسية:**

مثّلت ضخامة الهضبة الإيرانية مشكلة كبيرة للشاه إسماعيل لعدم تمكنه من تهيئة الكوادر اللازمة لإدارة الدولة الفتية لأنه ورث نظاما إداريا معقدا ينتمي في الغالب إلى بداية القرون الوسطى هو نظام الديوان الذي يشبه ذلك الذي كان معمولا به في أيام الدولة الإسلامية(١)، وورث عن آبائه بعض التنظيمات الصوفية التي دخلت في تنظيم دولته لاسيما ما يتعلق بتسلسل المتصوفة ومراتبهم وواجباتهم، كما حاول استلهام التنظيمات الإدارية والسياسية لدولة الآق قوينلو التي خرجت دولته من رحمها، وهكذا تكوّنت الدولة الصفويّة مستندة على المذهب والسياسة والجيش والإدارة(٢).

وعلى الرغم من صعوبة تتبع مناصب الدولة الصفويّة من خلال المصادر الأولية المتوفرة بسبب عدم دقتها في توصيف هذه المناصب(٣)، لكن باحثين إيرانيين وأجانب بذلوا جهدا محمودا في تحليل هذه المعلومات وتصويبها(٤)، لذا يتضح أن فكرة الدولة في أيام الشاه إسماعيل ظلت تدور حول شخص الشاه بوصفه "المرشد الكامل"(٥) أو شيخ الطريقة، فهو في نظر أتباعه الأعلم

---

(١) يراجع للاطلاع على هذا النظام: آدم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، الجزء الأول، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٤٧م، ص٩٨-١١٢.

(٢) عباس إسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص٤٥.

(٣) لا يفرق صاحب أحسن التواريخ مثلا بين منصبي "نائب الشاه" و "أمير الأمراء"، وكذلك حال غيره. يراجع: حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٣٠٧.

(٤) نذكر هنا مثلا جهود كل من الفرنسي، راجر سيورى في كتابيه: "تحقيقاتي در تاريخ ايران عصر صفوى"، و "ايران عصر صفوى"، والإيراني محمد كريم يوسف جمالى في كتابه "تشكيل دولت صفوى. وتعميم مذهب تشيع دوازده امامي به عنوان تنها مذهب رسمى".

(٥) ظلت هذه التسمية تطلق على شاهات إيران حتى أيام الشاه عباس الكبير (١٥٨٧-١٦٢٩م)، على الرغم من تحول الزعامة الدينية من الشاه الى الفقهاء. فيصف الشاعر محمد علي صائب تبريزي (ت١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م) أحد الشاهات بأنه "الصوفي والدرويش والمرشد الكامل"، ويصفه بأن "باطنه درويش وظاهره ملك، لو نظرت إليه لوجدت لبوس الدراويش تحت ثيابه"، وفي بيت آخر يقول "أنت المرشد الكامل. إفرش السجادة كي تسهم في ظهور صاحب الأمر المستور". ابو القاسم طاهرى، تاريخ سياسى واجتماعى ايران. از مرگ تيمور تا مرگ شاه=

والأصوب رأيا والأقرب إلى الله ورسوله والأئمة المعصومين، بل أنه نائب الإمام المهدي في غيبته لذا فله حق القيادة، وطالما كان القزلباش مؤمنين بسلطته إيمانا مطلقا تسابقوا في إبداء الوفاء له والإخلاص لشخصه، فالجميع عبيد الشاه وأرواحهم وأملاكهم وأولادهم ملك له، وبالنظر للصفة العسكرية للدولة[1] كان الشاه هو القائد العسكري الأعلى، وبناء على ذلك صارت "قدرات الشاه الصفوي أعلى بكثير من قدرات ملوك الدنيا الآخرين" كما يقول أحد التجار الفرنسيين الذين زاروا إيران حينذاك[2].

لكن قيادة دولة بهذا الحجم لم يكن أمرا هيّنا بكل المقاييس لاسيما وقد رافقت مرحلة تأسيس الدولة الصفويّة قدوم مجاميع كبيرة من العناصر البدوية من الأناضول والشام والعراق وغيرها وهي تحمل نزعات ثورية جامحة، لذا من الطبيعي أن تكون أول مشكلة تواجه إسماعيل بعد أن تمكن من الانتصار على أعدائه ومخالفيه، تحويل المجهود الحربي والمد الثوري القائم على الفوضى والتخريب لدى أتباعه نحو التنظيم والتنمية الاجتماعية والاقتصادية وإعادة بناء البلاد، واستبدال المشروعية الثورية بسيادة العدل والنظام، ومما يزيد من صعوبة الأمر أن عددا من عناصر القزلباش سيجدوا أن مصالحهم تكمن في استمرار الفوضى والأجواء الانقلابية، ومن شأن الاستقرار والنظام كشف عجز هذه العناصر عن مواكبة الدولة المنظمة، وفي غياب الحزم والحكمة من شأن عهود الانفلات والاحتراب أن تستمر وستحول هذه العناصر الثورية وجهة سلاحها من أعداء الدولة إلي صدور رفاقهم، وتتحقق مقولة: "أن الثورة تأكل رؤوس رجالها" لولا وجود شخصية الشاه القوية[3]. فقد وصف المؤرخ البريطاني المعروف

---

=عباس، تهران، ١٣٨٠ش/ ٢٠٠٢م، ص١٦٦؛ رسول جعفريان، صفويه در عرصه دين فرهنگ وسياست، قم، ١٣٧٩ش/٢٠٠١م، جلد اول، ص٤٩٠.

(١) كان كل أصحاب المناصب العليا للدولة الصفويّة هم من حملة الرتب العسكرية.

Fadlullah b. Ruzbihan, OP. Cit., P. 188.

(٢) نقل از: سيورى، ايران عصر صفوى، ص٣٢.

(٣) هذه الأفكار مستوحاة من كتابات الزعيم الروسي تروتسكي:

Leon Trotsky, The History of the Russian Revolution, London, 1967, Vol. I, P.212.

السير جون مالكولم هذا الواقع بقوله:

**"لولا الخوف من الشاه لاستحال الشعب الإيراني تحت سيطرة مجموعة مستبدين يذيقونه مرّ المصائب"[١].**

لذا حاول الشاه التخلص من هذا الجموح والاندفاع واستيعابهما عن طريقين، أولهما توجيه حملات حربية إلى الأقاليم المجاورة لتحقيق برنامجه بالسيطرة على المجال الحيوي لإيران، والثاني إجبار عناصر القزلباش وقياداتها على الانخراط في التشكيلات الإدارية لدولته[٢]، باذلا قصارى جهده من أجل حفظ التوازن بين هذين العنصرين، إذ استندت الدولة الصفويّة بالأساس إلى عنصرين سكانيين هما القبائل التركمانية والتاجيك الفرس، إلى جانب عناصر أخرى أقل أهمية، وكلا القزلباش والتاجيك يعتقدان أنهما الأولى بقيادة الدولة وشغل مناصبها المهمة، فالقزلباش الذين صبغوا الدولة بلونها العسكري بداية نشوئها[٣]، تصوروا أن هذه الدولة ما كانت لتقوم لها قائمة وما كان لإيران أن تدخل رقما صعبا في ساحة السياسة الدولية، لولا سيوفهم وحرابهم ودماؤهم، بل أن أحد الباحثين يقول، وبناء على ما تقدم:

**"أننا لا نجانب الحقيقة إذا ما سمينا الدولة الصفويّة دولة القزلباش، أو سمينا الشاه إسماعيل شاه القزلباش"[٤].**

لذا كان من الطبيعي أن يتصور القزلباش وغيرهم أن البلاد أصبحت ملكا لهم، فطالبوا الشاه بعد وصوله إلى الحكم بالحظوة والمناصب، وبالفعل فقد أنيط بهم منصب نائب الشاه الذي كانت له السلطة المطلقة في الدولة بعد شخص الشاه، فحينما استحدث منصب "وكيل نفس نفيس همايون" ليتولاه أحد رجاله الملمين بالأمور الشرعية والدينية كان من الطبيعي في ظروف قوة القزلباش أن يوكله إلى أحدهم وهو حسين بيك لله شاملو خان[٥]، لكنه بالمقابل ولردم الهوّة

---

**(1) Malcolm, Op. Cit., Vol. I, P. 481.**

**(٢) سيورى، ايران عصر صفوى، ص٣٠.**

**(3) Fadlullah b. Ruzbihan, OP. Cit., P. 188.**

**(٤) سيورى، ايران عصر صفوى، ص٣٢.**

**(٥) رسول جعفريان، صفويه در عرصه...، ج١، ص١٩٦.**

النفسية بين القزلباش والتاجيك الذين يعتقدون أنهم أصحاب حضارة تضمنت أبدع أنواع الفنون والآداب والثقافة والصناعات الجميلة وهم بذلك مؤهلون أكثر من القزلباش لتولي وظائف الدولة فأعطاهم منصب الوزارة أو "اعتماد الدولة" الذي كان يتولى إدارة الدواوين على أساس أن الوزير هو أعلى سلطة إدارية في البلاد، وقد تولاه ميرزا حسين شاه، كما تولى القزلباش منصبين مهمين آخرين هما "قورچي باشي"، وهو المسؤول عن حماية الشاه الشخصية، وأمير الأمراء أو "بيگلر بيگي" الذي يعد القائد العام للقوات المسلحة للقزلباش(١).

وبعد أن رأى الشاه إسماعيل أن موقف التاجيك بدأ يتعزز طوال السنوات الثلاث الأولى من حكمه، فكر في استبدال نائبه حسين بيك لله شاملو بآخر تاجيكي هو الأمير نجم الأول(٢)، وقد برر البلاط هذا التغيير بعجز حسين بيك عن تحقيق الانتصار خلال حملته على اليزيديين في كردستان في الأشهر الأولى سنة٩١٣هـ/ ١٥٠٧م وتسببه في مقتل ثلاثمئة قزلباشي(٣)، لكن أحد المؤرخين يستبعد هذا التبرير، ويقول أن الشاه أرسله في العام التالي للسيطرة على بغداد وأن لإقالته دلائل سياسية لأن الشاه كان يخشى من تزايد نفوذ القزلباش، فكان يريد الحد من نفوذهم لصالح التاجيك وإيجاد موازنة جديدة بينهما في المناصب العليا للدولة(٤)، ويبدو أن تدهور الوضع الاقتصادي في عهد حسين بيك لله شاملو هو السبب وراء إقالته، إذ لم يتمكن من مواجهة وباء انتشر في تبريز صيف سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م وأجبر السكان على ترك المدينة بعد أن حصد أرواحا كثيرة واستمرت نتائجه الاقتصادية الكارثية على البلاد لاسيما بعد انتشاره في مدن إيرانية أخرى وأدى إلى فرار التجار من تلك المدن وشيوع المجاعة والقحط،

---

(١) خاندان نصيرى (القرن ١٢هـ/١٨م)، القاب ومواجب دوره‌ء صفويّة (منسوب)، تصحيح: يوسف رحيم لو، مشهد، ١٣٧١ش/ ١٩٩٣م،، ص٩٧.

(٢) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٣٠٣.

(٣) محمد كريم يوسف جمالى، زندگانى شاه اسماعيل اول، قم، ١٣٧٦ش/ ١٩٩٨م، ص١٥٧؛ عبد الرضا هوشنگ مهدوى، تاريخ روابط خارجى ايران. از ابتداى دوران صفويه تا پايان جنگ دوم جهانى ١٥٠٠-١٩٤٥، تهران، ١٣٨٣ش/٢٠٠٥م، ص١٢.

(٤) سيورى، ايران عصر صفوى، ص٣٥.

فمن لم يمت من الوباء مات من الجوع، على حد قول أحد المؤرخين[1].

وهكذا ومنذ العام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م بدأت العناصر الفارسية تتوسع في تولي شؤون الدولة المالية والإدارية في البلاط الصفوي، مع أن المناصب العسكرية ظلت حكرا على القزلباش الذين كانوا يرفضون العمل بإمرة القيادات التاجيكية، مثلما كان تولي زعيم قزلباشي القيادة في منطقة فارسية تعني للتاجيك هيمنة عناصر التركمان على المنطقة وأنه سيلحق الأذى بالسكان، لذا كان من الطبيعي أن يتلافى الشاه إسماعيل خصومة كبيرة بين هؤلاء التاجيك والقزلباش[2].

تصاعدت أصوات الاحتجاج والسلوك المناهض لهذه السياسة من القزلباش على تعيين الأمير نجم نائبا له، لكن الشاه واجه هذه الاحتجاجات بقوة ولم يتردد مثلا بقتل القاضي محمد الكاشي الذي كان يجمع بين الصدارة والإمارة حينما علم بارتكابه بعض الأعمال القبيحة ومخالفته توجيهات الأمير نجم[3]، كما لم يتردد في تعيين تاجيكي آخر مكانه عندما توفي بعد عامين من توليه المنصب (٩١٥هـ/ ١٥٠٩-١٠م)، وهو يار أحمد خوزاني الأصفهاني، بل لقبه بالأمير نجم الثاني[4] وأمر الوزراء والأمراء وأركان الدولة أن يأتمروا برأيه[5].

لكن الفرمان الشاهنشاهي لم يتضمن حينها لقب نائب، بل صار بدله مصطلح "وكيل السلطنة"، وهنا يقول البروفسور مينورسكي، إن هذا الاستبدال يدل على تحول الدولة التدريجي من الطور الديني العقائدي إلى الطور السياسي التنظيمي[6]، ليواصل القزلباش بالمقابل انزعاجهم من هذا الإجراء دون أن يكونوا على استعداد للمجاهرة برأيهم أمام الشاه، لكنهم كانوا يعبرون عنه بأساليب أخرى، فقد امتنعوا مثلا عن القتال تحت راية الأمير نجم الثاني[7] مما

---

**(1) Jean Aubin, L' Avenetment des Safavids, Moyen Orient et Ocean Indian, Vol. V, Paris, 1988, P. 70.**

**(٢) رحيم زاده صفوى، بيشين، ص٢٨١.**

**(٣) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٩.**

**(٤) محمد جمالى، زندگانى شاه اسماعيل...، ص١٨١.**

**(٥) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٠١.**

**(٦) نقل از: سيورى، تحقيقاتى...، ص١١٦.**

**(٧) غياث الدين خواندمير،بيشين، ج٤،ص٥٠١ـ٥٠٢؛ناشناس مؤلف،عالم آراى شاه اسماعيل، ص٣١٥.**

أدى إلى وقوعه أسيرا بيد عبيد الله خان الأوزبك في ما وراء النهر سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م[١]، مما دفع الشاه إلى جلب دده بيك طالش أول زعماء القزلباش الفارين من المعركة فعزّره أمام الملأ وحلق رأسه وألبسه ملابس النساء وأركبه حمارا وطاف به أزقة المدينة[٢]. وربما كان في عداد القتلى لو لم يكن من "أهل الاختصاص"، فعاد الشاه بعد مدة وأكرمه وأغدق عليه بالنعم[٣]. وبعد مقتل الأمير نجم الثاني أحلّ الشاه تاجيكي آخر محله هو الأمير نظام الدين عبد الباقي الذي لم يمر على تعيينه بمنصب الصدر سوى أشهر (٩١٧هـ/ ١٥١٢م)[٤] بغية مواصلة سياسة التوازن الاثني في الدولة.

والمنصب الثاني في الأهمية بعد النائب أو الوكيل هو "أمير الأمراء" أو "بيگلر بيگي"، ويطلق هذا اللقب على القائد العام للقوات المسلحة للقزلباش بوصفهم ركيزة القوات الصفويّة، كما أن لصاحب هذا المنصب العسكري نفوذ وسطوة على أمور الدولة الإدارية والسياسية، ولا يجد المتتبع إشارة في المصادر إلى أول من تولى هذا المنصب، لكنها تتفق على أن حسين بيك لله شاملو عزل عن هذا المنصب عام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩-١٠م[٥]، وينفرد أحد المصادر حينما يتحدث عن أحداث سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١-٢م، بالقول، إن الشاه نصّب حسين بيك لله شاملو بمنصب "أمير الأمراء"[٦] فخلعه بعد مدة من الزمن، وقلد بدله شخصا مغمورا هو محمد بيك استاجلو الذي كان يشغل منصب "السفره چي" في بلاط الشاه فرفعه إلى درجة سلطان وصار يلقب بـ"چايا سلطان"[٧]، واستمر في هذا المنصب من عام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م حتى وفاته سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢-٣م، ليحل

---

(١) رحيم زاده صفوى، بيشين، ص٢٨٣-٢٨٧.

(٢) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥١٩؛ ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه اسماعيل، ص٤٢٠.

(٣) ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه إسماعيل، ص٤٠.

(٤) سيورى، تحقيقاتى...، ص١١٦؛ محمد جمالى، زندگانى شاه اسماعيل...، ص٢٠١.

(٥) يراجع على سبيل المثال: همان منبع، ج١١، ص٢٩٨؛ شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٥.

(٦) خوارشاه بن قباذ الحسيني، تاريخ إيلجي نظام شاه. نقل از: سيورى، تحقيقاتى...، ص١٢١.

(٧) يطلق على زعماء القزلباش ثلاثة ألقاب هي: بيك، سلطان، خان، وقد جمعها چايا سلطان.

محله في المنصب ابنه بايزيد سلطان الذي لم يلبث أن مات بعد عام من استلامه المنصب[1]، ويسجل الباحث الفرنسي سيوري أن چايا سلطان لم يكن له نـشاط متميز في البلاط على الرغم من طول المدة التي احتفظ فيها بالمنصب[2].

أما "قورچي باشي" فهو المسؤول عن حماية الشاه الشخصية ويرأس جماعة الحرس "القورچية" المكونين من مجموعة من خيالة القبائل التركمانيـة، وبهـذا فالقورچية ملازمة للقزلباش[3]، والقورچي كلمة أذرية تعني الحارس أو الحامي وبهذا فهي قريبة من كلمة "قرقچى" الفارسية، لكن صاحب "تذكرة الملوك" يقول، إن الكلمة تعني في الأصل "رامي النبال"[4]، ويتسلح القورچية بالرماح الطويلـة والأقواس ويتصفون بطول القامة والشجاعة حد التهور، وربما يكلف القـورچي باشي بمسؤولية التنظيمات القبلية التركمانية وتنسيقها وحفظ أسـلحة الجيـوش وتخزينها ونقلها إلى ساحات الحرب، وقد تقلده أولا أبدال بيك دده ذو القدر ثـم عيّن الشاه سارو پيره استاجلو الذي قتل في جالديران[5].

ولكي يمنع الشاه تسلط بطانته ومسؤولي دولته على الرعية ويحفظ حقـوق الناس من تعدي عمال الدولة ووزرائها لاسيما في الشؤون المالية، حاول إحيـاء منصب "الكلانتر" الموجود منذ أيام الإيلخانيين، ففي أمر شاهنشاهي صدر سـنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م إلى مسؤولي وكلانتر منطقة چغور سعد يتضمن عفـوا عـن مواطن أرمني من بعض الرسوم[6]، ويتلخص واجب الكلانتر في التنسيق بـين العامة والشاه في مسائل تخص منافع الناس وحقوقهم المالية، وهو محاسب ليس أمام الشاه فحسب بل أمام الناس أيضا إذا ما تبين تقصيره، على أن العامة كانت

---

**(١) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص١٨١؛ شرف خـان البدليـسي، المـصدر الـسابق، ج٢، ص٢٤٩.**

**(٢) روجر سيورى، تحقيقاتى...، ص١٢٢.**

**(3) Golpinarly, "Kizill bash", in: "Encyclopædia of Islam", London, Vol. VI, 1965, PP. 789-795;**

**خاندان نصيرى، بيشين، ص١١-١٣.**

**(4) Fadlullah B. Ruzbihan, Op. Cit., P. 24.**

**(٥) خاندان نصيرى، بيشين، ص٩٧.**

**(٦) نقل از: لمبتون، منصب كلانتر در دوره‌ء صفوى، صفويان (كتاب)، ص٣١٣.**

هي التي تنتخب الكلانتر، وأحيانا يعمل على وفق النظام الـوراثي، فمـثلا تـم اختيار ميرزا اسماعيل بن الصدر مير شريف الشيرازي كلانترا لولاية فـارس عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م وظل المنصب وراثيا في أبنائه لمدة مئتين وثلاثين عاما[١].

وبناءً على الأخبار التي كان يجلبها الكلانتر إلى بلاط الشاه؛ لم يتردد فـي خلع بعض كبار رجال دولته من مناصبهم، فحينما رأى الشاه درجـة الغـرور والاعتداد بالنفس التي يتصف بها بعض زعماء القزلباش بـادر إلـى خلعهـم وتنصيب أشخاص آخرين كانوا يقومون بأعمال متواضعة بدلهم ربما ليذكّرهم أنه مصدر السلطات وهو لا يزال "المرشد الكامل"، فحينما لمس تكبر حسين بيك لله شاملو وغطرسته بادر إلى خلعه من منصب أمير الأمراء وقلد بدله محمد بيـك استاجلو، وهكذا استولى القزلباش على ثلاثة من أكبر خمسة مناصب عليا فـي الدولة، فيما سيطر التاجيك على منصب قاضي القضاة[٢] فضلا عن الـصدارة العظمى.

وعيّن الشاه عددا من زعماء القبائل والتجمعات في مناصب الدولة الأخرى، فعيّن ساري علي بيك تكه لو بمنصب مسؤول أختام الشاه "مهـر دارى" برتبـة أمير واجبه توقيع كل الأوامر والفرامين الصادرة من الشاه يساعده في عمله عدد من الموظفين[٣]، وبعد إحتلال ديار بكر سنة ١٥٠٥م عُيّن الأميـر أميـر بيـك موصللو الذي كان حاكما لديار بكر في هذا المنصب[٤]، واتخذ من عبدي بيـك شاملو بمنصب "تواچي باشي" الذي يشبه منصبه في الأهميـة منـصب رئـيس أركان الجيش، إذ يرتبط بـ"إيشيك آقاسي باشي" مسؤول التشريفات فـي الـبلاط الشاهنشاهي، ويتولى "تواچي باشي" مهمة عسكرية تتعلـق بتحريـك القطعـات العسكرية أو منعها من ذلك وتحديد أماكن التجمع وساحات المعـارك المثاليـة ومراقبة حركة القطعات أثناء المعركة وإخبار قـادة الجـيش بقـرارات الـشاه

---

(١) همان منبع، ص ٣١٠. براجع لمزيد من التفاصيل عن هذا المنصب: خاندان نصيرى، بيـشين، ص١٠، ٢٥، ٢٩، ٥١.

(٢) ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه إسماعيل، ص٣١.

(٣) خاندان نصيرى، بيشين، ص٣٥.

(٤) حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٩٣.

والمعلومات الإستخبارية المتوفرة عن العدو أو ظروف المعركة من خلال مجموعة من الأفراد يستعين بهم في جمع المعلومات وتوجيه القطعات يسمى كل منهم "محصّل"، كما يقوم بتحديد أسماء المقاتلين الذين أبدوا إقداما وبسالة خلال المعارك وتقديمها للشاه[١].

و"خليفة الخلفاء"، أو "خادم بك"[٢]، هو المنصب الآخر الذي ورثته الدولة من الطريقة الصفويّة، وازدادت أهميته في الأيام الأولى للدولة، إذ تتلخص وظيفته في أنه وسيلة الربط بين المرشد الكامل وأتباعه، فكان "الخلفاء" يتولون جمع الأعوان والمريدين والذاكرين والدعوة لدار الإرشاد في سائر البلدان التي يتوزعون فيها، ثم يرتبط هؤلاء بشخص خليفة الخلفاء. وكلما نقص عدد الأتباع ازدادت الضرورة للخلفاء لجمعهم، وكان خليفة الخلفاء ينوب عن الشاه في قيادة القزلباش والصوفية، وكان يجمع الأتباع في "دار الإرشاد"، أو "التوحيد خانة" لممارسة بعض الطقوس الصوفية والمراسيم الدينية الخاصة[٣]، وكان خليفة الخلفاء يحضر حلقات الذكر في ليالي الجمعة في التوحيد خانة فيراقب الأذكار ليختار من بين الذاكرين النشطين خلفاء جددا يثبت أسماءهم في شجرة الخلفاء[٤]، وبعد إحتلاله للعراق سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨-٩م، عيّن نقيب الأشراف في بغداد محمد كمونة[٥] خليفة للخلفاء[٦].

---

**(١) خاندان نصيرى، بيشين، ص٣٣. أصل كلمة "توا" بالتركمانية "صياد"، وهناك منصب مشابه في الجيش التركي وهو "تاوجي Tavica" وهو قائد مجاميع محاربة غير نظامية تسمى الآقية التي تعيش على الغنائم التي تحصل عليها في المعارك. علي خليل أحمد، المصدر السابق، ص٢٩.**

**(٢) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ٨١ ب.**

**(٣) رسول جعفريان، صفويه در عرصه...، ج١، ص٢٤٥-٢٤٩.**

**(٤) خاندان نصيرى، بيشين، ص٣٥.**

**(٥) محمد كمونة: (ق٩٢٠ هـ/ ١٥١٤م) هو محمد بن حسين بن ناصر الدين ابن علي الحسيني، المعروف بكمونة، نقيب بغداد، ورث النقابة عن آبائه. وأصبح أحد أبرز رجال الشاه فولاه الولايات، ومنها النجف، واشترك في معركة جالديران وقتل فيها. عبد الرزاق كمونة الحسيني، موارد الإتحاف في نقباء الأشراف، الجزء الثاني، النجف، ١٩٦٨م، ص٥٥؛ الزركلي، المصدر السابق، ج٦، ص١٠٢؛ العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ص٣١٥و٣٣٩ و٣٤٢ و٣٥٣-٣٥٦و٣٦٤.**

**(٦) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ٨١ب.**

ويعد منصب "الصدر الأعظم" أو "وزير الديوان العالي" من أهم مناصب الدولة[١] والوظيفة الأصلية له في بداية العهد الصفوي إيجاد الوحدة الدينية عن طريق إدارة مسألة الترويج للمذهب الشيعي، وإن التوفيق في إيجاد الوحدة المذهبية عن طريق "قمع البدع والضلالة واجتثاثها"[٢] على أساس أن التصديق والتحول إلى المذهب الشيعي يعادل في نظر المؤسسة السياسية الصفويّة الولاء للدولة، وطالما كانت الصفة العسكرية طاغية على بنية الدولة الوليدة، لذا تلاحظ الصفة العسكرية للصدور أصحاب المناصب الدينية، فكان شمس الدين اللاهيجي الگيلاني[٣] أول من تولى هذا المنصب يشارك في حروب الدولة على الرغم من كبر سنه ووظيفته العقيدية، وكذلك حال القاضي محمد الكاشاني الذي عين بمنصب "الصدر" وقتله الشاه سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩-١٠م بسبب إسرافه في قتل الأبرياء[٤]، كما يلاحظ أن جالديران قضت على اثنين ممن يحملون لقب الصدر الأعظم وهما السيد شريف الدين علي الشيرازي الذي تولى المنصب بعد القاضي الكاشاني والأمير عبد الباقي اليزدي الذي كان يحمل عند مقتله لقبي الصدر والوكيل[٥]، وكان الأمير جمال الدين الاسترابادي (ت٩٣١هـ/ ١٥٢٥م) من بين من ولاه الأمير نجم الثاني منصب الصدر، لكنه لم يستمر في المنصب لخلافه مع الأمير نجم[٦].

(١) يعود هذا المنصب الى عهد تيمور وتطور في عهد ابنه شاه رخ وهو يختلف عن مثيله لدى العثمانيين الذي يتولاه كبير الوزراء، لكنه يشبه إلى حد كبير منصب "شيخ الإسلام" المعروف منذ أواخر القرن الرابع الهجري والأكثر رواجا في الدولة العثمانية ويطلق على الفقيه الأكبر في الدولة ويعينه السلطان، وحينما ظهر المحقق الكركي في حياة الدولة الصفويّة منذ العام ٩١٦هـ/١٥١٠م تسلم هذا المنصب وأصبح له شأن مهم في الدولة. يقارن: آدم متز، المصدر السابق، ج١، ص٢٤١؛ أحمد قمى، بيشين، ج٢، ص٦٤٨؛ سيورى، ايران عصر صفوى، ص٢٧.

(٢) سيورى، تحقيقاتي...، ص١٢٧.

(٣) تولى المنصب بين عامي ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م وعام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣-٤م. ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برگ ٢٩٧أ.

(٤) رحيم زادة صفوى، بيشين، ص٢١٣-٢١٦.

(٥) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٠.

(٦) راجر سيورى، "مناصب عمده دولت صفوى در زمان شاه اسماعيل اول"، صفويان (كتاب)، ص٢٣٥-٢٣٦.

ومن الجدير بالتأكيد هنا أن متولي منصب الصدر أو غيره في الدولة الصفويّة، يستمد قوته إما من تأييد الشاه المباشر له أو من مؤازرة رجال قبيلته أو بطانته وتأييدهم أو من دهائه وحنكته التي يتمكن بواسطتها من تحجيم القوى المضادة له أو كسب تأييدهم، وإذا لم يحض بهذه العناصر فإنه سيلقى الفشل لا محالة، وهو ما واجهه السيد عبد الله الأذربيجاني الذي تم تعيينه في هذا المنصب لكنه لم يتمكن من أداء مهمته بصورة مرضية، فتم عزله بعد مدة قصيرة ليعود جمال الدين الاسترابادي إلى المنصب حتى العام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤-٤م، ويحتفظ به أكثر من إحدى عشرة سنة[١].

اما منصب "الوزير" فهو من المناصب التي على الرغم من استمرار وجودها داخل التنظيمات الصفويّة؛ إلا أنه ظل ضعيفا بسبب وجود مناصب أخرى أكثر أهمية مثل منصب النائب أو الوكيل وهم مسؤولون عن الأمور العسكرية أو السياسية أو الدينية، بمعنى أنه لم يبق مجال ليعمل به، مع هذا فقد فوّض الشاه منذ العام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، الأمير محمد زكريا التبريزي شؤون الديوان والوزارة بعد أن كان وزيرا في بلاط الآق قوينلو لمدة أربعة أعوام[٢]، والتحق بالشاه قبل عام من هذا التاريخ حينما كان يتهيأ لمهاجمة شيروان، وقد سمّاه الشاه "مفتاح أذربيجان"[٣]، لكنه اختار بعد عامين شخصا آخر ليشارك التبريزي منصبه هذا هو محمد خان الديلمي القزويني أحد أشراف قزوين ومن كبار رجال بلاط الآق قوينلو[٤]، ولم يرد ذكر مهم للوزارة والوزراء إلى أن حلّت هزيمة جالديران وقتل الوزيران، لترد عبارة تتضمن تعيين الشاه كل من القاضي الخواجة جهان القزويني والخواجة جلال الدين محمد التبريزي لتولي الوزارة بصورة مشتركة[٥]، وهو أمر يدل على ضعف الوزارة في عهده.

---

(١) حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٩٨-١٩٠؛ محمد جمالى، زندگاني شاه اسماعيل...، ص١٠٨.

(٢) قزوينى غفارى، بيشين، ص٢٨٥.

(٣) خوارشاه قباذ الحسيني، بيشين، ص٤٤٨أ. نقل از: سيورى، تحقيقاتى...، ص١٢٥.

(٤) محمد جمالى، زندگانى شاه اسماعيل...، ص٦٨-٦٩.

(٥) رحيم زاده صفوى، بيشين، ص٢٥٤، ٣٧٤.

وعين الشاه الياس بيك حلواجي أوغلي بمنصب "أوجي باشي" وهو متولى السقاية وأمور المياه خلال الحرب أو وقت السلم(١)، كما عيّن آخرين حكاما للولايات(٢)، فعين محمد خان استاجلو سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦-٧م حاكما لديار بكر بسبب الخبرة التي امتلكها حينما كان حاكما لكرمان القريبة، وظل واحدا من أبرز أعوان إسماعيل وأكثرهم شجاعة ودراية بفنون الحرب والإدارة(٣)، وعيّن كچك بيك ذو القدر المعروف بالأمير الياس ايغوت أوغلي حاكما لفارس لكنه أعدم بعد عام بسبب جوره وظلمه، فيما أمر أن يستمر أولاده في حكمها فحكموها مدة خمسين سنة(٤)، وعيّن أبدال بيك ذي القدر حاكما على الري، وغيرهم(٥).

لم يتردد الشاه في الإفادة من خبرة رجال الدول السابقة، فأبقى على حكّام المناطق الذين دخلوا في طاعته في مناصبهم السابقة مثل محمد حسين ميرزا بن السلطان حسين بايقرا التيموري حاكم خراسان ونظام الدين عبد الكريم وآقا رستم حاكمي مازندران وكار كيا ميرزا علي حاكم لاهيجان والأمير إسحق حاكم رشت، أما محمد كره حاكم أبرقو(٦) فإنه بادر إلى إرسال كمية من الهدايا والنفائس إلى الشاه إسماعيل فقبلها منه وأبقاه في منصبه(٧)، كما أفاد من حنكة الخواجة كمال الدين محمد الساغرجي والمير غياث الدين منصور الدشتكي(٨) الوزيرين في بلاط الأمراء التيموريين وحزمهما بعد أن دانوا له بالطاعة(٩)، وأبقى على معظم نقباء الأشراف في البلاد مثل خلفاء نعمة ولي في يزد

---

(١) لعل الاسم مأخوذ من أصل كلمة "آو" وهي الماء باللغة الفارسية.

(٢) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه إسماعيل، برگ ٧٩ب؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٦٣.

(٣) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ١٢٩ب.

(٤) سيورى، تحقيقاتي....، ص١٦٣.

(٥) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٧٥؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برگ ٢٩٩أ.

(٦) بدأ هذا حياته موظفا بسيطا عند الأمراء البايندرية، فتدرج في المناصب لإقدامه وشجاعته.

(٧) ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برگ٧٧ب؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٤٠.

(٨) كان الصدر الأعظم للشاه حسين بن بايقرا التيموري، فتسلم شؤون الأوقاف، وكان "يأتي في الدرجة الثانية بعد الشيخ الكركي". التستري، المصدر السابق، ص٣٤٠.

(٩) نظام الدين مجير شيباني، بيشين، ص١٣٣-١٣٤.

والسيدين غياث الدين محمد مير ميران وشاه تقي محمد في أصفهان[1].

كانت تقوية الولايات وتثبيت قواعدها في مقدمة المهمات التي وجد الشاه إسماعيل نفسه ملزما بالقيام بها على جانب منحها الاستقلالية الكافية التي تؤهلها لمواجهة التحديات الخارجية دون انتظار مساعدة المركز فضلا عن دمج القزلباش والتاجيك في بوتقة واحدة، ذلك على الرغم من أن التداخل بين وظائف الدولة كان واضحا في بداية تأسيسها؛ فكانت القيادات العسكرية تتدخل في شؤون الإدارة والقضاء[2]، لكنه وجد أن الأساليب والنظم الإدارية في إيران لم تكن واضحة المعالم وأصابها التشويه والتردي، ولمسايرة الوضع الجديد لم يتردد في حكم البلاد مركزيا في المرحلة الأولى بالنظر لاتساع رقعة الدولة وتوسعها خلال مرحلة قصيرة منه، لكن بعدما ترسخت أركان دولته اتبع اللامركزية سياسة في حكم أقاليمها وإدارتها[3]، فضلا عن قيامه بإدخال مجموعة تغييرات، لذا اتبع سياسة استنساخ المركز في الولايات.

ففي الولاية هناك إلى جانب الحاكم: وكيل حاكم الولاية، ووزير أو أكثر، وأمير أمراء، وقورچي باشي، وصدر الولاية، ويتولى حكام الولايات تعيين هؤلاء وإقالتهم ولا يحق لنظرائهم في المركز التدخل في شؤونهم، بل هم مسؤولون أمام حاكم الولاية المسؤول أمام الشاه أو الوكيل، وتقتصر علاقتهم بنظرائهم في المركز وبقية الولايات على التنسيق فيما بينهم، وربما يتمكن وزراء أو صدور الولايات أو غير ذلك من تولي المنصب المركزي إذا ما تحول سيده حاكم الولاية إلى منصب مركزي، وهو ما حصل لميرزا شاه حسين الأصفهاني الذي كان وزيرا لدورميش خان في أصفهان[4]، كما يلاحظ أن السلم الإداري لبعض الولايات يتضمن منصب الوزارة العامة، وهو يشرف على

---

**(١) عباس إسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص٤٥.**

**(٢) سيورى، ايران عصر صفوى، ص٣١.**

**(٣) نظام الدين مجير شيباني، بيشين، ص٢١٦-٢١٧.**

**(٤) يراجع مبحث مهم عن المناصب الخاصة بإدارة الولايات في: راجر م. سيورى، تحقيقاتي در تاريخ ايران عصر صفوى (مجموعهء مقالات)، ترجمه: عباسقلى غفارى فرد ومحمد باقر آرام، تهران، ١٣٨٢ش/ ٢٠٠٤م، ص١٦١-١٨٩.**

وزراء أقل شأنا في ولايات تتبع لهذه الولاية المركزية، فولايات هراة ومشهد وغيرها التي كان يديرها الحاكم العام لخراسان، يتبع وزراؤها الوزير العام لخراسان[1].

يتبين مما تقدم الطبيعة المعقدة لنظام الدولة الصفويّة في مرحلة التأسيس التي اتصفت بعدم الاستقرار والتغييرات المتواصلة بهدف إيجاد نظام إداري تجريبي من شأنه أن يوفق بين الصوفية والسكان الأصليين وسعي دؤوب للسيطرة على المشاكل الناتجة عن التداخل بين رموز الدولة وصلاحياتهم، ويلاحظ الجهود التي بذلها الشاه للحيلولة دون قيام صدام بين مكوّنات الدولة الأساسية من التاجيك والتركمان، كما يلاحظ انحسار الطبيعة الدينية للدولة كلما تقدمت إلى الأمام لصالح الطبيعة السياسية لها، من خلال إهمال مضطّرد للتسميات العقيدية للمناصب، فبدأ إهمال مصطلح "وكيل نفس نفيس همايون" الذي كان يمثل قدرات الشاه المذهبية والإدارية والعسكرية لصالح مصطلح "الوكيل" الذي انحسر نفوذه المذهبي وزادت مهامه الإدارية، والتركيز أيضا على منصب "الوزير" على حساب "الصدر"، وهكذا، وربما يفسر ذلك ما يتلمس من تداخل في أسماء المناصب داخل مصادر التاريخ سواء الأولية أو الثانوية، فيتداخل عمل الوكيل بالصدر، والوزير بغيره، إذ لاحظ الباحث صعوبة في متابعة متولي المناصب ليس في الولايات فحسب بل في مركز الدولة[2].

### ثالثا. النشاط العسكري الصفوي حتى العام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م:

احتاج الشاه إسماعيل بعد جلوسه على عرشه عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م إلى عشر سنوات ليكمل إحتلال بقية مناطق إيران والعراق، فبعد تمكنه من تقويض سلطة الآق قوينلو، سيطر على أواسط إيران وجنوبها وسيطر على مازندران وگرگان ويزد والمناطق المحاذية لبحر الخزر في الجنوب الشرقي، وفي العام ٩١٠هـ/

---

(١) يراجع استنتاج الباحث الامريكي Martin Dickson هذا في: سيورى، تحقيقاتى...، ص١٨٠.

(٢) يراجع للإطلاع على مناصب الدولة: الملحق رقم (٧).

١٥٠٤م عمّ الهدوء الحدود الشمالية الغربية بعد إلحاق ديار بكر بإيران فضلا عن ضم خراسان، كما أعاد ما وراء النهر من قبضة الأوزبك الذين سيطروا عليها قبل ثلاثة أعوام إلى قبضته.

**١. ضم ديار بكر بين عامي ٩١١هـ/١٥٠٥م و٩١٣هـ/ ١٥٠٧م:**

هاجم الشاه اسماعيل دولة ذي القدر عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، ويذكر كمال باشا زاده أن سبب هذه الحملة، توبيخ علاء الدولة لسفير الشاه أوغلان أمت استاجلو الذي أرسله له وحبسه في بحيرة كوزگول[١]، وامتناع علاء الدولة ذي القدر (ق٩٢١هـ/ ١٥١٥م) عن تزويج ابنته بنلو خاتون من اسماعيل[٢]، فيما يعلله آخر بمنع الزوار من زيارة أردبيل[٣]، ويبدو أنها أسباب غير مقنعة أو غير كافية، لذا ينبغي البحث عن أسباب أخرى.

فالواقع أن علاء الدولة كان يبتغي السيطرة على قسم من مناطق جنوب شرق الأناضول، لهذا حينما مات ألوند بيك[٤] أرسل زينل بن أوغرلو محمد آق قوينلو عام٩١١هـ/ ١٥٠٥م برفقة أحمد بيك وشاه رخ بيك أبناء عبد الرزاق إلى ديار بكر لاحتلال بعض ولاياته ومنها آمد[٥]، لكن هذا لم يدم طويلا إذ خرج عليه أمير بيك موصللو أمير أمراء ألوند بيك فأجبر زينل وأمراء ذي القدر على الفرار، لكن علاء الدولة حاول الضغط على أمير بيك موصللو لقبول الخضوع له، ففضّل الأخير الانضمام إلى الصفويين بإعلان الطاعة للشاه إسماعيل وطلب المساعدة منه[٦]، عليه قام الشاه إسماعيل بمهاجمة إمارة ذي القدر، وهو سبب

---

(١) شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا زاده (ت٩٤٠هـ/١٥٣٣-٤م)، تاريخ آل عثمان، استانبول، ١٣٤١هـ/١٩٢٢-٣م، ص١٩٨.

(٢) كمال باشا زاده، بيشين، ص١٩٨.

(٣) ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برك ١٢٣ب-١٢٤ب.

(٤) هناك من يعتقد أن ألوند قتل في إحدى المعارك مع إسماعيل. نظمي زادة، المصدر السابق، ص١٨٣-١٨٤.

(٥) ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برك ١٢٩أ.

(٦) رحيم زاده صفوى، بيشين، ص١٨٤.

يبدو حقيقيا ومنطقيا هذا إلى جانب ما سبق من أسباب لاسيما منعه المهاجرين من القدوم إلى أردبيل(١).

وبعد هزيمة السلطان مراد بيك حاكم عراق العرب وفارس وكرمان في العام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م أمام الشاه إسماعيل في أولمه قولاغي قرب همدان، تمكن من الإفلات من الردى والفرار إلى شيراز ثم انتهى به المطاف في إمارة ألبستان، وحينما توجه الشاه إسماعيل إلى خوي ليقضي ربيع العام ٩١٣هـ/ ١٥٠٨م ويحتفل بعيد النوروز هناك؛ تناهت إلى سمعه أخبار وصول مراد بيك إلى علاء الدولة فأحس ببوادر تحالف جديد بينهما، لذا قرر التوجه إليهما لضرب هذا التحالف في مهده(٢).

اختار الشاه إسماعيل منطقة أرضروم و أرزنجان منطلقا لغزو ذي القدر، فقام الأمير أحمد بن بايزيد الثاني والي أماسية بإخبار والده عن دخول إسماعيل إلى أراضي أرضروم، لكن اسماعيل طلب من هناك من السلطان بايزيد السماح بعبور المنطقة فوافق شرط عدم إلحاق الضرر بالمنشآت أو الأفراد العثمانيين(٣)، وفي الوقت نفسه وجه علاء الدولة مبعوثيه طلبا لعون العثمانيين والمماليك على السواء، بعد أن أرسل متعلقاته وكنوزه إليهما، وسلم ما بحوزته من قلاع إلى رجاله المخلصين والتجأ إلى قلعة ألبستان ومنها إلى جبل درنا العصي ليتحصن فيه، وبعد معركة عنيفة دارت لثلاثة أيام متواصلة؛ تمكنت جيوش القزلباش من السيطرة على كل مكان في الإمارة فاضطرت جيوش ذي القدر إلى الانسحاب من المدن(٤)، وهنا أمر الشاه إسماعيل مرة أخرى بحرق مخازن الحبوب والغنائم التي حصل عليها الجيش الصفوي(٥).

---

**(1) Lambton, Landlord and Peasant in Persia, P. 107.**

**(٢) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٧٦.**

**(٣) تراجع نصوص الرسائل في: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٥٦، ٣٥٨؛ عبد الحسين نوائى (گردآورنده)، "شاه اسماعيل صفوى. مجموعه اسناد ومكاتبات تاريخى همراه با يادد اشتهاى تفصيلي"، تهران، ١٣٤٧ش/ ١٩٦٩م، ص٥٥-٥٨، ٦١.**

**(٤) سومر، بيشين، ص٣٩.**

**(٥) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٧٧؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٩٣-٩٤.**

وبحلول الشتاء اضطر الشاه إسماعيل إلى ترك المنطقة، لكنه وفي طريق عودته عرج على مدينة خرپوت وإحتلها، حينها حضر بين يديه الأمير أمير بيك موصللو حاكم ديار بكر مع مجموعة من أعيان قبيلته ورجالاتها فاستقبلهم بكل حفاوة وأوكل إليه منصب "مهر دارى" أو (حامل أختام الشاه)(1). وكان أمير بيك موصللو من كبار أعيان الدولة البايندرية، وكان أبوه من أكبر وزراء السلطان يعقوب بن أوزون حسن، لذا ومع التحاقه بالشاه التحق معه كل أفراد قبيلته(2)، كما أضحت ديار بكر جزءا من الدولة الصفويّة.

كان من بين أهم الإجراءات التي اتخذها الشاه قبل أن يعود لقضاء الشتاء في خوي، تنصيب الخان محمد بيك استاجلو حاكما لديار بكر(3)، وكان قراره بعيد النظر ومهما للغاية، إذ تمكن هذا الحاكم بعد مدة وجيزة من إلحاق الهزيمة بمجموعات كردية رفضت الخضوع له وأرسلهم أسرى إلى تبريز، وأعلن شرف الدين بيك حاكم بدليس خضوعه التام لإسماعيل، ولم تكن مسيرة النشاط العسكري الصفوي بلا منغصات أو خسائر، إذ تمكنت قوة يقودها قاسم بن علاء الدولة الملقب "سارو قپلان" أو "النمر الأصفر" أن تكمن للقزلباش وتقتل ثلاثمئة مقاتلا بينما كانوا يحاولون عبور نهر ألبستان، ليتمكن محمد بيك استاجلو فيما بعد من إلحاق هزيمة أخرى بجيش علاء الدولة ذي القدر الذي كان يقوده اثنان من أبنائه هما سارو قپلان وأردوان. وملخص الموضوع أن الخان استاجلو طلب من قايتمس بيك موصللو شقيق أمير بيك موصللو التوجه لتولي حكم قلعة قره حميد، وبدلا من أن ينفذ ما طلب منه قام بتحريك بعض التجمعات الكردية المؤيدة له ضد الجيش الصفوي، فضلا عن طلبه المدد من علاء الدولة الذي سارع بإرسال عشرة آلاف مقاتل يقودهم ولداه سارو قپلان وأردوان، لكن استاجلو استطاع السيطرة على الموقف وتمكن من اكتساح قلاعهم وقتل أعداد

---

(١) حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٩٣.

(2) Golpinarly, Op. Cit., Vol. VI, P. 791.

(٣) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ١٢٩ب.

كبيرة منهم وأسر هذين القائدين وقتلهما كما ألقى القبض على قايتمس وقتله[1].

كان لهذه الأنباء وقع الصاعقة على علاء الدولة، فبادر في العام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م إلى إرسال جيش للانتقام لدماء أبنائه، يقوده ولداه الآخران شاه رخ والي بوزوق وأحمد بيك، وكان الخان استاجلو متجها نحو ماردين حينما وصلته أخبار هذا الجيش فانتظرهم وتمكن من خلال المعركة التي دارت بينهما من إلحاق هزيمة أخرى بهذا الجيش وإلحاق ابني علاء الدولة الآخرين بأخويهما، كما أسر محمد بيك وعلي بيك ابني شاه رخ وأرسلهما إلى تبريز ليرى الشاه فيهما رأيه، فقام بإطلاق سراحهما ومنحهما لقب أمير، وبقيا عنده إلى أن تمكنا من الفرار إلى العثمانيين[2].

### ٢. السيطرة الصفويّة على عراق العجم وبلاد فارس:

في ربيع العام ٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م وصلت الأخبار إلى الشاه إسماعيل أن ألوند ميرزا يعد العدة في أرزنجان لغزو أذربيجان، فقرر مهاجمته قبل شروعه بالهجوم فأجبر بذلك ألوند على الانسحاب بصورة مستعجلة ومرتبكة، حتى أن اسماعيل تمكن من قضاء أيام جميلة في منتجعات تراجان وأرزنجان إلى أن وصلته أخبار مفادها أن خصمه ألوند توجه من أوجان إلى تبريز، فأسرع الشاه بالتوجه نحوه ليعود ألوند إلى أوجان ومن هناك فرّ إلى همدان فبغداد، ومن بغداد إلى ديار بكر ليجبر حاكمها قاسم بيك على التنحي عن الحكم لصالحه حتى وفاته سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤-٥م، أما الشاه فإنه عاد ليقضي الشتاء في تبريز عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢-٣م[3].

أما السلطان مراد بيك حاكم عراق العرب وفارس وكرمان فإنه تحرك في

---

(١) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برك١٢٢أ -١٢٣ب؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٨٨.

(٢) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برك١٢٢أ -١٢٣ب؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٨٨؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برك١٣٢أ.

(٣) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل،برك١٢٣ب؛غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٦٨.

ربيع عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م برفقة سبعين ألف مقاتل من دليجان إلى همدان، وقبل أن يخوض معركة مع الشاه اسماعيل أرسل والدته گوهر سلطان خانم إلى قم لجلب المعونة والمدد من حاكمها، لكن الشاه إسماعيل بادره برسالة يطلب منه الاستسلام بالنظر لصلة القربى بينهما، إذ كان الشاه اسماعيل متزوجا من أخته[1]، ولما رفض مراد الصلح انقسم رجاله إلى قسمين بين راغب بالصلح ورافض، مع هذا تمكن من حشد قوات قوامها سبعون ألف مقاتل واتجه بهم شمالا من قشلاق ويلكان حيث التقى بالشاه الذي كان يقود اثني عشر ألفا[2] في أولمه قولاغي قرب همدان، فالتحم الطرفان بمعركة هائلة في ٢٤ ذي الحجة عام ٩٠٨هـ/ ٢١ حزيران ١٥٠٣م، وكانت القوات الصفويّة بقيادة الشاه نفسه الذي أبدى كالعادة ضروبا من البطولة والإقدام، وبفعل ذلك وغيره تمكن الجيش الصفوي من تحقيق انتصار ساحق على قوات الآق قوينلو أسفر عن أسر حاكم قم وعدد كبير من قواتهم بيد القزلباش فأمر الشاه بقتلهم[3]، كما قتل أمير أمراء مراد المسمى گوزل أحمد بايندري ومعه عشرة آلاف من مقاتليه[4].

وهكذا تمكن السلطان مراد وجمع من قواته من الإفلات من الردى والفرار إلى شيراز وحاول تثبيت أقدامه في فارس وبدأ يعد العدة لمواجهة جديدة مع إسماعيل، إذ عسكر في شولستان بالقرب من قلعة سفيد، فاتجه إليه الشاه، لكنه سرعان ما فرّ إلى بغداد بعد أن سمع بقدوم الجيش الصفوي إليه، فيما دخل الصفويون شيراز في ٢ ربيع الثاني ٩٠٩هـ/ ٢٤أيلول ١٥٠٣م ونصب إلياس بيك ذا القدر حاكما عليها بعد أن أهدى له معظم الأراضي هناك[5]، وبقي يحكمها خمس عشرة سنة، أما مراد فبقي في بغداد عدة أيام من ثم غادرها إلى حلب لاجئا عند قانصوه الغوري (٩٠٥-٩٢٢هـ/ ١٤٩٩-١٥١٦م) سلطان المماليك في مصر والشام، غادر بعدها إلى مرعش وبقي عند علاء الدولة ذي القدر حاكم

---

(١) أوزتونا، المصدر السابق، م١، ص٢٠٥.

(٢) سيوری، تحقيقاتي...، ص٨٠.

(٣) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٧٢؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برك٦٦أ-ب.

(٤) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٢١.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢١؛ سيوری، تحقيقاتي...، ص٨١.

مرعش و ألبستان وتزوج إحدى بناته(1).

في أثناء ذلك سمع الشاه أن حسين كيـاى چلاوى حـاكم خـوار وسـمنان وفيروزكوه ودماوند بدأ يهاجم حدود عراق العجم، وكان حسين كيـاي اسـتغل تدهور دولة الآق قوينلو واستقل ببعض الأقاليم معلنا أنه من السائرين على نهج رسول الله(ﷺ) والأئمة المعصومين، مما يعني أنه كان ندا سياسيا ومذهبيا للشاه، وحينما فرّت فلول تركمان الآق قوينلو من معركة أولمه قولاغي؛ قـام حـسين كياي بإيوائهم وضمهم إليه وأغراهم بالوقوف ضد الشاه الذي يكرهونـه بقـوة، فأمر قائده إلياس بيك إيغوت أوغلي حاكم أذربيجان بالتوجه لرده(2)، فيما توجـه هو إلى أصفهان، فخرج الأهالي لاستقباله والترحيب به، وبعد أن أقام فيها مـدة من الزمن نصب دورميش خان بن عبدي بيك حاكما عليها، كما طلب من شـاه حسين الأصفهاني أحد أعيانها الذي أعجب بقدراته وذكائه أن يكون من أعيـان دار السلطنة(3).

لما وصلت القوة الصفويّة التي يقودها إلياس إلى رستمدار استخدم حـسين كياي چلاوى المكر للإيقاع بعدوه، فبعد أن خرج لمقاتلة إلياس بقوة كبيرة لا قبل للجيش الصفوي بها، تمكن إلياس من الحصول على قلعة ورامين المنيعة التابعة لخصمه فاتخذها حصنا، ولما فشل في إخراجه منها مال إلى التودد فغدر بإلياس وجنوده(4)، ولما سمع الشاه بهذه الأخبار عجّل بالخروج إليه فـي ٩ رمـضان ٩٠٩هـ/ ٢٥ شباط ١٥٠٤م، وقصد قلعة گلخندان حيث يتجمـع الرسـتمداريون الذين خرجوا لقتاله، لكن التوفيق لم يحالفهم أمام الشاه واحتل القلعة بعد عشرين يوما من تحركه فأمر بقتل المدافعين عن القلعة وتسويتها بالأرض. بعدها قـصد قلعة فيروزكوه فوصلها بعد أقل من أسبوعين وحاصرها، لكن حسين كياي حينما

---

**(١) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، بـرك٧٨ب؛ غيـاث الـدين خوانـدمير، بيـشين، ج٤، ص٤٧٥-٤٧٦.**

**(٢) غلام سرور، بيشين، ص٥٥.**

**(٣) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برك٧٩أ؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٧٣. سيصبح فيما بعد نائبا للشاه باسم نجم الثاني.**

**(٤) غلام سرور، بيشين، ص٤٥؛ سيورى، تحقيقاتي...، ص٨١.**

علم بتوجه الشاه نحوه ترك القلعة وأوكل أمرها إلى علي كياي ضماندار قاصدا أكبر قلاعه أستا، فحاصر الشاه قلعة فيروزكوه لمدة عشرة أيـام دارت خلالهـا معارك شديدة تمخضت عن احتلالها فعفا عن صاحب القلعة ضماندار بعد توسط الأمير نجم الثاني فيما أمر بقتل المدافعين عنها وإزالتها عن وجه الأرض، ومن ثم أمر الشاه بمحاصرة قلعة أستا التي يتحصن بها حسين كيـاي چلاوى لمـدة سبعة أيام وتحويل مياه النهر التي تغذيها، فاستطاع إحتلالها في ٢٧ ذي القعدة/ ١٣ أيار، وأمر بحرق مراد بيك جهان شاه وسايلتمش بيك اللـذين كانـا أبـرز المدافعين وأشدهم شكيمة، بل يقال أنه أمر القزلباش بأكل لحومهمـا[١]، ليرسـل بذلك تحذيرا لخصومه الآخرين، وشمل القتل آلاف المدافعين عن القلعة، كما أمر بوضع صاحبها في قفص حديدي سبق لحسين أن صنعه ليتخذه سجنا للأسـرى، فانتحر داخل هذا القفص، وأمر الشاه بأن تبقى جثته في داخله ولا تدفن إلـى أن وصل أصفهان فأمر بحرقها[٢]، ويقول أحد الباحثين إن تعامل الشاه مع حـسين كياي وجثمانه فيما بعد كان مقصودا ليوصل لأتباعه الطريقة التي مـات فيهـا صاحبهم كي يدحض مقالات الغلو التي ينظرون له بها[٣].

كانت كرمان تخضع يومذاك لسيطرة محمد بيـك بايـنـدر، فانتـدب الـشاه إسماعيل الخان محمد استاجلو وأنفذ معه قوة صغيرة للسيطرة عليهـا، فتمكنـت القوة من ذلك وعاد الخان ظافرا إلى سيده الشاه المعسكر في شيراز[٤] التي ما إن دخلها الشاه في ربيع عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م حتى أمر بتنصيب أحمد بيك ساروي كفيل حاكم يزد حاكما عليها، لكنه التمس من الشاه أن ينصب حاكما ليزد بـدلا عنه ليتفرغ لحكم شيراز، فكلّف حسين بيك لله بذلك، ولأنه لم يكن يريد أن يترك

---

(١) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٢١-١٢٢؛ غلام سرور، بيشين، ص٤٨.

(٢) يذكرنا هذا القفص بمثيله الذي وضع فيه جده تيمور السلطان العثماني بايزيد الأول ويبدو أنـه من التقاليد المغولية. يقارن: غياث الدين خواندمير، بيـشين، ج٤، ص٤٧٥-٤٧٨؛ مرتـضى راوندي، بيشين، ج٢، ص٣٨١؛ حسن الأمين، المصدر السابق، ج٦، ص٤٠؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص٥٠-٥٨.

(٣) سيورى، تحقيقاتي...، ص٨٣.

(٤) ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برگ٩٢أ.

مكانه في مجلس سيده لغيره بادر إلى تنصيب أحد أعوانه واسمه شعيب آغا بن تقي الدين الأصفهاني حاكما ليزد ليبقى هو في خدمة إسماعيل، ولما ذهب شعيب لاستلام مهامه غدر به أحمد ساروي أحد أعيانها وقتله، وبعد مدة وجيزة ذهب هذا القاتل ضحية غدر محمد كرّه به، فعين كرّه بدله مير حسين ميبدي الذي تشدد هو وعماله في جمع الضرائب والأتاوات، فذهبت الوفود إلى الشاه طالبة منه تخليص يزد من يد ميبدي فاتجه إليها في العام ٩١٠هـ/ ١٥٠٣م وحاصرها شهرا وتمكن من دخولها[1].

ولما كان محمد كرّه قد قاوم الجيش الصفوي ببسالة أمر الشاه بوضعه في القفص الذي يحتوي بقايا رفات حسين كياي. وكان كرّه عيّن ابن عمه رئيس غيبي ليحكم بدله في أبرقو، فأعلن التمرد ضد الشاه الذي أمر عبدي بيك شاملو بالتوجه وإخماد حركته، فجلب ووضع بدوره في القفص نفسه الذي يضم رفات حسين كياي ومحمد كرّه، وأمر بإيقاد النار في القفص على مرأى ومسمع أهالي أصفهان التي قدم إليها ليقضي الشتاء فيها، إلى جانب أمره بحرق عدد كبير من الأسرى الذين جلبهم عبدي بيك شاملو، كما أوكل حكم يزد من جديد إلى حسين بيك لله، فضلا عن إصداره أمرا بقتل حاكم فارس إلياس بيك ذي القدر المعروف باسم كچل بيك وغياث الدين وشاه تقي الدين الأصفهاني لأسباب تخص كلا منهم، فإلياس كان فظا غليظ القلب مع العامة، فشكوه للشاه، فيما لم يقم غياث الدين بتموين الجيش الصفوي بالمؤن مخالفا بذلك القسم الذي أداه أمامه، أما تقي الدين الأصفهاني فإنه أسهم مع أحمد بيك ساروي ومحمد كرّه في التآمر على الدولة[2].

وخلال وجود الشاه في يزد أرسل السلطان حسين بايقرا التيموري كمال الدين حسين صدر رسولا يحمل هدايا ورسالة يهنئه فيها على انتصاراته، لكن الشاه حين قرأ الرسالة وجد أن السلطان حسين يلقب الشاه بـ"ميرزا"، ومعناها في

---

(١) غلام سرور، بيشين، ص٥٦-٥٧؛ نوائى وغفارى فرد، بيشين، ص٦٧.

(٢) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٧٩-٤٨٠؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١١١، ١٥٢؛ سومر، بيشين، ص٥٩، ٦١.

لغة الجغتاي "الملك" أو "سليل الملوك"، أما في العراق وفارس فهي تعني "الشريف" أو "النجيب"[1]، وهي مفردة لم تكن مستخدمة في المخاطبات الملكية، ولما كانت الانتصارات الواسعة التي حققها الشاه قد شكلت دافعا له لإكمال مشروعه في ضم بقية مناطق إيران، فانه اتخذ من هذه القضيّة موضوعا للاختلاف مع بايقرا فقام بمهاجمة طبس التابعة له عن طريق صحراء يزد واحتلها واستباح المدينة فقتل آلاف الأرواح، بعدها ترك المدينة ليتصيد في الصحراء، حينها وصلته رسالة من حسين بايقرا يعتذر فيها عن مضمون رسالته السابقة، فقبل الاعتذار وعاد إلى يزد[2].

**٣. الاحتلال الصفوي لبغداد سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م:**

تم الحديث فيما سبق عن خروج السلطان مراد إلى بغداد فحلب فإمارة ألبستان وانتهى به المطاف هناك، فاستلم الحكم في بغداد باريك بيك برناك ليحكمها باسم الآق قوينلو بعد أن أضحت ملجأ للفارين من إسماعيل، ويبدو أن هذا الحاكم حاول أن يتجنب الاحتلال الصفوي عن طريق التودد للشاه والمداهنة معه، فحينما أرسل الشاه إسماعيل خليل بيك يساول مبعوثا عنه من همدان في ربيع العام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م يطلب من برناك الخضوع له والتسليم، أحسن هذا استقبال الوفد وارتدى عمامة القزلباش وأمر رجاله بذلك، وأرسل معه مبعوثا يدعى أبو اسحق السيرجي يحمل بعض الهدايا والنفائس، لكن الشاه اعتراه غضب شديد حينما لم يحضر برناك بنفسه[3]، ولما رفض برناك ذلك أراد إظهار

---

(١) كان لقب الأمير مما اصطلحه الصفويون على السادة الهاشميين، كما اصطلحوا الأمير زاده على ابن الهاشمية، ومخففه الميرزا. علي بن الحسين الكركي، الخراجيات، قم، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٢٠.

(٢) ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه اسماعيل، ص١٩٤؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١١٣؛ ناشناس مؤلف، تاريخ جهانكشاى خاقان، برگ١٧٦ب.

(٣) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٩٢؛ قزويني غفارى ، بيشين، ص٩٤؛ عماد الجواهري، صراع القوى السياسية في المشرق العربي. من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني، الموصل، ١٩٩٠م، ص٥٥.

قوته في الوقوف ضد الدعاية الشيعية التي بدأت تتغلغل في العراق، فأمر بإعداد قواته للتصدي للغزو الصفوي وأمر بالتضييق على أنصار الشاه فـألقى بمحمـد كمونة نقيب أشراف بغداد ورأس أسرة كمونة في العراق في جب مظلم[١]، لكنه اكتشف أن معظم أهل بغداد من المناوئين له، كما تناهت إلى أسماعه تهديـدات إسماعيل المتواصلة التي جعلته في ارتباك وحيرة، إلى أن قرر الفرار نحو حلب في ليلة ممطرة بشدة تاركا بغداد وشأنها، ومما يدل على ارتباكه وخوفه أنه عبر دجلة بصعوبة[٢]، لاسيما بعد أن سمع بتلك الحملة المتجهة نحوه بقيادة حسين بيك لله شاملو، فهبّ الأهالي في صبيحة يوم هروب حاكمهم لإنقاذ كمونة وتقليده حكم بغداد فخطب للشاه على منابرها وقاد وفـدا مـن أعيانهـا لاسـتقبال الجـيش الصفوي[٣].

وهكذا كان دخول الصفويين إلى بغداد سهلا بلا مقاومة، كما دخلها الشاه في ٢٥ جمادى الآخرة ٩١٤هـ/ ٢١ تشرين الأول ١٥٠٨م، وجعل أمر ولايتها بيـد خادم بيك طالش خليفة الذي كان يشغل في الوقت نفسه منصب خليفة الخلفـاء، بعد ذلك زار المرقد الكاظمي في الكرخ، وهنا يختلف المؤرخون فـي الـسلوك الذي اتبعه اسماعيل مع أهل السنّة في بغداد، فبينما لم يذكر بعـض المـؤرخين مذابح ارتكبت في بغداد، يرى آخرون أن الشاه أمر بنبش قبـري أبـي حنيفـة النعمان (ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م) والشيخ عبد القادر الگيلاني (ت٥٦١هـ/ ١١٦٦م)[٤]، ولم يبق في بغداد نتيجة لذلك أحد من أتباع الطريقة الگيلانية[٥]، ويؤيد ذلك مـا

---

(١) حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٠٣؛ عبد الرزاق كمونة الحسيني، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥.

(٢) قزوينى غفارى، بيشين، ص٢٧١؛ نظمي زادة، المصدر السابق، ص١٨٣؛ القهواتي، المصدر السابق، ص٤٩.

(٣) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٩٤؛ نظمي زادة، المصدر السابق، ص١٨٥.

(٤) ميرزا بيك الحسن الحـسينى المنـشى الجنابـذى (ت١٠٣٨هـ/١٦٢٦م)، روضـة الـصفوية، برگ٦٦ب. نقل از: محمد جمالي، زندگانى شاه اسماعيل...، ص٢٥٤. علما ان المنشي شـرع في تأليف كتابه سنة ١٠٢٣هـ/١٦١٤م وفرغ منه في قائن سنة ١٠٢٦هـ/١٦١٧م. الطهرانـي، المصدر السابق، ج١١، ص٢٩٧.

(٥) مقتبس في: القهواتي، المصدر السابق، ص٥٦-٥٧.

نقله العزاوي عن النسابة المعروف ضامن بن شدقم الحسيني المدني (ت بعد ١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م)، الذي قال ما نصه:

**"فتح بغداد، وفعل بأهلها النواصب ذوي العناد ما لم يسمع بمثله قط في سائر الدهور بأشد أنواع العذاب حتى نبش موتاهم من القبور"[١].**

كما يشير صاحب "كلشن خلفا" (ت١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م) إلى أن الشاه "خرّب المدينة... وقتل في أهل السنّة وأتقياء الأمة"[٢]، ويذكر البريطاني هازلاك (Hasluck) أن السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م) عندما دخل بغداد استدل على موضع قبر أبي حنيفة بأعجوبة عن طريق حلم راعٍ ورع يعمل بإلهام عن طريق الرؤيا[٣]، ويبدو أن هؤلاء الذين لم يعاصروا إسماعيل تأثروا بالدعاية العثمانية أولا، وبما أمر به الشاه عباس الصفوي (ت١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م) بعد دخوله بغداد[٤]، فالمصادر الصفويّة المعاصرة للشاه إسماعيل أو القريبة منه لم تذكر مثل هذه الأفعال المنكرة وغير المبررة، منهم غياث الدين خواندمير (ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٥-٦م)، صاحب "تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد وبشر" الذي دوّن قضايا أقل أهمية من هذه القضية[٥]، فيما تتوفر إشارات عن بقاء أحفاد الشيخ عبد القادر الگيلاني في بغداد إلى أن دخل القانوني بغداد[٦]، كما أن روايات شهود العيان لم تتحدث عن اندراس قبري أبي حنيفة والگيلاني، فيقول نصوح المطراقي الذي رافق السلطان أن الأخير زار ضريح أبي حنيفة

---

**(١) ضامن بن شدقم، تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب الأئمة الأطهار، ص٢١٧. مقتبس في: العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ص٣٤٣. ينقل الباحث الخبر اعتمادا على العزاوي فقط، لأنه لم يعثر على هذا النص في الأجزاء المتيسرة من نسختي الكتاب المخطوطة التي اطلع عليها. يراجع: نسخة المكتبة القادرية تحت رقم ٦٥٧، بغداد؛ مخطوط مكتبة كاشف الغطاء، النجف. ويذكر القهواتي أنه لم يعثر أيضا على النص أعلاه في ثلاثة أجزاء من نسخة مكتبة الحكيم العامة في النجف. القهواتي، المصدر السابق، ص٥٧.**

**(٢) نظمي زادة، المصدر السابق، ص١٨٦.**

**(٣) مقتبس في: القهواتي، المصدر السابق، ص١٠٨.**

**(٤) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٤، ص١٧٧؛ ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر خياط، بغداد، ١٩٦٢م، ص٧٧.**

**(٥)غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٩١-٤٩٥.**

**(٦) مقتبس في: القهواتي، المصدر السابق، ص٥٦.**

"الإمام الأعظم" في اليوم الأول من دخوله بغداد وأنه ترجّل حينما وصل المرقد[١]، بل أن بعض شواهد ضريح الشيخ عبد القادر ومنائره المقامة منذ سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م أيام باريك برناك آق قوينلو، ما زالت قائمة إلى الآن[٢]، لذا فمن المستبعد أن يكون الشاه إسماعيل احتاج لمثل هذا العمل[٣].

انتقل الشاه بعد ذلك لزيارة المراقد المقدسة في كربلاء وأبدى اهتماما كبيرا بها[٤]، بعدها سار إلى النجف عن طريق الحلة لأداء الزيارة وفوّض محمد كمونة إدارة المرقد العلوي[٥]، كما أمر بإيصال الماء إليها عن طريق قناة من نهر الفرات لارتفاع أرض النجف عن مستوى ماء الفرات، فأقيمت على ضفتي القناة بساتين وضياع وقفها الشاه على الشيخ علي عبد العالي الكركي (ت٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م)[٦] بعد أن إلتقاه في هذه الزيارة ودعاه إلى الانتقال إلى إيران لممارسة واجباته الدينية[٧].

---

(١) مقتبس في: عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٤، ص٢٨- ٣١. يراجع كذلك: شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٦٣.

(٢)عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٤، ص ٣٣؛ القهواتي، المصدر السابق، ص١١١.

(٣) ناقش حسين القهواتي هذه الآراء بالتفصيل وأثبت عدم تخريب اسماعيل لمرقدي أبي حنيفة وعبد القادر الكيلاني. المصدر نفسه، ص٥٥-٥٦، ١٠٨-١١٣. يراجع كذلك: العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ص٣٤١-٣٤٥.

(٤) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٩١؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٣٤؛ اسكندر بيك منشى، بيشين، ص١٥٢؛ عبد الحسين ال كليدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، تحقيق: عادل الكليدار، بغداد، بلا تاريخ، ص٧٢.

(٥) عبد الرزاق كمونة الحسيني، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥.

(٦) غلام سرور، بيشين، ص٦٤؛ عبد الحسين الكليدار، المصدر السابق، ص٩٦؛ جعفر باقر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، الجزء الأول، الطبعة الثانية، النجف، ١٩٥٨م، ص١٩١-١٩٢.

(٧) جعفر المهاجر، المصدر السابق، ص١٢٥. وكان هذا الرجل المنسوب إلى كرك نوح في لبنان، قد درس في وطنه أولا ثم في مصر، وحينما رحل إلى النجف للدراسة كان أقرب إلى أحداث إيران، وهناك التقى الشاه وحاول استغلال حاجة إيران إلى العلماء لإسناد مشروعها السياسي الجديد، ويلاحظ أنه كان يحمل معه مشروعا دعويا كاملا، فاتخذ من كاشان منطلقا لتوجيه السياسة الدينية للدولة، فخصص لكل بلدة وقرية إماما يصلّي بالناس ويفتي لهم، بل كان يتنقل من بلدة لأخرى لمتابعة توجيهاته التي كان يصرف من عطاياه في سبيلها، فصار الكركي: "نقطة الدائرة ومعتقد حكّام الإسلام ومرجع العلماء"، على حد تعبير غياث الدين خواندمير، وهو أمر يبدو أن الحاسدين أو عناصر القوى الانتقالية المخضرمة، التفتوا إليه، فأوغروا صدر الشاه=

وفي الحلّة اشتكى بعض رجال الدين لدى الشاه من غارات قبيلة غزيّة البدوية في الصحراء وأنها عرقلت حركة التجارة مع المنطقة، فجرد حملة لقمعهم وتمكن من إلحاق خسائر كبيرة بهم وقتل أعدادٍ منهم[١]، من ثم عاد إلى بغداد سالكا طريق الحلة نفسه، ومن بغداد ذهب لزيارة مرقدي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري في سامراء، وفي العراق اتصل بالشاه الشيخ محمد الرعناشي معلم أبناء السلطان محسن المشعشعي في الحويزة ونقل له أنباء عن اضطراب كبير تشهده الإمارة المشعشعية بسبب الصراع بين فلاح بن محسن (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) وأخويه علي وأيوب (ق٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)، مما أجبره على مغادرة الحويزة إلى مدينة شوشتر ليبدأ من هناك الحرب ضدهما[٢]، وكل ذلك كان سببه (حسب رأي الرعناشي) الغلو العقيدي الذي أظهره أيوب وعلي[٣]، لذا فبعد أن فرغ الشاه من ضم العراق وتنظيم أحواله اتجه نحو الحويزة واحتلها وقبض على علي وأيوب وقتلهما، أما أخوهم فلاح بن محسن فقد أرسل إلى إسماعيل هدايا ثمينة ورجاه أن يعيّنه حاكما عليها فوافق على ذلك، كما أمر بجرد عام لسكانها وأمر بقتل كل من يبقى على عقيدة المشعشعين ولا يتوب عن ذلك[٤]. وهكذا أضحت خوزستان تحت السيطرة الصفويّة وحافظ الأمير فلاح خلال السنوات السبع التي تبقت من حكمه على علاقات جيدة معها، كما حرص

---

**=الشاب ضده، ومما يؤيد ذلك أن المير غياث الدين منصور الدشتكي (ت٩٤٠هـ/ ١٥٣٣-٤م) الصدر الأعظم في حكومة الشاه، رفض أن يتلمذ على الكركي أسوة برجال الدولة الآخرين، فأصرّ الكركي على عزله بعد عودته لإيران أيام طهماسب. ويحتمل أحد الباحثين أنه بدأ يخشى من نفوذه فغادر إيران سنة٩٢٩هـ/١٥٢٣م إلى العراق، وبقي فيها ست سنوات توفي خلالها الشاه إسماعيل سنة٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م. غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص١٠٩-١١٠؛ حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص١٩٠؛ علي الطباطبائي، المصدر السابق، ج١، ص٨٨.**

**(١) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٨؛ العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ص٣١٦.**

**(٢) قزوينى غفارى ، بيشين، ص٩٤؛ التستري، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٠١.**

**(٣) يرفض أحد الباحثين هذا التبرير. محمد هليل الجابري، المصدر السابق، ص٨٤.**

**(٤) يراجع لمزيد من التفاصيل: المصدر نفسه، ص٨١-٨٦؛ كسروي، تاريخ بانصد ساله...، ص٤١-٥٩.**

ابنه بدران (ت٩٤٦هـ/١٥٣٩م) على إدامة هذه العلاقات[١].

وبذلك ضمّ الشاه إسماعيل أقاليم الحويزة وديزفول والشوش التي كانت تحت سلطة المشعشعين لدولته، وكذلك ضم في هذه الأثناء أقليمي اللـر وهرمـز، إذ انتقل اسماعيل من الحويزة إلى الشوش ومن ثم اتجه إلى شيراز لقضاء فـصل الشتاء، وهناك اتصل به حكام لرستان وهرمز وأعلنوا الولاء بين يديه ليذهب بعد ذلك لقضاء شتاء العام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨-٩م في شيراز، ومن هناك أرسل كل من حسين بيك لله شاملو وبهرام بيك قره ماني والأمير نجم الدين مسعود مـع قـوة قوامها عشرة آلاف مقاتل لإرغام رستم ملك شاه حاكم خرم آباد علـى النـزول على طاعة الشاه، فتمكنوا من جلبه مقيد اليدين فعفى الشاه عنه ونـصّبه حاكمـا على خرم أباد من جديد[٢].

وفي أوائل شتاء العام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م، وبينما كان الشاه في تبريـز اتجـه منها إلى شيروان لقمع التمرد الذي أعلنه شيخ شاه بن فرخ يسار بعد أن تمكـن من طرد شاه گلدي آقا المعيّن من الشاه حاكما على شيروان والجلـوس مكانـه، ولما علم شيخ شاه بقدوم إسماعيل وعبوره نهر گر بواسطة جسر من الـزوارق ولّى هاربا نحو قلعة بيغرد، فأعاد إسماعيل الـسيطرة علـى شـماخي وبـاكو وشابران وبقية القلاع واتجه بنفسه لمحاصرة قلعة دربند العصيّة فـتمكن مـن إحتلالها وإعادة شاه كلدي آغا حاكما على شيروان وما جاورها، وخلال مروره بطبرسران أمر باستخراج رفاة والده الشيخ حيدر ونقله إلى أردبيل ليدفن هناك، ولغاية العام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩-١٠ استطاع الشاه الهيمنة على أقاليم مهمـة مـن إيران وما جاورها ضمت عراق العـرب وديـار بكـر وأذربيجـان وفـارس وكردستان وغيرها، وعاد بعدها إلى تبريز[٣].

---

(١) قزويني غفارى ، بيشين، ص٩٤؛ .

(٢) غلام سرور، بيشين، ص٥٥-٥٦؛ سيورى، تحقيقاتي...، ص٨٠.

(٣) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٩٩-٥٠٣؛ حـسن بيـك روملـو، بيـشين، ج١١، ص١٤٣-١٤٥.

### ٤. الحرب ضد الأوزبك وإحتلال مرو عام ٩١٦هـ/ ١٥١٠م:

استمر الحكم التيموري لخراسان أكثر من مئة وثلاثين سنة، وكانت حينذاك تحت سلطة حسين بايقرا التيموري منذ العام ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨-٩م الذي قـــرر أن يتبنى التشيّع والخطبة للأئمة الاثني عشر، لكن وزيره الأمير نظام الدين عليشير نوائي (ت٩٠٦هـ/ ١٥٠٠-١م) طلب منه التريث، ولما عزم في النهايـــة علـــى الخطابة باسم الأئمة وأمر وزيره نوائي بالخطبة في مسجد هراة؛ أنزله المصلون من المنبر[١]، وخلال تلك المرحلة بدأ حوار جديّ بين علماء سنّة وشـــيعة فـــي مدينة مشهد سنة ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣-٤م كانت نتيجتها تقارب وجهات النظر حتى لم يسمع بعدها صراع طائفي[٢].

وفي صيف العام ٩١٥هـ/ ١٥١٠م، كان على الشاه التوجه إلـــى خراســـان لمواجهة الأوزبك[٣] الذين هيمنوا عليها، والأوزبك أسرة من أعقاب المغول كان رئيسها شيبك خان[٤] يطوي الفيافي في صحراء قبجاق للتوسع وبناء الدولة، بينما كان نجم الشاه إسماعيل يتصاعد، فبدأ شيبك حملاتـــه نحـــو مـــا وراء النهـــر وخراسان وسمرقند فانتزعها من أبناء السلطان أبـــي ســـعيد التيمـــوري ســـنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧-٨م، لكنه اضطر للانسحاب إلى أندجان، كما تمكن من انتـــزاع سمرقند من أيدي السلطان أحمد التيموري، من ثم اتجه نحـــو خراســـان التـــي يحكمها الفرع الثاني من الأسرة التيمورية، فأعدّ حسين ميرزا بايقرا التيمـــوري جيشا قاده ابنه بديع الزمان، لكنه لقي هزيمة منكرة أمام قوات شـــيبك، وأعـــاد بايقرا الكرّة فقاد بنفسه جيشا بهدف التصدي لشيبك لكن المنية وافته في الطريق. وفي السابع من محرم ٩١٣هـ/ العشرين من أيار ١٥٠٧م نشبت معركة قوية بين

---

(١) أحمد قمى، بيشين، ج١، ص٤٦-٤٧.

(٢) يراجع للاطلاع على بعض تفاصيل الحوارات: رسول جعفريان، صـــفويه در عرصـــه...، ج١، ص٤٧-٥٢.

(٣) أوزبك: كلمة مغولية معناها سيد نفسه.

(٤) وهو تاسع الحكام من أبناء جوجي بن جنكيزخان ولد عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م، ويحمل عدة اسماء فبعض المصادر تسميه شيباني وشاه بخت وشيبك خان وشاهي بيك خان وشاه بخت خان.

شيبك وجيش يقوده أبناء حسين بايقرا[1] في منطقة بادغيس، لكنها كانت من جديد لصالح شيبك خان ومكنته هذه المرة من السيطرة على خراسان، فالتجأ بعض أبناء حسين بايقرا إلى الشاه، كما أن شيبك أرسل إلى إسماعيل يخبره بانتصاراته، وتمكن شيبك أيضا من دخول هراة بلا مقاومة[2].

وهكذا صارت حدود دولة الأوزبك تتاخم عراق العجم التي أخذ شيبك يهاجمها بين الحين والحين، لذا أرسل إليه إسماعيل يطلب منه وقف هذه الهجمات قائلا:

**"لم يسبق أن حدث سوء تفاهم بيننا، ولا توجد أي عداوة، فلماذا لا تكون علاقتنا علاقة الأب بابنه"[3].**

فرد شيبك خان عليه ردا عنيفا، قائلا:

**"على كل شخص أن يسلك مسلك آبائه، وان لا ينظر إلى جده من أمه، في الوقت الذي أنا ملك وابن ملوك".**

وأهدى للشاه عصا وكشكولا يتسول بها الدراويش، ومعها رسالة تقول:

**"إن نسيت والدك فهذا يذكرك"[4].**

مع هذا أجاب الشاه بهدوء قائلا:

**"لو أن كل فرد عليه أن يأخذ بعمل أبيه، فيجب علينا أن نكون جميعا أنبياء، لأننا أولاد أب واحد هو آدم، ولو ملك كل من كان أبوه ملكا لما وصل إلى الحكم أحد"[5].**

---

**(١) كان لميرزا حسين بايقرا أربعة عشر ولدا، بقي نصفهم على قيد الحياة وأعلنوا طاعتهم لأخيهم بديع الزمان، وكان يمكن للدولة أن تستمر لولا مطالبة أخيه مظفر حسين ميرزا بالاشتراك بالحكومة بدفع من والدته خديجة بيكي آغا، فرفض حينها بقية الأخوة الخمسة إطاعة أي منهما، فاستقل كل منهم بولاية من ولايات خراسان وكان ذلك نهاية فعلية للحكم التيموري، إذ كانت المواجهة مع شيبك يائسة. سيوري، تحقيقاتي...، ص٨٧.**

**(٢) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٠٦؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٦٢؛ ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ترجمة: محمد صبحي فرزات، الجزء الأول، دمشق، ١٩٧٤م، ص٢١٢.**

**(٣) يراجع نص الرسالة في: "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص٧١- ٧٣.**

**(٤) يراجع نص الرسالة في: همان منبع، ص٨١-٨٤.**

**(٥) يراجع نص الرسالة في: همان منبع، ص٨٦.**

فأجابه شيبك برسالة سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م يدعوه فيها بوضوح إلى الحرب إذا لم يترك مذهب التشيّع، بل أمر أتباعه بارتداء عمامة خضراء ليعاكس عمامة القزلباش الحمراء، وأطلق على نفسه لقب "سبز كلاه" أو "يشيل باش" مرادفا للقزلباش ومعناها صاحب العمامة الخضراء[١]، واستغل ظروف الحركة التي قام بها إبراهيم شيخ شاه في شيروان فهاجم كرمان وقتل خلال ذلك الهجوم الشيخ محمد صاحب شرطة كرمان ونهب المدينة وسلب أموالا كثيرة، فلما سمع الشاه بذلك أرسل القاضي ضياء الدين نور الله التستري[٢] لمفاوضة شيبك، لكنه لم يحصل على نتيجة وزاد الأوزبك من هجماتهم، فأرسل الشاه هذه المرة الشيخ محي الدين أحمد المشهور بالشيخ زاده اللاهيجي (ت٩٢٥هـ/ ١٥١٩م) برسالة إلى شيبك خان، وحضر هذا الشيخ وشيبك مجلس مناظرة اعتاد الأوزبك على عقده طرحت فيه بعض المآخذ على التشيّع، فكان الشيخ يرد عليهم[٣]، ثم أجاب شيبك الشاه بجواب أسوأ من سابقه، وقال له:

**"إني عازم على الحج إلى مكة المكرمة هذا العام، لذا عليك يا إسماعيل تصليح كل الطرق وترميمها، وعليك الخطابة وسك النقود باسمي"[٤].**

وهكذا صار من الطبيعي أن يجهز الشاه إسماعيل نفسه لحرب الأوزبك بعد هذه الرسائل المهينة، فتوجه من السلطانية قاصدا الري، ثم وصل إلى دامغان التي كان يحكمها زوج ابنة شيبك خان الذي فضّل الفرار حينما سمع بقدوم الشاه[٥]، وكذلك حال حكام القلاع التابعة لشيبك في الطريق إلى مرو، كما فضّل حاكما خراسان وگرگان إعلان الطاعة للشاه فخرجا لاستقباله في منطقة وچهن

---

(١) فريدون بيك بيشين، ج١، ٤٧٤.

(٢) هو ضياء الدين نور الله بن محمد شاه الحسيني المرعشي التستري (ت٩٢٥هـ/ ١٥١٩م)، عالم فاضل له كتاب "تفسير آية الاسترجاع"، وكتاب "صد باب" في معرفة الاسطرلاب، وكتاب "الطب"، وهو جد القاضي نور الدين صاحب "مجالس المؤمنين"، تراجع ترجمته في: جلال الدين الحسيني، فيض الاله في ترجمة القاضي نور الله [حفيد المترجم له]، طهران، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، ص١١٢-١١٣؛ آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٨.

(٣) آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج١، ص١٠٩.

(٤) يراجع نص الرسالة في: "شاه اسماعيل صفوى. مجموعه اسناد ومكاتبات..."، ص٨٧-٨٨.

(٥) غلام سرور، بيشين، ص٦٠-٦١.

بسطام والترحيب به وقدما الهدايا بين يديه، فثبتهم في مناصبهم، وهناك قابل الشاه الخواجة سيف الدين مظفر بتكجي الذي أعجب من فصاحته وحكمته فعينه وزيرا له وخوّله الانفراد بحق الختم بختم الشاه(١).

فضّل شيبك خان في هذا الوقت التراجع من هراة إلى مرو في رجب ٩١٦هـ/ تشرين الثاني ١٥١٠م وتبعه في ذلك حاكم هراة وكل الأمراء الموالين له، ولما وصل الشاه إلى شواطئ نهر طوس وزّع بعض القوات لضبط القلاع المتروكة في خراسان، فيما ذهب هو لأداء الزيارة لمرقد الإمام علي بن موسى الرضا في مشهد، وهناك أحضر أمامه بعض القادة والأمراء الأوزبك أسرى وعلم منهم بهروب شيبك إلى مرو وأنه أمر بترميم قلعتها وتهيئتها للدفاع وإرساله إلى ابن أخيه عبيد الله خان وأعوانه في بخارى و ما وراء النهر يستدعيهم للقدوم إلى مرو(٢).

بناءً على هذه المعلومات الثمينة عجّل إسماعيل بالخروج إليه، فعيّن محمد بيك دانه أفشار قائدا لقوة الصدمة الأولى وأمره بالتقدم السريع، فاصطدم بقوة أوزبكية في منطقة طاهر آباد وتمكنت قوته من الانتصار على الرغم من مقتل محمد بيك دانه، وفي هذا الوقت وصل الشاه إسماعيل بقواته إلى القلعة وأمر فورا بمحاصرتها، بعد أن فضّل شيبك خان التحصن فيها وعدم الخروج منها انتظارا لقدوم المدد من خانات ما وراء النهر، لكنه أمر جمعا من قواته بمبارحتها ومواجهة القزلباش خارج قلعة مرو، فدارت معركة رهيبة قتلت فيها أعداد كبيرة من الطرفين مع أنها سارت لصالح إسماعيل، ودام حصار القلعة سبعة أيام حينها أدرك الشاه مرامي الخان ففكّر في حيلة لإخراجه منها بأن يفك الحصار أولا والانتظار على بعد ثلاثة فراسخ(٣) حيث قرية محمودي، من ثم يرسل إلى شيبك

---

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٠٤-٥٠٥؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٥١؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برگ١٧٤ب.

(٢) غلام سرور، بيشين، ص٧٤-٧٥.

(٣) يتألف كل فرسخ من ثلاثة أميال، والميل يبلغ ٦٠٩٣٠ر١ كيلو متر، وبهذا فالفرسخ يساوي ٨٢٧ر٤ كم، ومسافة الثلاثة فراسخ تبلغ ٤٨١ر١٤ كيلو متر. إبراهيم سليمان، الأوزان والمقادير، صور، ١٣٨١هـ/١٩٦١-٢م، ص٦٦، ٨٦، ١٣١.

يعلمه بانسحابه لقضاء مهمات في بعض مناطق خراسان خلال الشتاء على أن يكون الربيع موعدهم، وبالفعل فقد بدأ بتنفيذ الخطة وأمر أمير بيك موصللي حامل أختامه البقاء على رأس قوة من ثلاثمئة جندي عند جسر محمودي والفرار أمام أي قوة أوزبكية تتراءى له والالتحاق به بعد قطع الجسر[1]، وبالفعل فقد انطلت الحيلة على شيبك إذ تصور أن أذربيجان تمردت ضد خصمه وأنه يتحرك لقمعها، وبينما كان يغادر بوابة القلعة بعد يومين من فك الحصار عنها وصلته رسالة الشاه بالمغادرة، فتيقن أن ظنونه كانت في محلها لذا أمر قواته بالتحرك السريع ومطاردة القوات الصفويّة، وتيقن أكثر بصواب خطته حينما وصل إلى الجسر وفرّت من أمامه قوة أمير بيك موصللو[2].

ولما كانت القوة قد قطعت الجسر لم يتردد في إقحام فرسه في النهر فعبر مع قواته إلى الجهة الأخرى ليجد نفسه وجها لوجه أمام قوات الشاه، ولم يكن هناك وقت للحيرة أو التردد إذ قسّم شيبك جنوده ووضع على كل جناح اثنين من أفضل قادته وسارع بالهجوم، فيما استقر خصمه في قلب جيشه وترك الأجنحة يقودها أبرز قادة القزلباش، وما إن بدأ هجوم الأوزبك عليها حتى بان الخلل في صفوف أجنحة الجيش الصفوي حينما اخترقها العدو، ولما رأى الشاه هذه الجسارة لدى أعدائه غضب بشدة وأطلق صرخة عظيمة ملقيا بنفسه في أتون المعركة فرفع بذلك من معنويات جنوده، مع هذا صمدت جموع الأوزبك منذ فجر الجمعة الموافقة للثلاثين من شعبان ٩١٦هـ/ الأول من كانون الأول ١٥١٠م حتى صلاة الظهر لذلك اليوم، حينذاك فقط بانت علائم الهزيمة عليها فلاذت بالفرار ليتعقبهم القزلباش وينالوا منهم مقتلة عظيمة، كما وقع في الأسر أبرز قادة شيبك منهم جان وفا ميرزا وماموش والقاضي منصور وقنبر بي، والأخير كان ممن أشار على شيبك بعدم الخروج من القلعة، فأمر الشاه بإعدامهم[3]،

---

(١) سيد حسن استرابادى، بيشين، ص٤٤.

(٢) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥١٠-٥١١؛ أحمد قمى، بيشين، ج١، ص١١٢-١١٣؛ **Sykes, Op. Cit.,Vol. II, P. 243.**

(٣) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برك١٨٧ب-١٩٠ب؛ **Browne, OP. Cit., Vol. IV, P. 65.**

فكانت بحق معركة رهيبة جسّد الطرفان فيها مختلف ضروب البطولة والإقدام، وكتب الأمير ميرزا محمد حيدر دوغلات الذي كان شاهد عيان على ما حــدث، يقول:

"لم أسمع ولم أر ولم يذكر التاريخ معركة قتل فيها هذا العدد الكبير من القادة، مثلما حدث في معركة مرو"[١].

ومما زاد في ضحايا الأوزبك محاولة الجنود الفارين اتقاء القتل بعبور نهــر سياه آب فغرقت منهم أعداد كبيرة، أما شيبك فبعد أن تمكن من الفرار مــن أرض المعركة رمى بنفسه وجنده في خربة منقطعة، فحاصرته قــوة مــن القزلبــاش، وخوفا من النيران التي كانت تقذفها سهام الأعداء ألقى جنود الأوزبك بأجـسادهم على قائدهم لحمايته، فلقي حتفه تحتهم دون جراح، لكن الشاه أمر بإخراج جثتــه وحز رأسه وأمر بسلخ جلد رأسه وملئه بالتبن وإرساله إلــى الـسلطان العثمــاني بايزيد الثاني، كما أمر بأن تطلى جمجمته بالذهب ليتخذها كأسا يـشرب فيــه[٢]، وأمر بأن تقطع يده اليمنى وترسل إلى آقا رستم حاكم ساري ومازندران الذي سبق وأن أعلن ولاءه لشيبك، فألقيت في أحضانه فمات بعد أيام من شدة الرعب[٣]، كما أرسل الأخرى إلى محمد بابر شاه الگورگاني[٤] ومعها رسالة تقول:

---

(١) ميرزا حيدر بن محمد، تاريخ رشيدي،ص٢٣٤. نقل از: نوائى وغفارى فرد، بيشين، ص٨٠.

(٢) اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص٣٨؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٣٨٣؛ أحمد قمي، بيشين، ج١، ص١١٣.

(٣) كان اسماعيل قد أرسل إلى آقا رستم روزافزون حاكم ساري ومازندران يطلب منه تجهيز جيش لمساعدته في معركته ضد شيبك، لكنه اعتذر للشاه برسالة جاء فيها:

"ليس لدينا القدرة على مقاتلة الخاقان الأعظم وخان الأتراك، لأن أيدينا معلقة بأحـضانه، فــي وقت لا علاقة لنا بشاه إيران إسماعيل".

ناشناس مؤلف، تاريخ عالم آراى صفوى، ص٣٢١؛ ناشناس مؤلــف، جهانكـشاى خاقــان، ص٣٨٦؛ يحيى قزويني، بيشين، ص٣٨١؛ أحمد قمي، بيشين، ج١، ص١١٥.

(٤) هو ظهير الدين محمد بابر شاه بن عمر شيخ الگورگاني، ولد سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م، وتـسلم الحكم وعمره اثنتا عشرة سنة وأصبح حاكما لأنديجان وفرغانة، بعد هزيمته أمام المغولي شيبك فر إلى كابول، لكنه عاد بمساعدة إسماعيل، وبعد هزيمة حلفائه في غجدوان عاد إلى كابول ومن هناك صمم على إحتلال الهند، فتم له ذلك وأسس الامارة الگورگانية هناك. توفي عــام ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م. ماجدة مخلوف، مقدمة تاريخ بابر شاه المعروف بـ"بابرنامه" لظهير الدين محمد بــابر شاه، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٨-٢٢؛ هاريسون وهاردي، "بابر"، دائرة المعارف الاسـلامية،=

**"لقد تمكن شيبك من سحب يدك من سمرقند، وها نحن نرسل يده لك"**[١].

وفي هذه الأثناء التقى الشاه بالخواجة محمود الساغرجي وزير التيموريين، فأعجب بقابلياته وفصاحته فسلمه وزارة ممالك خراسان كلها، وفي الوقت نفسه نصّب دده بيك طالش حاكما لمرو، كما أمر بالخطبة وضرب العملة باسم الأئمة المعصومين فيها[٢]. وحينما تجمع الناس في مسجد هراة للاستماع إلى رسالة الشاه بإحتلال مرو، أمر قلي جان بيك الذي تولى نقل الخبر الخطيب حافظ زين الدين بتلاوتها، ولما وصل إلى شتم الخلفاء الراشدين الثلاثة تجاوز المقطع الخاص بذلك، مما أغضب قلي جان فطلب من قائد القزلباش حيدر المداح بإنزاله فسحبه إلى الأرض لتتلقفه سيوف القزلباش قبل أن يصل إلى الأرض ومزقته إربا[٣].

توجه الشاه بعد هذا الانتصار إلى هراة فدخلها في السابع من رمضان ٩١٦هـ/ ١٨ كانون الثاني ١٥١١م فتجمع الأهالي لاستقباله، وكان على رأس علماء البلدة سيف الدين أحمد بن يحيى بن سعد الدين التفتازاني شيخ الإسلام في هراة المسؤول الأول عن الأمور الشرعية في عهد حسين ميرزا بايقرا، وبعد حديث قصير بينهما أمر الشاه بقتله مع علماء آخرين[٤]، وعين حسين بيك لله حاكما لهراة، كما وضع الأمور الشرعية بيد أمير محمد بن أمير يوسف الرازي،

---

**=م٥، ص٥٣٦-٥٤٣؛ احمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، الجزء الثاني (الدولة المغولية)، القاهرة، ١٩٥٩م، ص١-٥.**

**(١) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٣٨١.**

**(2) Reginald Stuart Poole,The Coins of the Shahs of Persia, London,1887, P. 5; نظام الدين مجير شيباني، بيشين، ص١٣٣-١٣٤.**

**(٣) يحيى قزويني، بيشين، ص٣٨١-٣٨٢؛ سيد حسن استرابادى، بيشين، ص٤٤؛ أحمد قمى، بيشين، ج١، ص١١٥-١١٦.**

**(٤) وهم فضلا عن التفتازاني: الأمير نظام الدين عبد القادر المشهدي، السيد غياث الدين بن يوسف الرازي والقاضي صدر الدين محمد الإمامي والقاضي اختيار الدين حسين التربتي والأمير جمال الدين الحسيني الدشتكي الشيرازي الذي خطب في الناس قبل ورود الشاه يطيّب خواطرهم ويطمئنهم. الخوانساري، المصدر السابق، ج٣، ص٣٤٢.**

ومن هناك بدأ الشاه يتهيأ لإكمال إحتلال مقاطعات الأوزبك لاسيما منـــاطق مـــا وراء النهر التي ظلت تحت حكم كل من عبيد الله خان ابن أخ شيبك في بخارى ومحمد تيمور سلطان بن شيبك خان في سمرقند[١]، فلما سمع هؤلاء بنية الـــشاه أرسلوا له مندوبين وهدايا كثيرة طالبين الصلح فوصلوا واستقبلهم الشاه في مدينة ميمنة، وكان من شروط الصلح حصر ملك الأوزبك بمنـــاطق مـــا وراء نهـــر جيحون، وأن تبقى مناطق بلخ وشُبرغان وأندخور وچيچكتو وفارياب ومرغـــان وجورجيا وصولا إلى شواطئ نهر جيحون من حصة الصفويين، فعـــين الـــشاه بيرام بيك قره ماني حاكما عليها ومنحه لقب خان، أما مدينة سمرقند فقد نـــصّب أحمد سلطان استاجلو حاكما عليها، لكنه عاد بعد ستة أشهر بإعادتها للأوزبـــك حسب طلبهم[٢]، لقد تجاوز عمر شيبك خان الستين عندما قتل وكانت مملكته التي حكمها إحدى عشرة سنة تضم ما وراء النهر وقلعة شادمان وخراسان وبدخشان.

كان لمعركة مرو نتائج مهمة على بنية الدولة الصفويّة، إذ أوصلت حـــدود إيران إلى نهر جيحون وأسهمت في إيقاف الهجمات الأوزبكية ضـــد المنـــاطق الشرقية من إيران مدة من الزمن، كما أدت إلى انتشار التشيّع بـــصورة واســـعة فيها، فضلا عن توثيق العلاقات بين إيران وبابر شاه الگورگاني، إذ سبق لشيبك خان أن أجبر شقيقته خانزاده خانم بالزواج منه عند احتلاله سمرقند، وبعـــد أن تمكن إسماعيل من سحقه أعادها معززة إلى أخيها ترافقها زوجة الـــشاه بـــيكم خانم[٣]، ففتح بذلك صفحة جديدة من التعاون بين إسماعيل وبابر شاه إذ أرســـل الأخير مندوبين عنه للتنسيق بينهما بغية استعادة السيطرة على أملاك أجداده في ما وراء النهر[٤].

وكان من نتيجة هذا التنسيق استعادة بابر سيطرته على قلعة شادمان وختلان

---

(١) هوشنگ مهدوى، بيشين، ص١٥.

(٢) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برگ١٩٠ب-١٩٢ب؛ حسن بيك روملـــو، بيـــشين، ج١١، ص١٦٤.

(٣) بابر شاه، المصدر السابق، ص٩٠. الساداتي، المصدر السابق، ج٢، ص١٠.

(٤) ماجدة مخلوف، المصدر السابق، ص٢٥؛ عبد الحسين نوائى، روابط سياسى واقتصادى ايران در دوره‌ء صفويه، تهران، ١٣٧٧ش/ ١٩٩٩م، ص٣٩.

وقندز وبغلان، وبغية استعادة بقية أملاكه أعلن تبعيته للشاه ولبس مع جنوده لباس القزلباش[1] وطلب من الشاه المساعدة، ذلك على الرغم من تأكيده في أكثر من مكان في كتابه "بابرنامه" على اعتقاده بـ"فساد عقيدة الشيعة"[2]، فأرسل له جيشا يقوده الأمير نجم الثاني يساعده قلي جان بيك فسيطروا على سمرقند بلا قتال، لكن الأهالي تفرقوا عن بابر شاه بعد رؤيته مرتديا زي القزلباش[3].

وارتكب القزلباش مذابح كبيرة ضد حاكم قلعة خزار وجنوده على الرغم من الأمان الذي منحه لهم الأمير نجم، وكذلك حال سكان قلعة قرشي التي قاومت الغزو بعد أن سمعت بما حلّ بقلعة خزار، لذا أمر بالقتل العام لسكانها، وحتى حينما تشفع بابر للعفو عن عناصر الجغتاي الذين يعيشون في القلعة رفض الأمير نجم هذه الشفاعة فأمر بقتلهم جميعا، وهو المصير نفسه الذي واجهته أسر السادة التي كانت تعيش في القلعة وتجمعت في مسجد القلعة وطلبوا العفو عنهم، فرفض نجم ذلك وقتلوا، حتى أن المصادر تكاد تجمع على أن عدد القتلى في قرشي لوحدها كان خمسة عشر ألف حتى لم يبق في القلعة حياة على الإطلاق[4].

وكان الأمير نجم يفقد في كل يوم يقضيه في تلك النواحي جماعة من أنصاره بسبب سلوكه الفج، وكان بابر شاه والأمير غياث الدين محمد والخواجة كمال الدين محمود الساغرجي من بين الذين انسحبوا من جيشه، فبعد أن فرغ من قلعة قرشي اتجه لإحتلال بخارى وعلى بعد فرسخين (٩ر٦٥٤ كم) من المدينة توقف للتصدي للأوزبك، كما أرسل بيرام بيك قره ماني لمحاصرة قلعة غجدوان، ثم لحق به الأمير نجم وأمر بمحاصرة القلعة وسط تناقص المؤن لدى القزلباش، فاقترح عليه بابر والساغرجي وغياث الدين ترك حصارها، لكنه لم يستمع لآرائهم مما أدى إلى الاختلاف فتركوه يواصل الحصار من دونهم،

---

(١) بابر شاه، المصدر السابق، ص٢٠٠-٢٠٣؛ بارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٣٣٠.
(٢) بابر شاه، المصدر السابق، ص١٨٧، ٢٠٥.
(3) Browne, OP. Cit., Vol. IV, P. 67.
(٤) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٢٤-٥٢٧؛ شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج١، ص١٥١-١٥٢؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برگ ٢١٥أ.

وخلال معركة غجدوان التي نشبت بينه وبين جيش القلعة بقيادة تيمور سلطان وجموع الأوزبك القادمة من ما وراء النهر بقيادة عبيد الله خان التي تمكنت من عبور نهر جيحون والاصطدام بالجيش الصفوي في ١٣ رمضان ٩١٨هـ/ ١٢ كانون الأول ١٥١٢م، أصاب سهم صدر بيرام بيك قره ماني فخرّ صريعا، ولما رأته جموع القزلباش انفرط عقدهم وهربوا، فقتلت أعداد كبيرة منهم ومن أنصارهم الخراسانيين وأسر الأمير نجم ثم قتل، كما لاذ بالفرار كبار قادة القزلباش، ومنهم دده بيك وحسين بيك لله وأحمد بيك صوفي أوغلو[١].

وهكذا خسر الصفويون هذه المعركة بسبب تصرفات قائدهم الأمير نجم الثاني، فبدأ الأوزبك ينظرون إليها على أنها رد على هزيمتهم في معركة مرو، فتجرأوا على مهاجمة الأقاليم الشرقية لإيران ومحاصرة هراة واحتلالها، بل إن عبيد الله خان الأوزبك تمكن من احتلال مشهد لمدة ثلاثة أشهر[٢]، وبادر إلى إعمال السيف في رقاب الشيعة هناك بمباركة بعض رجال الدين المتعصبين وتشجيعهم، وعلى رأسهم الخواجة أبو الوفاء، ولم تتوقف هذه المجازر إلا بتدخل الأمير محمد يوسف[٣]. وفي هذه الأثناء سمع الشاه إسماعيل بنتائج هذه المعارك ومقتل الأمير نجم الثاني، فأمر بإعداد الجيش للذهاب إلى الشرق واستعادة خراسان من أيدي عبيد الله أوزبك، وفي الطريق إلى خراسان كانت القوات تتجمع لدى الشاه من مختلف أنحاء إيران، لكن عبيد الله بارح خراسان بعد أن سمع بقدوم الشاه وفرّ إلى بخارى، كما فرّ محمد تيمور سلطان إلى سمرقند[٤].

وقبل أن يتوجه الشاه إلى مشهد أحضر أمامه دده بيك سلطان طالش قورچي باشي حاكم مرو الذي هرب من المعركة، فأمر بتعزيره[٥]، وعين ديو سلطان

---

**(١) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برك ٤٧أ-٤٧ب؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برك ٢١٥أ.**

**(٢) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٢٩؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برك ٢٢٠أ؛ اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٢٤٢-٢٤٤.**

**(٣) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٩؛ سيوري، تحقيقاتي...، ص٩١.**

**(٤) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٦؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٢٤.**

**(٥) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٣٨؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برك=**

روملو حاكما على ما وراء النهر التي تشمل بلخ وشبرغان، كما نصّب زينل سلطان حاكما على هراة بدلا من حسين بيك لله الذي هرب من معركة غجدوان، كما أمر بتعيين الأمير نظام الدين عبد الباقي نائبا له بدلا من الأمير نجم الثاني، بعدها توجه لزيارة ضريح الإمام الرضا، ونظم بعض شؤون البلاد وأصدر أوامره بإخماد بعض الانتفاضات قبل أن يتوجه إلى أصفهان لقضاء شتاء العام ٩١٩هـ/ ١٥١٣-٤م[١]، وخلال وجود الشاه في خراسان استغل أخوه الأمير سليمان بن حيدر الظروف وأعلن الثورة في تبريز ضد أخيه، لكن حاكم تبريز مصطفى بيك استاجلو قمع الثورة وقتل سليمان، فأمر الشاه بتكريم حاكم تبريز ومنحه لقب "منتشا سلطان" ونصبه على حكومة تبريز[٢].

لا يمكن إنكار الطبيعة الطائفية التي أطرت الوجود الصفوي في مناطق خراسان وهراة وما وراء النهر، إذ كان معظم سكان تلك المناطق من السنّة سواء المعتدلين أو المتشددين وكلاهما كانوا يفضلون الموت على شتم الخلفاء الراشدين وهو ما يلاحظ بوضوح عند إلحاق هراة عاصمة خراسان وما سبقها من حوارات بين مبعوثي الشاه وشيبك خان أو بينهم وبين رعيته[٣]، ذلك على الرغم من أن هذه المناطق تربطها بالصفويين علاقة جيدة بسبب الجهود السابقة التي بذلها شخص من أهالي سراب يدعى قاسم أنوار أحد مريدي صدر الدين بن صفي الدين والذي نشر الطريقة الصفويّة في تلك النواحي، وحتى بعد أن أبعده شاه رخ بن تيمور من خراسان إلى سمرقند استمر على نهجه وعرّف سكانها بأصول الطريقة الصفويّة، وبعد أن توفي ظل تلاميذه ومريدوه على إخلاصهم للصفويين، لذا لم يكن اسماعيل خلال هذه المرحلة بحاجة إلى معلومات بسبب ما كان يأتيه من هؤلاء من رصد لتحركات شيبك وعبيد الله.

---

=٢٢٢أ؛ اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص٤١.

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٣٨؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برگ ٢١٨ب.

(٢) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برگ ٢١٨ب؛ حسن بيك روملو، بيشين، ص١٤٠؛ غلام سرور، بيشين، ص٧٠-٧١؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٤٩٧.

(٣) يراجع للاطلاع على رصد لهذه الحوارات: رسول جعفريان، صفويه در عرصه...، ٤٧-٥٢.

## رابعا. الأوضاع الاقتصادية والعلاقات الإقطاعية في إيران أيام الشاه إسماعيل:

ورثت الدولة الصفويّة عن النظم الإقطاعية المغولية والتركمانية طرق امتلاك الأرض، وفضّل الشاه إسماعيل أن يعتمد سياسات هذه الدول في تنظيم علاقات دولته الإقطاعية بصورة تمكنه من تحصين دولته اقتصاديا عن طريق هيمنة الدولة على الأراضي السهلية والهضاب الخصبة التابعة للطبقة الإقطاعية القديمة وتسليمها إلى أعوانه المقربين وقيادات القزلباش ورجال الدولة وكبار موظفيها، بل أن المؤسسات الإقطاعية الإسلامية التي طرأت عليها بعض التحولات الجذرية خلال المرحلة السلجوقية انصهرت في الموجة الجديدة من التفرد الصفوي بالسلطة، إذ اختلف المفهوم الصفوي للمُلك عن كل من معنى الخلافة أو نظام الخانات، فلم يعد مفهوم المجتمع الذي كان يرتكز (ولو جزئيا) على المساواة الحكومية بين أفراده إلا في خدمة بعض ذوي الإمتيازات، لذا كان التشابه بين النوعين مجرد تشابه ظاهري، بيد أنه في حقيقة الأمر كان مفهوم المجتمع يتسم ببيروقراطية وعبثية أكثر، وكان منصب الحاكم يزداد قوة بفعل نظرية الحق الإلهي التي حكم الصفويون على وفقها، وقد أثر الاستبداد المطلق في الدين بعموم الحياة الاجتماعية والسياسية وفي مجال حيازة الأرض، لاسيما بعد اعتمادهم على نظرية تجعل من الحاكم "المالك الأوحد"، وهي النظرية نفسها التي تبنّاها نظام الملك (ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) وزير ألب أرسلان السلجوقي(١).

وهكذا تكونت الطبقة الإقطاعية الإيرانية أوائل العهد الصفوي من ثلاثة عناصر أساسية في مقدمتها كبار قادة القبائل المرتحلة الذين شكلوا نواة المجموعات القزلباشية، بعد أن حصلوا على إقطاعيات وأراض ومزارع شاسعة، وهؤلاء كانوا مفضلين أيضا في الحصول على المناصب المتقدمة في الدولة الوليدة، والعنصر الثاني هم رجال الدين، إذ حرصت الدولة على منح بعض كبار رجال الدين الشيعة إقطاعيات للاستفادة من عوائدها في إدارة مؤسسات مذهبية أو خيرية أو رعاية بعض الأوقاف، وكان بإمكانهم تملكها شرط الاستفادة منها

---

(1) Lambton, Landlord and Peasant in Persia, P. 105; Malcolm, Op. Cit., Vol. I, P. 481.

في خدمة هذه المؤسسات الرسمية، هذا إلى جانب احتفاظ بعض زعماء السلالات الإيرانية القديمة، والإقطاعيين الذين كانوا يسكنون المدن بأراضيهم السابقة بعد أن كسبوا ودّ الدولة الجديدة[1].

أدى هذا الأمر إلى تغيير في تناسب الملكيات الإقطاعية حتى أصبح ما تملكه الطبقة الإقطاعية الجديدة المكونة من زعماء القبائل التركمانية البدوية وزعماء القزلباش والأمراء الصفويين أكثر بكثير من ما تملكه الأرستقراطية الفارسية القديمة، لاسيما وأن الشاه الصفوي كان كثيرا ما يمنح هدايا وهبات على صورة أرض زراعية أو أموال لكبار رجال الدولة الذين يقدمون خدمات جليلة للدولة، أو يحققوا إنجازات مهمة، وتسمى هذه الهدية بالتركية "قبول"، أي سهم وتعني بالفارسية الهدية الجماعية[2] التي تقدم من أرباح الأراضي الإقطاعية، وهذه الأسهم ليست وراثية بل يتمتع بها المكرم طوال حياته[3].

وبعد أن بدا للصفويين عدم قدرتهم على إمداد جيوشهم بدماء جديدة سواء من قبائل الأناضول أو غيرها لعجزهم عن دفع مستحقاتهم، اضطروا إلى حصر الملكيات الزراعية التابعة للأعيان السابقين وسلموها لهؤلاء، لتتحول في نظر العامة إلى "ملكية خاصة مغتصبة" والتي على الرغم من أن بوسع نظرية "المالك الأوحد" أن توفر الغطاء المناسب للحاكم وتمكنه من مصادرة أراضي مواطنيه، لكنها لم تلق القبول الكامل من الناس بوصفها ممارسة ظالمة[4].

---

(١) بيگلوسكايا وديگران، بيشين، ص٤٧٩.

(٢) يعد عبد الرزاق السمرقندى، أول من تحدث عن السهم.بيگلوسكايا وديگران، بيشين، ص٤٨٠. والمؤلف هو عبد الرزاق بن جلال الدين اسحق كمال الدين السمرقندى نزيل هراة، توفى سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢-٣م، من تصانيفه "شرح رسالة العضدية في معنى الحروف والإشارات"، وكتابه "مطلع السعدين ومجمع البحرين"، هو تاريخ للتيمورية حتى سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠-١م، ويقع في قسمين. أولهما من ولادة السلطان أبو سعيد اولجايتو في ٧٠٤هـ/١٣٠٤-٥م، إلى وفاة الأمير تيمور الگوركاني في٨٠٧هـ/ ١٤٠٤-٥م، والثاني في حكومة شاه رخ في هراة في ٨٠٧هـ/١٤٠٤-٥م إلى حكومة السلطان حسين في ٨٧٥هـ/١٤٧٠-١م، طبع في لاهور بإشراف محمد شفيع اللاهوري عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م. آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج١٢، ص ١٥٤.

(٣) بيگلوسكايا وديگران، بيشين، ص٤٨٠.

**(4) Lambton, Landlord and Peasant in Persia, P. 106.=**

بدا النظام الإقطاعي الصفوي متأثرا إلى حد بعيد بالنظام العسكري القزلباشي، إذ أصبح نقباء القبائل ورؤساؤها هم المالكون الفعليون للأرض، على الرغم من أنها منحت لهم على أساس أنها ملك لأبناء القبائل، إذ لم يكن بوسعهم التصرف بها بيعا وشراءً، لكن كان يمكنهم توريثها لأبنائهم على أساس استمرار وراثة الأبناء لمشيخة آبائهم، وهو نظام كان ساريا في إيران، فيما ظلت بعض الأراضي الممنوحة للقادة ورجال الدين وموظفي الدولة بيد فلاحيها السابقين مقابل دفع ضريبة إقطاعية(١).

استند الاقتصاد الإيراني حينذاك على المهن التي مارسها سكان الدولة، فالقزلباش التركمان كانوا يمارسون رعي المواشي ويعيشون بعيدا عن التجمعات المحيطة بهم، وهم في هجرة مكوكية بين المناطق الصيفية والشتوية ومنظمين على صورة جماعات (عشائر) تطيع زعماءها(٢)، لكن التاجيك المستقرين ظلوا على العموم يمارسون الزراعة على نطاق واسع، أو التجارة إذا ما كانوا من سكان المدن(٣)، لذا من الطبيعي أن تكون أعداد الزرّاع أكثر عددا وأهمية من بقية عناصر المجتمع، فكانوا أفضل من القزلباش لأنهم يعيشون في تجمعات زراعية تتضمن مساكن ثابتة تؤويهم ومستلزمات عيش بسيط، هذا مع أنهم كانوا يتعرضون لضغطين كبيرين لا يقلان عن بعضهما أثرا، أولهما مطالب الإقطاعيين التي لا تنتهي فكان على الفلاح أن يدفع مبلغا ماليا للإقطاعي بدلا عن حيازة الأرض وكان يدفع مع المال في حال الأراضي الحكومية مواد غذائية من حنطة وشعير وحرير وغير ذلك، إلى جانب أعمال السخرة المجانيّة أو الصيد لصالح الإقطاعي أو شق الطرق أو بناء القلاع أو شق مجاري الأنهار وغيرها، كما كان عليه أن يساعد في المجهود الحربي للدولة بتقديم مواد غذائية

---

=سبق لمثل هذا الأمر أن قاد أسلافهم إلى التخلي عن مساحات شاسعة من الأرض لصالح الإقطاعيين الجدد، ودفع الشاه عباس الكبير فيما بعد إلى إنشاء مقاطعات خاصة وأوقاف ملكية تمكنه من الدفع من وارداتها وتجنب اللوم الأخلاقي الذي يعقب عمليات المصادرة والتمليك.

(١) بيگلوسكايا وديگران، بيشين، ص٤٧٩.

(2) Lambton, Landlord and Peasant in Persia, P. 106.

(٣) سيورى، ايران عصر صفوى، ص١٨٤.

للجيش وأعلاف لدوابه فضلا عن إسكان أفراده في بعض الأحيان[1].

كانت أوامر الصيد الجماعية تؤتي نتائج سلبية في الغالب على الأراضي والفلاحين والبيئة على حد سواء حينما لم تكن مبررة، ففي منطقة جرجان أمر الشاه إسماعيل ذات مرة بترحيل أكثر من تسعة آلاف قروي من منازلهم ليقوموا بحملة صيد للحيوانات البرية في غاباتها، وهو ما أضرّ بمالكي هذه الأراضي حتى أنهم لم يتمكنوا من زراعتها، كما لم يتقدم أحد لاستئجارها[2]، وحينما أراد الشاه إسماعيل أن يكسب ود القرويين، أمر بتقليل الأرباح التي تدفع للملاكين إلى سدس المحصول[3].

والضغط الآخر الذي كان يتعرض له الفلاحون هو التباين السنوي في كميات المياه التي تجود بها السماء أو مجاري الأنهار ليقيموا زراعتهم عليها، وبصورة عامة كانت الحبوب من قمح وشعير وأعناب وبعض الفواكه الأخرى أبرز ما تنتجه الأراضي الزراعية إلى جانب الحرير[4]، أما التركمان الرحل فكانوا يمتهنون الرعي إما لحسابهم الخاص أو لفائدة بعض الأمراء، فكانوا يتنقلون بمواشيهم خلال الأماكن التي تعجبهم حيث الماء والكلأ الكافي لمواشيهم تبعا لسلطة سيدهم[5].

أما عن التنظيم المالي للدولة، فليس خاف ما للعملة من أثر اقتصادي محوري على الصعد المحلية والإقليمية، التجارية أو الدينية خلال العهد الصفوي، لذا فالنقود ذهبية أو فضية فإنها كانت تسك بأمر الشاه وإشرافه المباشر، ماعدا العملة النحاسية مثل الفلس، فإنها يمكن أن تسك في الأقاليم بإشراف حكامها للحيلولة دون الانتفاع المنحرف للحكام من سك العملات الذهبية والفضية، لكن العملة النحاسية لا تحمل أسماء حكام الولايات بل تحمل صورة إنسان أو حيوان أو طير، وعلى الوجه الثاني اسم العملة ومحل وسنة سكّها، وبعد رسوخ الحكم

---

(١) بيگلوسكايا وديگران، بيشين، ص٤٨١.
(٢) همان منبع، ص٤٨١.
(٣) همان منبع، ص٤٨١.
(4) Lambton, Landlord and Peasant in Persia, P. 106; Malcolm, Op. Cit., Vol. I, P. 481.
(٥) بيگلوسكايا وديگران، بيشين، ص٤٨١.

الصفوي ورواج التشيّع في إيران أصبحت السكّة تحمل على وجهيها صفتين دينية فيكتب على أحد الوجوه عبارة: "لا إله إلا الله. محمد رسول الله. علي ولي الله" وربما يكتب في مركز هذا الوجه أسماء الأئمة المعصومين الاثنى عشر، أما الوجه الثاني فيحمل الصفة السياسية للدولة، فيكتب اسم الشاه وسنة الضرب، ودرج الصفويون على كتابة ألقاب شاهاتهم بخط النسخ العربي بوصفها ربطا بين صفتهم الدينية والمذهبية وصفتهم السياسية، ومن هذه الألقاب: "السلطان العادل الكامل، الوالي، الغازي في سبيل الله، أبو المظفر شاه إسماعيل بهادر خان الصفوي الحسيني خلد الله تعالى ملكه وسلطانه"[1].

وكانت دارا الضرب في أصفهان وتبريز أهم دور الضرب الصفويّة إلى جانب بعض دور الضرب المحلية التي كان الشاه يوليها اهتماما[2]، وكان يطلق على الشخص القيّم على الدار لقب "ضراب باشي" ويتصل مباشرة بشخص الشاه أو نائبه ومسؤول أمامهما[3].

وبالنسبة للعملة الصفويّة فبعد زوال سلالة الآق قوينلو وتشكيل الدولة الصفويّة أصدر الشاه إسماعيل عملة جديدة راج صيتها وبقيت في الخدمة حتى مطلع عهد نادر شاه الأفشاري (١١٤٩-١١٦٠هـ/ ١٧٣٦-١٧٤٧م)[4]، إذ يقوم النظام النقدي على أساس التومان الذي يساوي عشرة آلاف دينار من الفضة الخالصة، وكان عدد المثاقيل الثابت وحبات الفضة الخالصة هي التي تحدد وزن التومان ليصبح سهل التداول سواء مقابل عشرة آلاف دينار أو مع المسكوكات التي تساوي هذه القيمة، ووزن كل مثقال فضة يساوي٦٠ر٤ غم أي أربعة غرامات وستين سنتا من الفضة ذات العيار ٢٤ حبة إذ يصبح وزن كل حبة ١٩٢ر٠ غرام، وكانت أهم العملات المتداولة في عهد الشاه إسماعيل تلك

---

(1) **Reginald Poole, Op. Cit., P. 8;**
**:http://users.rcn.com/j-roberts/sfv.htm;**

**الملحق رقم (٩).**

**(٢) دارلي دُران، بيشين، ص١٦٤.**

**(٣) نصيرى، بيشين، ص٣٨-٣٩. براجع لمزيد من التفاصيل عن العملات: الملحق رقم (٨).**

**(٤) دارلي دُران، "نظام پولى دوره ء صفويان"، صفويان (كتاب)، ص١٦٤.**

المسماة شاهي التي تساوي خمسين دينارا[1].

ولكي يعبر إسماعيل عن عقيدته الشيعية، أمر بوضع اسم الإمام علي على العملات التي أمر بضربها بعد دخوله تبريز، فحملت عبارة "علي ولي الله"[2]، وكانت أغلب العملات الصفويّة من الذهب والفضة والقليل منها من النحاس الذي لم يكن له رواج كبير، وقبل عهد إسماعيل لم تعرف تبريز في عهد التيموريين العملة الذهبية، لكن الآق قوينلو قاموا بضربها للأغراض التجارية وتسمى أشرفي، زنتها ٤٥ر٣غم وهي تقليد لسكة الأشرفي البرجي المصرية[3].

تشبه السكة النقدية الأولى التي ضربها الشاه إسماعيل نقود الآق قوينلو والمماليك البرجية في مصر من ناحية الوزن والنوعية، ومشابهة من ناحية المضمون للعملة التي أصدرها الإيلخان الجايتو بين العامين ٧٠٩ و٧١٦هـ/ ١٣٠٩- ١٠ و ١٣١٦-٧م وظلت هذه العملة رائجة قرنين من الزمن، ولما جاء الشاه إسماعيل بادر إلى إدخال الفن الإيراني مستفيدا من النزعة المذهبية التي خلقها مؤطرة بالتراث والثقافة الإيرانيين[4].

لقد ضرب الصفويون عملاتهم الذهبية والفضية بالقوالب نفسها ويسمون كل العملات الذهبية (أشرفي) بصرف النظر عن الفروق التي بينها في التصميم والكتابات الموجودة عليها، بل وحتى الأوزان[5]، إذ اختار اسماعيل لمسكوكاته الذهبية عيارين الأول على أساس المثقال الإسلامي القديم، أي سكة الدينار ذي ٢٤ حبة، أي أربعة غرامات وستين سنتا، والثاني على أساس الأشرفي المتداول المستند أساسا على سكة الدوكات الفينيسي أو المثقال ذي الوزن ١٨ حبة أي وزن ثلاثة غرامات وخمسة أربعين سنتا، وهذه السكة قابلة للتبادل مع الدوكات

---

(1) **Reginald Poole, Op. Cit., P. 9;**

**عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، بغداد، ١٩٥٨م، ص١٧٣.**

(2) **Ibid., P. 11.**

**يراجع كذلك: سيد حسن استرابادى، بيشين، ص٣٣.**

**(٣) تراجع المواقع التالية على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) للمقارنة بالعملة الصفويّة:**

**http://users.rcn.com; www.ancient-art.com; www.calgarycoin.com**

**(٤) دارلي دُران، بيشين، ص١٦٤؛ الملحق رقم (٨).**

**(٥) عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية، ص١٧١-١٧٢.**

الأوربي والأشرفي المملوكي والسلطاني العثماني، وكان هناك النصف أشرفي والربع أشرفي[1].

وبعد أن أعلن تبعيته للشاه اسماعيل سنة ٩١٦هـ/١٥١١م، أمر بابر شاه الگورگاني بسك عملة من الفضة تحمل عبارة "لا إله إلا الله. محمد رسول الله. علي ولي الله" وعلى الوجه الآخر اسم السلطان بابر بهادر، ولم تبين تاريخ أو مكان السك، إلى جانب عملة أخرى تحمل على أحد وجهيها أسماء الأئمة الاثني عشر للشيعة، والجدير بالملاحظة أن العملتين لا تحملان اسم الشاه إسماعيل[2].

وعن نظام الرواتب، فسنذكر مثالا واحدا، وهو المدخولات الشهرية التي كان يتقاضاها خليفة الخلفاء، فقد كان مرتبه ٦٥٩ تومان تبريزي، و٦٠٠٠ دينار، وبعد أن يدفع رواتب أتباعه البالغين مئة خليفة يبقى له ٣٠٠ تومان تبريزي، كما كان يحصل على مئة تومان أخرى من أرباح الأراضي التابعة له ومحاصيلها، وإذا ما أضيف إليه النذور والهدايا القادمة لدار الإرشاد سيصبح دخله الشهري ألف تومان[3].

كانت التجارة الخارجية الإيرانية تعتمد بصورة أساسية على بيع الحرير إلى دول أوربا، فكانت قوافل التجارة تمر إما عبر الطريق البري المار خلال العراق وبلاد الشام إلى البحر المتوسط، أو الطريق البحري عبر ميناء هرمز في جنوب الخليج العربي ومنه إلى المحيط الهندي إما باتجاه الهند، أو باتجاه أوربا عبر رأس الرجاء الصالح، وهناك طريق بري ثالث يمر عبر الأراضي الروسية إلى أوربا[4]، وعلى الرغم من تدني أهمية هذا الطريق بالمقارنة مع بقية الطرق إلا أن السياستين العثمانية والبرتغالية، أدتا إلى التركيز على الاهتمام به لتصبح الأراضي الروسية طريقا رئيسا للتصدير ومن ثم الحصول على المال اللازم من أوربا[5]، كما شكلت تبريز محطة للقوافل التجارية القادمة من أرمينيا أو

---

**(1) Reginald Poole, Op. Cit., P. 11.**

**(٢) ماجدة مخلوف، المصدر السابق، ص٢٤-٢٥.**

**(٣) خاندان نصيري، بيشين، ص٣٥-٣٦.**

**(٤) بديع محمد جمعة، الشاه عباس الكبير، بيروت، ١٩٨٠م، ص٨٤.**

**(٥) رويرت أولسن، حصار الموصل والعلاقات العثمانية – الفارسية، ترجمة: عبد الرحمن الجليلي،=**

أذربيجان قاصدة الأناضول، فكانت هناك شبكة من الطرق تربط تبريز بأرضروم وسيواس وديار بكر والعراق نزولا إلى الخليج العربي، ومن ديار بكر يتفرع الطريق من الموصل إلى حلب والاسكندرونة على البحر المتوسط، كما يتفرع منه طريق بري يؤدي إلى استانبول[١].

وبالنتيجة تمكن إسماعيل من بناء معالم دولة جديدة ضمّت رقعة واسعة من الأرض كانت تشكل الحدود التاريخية لإيران، ومما يسجل على هذه السياسة القسوة المفرطة التي كان يمارسها إسماعيل والقزلباش ضد أعدائهم أحيانا، وكان القصد منها معالجة قضية خطيرة بأقل الضحايا، ففي العام ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م وفي عام المجاعة وعندما عاد اسماعيل من طبس إلى أصفهان كانت المجاعة شائعة وكانت الغلات بيد السادة الحسينيين وكانوا يحتكرونها ويمنعونها عن الناس، فحكم الشاه على أحدهم ويدعى مير غياث الدين بالقتل وأن يقطع إربا، بعد أن اكتشف كذبه على الرغم من قسمه برأس الإمام علي ورأس الشاه بعدم وجود أي غلاّت لديه، فكانت هذه العقوبة رادعا للبقية الذين بادروا إلى عدم منع المواد الغذائية عن الناس[٢].

ويلاحظ أيضا في هذا الصدد القسوة المفرطة التي كان يتعامل بها اسماعيل مع المتمردين عليه أو أعدائه، بين الحين والآخر، إلا أن هذا العنف لم ينطلق من بواعث سادية أو عبثية في الغالب، بل كان مدروسا، الهدف منه إيقاع أكبر رعب ممكن في قلوب الأعداء ليشل الفزع حركتهم وفاعليتهم، فلا يقدرون على المجابهة أو الدفاع، لذا فينبغي أن يفهم هذا العنف في إطار تلك المرحلة وسلوك الدول القائمة آنذاك، بل وهو ديدن القبائل الطورانية ومن سماتها[٣]، على أن ثقافة الحرب الطورانية لم تكن الوحيدة التي تتنازع إسماعيل، بل كان يشعر بالارتباط الثقافي بالحضارة الفارسية التي ينتمي إليها التاجيك، بوصفها إحدى

---

=الرياض، ١٩٨٣م، ص٦٧.

(١) المصدر نفسه، ص٥١.

(٢) يراجع للاطلاع على تفاصيل القصة: ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برك ١١٣ب.

(٣) إدورد جرانفيل براون، تاريخ الأدب في إيران. من الفردوسي الى السعدي[الجزء الثاني]، ترجمة: ابراهيم أمين الشواربي، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٥٥٤.

أهم مكونات دولته وأصحاب الأرض التي قامت عليها دولته، فضلا عن ارتباط نسبه بآل البيت، والذي كان يستدعيه بين الحين والآخر، بوصفه مبــررا دينيــا وتاريخيا لقيادته مشروع الدولة، دون أن يتجاهل مشروعية القوة أو الأمر الواقع.

# الهويّة الطائفيّة والإثنيّة والثقافيّة للمشروع السياسي الصفوي

لم تكن العلاقة بين الدين والدولة أمرا طارئا على إيران، بل اكتسبت صفة الاستمرارية والعمق طوال العصرين القديم والوسيط، فقد كان الدين إمّا حليفا للسلطة السياسية وحاميا لها، أو معارضا للحكام وخصما لهم، لاسيما في العصر الساساني الذي أضحت الزرادشتية خلاله الإطار المؤسسي الحافظ للنظام الملكي الاستبدادي وتراتبية المجتمع الطبقي وقيمه المستندة إلى التمايزات الاجتماعية الحادة[1].

فالعقيدة إحدى عناصر المركب السياسي أو مركب بناء الدولة الذي يشبه المزيج الكيميائي، وحينما تجتمع عناصره وتتفاعل تعطي نتائج مغايرة ومتقدمة عما يعطيها العنصر المنفرد، وهذا المركب يتكون من ثلاثة عناصر هي القيادة والعقيدة والرعية[2] التي حينما تتفاعل مصالحها وتتّحد، تؤدي إلى بناء مشروع الدولة، فالقيادة في تبنيها للمشروع السياسي إذا ما استندت إلى المشروعية

(١) مرتضى مطهري، الاسلام وإيران، ترجمة: محمد هادي اليوسفي، الجزء الثاني، طهران، ١٩٨٥م، ص٢٢٣؛ كوثراني، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٢) الدراسة مدانة بهذه الأفكار لما طرحته الباحثة روث بنديكت (Ruth Benedict) في تشبيهها للثقافة الاجتماعية بالبارود الذي يتكون بالأساس من الكبريت والفحم ونترات البوتاسيوم، وكل واحدة لا تملك قابلية الانفجار، إلا بعد أن تتفاعل فيما بينها. مقتبس في: علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، بغداد، ١٩٦٥م، ص٣٦.

الثورية أو المشروعية العقيدية واختارت المذهب الفكري الذي يبرر لها هذا التبني، ستتفاعل القيادة والعقيدة ومعها جموع الأنصار المؤمنة والملتفة حولها وتؤتي دماؤهم وعرقهم نتائج تتلخص في بناء الدولة وديمومتها، وكان المشروع الصوفي الصفوي قد سبق أن حقق انتشارا فكريا في رقعة جغرافية واسعة ضمّت الهضبة الإيرانية التي تضم اليوم كامل إيران فضلا عن أفغانستان وأجزاء مهمة من باكستان والعراقين الأعجمي والعربي وكردستان والأحواز وتركستان والأناضول والشام وغيرها، وهو أمر ساعد إسماعيل في تحقيق مشروعه إلى حد بعيد مرتكزا على التراث الديني الطويل للأسرة الصفويّة، والدماء التي دفعوها في سنوات الكفاح للوصول إلى الحكم حينما تحوّل جنيد وخلفاؤه الذين قتلوا إلى شهداء ليس في نظر العامة حسب بل في تصور أعدائهم من حكام إيران.

وشكلت جموع البدو وسكان الأقاليم المذكورة التي ظلت تعاني الفاقة والجوع وهضم الحقوق السياسية قاعدة بشرية لهذا المشروع السياسي، وأسهمت الظروف القاهرة التي مرّت بالأسرة الصفويّة في إضفاء هالة من القدسية والسمو الديني عليها، إلى جانب كل محطات النضال السياسي والعقيدي تلك، فأصبح المقتولون شهداء، أما الأحياء منهم فنظر لهم الكثير من رعايا الدولة البايندرية والمخلصين لها، أنهم طلاب حق وأصحاب رسالة تداخل فيها الديني بالسياسي، فولّد رهبة في النفوس تجاههم، وهو ما آتى أكله خلال مرحلة تأسيس الدولة. يلخص المؤرخ البريطاني إدوارد براون (Edward Browne) ذلك بقوله:

"إن سيرة جنيد وأبنائه أضحت ملحمة تؤجج حماسة الأتباع وتدفع العوام إلى مناصرة الحركة بكل قواهم والثأر من قتلتهم"(١).

وحينما وصل إسماعيل للحكم، بادر إلى اعتماد نظام ملكي مطلق يستمد مشروعيته من التأسيس العقيدي للدولة، وهو اتخاذ المذهب الشيعي الاثني عشري مذهبا رسميا دون أن يغفل الشرعية الثورية، واستند إلى جموع المحرومين والمضطهدين من جياع الأناضول وأنصار الطريقة الصفويّة وفئات

---

**(1) Browne, OP. Cit., Vol. IV, P. 50.**

أخرى من مؤيديه، وهنا يؤكد عدد من المؤرخين أن إيران كانت سنية قبل العهد الصفوي ثم تحولت إلى التشيّع بقوة السيف[1]، أو أن الصراع الشيعي السني ظل فقهيا إلى أن وصل الصفويون إلى الحكم فتحول إلى سياسي[2]، وهذه الآراء تشكل تبسيطا شديدا للصراع بين القوى الإسلامية الذي يظل الخوض فيه خارج إطار هذه الدراسة، لكن الأهم هنا هو توضيح موقع إيران في خريطة التشيّع ومتابعة وجود التشيّع في إيران الذي لم يكن مرافقا للمشروع السياسي الصفوي، بل يمتد إلى العقود الإسلامية الأولى، وأن التجربة السياسية الصفويّة لبناء دولة شيعية ليست الأولى في التاريخ الإيراني، وهو ماحاول الصفويون الإفادة منه.

### أولا. التراث الشيعي في إيران وأثره في نجاح المشروع الطائفي الصفوي:

هناك صور عديدة للتشيع يمكن حصرها في ثلاث، أولاها التشيّع العقيدي الذي يتلخص ليس في تفضيل آل البيت على بقية الصحابة والتابعين حسب، بل واتخاذه طابعا فقهيا وكلاميا حينما انفرد بمعتقدات فكرية، مثل الإيمان بالرجعة والتقية وغير ذلك وأصبح أئمتهم منهلا للعلوم والمعارف الإسلامية، في وقت لا يعتقدون بموالاة الخلفاء الراشدين الثلاثة ولا يعتقدون بإطلاق عدالة السلف، كما صار للشيعة كيان تنظيمي دقيق. والصورة الثانية هي التشيّع السياسي الذي يعني تأييد قيادة علي وأولاده بوصفهم مؤهلين للخلافة أكثر من غيرهم، وليس الإيمان بأفضليتهم الدينية أو ما ورد بحقهم من آيات وأحاديث نبوية كما يذهب إلى ذلك الشيعة العقيديون، ومن بين هؤلاء عدد من رموز المذاهب الإسلامية الأخرى الذين أقرّوا بخلافة الشيخين أبي بكر وعمر، مع اعتقادهم بأفضلية علي، فنقلوا روايات في فضائله وآل بيته، من بينهم محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/

---

(١) يراجع على سبيل المثال: احمد الكسروى، التشيّع والشيعة، طهران، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، ص٥٣؛ أحمد كسروى، تاريخ بانصد ساله، ص٤١؛ شاهين مكاريوس، تاريخ ايران، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٤٨؛ علي الوردي، وعاظ السلاطين، بغداد، ١٩٥٤م، ص٢٤٩؛ علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الأول، بغداد، ١٩٦٩م، ص٩-١٠.

(٢) علي شريعتي، التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي، ترجمة: حيدر مجيد، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٧٧.

٩٢٢م)[١]، وصاحب المستدرك على الصحيحين الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) وأبو نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م)[٢] وغيرهم.

أما التشيّع الثقافي فهو الصورة الثالثة للتشيع، ويتمثل في مستوى متقدم من التقديس والمودة أولاه جمهور المسلمين السنّة لآل البيت، وهو أمر سبقت الإشارة إليه في الفصل الأول، وانعكس في المواقف المؤيدة للثورات العلوية في مختلف الأقاليم الإسلامية[٣]، وهذه الصورة لا زالت شائعة في إيران فيطلق على طائفة كبيرة منهم اسم "سنيان دوازده امامى"، ومعناه "التسنّن الإمامي الاثنا عشري"، فوصف بعض المؤرخين أهل سجستان مثلا بالتشيّع لأنهم امتنعوا عن سب علي على المنابر[٤]، ويدخل في هذا الإطار التيارات الصوفية التي تبنتها رموز علوية مثل الكبراوية[٥] والنوربخشية والنعمة اللّهية[٦] التي لا تنتمي رسميا إلى التشيّع العقيدي.

---

(١) وصفه الذهبي بانه: "ثقة صادق، فيه تشيع وموالاة لا تضر". شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الجزء السادس، بيروت، ١٩٩٥م، ص٩٠.

(٢) محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصفهاني (ت١٣١٣هـ/ ١٨٩٥-٦م)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق وشرح: محمد علي روضاتي الجزء الأول، طهران، ١٣٤١ش/ ١٩٦٣م، ص٢٧٣. ومما يذكر هنا أن زيد بن علي بن الحسين حينما أعلن ثورته سنة١٢١هـ/ ٧٣٩م، بايعه إلى جانب الشيعة أعداد من السنة والمعتزلة والمرجئة والخوارج، من الممتعضين من تصرفات الأمويين وسياساتهم، ومنهم أبي حنيفة النعمان. لذا فإن زيدا لم يظهر البراءة من الشيخين. أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، مقاتل الطالبيين، الطبعة الثانية، النجف، ١٩٦٥م، ص٩٩؛ أبو سعيد نشوان الحميري اليمني (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٨م)، الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، ١٩٤٨م، ص١٨٥.

(٣) رسول جعفريان، الشيعة في إيران...، ص٣٥-٤٧.

(٤) محمد بن زكريا القزويني (ت٦٨٢م/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٦٠م، ص٢٠٢، ٤٥٣.

(٥) طريقة صوفية قدمت عددا من الفلاسفة مثل علاء الدولة أحمد السمناني (ت٧٣٦هـ/ ١٣٣٥-٦م)، ومير سيد شهاب الدين علي الهمداني الشافعي (ت٧٨٦هـ/ ١٣٨٥م)، التقت في النصوص التي تركها هذان الفيلسوفان خطوط من الفكر الصوفي السني والتشيّع الامامي. عباس القمي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٦؛ كوثراني، المصدر السابق، ص١٣٦.

(٦) طريقة صوفية تنتسب الى مؤسسها الشاه نعمة الله الولي بن عبد الله بن محمد الحسيني الماهاني، وبفعل جهوده أضحت طريقته مشهورة في زمانه وبعدها، التقى وزامل الشاعر حافظ الشيرازي، له الكثير من الأشعار العرفانية، عمّر طويلا وتوفي سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠-١م، وقبره يزار في كرمان.

وبصرف النظر عن توزيع هذه الأشكال على سكان إيران ودولها، فإنها تمكنت من تعريف هؤلاء بالتشيّع و قربته منهم، وحتى تلك الأقاليم التي عرفت بتشددها إزاء التشيّع مثل قزوين وساوة والري[1]، فإنها كانت موطنا لأسر شيعية كثيرة وتحرك طائفي حقيقي أسفر عن تعايش محمود، وكان لاصرار الأمويين على تشريع سب الامام علي في قنوتهم للصلاة أو على منابر الري أو قزوين أو أصفهان[2]، أثرا في تساؤل العامة عن سبب ذلك وسيرة الشاتم والمشتوم والتعرف على فضائله بوصفه عدوا للأمويين الذين كانوا عادلين في توزيع الظلم على الرعية.

ومثّل العراق جسرا لنقل التشيّع إلى إيران من خلال الموالي الفرس في الكوفة التي تعدّ أهم معاقل التشيّع[3]، ومن خلال العرب الشيعة الذين انتقلوا أو نُقلوا إلى إيران، لاسيما مذحج و الأشاعرة الذين هم أول من سكن قم من العرب بين سنتي ٨٣/ ٧٠٢ و٩٣هـ/ ٧١٢م[4]. لكن اتصال الإيرانيين بآل البيت يسبق هذا التاريخ كثيرا، إذ يمتد إلى أيام الفتح الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب، فمن الروايات التاريخية الشائعة بين الإيرانيين أن عليا كان يخصص نصيبه من الأنفال لافتداء الأسرى لاسيما الفرس وكثيرا ما أقنع الخليفة عمر بتخفيف العبء عن رعايا فارس[5]، بل شاع أن علياً وأولاده كانوا يتقنون اللغة الفهلوية الفارسية، ويسوق هؤلاء سببين في هذا الاعتقاد أولهما ما تقدم من اتصالهم بالأسر الفارسية، واتخاذه العراق عاصمة لحكمه وهو الذي ظل أكثر من أربعة قرون مركزا للحكم الساساني، وكانت الفارسية لغة الكثير من أهل العراق فكان لابد لهم من تعلمها، بل يذكر أن المدائن كانت اختيار علي الأول لتكون عاصمة

---

(١) يقارن: محمد بن أحمد المقدسي (ت٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، دمشق، ١٩٨٠م، ص٣٩٩؛ الخوانساري، المصدر السابق، ج٤، ص٢١٢.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٨.

(٣) رسول جعفريان، الشيعة في إيران...، ص٨٩.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص٢٨، ١٨٠.

(٥) سيد أمير علي (ت١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م)، روح الاسلام أو حياة محمد وتعاليمه، ترجمة: محمود الشريف، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٣٠٦.

الدولة، لكن اعتراض متشددي العرب دعاه إلى العدول عن رأيه واختيار الكوفة[1].

وشهدت خلافة علي (٣٦/ ٦٥٦-٧- ٤٠هـ/ ٦٦٠-١م) تطورين مهمين عززا من علاقة آل البيت بإيران، أولهما إرسال حريث بن جابر الحنفي والي الإمام على المشرق ابنتي كسرى يزدجرد الثالث إلى المدينة؛ فزوّج شاه زنان بنت يزدجرد من ابنه الحسين وسمّاها شهر بانويه فولدت له سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م علي زين العابدين (ت٩٥هـ/ ٧١٣م)[2]، فيما زوّج أختها جهان بانو إلى ربيبه محمد بن أبي بكر(ت٣٨هـ/ ٦٥٨م) فولدت له ابنه القاسم (ت١٠٧هـ/ ٧٢٥م)[3]،

---

(١) كورت فريشلر، امام حسين وإيران، ترجمه: ذبيح الله منصوري، چاپ سوم، تهران، ١٣٨٠ش/ ٢٠٠١م، ص٤.

(٢) يقول زين العابدين: "أنا ابن الخيرتين"، ويقول أبو الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ/ ٦٨٨-٩م) في مدحه:

"وإن غلاما بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمائم".

محمد بن يعقوب بن إسحق الكليني (ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠-١م)، الكافي، تحقيق: عليْ أكبر غفاري، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، طهران، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨-٩م، ص٦٦؛ محمود بن عمر جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣-٤م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٧٦م، ص٤٠٢. ويبدو أن شهرة هذا البيت خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي دفعت الرماح بن أبرد المعروف بابن ميّادة للاستشهاد به فيقول:

أنا ابن سلمى وجدي ظالـم وأمي حَصان أخلصتها الأعاجم

أليس غلام بين كسرى وظالم بأكرم من نيطت عليـه التمائم

يراجع على سبيل المثال: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، الجزء الثاني، بيروت، ١٩٥٨م، ص٢٥٦، ٢٦٢.

(٣) يراجع: محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت٢٨٠هـ/ ٩٠١م)، بصائر الدرجات الكبرى، تحقيق: ميرزا محمد كوچه باغي، طهران، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٣٥٥؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٣؛ الكليني، المصدر السابق، ج١، ص٤٦٧؛ الحسين بن حمدان الخصيبي (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥-٦م)، الهداية الكبرى، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٩١م، ص٢١٤؛ أبو نصر سهل بن عبد الله البخاري (ت بعد ٣٤١هـ/ ٩٥٢-٣م)، سر السلسلة العلوية، تقديم: محمد صادق بحر العلوم، النجف، ١٩٦٣م، ص٣١؛ محمد بن علي بن الحسين القمي -الشيخ الصدوق-(ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، عيون أخبار الرضا، الجزء الثاني، بيروت، ١٩٨٤م، ص٤٨؛ محمد بن الفتّال النيسابوري (ت٥٠٨هـ/ ١١١٤م)، روضة الواعظين، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، قم، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص٢٠١؛ الزمخشري، المصدر السابق، ص٤٠٢؛ رضي الدين أبي نصر الطبرسي (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم، قم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٣٦؛ عبد الله بن النصر بن الخشاب البغدادي (ت٥٦٧هـ/ ١١٧١-٢م)،=

وثانيهما توقف الفتوحات الإسلامية في الشرق بعد استمرارها عقدين من الـزمن نتيجة ما حصل من إضطرابات سياسية شديدة، فحمد الإيرانيون هذه الخطـوة، وحينما فُعّلت بعد استشهاده بمجيء معاوية بن أبي سفيان (ت٦٠هـ/ ٦٨٠م) وولده يزيد (ت٦٤هـ/ ٦٨٤م) مارس الأمويون ضغوطا اجتماعية واقتصادية وسياسـية قاسية ضد الموالي، فطلب معاوية مثلا من عامله على العراق أن:

"أذلّ العجم، وأهنهم، واقصهم، ولا تستعن بأحد منهم"(١).

ولم يتوان الولاة الأمويون عن قتل كل من يشكّون فيه منهم(٢)، بل أن مجرد

---

=تاريخ مواليد الأئمة، قم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٣؛ شير الدين أبي عبد الله محمد بن شهر اشوب (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب، الجزء الثالث، النجف الاشرف، ١٩٥٦م، ص٢٠٨؛ يوسف بن قزغلي بن عبد الله -سبط ابـن الجـوزي-(ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، تـذكرة الخواص من الأمة في ذكر مناقب الأئمة، النجف، ١٩٦٤م، ص٢٩١؛ شمس الدين أحمـد بـن محمد بن خلكان(ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢-٣م)، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحـسان عباس، الجزء الثالـث، بيـروت، ١٩٦٨م، ص٢٦٧؛ علـي بـن عيـسى بـن أبـي الفـتح الأربلي(ت٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م)، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، الطبعة الثانيـة، الجـزء الثـاني، بيروت، ١٩٨٥م، ص٨٢، ١٠٧؛ محمد بن عز الدين يوسف بن الحسن الزرنـدي (ت٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول والبتول عليهم السلام، تحقيـق: عبـد الرحيم مبارك وسيد علي أشرف، مشهد، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٨٣-٨٤؛ ابن عنبة، المصدر السابق، ص١٩٢؛ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي (ت١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م)، ينابيع المـودة لذوي القربى، الجزء الثالث، طهران، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص١٥١-١٥٢. <u>تحشيد المصادر لهذا الخبر متعمد، ليعكس تواتر الرواية في أذهان الناس لصالح التشيّع، ولأن بعض الباحثين حاولوا رفض هذه الرواية على غير حق حتى لو كانت منطلقاتهم نبيلة لكنها أيديولوجيـة لا علميـة.</u> منهم: مرتضى مطهري، المصدر السابق، ص١٠٩-١١٠؛ علي شريعتي، المـصدر الـسابق، ص١٢٥-١٤٠. على أن هذا الأمر اصبح جزءا من الماضي بعد أن أدخل المستشرقون أصابعهم التجريبية فيه، فأثبتوا وقوع هذا الزواج من خلال دراسة الصفات البيولوجية لجعفر بن محمـد الصادق والاستدلال بعيونه الزرقاء التي تحتم وجود عنصر اجنبي في أرومته على وفق قـانون مندل الوراثي، إذ يرتبط ببنتي كسرى كلتاهما عن طريقي جده لأبيه زين العابدين وجـده لأمـه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وهو ابن جهان بانو. "مغز متفكر جهان شيعه امام جعفـر صادق (ع) از مركز مطالعات اسلامى استراسبورگ"، ترجمه واقتباس: ذبـيح الله منـصورى، چاپ نهم، تهران، ١٣٦١ش/ ١٩٨٣م، ص١٨.

(١) سليم بن قيس الهلالي (ت٧٦هـ/٦٩٥م)، كتاب سليم بن قيس، تحقيق: محمد باقر الأنـصاري، النجف، بلا تاريخ، ص٢٨٣.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص١٨٠،٢٨.

تحدثهم بالفارسية أو حملهم أسماء فارسية ظل يعد تهمة قد يعاقب عليها بالموت(١)، وفي الآن نفسه أمر معاوية عمّاله أن لا يجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة وبحرمانهم من العطاء(٢)، بل أعلن أن "لا صلاة إلا بلعن أبي تراب"(٣).

وسواء أكان الإيرانيون تعصبوا لآل البيت حباً لعلي أم كرها لمعاوية، كما يقول أحد المؤرخين(٤)، فان فمن الطبيعي أن تتوحّد عواطف المضطهدين سواء من الشيعة أو الموالي، لتتحول بفعل التقادم التاريخي إلى وحدة عقيدية، لاسيما بعد أن أعلن الحسين بن علي الثورة ضد جور يزيد بن معاوية وانحرافه الخطير بالحكم واستعباده للناس، إذ هناك بعض الإشارات قبل عاشوراء وبعدها تدل على وجود صلة ما، لعلها كبيرة جدا، بين الموالي والثورة الحسينية(٥)، منها ما شاع بين الإيرانيين أن وجهة الحسين بعد خروجه من المدينة لم تكن الكوفة بل بلاد الري، بعد أن اتفق مبعوث له في اجتماع تمّ في بستان "بهار" في جمادى الآخرة سنة٦٠هـ/ آذار ٦٨٠م مع گيو بن رستم فرخ زاد وأعيان من مازندران وگيلان اللائي ظلتا عصيتين على الأمويين، فلم يتمكنوا من إلحاقها، وليختار الحسين من بينهما قاعدة له(٦). ويقال أن العامة في الكوفة تعرفت على گيو من لحيته الطويلة

---

(١) كورت فريشلر، بيشين، ص٥.

(٢) ابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الثالث عشر، القاهرة، ١٩٥٩م، ص١٦؛ أحمد الكسروى، التشيّع والشيعة، ص١٤.

(٣) سليم بن قيس، المصدر السابق، ص٣١٤؛ الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص٢١٨؛ النعمان بن محمد التميمي القاضي المغربي (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، الجزء الثاني، قم، بلا تاريخ، ص٥٩٥. وكان كثير بن شهاب حاكم الري من لدن المغيرة بن شعبة والي الكوفة يكثر من سب علي على منابر الري. ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٨.

(٤) أحمد الكسروى، التشيّع والشيعة، ص٥١-٥٢.

(٥) محمد مهدي شمس الدين، أنصار الحسين ﷺ، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨١م، ص١٩١.

(٦) ناصر ملكي، أسرار وعوامل سقوط إيران أو الملائية، ترجمة: مركز البحوث والمعلومات في مجلس قيادة الثورة، بغداد، ١٩٨٥م، ص٢٢؛ كورت فريشلر، بيشين، ص٣. ظلت هاتان المدينتان تطلقان على علي وأبنائه، لقب "رشت" ومعناها في اللهجة المحلية العالم، أو الفطن.

فضلا عن اتصاله بسليمان بن صرد الخزاعي، أحد أبرز أنصار الحسين هناك، ويقول باحث غربي أن ثلاثة على الأقل من شهداء الطف كانوا من بين الموالي الفرس[1]، فيما تؤكد مصادر أخرى أن ما لا يقل عن عُشر شهداء الطف من الموالي[2]. كما كان للموالي إسهام مهم في ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي (٦٦-٦٧هـ/ ٦٨٥-٦٨٦م) في الكوفة التي كان شعارها الثأر للحسين[3].

وصارت خراسان منذ مقتل زيد بن علي معقلا للتشيع[4]، كما أضحت الأقاليم الإيرانية ملجأ للهاشميين والطالبيين تحديدا[5]، ناهيك عن أن الدعوة العباسية التي انطلقت في إيران أوائل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي كانت تستند في بعدها الفكري والسياسي على تفضيل علي وبيعة الرضا من آل محمد(ﷺ) والأخذ بثأر الحسين[6]، ويدخل في هذا الإطار دعوة الخليفة المأمون لعلي بن موسى الرضا ليكون وليا لعهده في مرو ومن ثم قتله مسموما هناك أواخر صفر ٢٠٣هـ/ أوائل أيلول٨١٨م، وما تضمنه هذا الإجراء ونتائجه من تكريس للاتجاهات الشيعية بين صفوف الإيرانيين.

لذا ازدادت الهجرة العلوية والشيعية عموما إلى إيران للإفادة من أوضاع

---

(١) وهؤلاء هم كل من: سوار الهمداني، وهو سوار بن أبي عمير الهمداني الذي أسره الجيش الأموي جريحا وتوفي بعد ستة أشهر، وعمرو بن جندكي أو عمرو بن عبدالله الجندعي من شهداء الحملة الأولى، وجبلة بن الشيباني، وهو جبلة بن علي الشيباني من شهداء الحملة الأولى، وكان سبق أن اشترك في حركة مسلم بن عقيل في الكوفة. كورت فريشلر، بيشين، ص١٠.

(٢) يقارن: محمد مهدي شمس الدين، المصدر السابق، ص١٩١. ويأتي في هذا المضمار ما شاع عن نصرة حدّاد إيراني كان يقيم في الكوفة لمسلم بن عقيل، حين حاصره القوم وقلّ الناصر. فريشلر، بيشين، ص١٠٣-١١١.

(٣) المصدر نفسه، ص١٩٤.

(٤) اليعقوبي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٢٦؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٤٧.

(٥) أحمد الكسروى، التشيّع والشيعة، ص١٥.

(٦) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٥٨. يتضح هذا من خطبة أبي مسلم الخراساني في الكوفة، وخطبة داود بن علي في مكة بعد تسلمهما الحكم، كما سبق للعباسيين أن بايعوا محمد ذو النفس الزكية مرتين. اليعقوبي، المصدر السابق، ج٢، ص٨٧-٨٩؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٧، ص١٦٢؛ جعفر مرتضى، حياة الامام الرضا(ع). دراسة وتحليل، بيروت، ١٩٧٨م، ص٣٩.

إيران الآمنة وبعدها عن مركز الدولة والرفاهية الاقتصادية التي كانت تعيشها[١]، مستغلين مساوئ أنظمة الحكم المتعاقبة إزاء الإيرانيين لصالح الدعوات السياسية العلوية[٢]. وحينما هاجر إبراهيم بن هاشم الكوفي (ت حوالي ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) إلى قم سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م ونشر فيها معارف الكوفيين؛ صارت مدرسة قم والري مزدهرة بالمحدثين والرواة الكبار وساعد على ذلك بسط الدولة البويهية نفوذها على تلك البلدان، وخرج من تلك المدرسة علماء ومحدثون مثل محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م)، وعلي بن حسين بن بابويه (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م)، وأبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (ت٣٦٨هـ/ ٩٧٨-٩م) وغيرهم[٣].

لم ينقض القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حتى ضمّ ثرى إيران رفات مئات الأعيان الطالبيين، سرعان ما تحولت إلى مزارات شامخة، وقد رصد أحد النسابين في كتاب ألفه خلال ذلك القرن مراقد أربعمئة واثنين وخمسين طالبيا موزعة حسب الأقاليم الإيرانية[٤]، ويلاحظ أن الأقاليم التي كانت تضم أكثرية غير شيعية تضم مراقد علوية أكثر من غيرها، مما يدل على تعايش وانسجام طائفي، وإذا ما تضمنت كتب التاريخ إشارات إلى صراعات بين الشيعة والسنة في إيران[٥] فإن هذا ينبغي أن يدرس في إطاره الصحيح، لأن هذا الخلاف بين المذاهب هو استثناء، أما القاعدة الدائمة فهي التوافق والتعايش، فماذا يستدل من خبر يقول إن الحنفية طلبوا ذات مرة مساعدة الشيعة في نزاعهم ضد الشافعية؟[٦]، وآخر يتضمن أن سيوف الحنفية تضافرت لنصرة الشافعية ضد

---

(١) سليمان ظاهر، تاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني، تحقيق: عبد الله سليمان ظاهر، المجلد الثالث، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٩٩.

(٢) رسول جعفريان، الشيعة في إيران...، ص١٥٦-١٥٧.

(٣) جعفر السبحاني، المصدر السابق، ص٩٢.

(٤) إبراهيم بن ناصر بن طباطبا (ق٥هـ/١١م)، منتقلة الطالبية، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، النجف، ١٩٦٨م. يراجع كذلك: رسول جعفريان، الشيعة في إيران...، ص١٦٢؛ الملحق رقم (١٠).

(٥) لاحظ المقدسي عند زيارته لأصفهان (ق٤هـ/١٠م) صراعا طائفيا بين الشيعة والسنة. المقدسي، المصدر السابق، ص٣٩٩.

(٦) عبد الجليل بن أبي الفضل الرازي القزويني (ت بعد ٥٦٥هـ/١١٦٩-٧٠)، مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض، ص١٠٥. مقتبس في: رسول جعفريان، الشيعة في إيران...، ص٢٢٩.

الشيعة في معركة طائفية استمرت طويلا، وانتهت لغير صالح الشيعة، و"لما أفنوهم، وقعت العصبية بين الحنفية والشافعية، ووقعت حروب كان الظفر في جميعها للشافعية مع قلة أعدادهم"[١]، أي أن هذه الصراعات كانت سياسية في معظمها لكنها سرعان ما تأخذ صورا عقيدية[٢]، ثم نفث المؤرخون الذين نقلوها فيها من مشاعرهم الطائفية[٣].

وإذا كان من الطبيعي أن تعظّم المراكز الشيعية في إيران ذكرى استشهاد الحسين ويتفننون في إقامة التعازي له؛ فان شاهد عيان من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي يذكر أن الشافعية والحنفية كانوا يقرأون المراثي لشهداء كربلاء في أصفهان وهمدان ونيسابور والري وغيرها، إلى حد كان بعضهم يحثون التراب على رؤوسهم، أو ينوحون ويلطمون بطريقة تعجّب منها القميّون الشيعة، كما كان أهل قزوين سنّة وشيعة يتقربون إلى الله بزيارة مرقد

---

(١) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص١١٧.

(2) **Ann k. Lambton, Islamic Society in Persia, London, 1954, PP. 5-6.**

كما يستدل من الفتاوى التي أصدرها بعض فقهاء الشافعية ضد الحنفية أو الفقهاء الحنفية ضد الشافعية عدم صلتها بالعقيدة بمقدار تعلقها بالمزاج الشخصي وهي تنم عن عقول خاوية ضيقة، وأحكام متعسفة، فقد سئل فقيه حنفي: هل أن زواج الحنفي من الشافعية جائز؟ فقال: لا يجوز، بسبب الشك في إيمانها لأن الشافعي يصدق أن يقول أحد: أنا مؤمن إن شاء الله. ويقول فقيه حنفي آخر بعد أن يسأل السؤال نفسه: نعم، قياسا على اليهودية والنصرانية. وبالمقابل يسأل فقيه شافعي عن طعام وقعت فيه قطرة خمر، فيقول: يرمى الطعام لكلب أو لحنفي. يراجع للمزيد: عبد الجليل عيسى، ما لا يجوز الخلاف فيه، القاهرة، بلا تاريخ، ص٦٥؛ أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، الجزء الأول، بيروت، ١٩٥٦م، ص١٩٠؛ أسعد وحيد القاسم، أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة. دراسة وتحليل، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٢٤٩.

(٣) يظهر ذلك واضحا مثلا في تناقض أخبار التاريخ حول مواقف السلطان محمود الغزنوي الطائفية، فبينما تذكر مصادر أنه عمّر مرقد علي الرضا في خراسان وكان بعيدا عن التعصب الطائفي وعاش العديد من رموز الشيعة والعلويين تحت رعايته، تذكر غيرها أنه بطش بالشيعة في أماكن عديدة منها الري، وبهذا فسلوكه لا ينتمي إلى التعصب بمقدار ما ينتمي إلى المزاج الشخصي والأدوات السياسية، إذ يذكر ابن الأثير: "كان من ذرائعه التي تشبث بها لسلب أموال الناس اتهامهم بالباطنية". يقارن: ابن الأثير، المصدر السابق، ج٨، ص١٩٠؛ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢-٣م)، البداية والنهاية، الجزء الثاني عشر، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٦؛ عبد الحي الدمشقي، المصدر السابق، ج٣، ص١٨٦؛ رسول جعفريان، الشيعة في إيران...، ص٢٢٩.

أبي عبد الله الحسين الباز بن موسى بن جعفر، الموجود في بلدتهم[1].

وشغلت المراثي الحسينية مساحة واسعة في الشعر الفارسي الشيعي خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وانعكس ذلك في شعر مواطنيهم السنّة الذين نظموا في معركة الطف قصائد رثاء كثيرة لتغذية المراثي الحسينية التي واظبوا على إقامتها[2]، كما كانت مدائح الإمام الرضا مجالا لمباراة أدبية بين سكان إيران سنّة وشيعة، فنقرأ في شعر سيّد ذو الفقار شرواني (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠-١م)، أنواعا مبتدعة من الأوزان الشعرية في مدحه[3]، وكذلك العطار النيسابوري (ت٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م) الذي مدح الخلفاء جميعا، وخصّ أهل البيت بالثناء والمديح حتى عدّه صاحب الذريعة احد مصنفي الشيعة[4].

وبين أيدينا كتاب جغرافي يعود إلى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، هو "نزهت [نزهة] القلوب"، لحمد الله المستوفي (ت٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) الذي يتضمن وصفا لمدن إيران وأقاليمها ويمكن الإطلاع من خلاله على الجغرافية المذهبية لإيران في ذلك القرن، فيقول أن غالبيّة سكان أرْدبيل وأورمية وخرقان وتبريز وكردستان سنّة شافعية، وگيلان ومراغة سنيّة على المذهب

---

(١) عبد الجليل الرازي القزويني، المصدر السابق، ص٣٧٠-٣٧٣، ٥٨٩. يراجع للإطلاع على أثر المقاتل الحسينية في الأدب التركي: گوناي قوط، "الأدب التركي في الأناضول"، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة (كتاب)، م٢، ص٣٦، ٤٥، ٥٩.

(٢) تراجع أشعار كل من "سنائي" و"عياضي"، فضلا عن سيف فرغاني، وكل هؤلاء من السنّة. إدوارد براون، المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٢-٤٠٣، ٤٥٣؛ رسول جعفريان، الشيعة في إيران...، ص٤٧١. فعلى سبيل المثال يقول فرغاني:

| | |
|---|---|
| أي قوم در اين عزا بگرييد | بر كشته كربلا بگرييد |
| با اين دل مرده خنده تا چند | امروز در اين عزا بگرييد |
| فرزند رسول را بكشتند | از بهر خداى را بگرييد |

وترجمتها: ابكوا يا قوم في هذا العزاء، على شهيد كربلاء، إلى م تظل قلوبنا ميتة تضحك، الآن ابكوا في هذا العزاء، لقد قتل ابن الرسول، ابكوا في سبيل الله. "ديوان سيف فرغاني"، تهران، ١٣٦٤ش/١٩٨٥م، ص١٧٦. توجد نسخة خطية من هذا الديوان في مكتبة الحكيم العامة في النجف.

(٣) تراجع ترجمته في: براون، المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٦؛ آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص٣٤٠-٣٤١؛ رسول جعفريان، الشيعة في إيران...، ص٤٧٢.

(٤) تراجع ترجمته في: آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص٧٢٩-٧٣٠.

الحنفي، إلى جانب تجمعات شيعية، فيما كانت أعداد كبيرة من الشيعة تقطن أقاليم مازندران وأواسط إيران (قم وأرك) وفارس وخراسان وسبزوار[١] إلى جانب أقلية سنيّة[٢]، دون أن يؤدي هذا التقسيم الديمغرافي بالضرورة إلى انقسام مذهبي حاد لاسيما على صعيد المناهج الفقهية والكلاميّة، كما كان يحصل في المشرق العربي، إذ كانت ثمة عناصر مشتركة تجمع بين التسنن والتشيّع وهم الصوفية المتحررة نسبيا من قيود النظرة الفقهية والكلامية للأمور، وظل الانتشار الواسع للصوفية في إيران أحد أهم مميزات الحياة الروحية خلال ثلاثة قرون فصلت بين الغزو المغولي للبلاد واستلام الصفويين للحكم[٣].

بل أن المستوفي نفسه صنّف كتابا تاريخيا آخر هو "تاريخ گزيدة"، أو "منتخب التواريخ"، خصّص قسما منه للحديث عن النبي(ﷺ) وخلفائه الثلاثة، ثم تصدى لذكر تاريخ الإمام علي وولديه الحسن والحسين وفضلهم، فيما كان الفصل الثالث من كتابه من حصة بقية الأئمة، ثم تابع الحديث حتى الإمام المهدي، وليترجم بعد ذلك للعشرة المبشرة، ويقول ما نصه:

> "في ذكر جميع الأئمة المعصومين رضوان الله عليهم أجمعين الذين كانوا حجة الحق على الخلق، ومدة إمامتهم مئتان وخمس عشرة سنة وسبعة أشهر، امتدت من الرابع من صفر سنة ٤٩ حتى رمضان سنة ٢٦٤، وهم وإن لم يتولوا شؤون الخلافة لكنهم لما كانوا أهلا لها فإننا نتبرك بذكر نبذة من أحوالهم على سبيل الإيجاز"[٤].

---

(١) نقل أن قنبر غلام علي سكن في سبزوار، ويوجد هناك مسجد باسم ابنه شاذان. مقتبس في: رسول جعفريان: الشيعة في إيران...، ص٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٨٤-٤٨٦. يذكر الباحث محمد جواد مشكور وجود حنابلة في إيران. مشكور، بيشين، ص ٢٦٧.

(٣) يراجع للإطلاع على الجغرافية المذهبية لإيران خلال ذلك العهد: الملحق رقم (١١)؛ حمد الله مستوفي، بيشين؛ سومر، بيشين، ص٨؛ كوثراني، المصدر السابق، ص١٣٦؛ پارسادوست، شاه إسماعيل...، ص١٨٤-١٨٥؛ رسول جعفريان، تاريخ إيران اسلامى، ص٢٠-٢١؛ "جغرافية التشيّع في العالم تاريخيّاً وإنسانياً"، دراسة موجودة على شبكة الانترنت:

http://www.imamreza.net

(٤) حمد الله مستوفى، تاريخ گزيده، ص٢٠٧. مقتبس في: رسول جعفريان، الشيعة في إيران...، ص٤٨٤-٤٨٦. يراجع كذلك: آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٣، ص٢٨١.

وأسهمت الحركات السياسية والثورية التي قادها الطالبيون أو الشيعة في إيران في تغلغل التشيّع تدريجيا وتقريبه من نفوس الإيرانيين، فقد كان يحيى بن زيد بن علي بن الحسين من أوائل الذين أعلنوا الثورة ضد الأمويين في خراسان سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م وشارك عدد من أهالي الري في قمع انتفاضته[١]. ويقول ياقوت الحموي بهذا الصدد أن الناس كانت تتطيّر من بلدة في الري تدعى سورين لأن السيف الذي قتل فيه يحيى غسل بمائها[٢].

وكانت أولى الدول الطالبيّة في إيران، تلك التي أسسها عبد الله بن معاوية بن الحسن بن عبد الله بن جعفر الطيار في أصفهان أواخر الحكم الأموي، وتحديدا في سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٥م، فأجابته جموع من العرب والعجم، وملك معظم إيران إذ سيطر على كل من: اصطخر وشيراز وقم وكرمان وفارس وحلوان وقومس وأصفهان والري وهمدان وغيرها[٣]، وتوجهت إليه وجوه بني هاشم وأمية فأكرمهم، فقضّت دولته مضجع الخليفة الأموي مروان بن محمد (ت١٣٢هـ/ ٧٤٩م) ووجّه إليه جيشا كثيفا، و لما تراءت له الهزيمة فضّل الهروب بأخوته إلى خراسان حيث الداعية العباسي أبي مسلم الخراساني فمات سجينا عنده، وكان أحد أسباب خذلانه أنه لم يكن من أبناء فاطمة الزهراء[٤]. كما ثار يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط في الديلم واستفحل أمره أيام هرون الرشيد[٥]، وثار محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالصوفي[٦] بالطالقان(جزء من خراسان) سنة

---

**(١) سليمان ظاهر، المصدر السابق، م٣، ص٢٦٧.**

**(٢) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٩. وقبره لا يزال في الجوزجان بخراسان. محمد حرز الدين، مراقد المعارف، الجزء الثاني، النجف، ١٩٧١م، ص٣٦٦.**

**(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص٤٢٢-٤٣٠؛ القاضي المغربي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٢١.**

**(٤) يراجع لمزيد من التفاصيل: الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١١٥؛ ابن عنبة، المصدر السابق، ص٣٨؛ القاضي المغربي، المصدر السابق، ج٣، ص٣١٦.**

**(٥) يراجع لمزيد من التفاصيل: الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٠٨-٣٢٣؛ أحمد الكسروى، التشيّع والشيعة، ص٢٨.**

**(٦) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٨٢.**

٢١٩هـ/ ٨٣٤م، بعد أن دعاه إليها بعض أهلها ودعا إلى الرضا من آل محمد، لكنه هزم أمام جيش طاهر بن الحسين فاعتقله وأرسله إلى الخليفة المعتصم في سامراء وتمكن من الهروب من سجنه واختفى في ضواحي واسط[1].

وظهرت دولة علوية مستقلة في طبرستان وبلاد الديلم خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بقيادة الحسن بن زيد المعروف بالداعي الكبير، حكم فيها ستة رجال مختلفين، وكان سبب ظهورها الضعف الذي انتاب الخلافة العباسية وجور عمالها على الرعية، فخرج هؤلاء إلى طبرستان، وتمكنوا من عمال الخلافة بالقوة[2]. واختلف المؤرخون في مذهب هذه الدولة، ففي الوقت الذي يذكر فيه البعض أنهم كانوا على المذهب الزيدي، يعتقد آخرون أنهم كانوا إمامية اثني عشرية[3]، كما ظهرت دولة شيعية أخرى في آمل ومازندران، هي الدولة المرعشية، حكم فيها أربعة عشر رجلا أولهم قوام الدين في حوالي سنة٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م، وآخرهم السيد مراد الذي حكم حتى سنة ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م[4].

وفي بلاد گيلان والديلم ظهرت الدولة الكيائية أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي التي كان لها أثر في تأسيس الدولة الصفويّة عندما احتضنت مؤسسها اسماعيل، وكانت تحكمها أسرة علوية شيعية زيدية جارودية،

---

(١) يراجع عن حركته: المصدر نفسه، ص٣٨٣-٣٨٥؛ الطبري، المصدر السابق، ج٥، ص٢٠٧-٢٠٨؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٦، ص١٥؛ أحمد الكسروى، التشيّع والشيعة، ص٢٨.

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥-٦م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٥٢٥-٥٢٦؛ أبو الفرج محمد بن اسحق الوراق ابن النديم (ت٤٣٨هـ/ ١٠٤٦-٧م)، الفهرست، بيروت، ١٩٧٨م، ص٢٧٤؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٦، ص٤٨١؛ محسن الأمين، المصدر السابق، ج٥، ص٨٢؛ أحمد الكسروى، التشيّع والشيعة، ص٢٨.

(٣) يقارن: نور الله عبد الله التستري (ت١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)، مجالس المؤمنين، ج١، ص٩٦. مقتبس في: رسول جعفريان، الشيعة في إيران...، ص٢٥٩؛ ابن عنبة، المصدر السابق، ص٣٠٩؛ عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥-٦م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الثالث، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٧١م، ص٣٦٧.

(٤) محسن الأمين، المصدر السابق، ج٥، ص٨٢.

وهو مذهب أهل گيلان قبل قيام الدولة الصفويّة[١]، لقبت الأسرة بـ "كيا"، أو "كار كيا" تعظيما لها، فهي كلمة فارسية تعني سيد أو رئيس[٢].

وفي هذه الأثناء بدأ الإيلخان محمد خدابنده المغولي يدعو في دولتـــه إلـــى المذهب الشيعي، فضرب النقود بأسماء الأئمة الاثني عشر، وتبنى مؤلفات جمال الدين بن المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) أبرز علماء الشيعة حينذاك أساســا فكريا لهذه الدعوة[٣]، وكانت بينهما مودة سببها الـــصراع الـــذي انـــدلع بـــين السلطانين الناصر المملوكي وخدابنده حول مشروعية السيطرة على مكة، ولمـــا كان المماليك في مصر والشام قد تطرفوا في معاداة الشيعة وقتل علمائهم، انبرى الحلي لتأييد المغول، وألّف كتابه "منهاج الكرامة"[٤] ليبرر لهم عمليـــا وضـــمنا السلطة بوصفهم أتباع لمذهب الإمامية، فردّ عليه ابن تيمية الذي توفي في سجون المماليك بعده بسنتين، في كتابه "منهاج السنّة النبويّة في نقـــض كـــلام الـــشيعة والقدريّة" لتبرير سلطنة المماليك[٥]، ولم تواجه جهود خدابنده مقاومة حقيقية من الإيرانيين سوى ما قيل من أن أصفهان حاولت رفض خطوة الإيلخان بـــضرب السكة باسم الأئمة المعصومين سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧-٨م، لكنها تراجعـــت ولان موقفها بعد أن لوّح لها خدابنده باستخدام القوة[٦].

وبعد وفاة خدابنده سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م ظهـــرت فـــي خراســـان الحركـــة السربدارية التي سيطرت على الحكم هناك بقيادة علي بـــن المؤيـــد (ت٧٩٥هـ/

---

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص٨٢. والجارودية: إحدى فرق المذهب الزيدي الأربع، وهـــي البترية والسليمانية والصالحية، فضلا عن الجارودية، مؤسسها التابعي أبو الجارود زياد بن المنذر الذي يعتقد أن الرسول أوصى لعلي بالوصف لا بالإسم، وهم الوحيدون من بين الزيـــديين الـــذين لا يقرّون إمامة الشيخين. علي الطباطبائي، المصدر السابق، ج٩، ص٣٢٣.

(٢) أحمد سيّاح، بيشين، ص٤٢١.

(٣) ابن كثير، المصدر السابق، ج١٤، ص٧٩-٨٠؛ محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣-٤م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار [رحلة ابن بطوطة]، بيـــروت، ١٩٨٥م، ص٢٢٥-٢٢٦؛ رسول جعفريان، الشيعة في إيران...، ص٤٧٤-٤٧٥.

(٤) جمال الدين يوسف بن الحسن بن المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، منهاج الكرامة في معرفة الامامة، طهران، ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م، ١٢٤صفحة.

(٥) كوثراني، المصدر السابق، ص٣٤-٣٧.

(٦) رسول جعفريان، الشيعة في إيران...، ص٤٨١-٤٨٢.

١٣٩٢م)، ففكّر هذا باستقدام شمس الدين العاملي أحد علماء لبنان لقيادة الدعوة الشيعية هناك، لكنه رفض ثم انتهت الحركة على أثر الغزو التيموري للبلاد[١].
كما ظهرت الى الوجود دولة شيعية أخرى هي الدولة المشعشعية في الحويزة ونواحيها ابتداء من سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م، وضمّت بعدها الى السلطة الصفويّة لكنها استمرت تحكم حوالي ١٧٩سنة[٢].

يمكن الاستنتاج أن التشيّع في إيران كان يتقدم باضطّراد في مختلف العصور التي مرت عليها بفعل السياسة والأدب والتصوف والحديث[٣]، بين صفوف المسلمين المعتدلين من أهل السنة، وتوفرت أقاليمها على الأنواع الثلاثة من التشيّع لاسيما النوع الثالث، إذ انتشرت محبّة آل البيت وموالاتهم في قلوب الإيرانيين السنّة، وتلمس هذه العقائد بجلاء من خلال وجود آثار مادية إيرانية، إذ يقرأ على آثار قبر السيدة فاطمة بنت موسى الكاظم في قم، دعاء يعود إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي يتضمن صورة من تداخل الدعاء الشيعي بالعقائد السنيّة فيعظم فيه آل البيت والصحابة الراشدين ويدعو لهم بالنصر ويلعن ظالميهم وأعداءهم[٤]، والأمر نفسه يلاحظ على الآثار التي وصلت من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[٥].

لذا فان وجود هذا الجو المتسامح والعواطف الجمعية إزاءآل بيت النبي(ﷺ) وأتباعهم في إيران واتساع المراسم الحسينية وشعائر عاشوراء، كانت دافعا لبعض علماء السنة لتأليف كتب كُرّست لتنظيم طروحات هذه المجالس وتهذيبها من خلال رواية قصص وأشعار ونصوص تاريخية تجسد تلك المأساة، أبرزها كتاب "روضهٔ شهداء" لكمال الدين حسين بن علي المعروف بواعظ كاشفي

---

(١) يراجع لمزيد من التفاصيل عن هذه الدولة: حسن الأمين،المصدر السابق، ج٢، ص١٧٦-١٨٥.
(٢) أحمد الكسروى، التشيّع والشيعة، ص٥٣-٥٤؛ جاسم شبر، تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم، النجف، ١٩٦٥م؛ محسن الأمين، المصدر السابق، ج٥، ص٨٢؛ محمد هليل الجابري، المصدر السابق، ص١١-٢٧١.
(٣) سعيد حجاريان، ربط مولوى شاه إسماعيل وشيعه، موقع "ملكوت"، موجود على الانترنت: www.malakut.org/malakut.jpg
(٤) يراجع نص الدعاء في: رسول جعفريان، الشيعة في إيران...، ص٤٧٣.
(٥) هناك مبحث مفيد لمثل هذه النقوش في: المصدر نفسه، ص٤٩٣-٤٩٦.

(ت٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)[١] الذي كان مهما في الأوساط الشيعيّة والسنيّة إلى الحد الذي يذكر صاحب الذريعة عشرات الكتب بين ترجمة وتلخيص ونظم لهذا الكتاب[٢]، أبرزها تلك الترجمة التي قدمها الشاعر محمد بن سليمان "فضولي البغدادي" (٩٠٣-٩٧٠هـ/ ١٤٩٨-١٥٦١م) وسمّاها "حديقة السعداء"[٣]، و ديوان عثمان بن عبد الله "روحي البغدادي" (ت١٠١٤هـ/ ١٦٠٥-٦م) في الأناضول[٤].

الواقع أن الهدف من هذا التفصيل محاولة إثبات أن إعلان إسماعيل للتشيع لم يكن فرضا للمعتقد بالقوة بمقدار ما كان قطافا لثمرة جهود امتدت منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، فلم يكن الإيرانيون رافضين للتشيع بمقدار رفضهم لأسلوب الشاه إسماعيل وسياسته الدموية، التي عبر عنها براون بقوله: "السيف أصدق أفعالا من القلم"[٥]، والدليل أن خطوة مثل هذه سبق أن مرّت بسلام أكثر من مرّة[٦].

---

(١) آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج١١، ص٢٩٤-٢٩٥؛ إبراهيم الحيدري، تراجيديا كربلاء. سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، طهران، ٢٠٠٢م، ص١٣٨. توجد نسخة فارسية مخطوطة لكتاب "روضة الشهداء" في مكتبة ألگالبايگاني في قم، تحت رقم ش ٦٣١. وللكتاب صدى واسع في المجتمع الإيراني، فانسحب اسمه على قراء المواعظ الحسينية، فسموا "روضة آخوند"، أو "روزه خوند" أي "قارئ الروضة"، ومازال الاسم شائعا في العراق وإيران.

(٢) يراجع على سبيل المثال: آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٤، ص١٠٥، ٤٢٢، ج٧، ص٢٧٧، ج١١، ص٢٩٥، ج١٢، ص١٨١، ج١٨، ص٢٣٩، ج١٩، ص ١٣٧، ١٩٢، ٢١٤، ج٢٢، ص٣٢، ٤٠٧، ج٢٤، ص٢٠١. وغيرها.

(٣) يقول عباس العزاوي أنه ليس شيعيا انما يتبع الحروفية والغلاة وأن لغته الأذرية. العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٤، ص٩٨ وما بعدها.

(٤) گوناي قوط، المصدر السابق، م٢، ص٦٧-٦٨. تراجع ترجمته في: العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٤، ص١٤٨-١٥٢.

**(5) Browne, Op. Cit., Vol. IV, P. 61.**

ونص عبارة براون:

**"In His reing the sowrd was more active than the pen".**

(٦) جعفر المهاجر، المصدر السابق، ص١٠٩.

## ثانيا. أسباب اختيار إسماعيل الصفوي التشيع مذهبا رسميا للدولة:

حين تصدى الشاه إسماعيل لبناء دولته الكبيرة اصطدم بأنها تتكون من حوالي ثلاثين تجمعا عرقيا ومذهبيا مختلفا(١)، وكان الاختلاف بين هذه التجمعات وتعقيدات التضاريس الجغرافيّة، ومن ثم سوء طرق المواصلات وما نتج عنه من انغلاق وعزلة، كل هذا أدى إلى احتفاظ كل مجموعة بلغتها وعقائدها ومسلماتها الروحية وخصوصياتها الاجتماعية، وبفعل التقادم الزمني أضحت لكل مجموعة مصالحها الضيقة، بل وهويتها الفرعية، فرتّبت أوضاعها تبعا لهذه المصالح، فإيران تضم إلى جانب التاجيك والتركمان أعراق طورانية وعربية وكردية وغيرها(٢)، فضلا عن مذاهب دينية مختلفة يحول تنوعها دون إيجاد وحدة قومية أو مذهبية(٣)، ويؤيد أحد الباحثين الإيرانيين ذلك ويضيف إليه، إن بروز اللغة التركية بوصفها ندا للغة الفارسية منذ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، كان من شأنه أن يفاقم الاختلافات العرقية والمذهبية بين مكونات سكان إيران(٤).

لذا تمكن الشاه إسماعيل أن يعبئ الطورانيين والعرب والتاجيك والكرد لمحاربة أبناء عمومتهم من عثمانيين، وأوزبك وآق قوينلو ومشعشعين وشروانيين وغيرهم، وتوحيدها في كيان واحد عن طريق زجّها في مشروع سياسي ذي هوية مناسبة ليكوّن منهم الدولة الوطنية أو الأمة(٥)، فتصوّر إسماعيل أن الأيديولوجية المذهبية تصبّ في صالح الدولة الجديدة وتعطيها قدرة تخرجها

---

(١) زرين كوب، بيشين، ص٦٦١.

(٢) كان الإيرانيون القدماء يطلقون لقب طور، أي الشجاع، على الأقوام القاطنة ما وراء النهر، وأرضهم بلاد طوران، وهم المغول- التتار- الأتراك - التركمان وغيرهم. رشيد الدين، تاريخ الغازاي. مقتبس في: فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، الجزء الأول، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢٠؛ صفا، المصدر السابق، ص٦؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة الرابعة، الجزء الرابع، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٣١-١٣٢.

(٣) يقول ابن خلدون ما نصه: "الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قلّ أن تستحكم فيها دولة". ابن خلدون، المصدر السابق، ج١، ص١٦٤.

(٤) مجير الدين شيباني، بيشين، ص١٣٦.

(5) Lambton, Islamic Society in Persia, P. 5.

من المحن وتمكّنها من التغلب على مشاكلها وتجعلها تخطو إلى الأمام بثقة، وإذا ما تفانى الإيرانيون بالدعوة إليها (المذهب) وبذلوا الجهد في نشرها على حساب القوى الأخرى يمكن للشاه أن يصادر هذا الجهد لصالح مشروعه السياسي وتجييرها لصالح توسعة الدولة وتثبيت أركانها والتصدي للعدو القوي المتربص المتمثل في الدولة العثمانية التي سبقت في ظهورها دولته بقرون، وكان ذلك يؤلف، في الوقت نفسه، أفضل وسيلة متيسرة في ظل قيم المجتمع الإقطاعي.

على أن بقاء إسماعيل على القزلباشية الصوفية كان يعني المزيد من الفشل للمشروع الصفوي بسبب نبذ الناس لها، لاسيما بعد أن أدخل عليها والده حيدر الكثير من التغيير وصرحت أغلبية الأوساط الإسلامية في إيران وغيرها بكفره[1]، فأدرك عجز الطريقة الصفويّة عن أن تتحول إلى دولة، ففي المرحلة الأولى من تشكيل الدولة كان زعماء القزلباش هم الذين يديرون الدولة، ويؤلفون رأس الهيأة الدينية لها وكان الشاه هو المرشد الأعلى للطريقة، فبدا سريعا أن المضمون الفكري للطريقة القزلباشية أضعف من أن يوّحد دولة أو أن يخلق مجتمعا متجانسا[2]، لذا كان التحول إلى التشيّع والاستعانة بفقهاء الإمامية[3].

كما أدرك الشاه أن دولته الوليدة تقع بين كيانات سياسية عريقة ذات اتجاهات فكرية مستقرة، فمن الشرق تجاوره دولة الأوزبك السنية ومن الغرب تجاوره دولتا المماليك السنية والعثمانية البكتاشية الصوفية، فكان عليه أن يتبنى هوية عقيدية مختلفة عن هويات هذه الدول، لأن اتخاذه المذهب السني يستلزم

---

(١) ممن أصدر رسائل وفتاوى تكفر القزلباش: فضل الله بن روزبهان، في كتابه "سلوك الملوك"، وحسين بن عبد الله شرواني في رسالته "الأحكام الدينية في تكفير القزلباش"، ومحمد بن مصطفى أو قاضي زاده الواعظ (ت١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤-٥م)، في كتابه "نصر الأصحاب والأحباب وقهر السباب". يراجع: مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٧م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الجزء الثاني، بيروت، بلا تاريخ، ص١٩٥٥؛ رسول جعفريان، صفويه در عرصه...، ج١، ص٨٩-١٠٧. والأخير ينقل نص رسالة الأحكام الدينية الصادرة بالعربية.

(٢) منذ أيام جنيد وولده حيدر أضحت الطريقة الصفويّة قريبة إلى حد كبير من الطريقة البكتاشية ومن العلويين الأتراك. رسول جعفريان، تاريخ إيران اسلامى، ج٤، ص٣٧.

(٣) كوثراني، المصدر السابق، ص١٤٢-١٤٣.

انضواء إيران والشاه تحت سلطان المماليك أو الأوزبك، فعلى وفق الفقه السياسي السني لا يمكن القبول بوجود سلطانين في آن واحد[1]، وكذلك الحال إذا ما استمر على عقيدته الصوفية بالنسبة للعثمانيين، كما يمكن أن يمثّل ذلك خطرا مستقبليا على دولة الشاه؛ إذا ما تمكن الجيران من انتزاع تأييد بعض الإيرانيين مستغلين الانتماء المذهبي لهؤلاء، وهكذا فان تبني التشيّع أوجد تمايزا عقيديا واضحا ليس عن القوى المجاورة حسب، بل وعن الدول الكبرى التي سبق أن تأسست في إيران، فحصلت الدولة الصفويّة الوليدة بموجب ذلك على هويّة الأرض والسياسة مع الأخذ بالحسبان الاتجاهات التعايشية الخاصة بإيران.

والحق يقال، أن إسماعيل حينما بدأ مشواره السياسي وجد أن إيران بحاجة إلى المشترك الوطني، ففيها مجموعة أعراق ومذاهب ودويلات متناحرة، كما يوجد فيها بدو وحضر، سنة وشيعة ومتصوفة، تجار وحرفيون، إقطاعيون وفلاحون ورعاة، وبالطبع فان وجود دولة قوية موحدة تفرض الأمن والعدل يبقى الهم الأول لسكان المدن من الحرفيين والتجار، وكذلك هو مبتغى الفلاحين في الأرياف الذين ما كانوا يريدون أن تصبح مزارعهم وممتلكاتهم ساحة للحروب المستمرة، ما يفسر تلك الايجابية التي واجهت بها المدن الرئيسة جيوش إسماعيل، لكن الدولة القوية المنظمة لن تكون مبتغى البدو وجماعات القزلباش التي كانت تريد من الإضطرابات مبررا يمكّنها من أن تأخذ حظها من غنائم تخلصها من الجوع والفاقة.

وهكذا وجد إسماعيل في المذهب الشيعي طوق نجاة لإيران يخلصها من التمزق والحروب الداخلية وصار التشيّع جامعا للإيرانيين يدافعون عنه جميعا بوصفه عقيدة دينية وسياسية في آن واحد، أضحت فيما بعد الأساس التاريخي للدولة القومية الإيرانية دون أن ينسى استغلال أصول أسرته سواء إلى آل البيت

---

(١) اضطرت الدولة العثمانيّة الى الدخول في حرب ضد محمود الأفغاني (ت١١٤٢هـ/١٧٢٥م) الذي احتل إيران مستندة إلى فتاوى علمائها الذين أوجبوا انضمام الأفغان تحت راية السلطان العثماني، لعدم جواز وجود سلطانين في آن واحد. لاكهارت، انقراض سلسلهٔ صفويه، ص٣٢٨؛ علي حسن علي المكصوصي، إيران في ظل الاحتلال الأفغاني ١٧٢٢-١٧٢٩، رسالة ماجستير، كلية التربية- جامعة واسط، ٢٠٠٦م، ص١١٠-١١١.

أو الآق قوينلو في مشروعه السياسي، كما لم ينس استخدام النزعات الشيعيّة التي أخذت من الطريقة الصفويّة مأخذا بعيد الغور[1]، أو ما سبق أن سميناه "الاستدراج الشيعي"، على أن المذهب الشيعي الاثني عشرية، على وفق الصيغة السجالية التي قدمتها مدرسة الحلي في مواجهة ابن تيمية، كانت مؤهلة لجمع كل من كسبهم التشيّع بشتى صوره والذين تجمعهم صورة تقديس مشتركة لآل البيت ومعاناة الاضطهاد والملاحقة عبر عصور مختلفة[2].

لكن الشاه أدرك أيضا أن استمرار الدعوة الشيعية في ظل قلة وعي القزلباش والدعاة وجهلهم الفقهي والعقيدي سيظل تحركا غريزيا، وسينشئ وضعا مضطربا بين الرغبات المتناقضة لزعماء القزلباش المتنفذين والسكان الطامحين إلى الاستقرار، ما يعني استمرار التناحر والتمزق ومن ثم التدخل الأجنبي، وهنا جاء المحقق نور الدين علي بن عبد العالي الكركي لتوجيه هذه الأيديولوجية المذهبية بما يضمن التغلب على مشاكلها وبجعلها تخطو إلى الأمام بثقة وتخرج إيران من المحن. كما أوجد الشاه إسماعيل منصب الصدارة الذي كان معروفا خلال العهود التيموري والتركماني والعثماني، وأفاد منه شاهات الصفويّين للتعامل مع الأمور الروحية والأوقاف وشؤون المذهب، إذ كانت أهم واجباته قمع المذاهب الأخرى ومحاربة معتنقيها، وهو كان أمرا مهما بنظرهم من أجل خلق دولة قوية تستطيع الصمود أمام أعدائها، واستمر هذا النشاط للصدر حتى وفاة إسماعيل ليظل مقتصرا على شؤون المذهب والنظارة على الأوقاف، وبذلك قلّ نفوذه السياسي[3].

---

(١) يلاحظ تأكيد إسماعيل في مراسلاته أكثر من مرة على نسبه العلوي، كما هو الحال في رسائله إلى شيبك خان، أو الى سليم الأول. فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٨٥؛ كسروي، شيخ صفي وتبارش، ص٣٨؛ علي شريعتي، المصدر السابق، ص١٤٠-١٤١.

(٢) كوثراني، المصدر السابق، ص٤٧.

(٣) سيورى، ايران عصر صفوى، ص٢٩.

### ثالثا. الخطوات والوسائل التي اعتمدها إسماعيل للتحول نحو التشيّع:

عقد الشاه إسماعيل ليلة تتويجه مؤتمرا في تبريز ضم عددا من العلماء ورؤساء القزلباش وبعض أعيان المدينة، وطلب منهم بيان رأيهم في العقيدة التي ستتبناها دولته، فاقترح عليه البعض البقاء على عقيدة أبيه حيدر، وآخرون رأوا غير ذلك، وبقي هو ساكتا لا يتكلم، فقال هو أن التشيّع الامامي الاثنى عشري سيكون مذهب الدولة الرسمي وهو الوحيد المسموح به، ولمّا كانت في تبريز أغلبية غير شيعية تبلغ ثلاثمئة ألف، فقد حذره بعض الموجودين من مغبة رفض السكان لمظاهر التشيّع الجديدة، ولمواجهة اعتراض المعترضين أبدى اصرارا على خطوته، وقال:

**"انني رأيت جدي أمير المؤمنين [علي] يقول لي: بنيّ لا تخف ولا تخش، فإذا صارت الجمعة دع القزلباش يحاصرون المسجد، فاذا نطق أحد الناس فعلى القزلباش تدارك أمره، لذا فلن أهتم لشيء، فان سندي الله وحضرات المعصومين ولا أخاف أحدا، وبإذن الله إذا ما قال أحد حرفا سأستعجله بسيفي ولن أدعه حيا"[١].**

وسرعان ما أثبتت الأيام والأحداث صحّة هذه الرواية، فكلّما لمس إسماعيل اعتراضا من أتباعه لجأ الى الرؤية لمنعهم من الجدل في قراراته ليعطيها بعدا دينيا مقدسا فتصبح لازمة التنفيذ، وكان اليوم التالي لهذا المؤتمر هو الجمعة، فنزل بنفسه إلى مسجد المدينة الجامع وأصدر أوامره بادخال اسم الأئمة الاثني عشر في خطبة الجمعة، وإدخال عبارتي "أشهد أن علياً وليّ الله"، و "حيّ على خير العمل"[٢] إلى الأذان، وعندما خطب الامام بدت ضجّة في المسجد تصوّرها الشاه اعتراضا، ثم تبيّن أنها شكر لله وطلب للشاه بأن يعمّم هذه الخطب في بقية المساجد، وبعد انتهاء الخطبة وقف الشاه خطيبا فبيّن للناس الأسباب التي أدت إلى فشل خطوات مذهبية سابقة ومنها خطوة محمد خدابنده، محددا إياها بسببين،

---

**(1) Browne, Op. Cit., Vol. IV, PP. 53-54.**

**(٢) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ٤١ أ؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٦٧؛ حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٦١.**

خوف أصحابها من الرعية والسخط الشعبي وعدم الترويج الكافي للمذهب بين الناس[1]، ولكي لاتنتهي خطوته مثل سابقاتها أمر بسك العملة وأن ينقش عليها:

**از مشرق تا بمغرب گر امام است     على وآل أوما را تمام است[2]**

ومعناه لو كان كل الناس من المشرق إلى المغرب أئمة كفانا منهم علي وآله، كما كان على إسماعيل أن يتولى نشر عقائد الشيعة وفقه الإمامية على الرغم من محدودية مصادرها، إذ لم يكن هناك فقهاء كافين ولا كتب فقه لتعليم الناس وإرشادهم، وحينما قدّم نصر الله زيتوني قاضي تبريز للشاه نسخة من الجزء الأول من كتاب "قواعد الاحكام في معرفة الحلال والحرام" للحسن بن يوسف بن المطهر الحلي[3] في أصول الشيعة وعقائدهم[4]، كان ذلك بمثابة مساعدة ثمينة كانت الحركة بأمس الحاجة اليها، ليستند إليه الشاه في نشر تعاليم المذهب، فضلا عن أن جماعات من العلماء السنّة انضمّت الى التيار الجديد ربّما مضطرة، وتكيّفت مع الوضع[5]، وأبدت استعدادها ليس للافتاء على المذهب الجعفري

---

(١) ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برگ ١٥٢-١٥٣.

(٢) "شاه إسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."،ص٧٢؛ محسن الأمين، المصدر السابق، ج٣، ص٣٢١.

(٣) الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام، قم، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ثلاثة مجلدات.

(٤) يذكر صاحب "أحسن التواريخ"، أن الكتاب هو "قواعد الاسلام"، لكن براون تنبه إلى أن ليس من بين كتب الحلي، كتاب بهذا الاسم، وقال أن الكتاب المقصود هو "شرائع الاسلام" للمحقق الحلي (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧-٨م)، لكن باحثا معاصرا يصحح ذلك، فيقول أن الأقرب أنه كتاب "قواعد الأحكام". يقارن: حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٦١؛ جعفر المهاجر، المصدر السابق، ص١١٧؛
Browne, Op. Cit, Vol. IV, P. 63.

(٥) مثل محمد بن أحمد الخفري (ت٩٥٧/ ١٥٥٠م) الذي اتقى القتل بالتحول إلى الإمامية، والأمير عبد الوهاب بن عبد الغفار، شيخ الإسلام في تبريز منذ عهد السلطان يعقوب بن أوزون حسن الذي أقره الشاه في منصبه وأرسله بسفارة إلى السلطان سليم، فحبسه حتى مات في سجنه سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م، والقاضي شمس الدين محمد الجيلاني اللاهيجي (ت٩١٢هـ/ ١٥٠٦م) الذي أسند إليه الشاه منصب الصدارة [ضبط موقوفات الممالك]، والأمير جمال الدين الاسترابادي (ت٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م) الذي أصبح صدرا أعظما في دولة الشاه بعد اللاهيجي، والمحقق جلال الدين بن سعد الدين أسعد الدواني (ت٩١٨هـ/ ١٥١٢م) الذي كان قد شغل منصب القضاء في شيراز، ومنصب الصدارة زمن السلطان يوسف بن جهانشاه قره قوينلو، ثم تركه ورحل إلى فارس ليتولئ القضاء فيها لدى الآق قوينلو، ثم تحول من الشافعية إلى التشيّع فألف كتابه "نور الهداية" في الدفاع عن الشيعة. غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٣، ص٢٥٨، ج٤، ص٤٦٨؛=

حسب، بل استند إليهم الشاه في إدارة العديد من حلقات الدولة، منها الشرطة والضرائب والقضاء وغيرها، وهنا يصف صاحب "أحسن التواريخ" هذا الوضع بقوله:

"كان عدد من الأشخاص الذين لايعرفون إلا القليل عن التشيّع، فكان الشاه مجبورا على قبولهم وتكريمهم حتى وإن كانوا مخالفين له في دينه ودولته، وهم ممن يتظاهرون بانتمائهم للمذهب الشيعي، وكان يكتفي من المخالف بكلمة موافق"[1].

كما ارتكز الشاه في التعبئة العقيدية على مظاهر وطقوس كانت وما زالت مثار أخذ ورد بين فقهاء الشيعة، منها شتم الصحابة وإعلان البراءة منهم بوصفهم غاصبين لحقوق آل البيت. كما لم يتردد في البطش بفقهاء أهل السنة وأعيانهم ممن اعترض على الطقوس الصفويّة الجديدة، فكانت تتم تصفيتهم بسرعة وبلا بيّنة أحيانا، فمثلا ينقل مؤرخ صفوي فرمانا للشاه يقضي بحرق وتعذيب كل من آذى الشيعة وأساء إليهم في العهود السابقة، وفرمانا آخر فرض بموجبه على المريدين سب الخلفاء الثلاثة علانية[2]، فظهرت جماعة "التبرائيين"، وهي زمر من القزلباش وقفوا أرواحهم وأبدانهم للشاه تدور في الأسواق والأزقة وتردد عبارات الولاء لآل البيت والبراءة من أعدائهم ومخالفيهم وشتمهم، وكان على الناس أن تردد عبارة "بيش باد، كم مباد"، ومعناها باللغة الأذرية الموافقة والاستزادة، ومن كان يمتنع يتولى القورچية فصل رأسه عن جسده[3]، والواقع أن هذه الأفعال لا تمثل بأي حال من الأحوال التشيّع الأصيل، لأن الشيعة الاثني عشرية ظلّوا يتورعون عن شتم أحد من الصحابة أو التابعين، وكانوا يعتقدون

---

=٦٠٩، ٦١١؛ التستري، المصدر السابق، ج٦، ص٢١٩، ٣٤١؛ ، المصدر السابق، ص١٥٥؛ الزركلي، المصدر السابق، ج٦، ص٣٢-٣٣؛ جعفر المهاجر، المصدر السابق، ص١١٤.

(١) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٦١.

(٢) أحمد قمي، بيشين، ج١، ص٦٤.

(٣) "تذكرهء شاه طهماسب". شرح وقايع واحوالات زندگانی شاه طهماسب صفوى بقلم: خودش، برلن، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، ص٢٥؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص١٤٩؛ غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٤..

بتفضيل أهل البيت لكن دون الإساءة لغيرهم[1]، بل دأب الإمام علي على تربية أتباعه على احترام رموز الإسلام وعدم الإساءة إلى المخالفين له، ومن مواقفه في ذلك ما رواه نصر بن مزاحم حينما مرّ على بعض رجاله في صفين وسمعهم يسبّون معاوية وأصحابه، فقال لهم:

**"كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتّامين تشتمون وتبرأون، ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا ومن أعمالهم كذا وكذا كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله منهم، ويرعوي عن الغيّ والعدوان منهم من لهج به، لكان أحبّ إليّ وخيرا لكم".**

فأجابه أصحابه:

**"يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بأدبك"**[2].

ويقيّم باحث معاصر[3] موقفه هذا بأنه يريد أن يُشعر أصحابه أن الشتم وسيلة نابية ليست كريمة وتنفيس عن طاقة يمكن الاستفادة منها بإدّخارها وصرفها في عمل إيجابي، فضلا عن أن الشتم مدعاة للإساءة لمقدسات الشاتم نفسه، ومن هنا حرّم الفقهاء شتم الصنم، إذا أدى إلى شتم الله(ﷻ)، مستفيدين في ذلك من قوله(ﷻ):

**﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام ١٠٨).**

ونتيجة للسياسة الصفويّة أقدمت أعداد من المخالفين على اللجوء إلى أطراف الدولة أو إلى الدولة العثمانية منهم الشاعر خواجه الأصفهاني (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢١م) الذي فرّ إلى استانبول ومدح السلطان العثماني سليم الأول (٩١٨-

---

(١) أحمد الوائلي، هوية التشيّع، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٩٤م، ص٣٦.

(٢) نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ/ ٨٢٧م)، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام هرون، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢-٣م، ص١٠٣.

(٣) أحمد الوائلي، المصدر السابق، ص٣٧-٣٩.

٩٢٨هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م) بقصيدة فارسية[١]، وبردعى زاده شمس الدين بن المولى محمد البردعى الذي هاجر من خراسان إلى العثمانيين سنة ٩١٧هـ/ ١٥١٢م، فأكرمه السلطان سليم[٢]، ومولانا حكيم الدين إدريس بن حسام الدين علي البدليسي (ت٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م)، صاحب تاريخ "هشت بهشت"، وفضل الله بن روزبهان الذي هرب إلى ما وراء النهر وانقطعت أخباره هناك[٣].

وفي هذه الأجواء ازدادت الوشايات والوقيعة بين السكان، وكان أحد ضحاياها أحمد بن يحيى التفتازاني شيخ الإسلام وقاضي هراة مدة ثلاثين سنة، فعلى الرغم من أنه كان من بين مستقبلي الشاه في دار الإمارة بعد دخوله هراة فاتحا سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م، اتهمه الوشاة عند الشاه بالتعصب، فأمر بقتله مع جماعة من علمائها دون أن يعرف لهم ذنب، ولما التقى المحقق نور الدين الكركي بالشاه في هراة في تلك الظروف سأل عن التفتازاني فذُهل لخبر مقتله، ولم يخف استياءه من هذا المستوى من البطش والعنف فقال للشاه، وهو يريد أن ينبهه إلى خطئه في الاضطهاد الطائفي والفتك بمن يخالفه في المذهب:

**"لو لم يقتل لأمكن أن يتم عليه بالحجج والبراهين حقيقة مذهب الإمامية ويذعن بإلزامه جميع بلاد ما وراء النهر وخراسان"[٤].**

وكان سبق للشاه أن التقى بالكركي في النجف حينما إحتل العراق سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨-٩م، وطلب منه الاستقرار في إيران والاضطلاع ببث الوعي الشيعي، وبالفعل فقد لبى طلب الشاه وانتقل مع أسرته إلى إيران[٥]، وخوّله استدعاء من يحتاجهم من علماء النجف أو لبنان لمساعدته في نشر الدعوة الشيعية في المناطق الشرقية من البلاد التي واجهت الدولة صعوبة في فرض

---

**(١) أحمد قمى، بيشين، ج١، ص٦٤؛ أمير محمود خواندمير، بيشين، ص١٢٦.**

**(٢) الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص٢٦٦.**

**(٣) أحمد قمى، بيشين، ج١، ص٦٤.**

**(٤) يراجع: علي الطباطبائي (ت١٢٣١هـ/١٨١٦م)، رياض المسائل في بيان الأحكام بالبدائل، الجزء الأول، قم، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٨٨؛ الزركلي، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٠. يقول الخوانساري، أن الكركي قال هذه العبارة لطهماسب بن إسماعيل حينما تولى حكومة هراة، وكان يسير في موكبه. الخوانساري، المصدر السابق، ج٣، ص٣٤٣.**

**(٥) اسكندر بك تركمان، بيشين، ج١، ص١٥١-١٥٣.**

التشيّع عليها أكثر من غيرها من المناطق، في وقت كانت فيه بقية الأقاليم الايرانية تطيع الشاه المتحمس في مراميه وتنظم استقبالات حاشدة له[1]، كما طلب منه تعليم رجال دولته وقضاتها أصول المذهب وفروعه وما يتعلق بأحكام المعاملات والعبادات، حتى أصبح من غير المستغرب أن تجد كبار رجال الدولة، وقد انتظموا في حلقات الدرس بين يدي الشيخ الكركي[2]. ولتحقيق ذلك أقطع الشيخ الأراضي الواقعة بين النجف والحلة حتى يقال أن الكركي كان ينفق سبعين ألف دينارا شرعيا على طلبته في كل سنة[3].

ومن بين خطوات التعبئة العقائدية التي استخدمها إسماعيل في مشروعه الفقهي/ السياسي إحياء العزاء الحسيني وطقوس عاشوراء، مما ساعد في نشر هذه الطقوس وتطورها[4]، فحينما صادف أن تسلم الحكم في شهر محرم سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م حاول إسماعيل استغلالها مبكرا فبدأ بممارستها، كما يلاحظ الاهتمام اللامتناهي والتقديس الذي أبداه ورجال دولته لمقامات آل البيت ومراقدهم، فتراه يباشر بإعمارها أين ماحلّ، لاسيما في بغداد وكربلاء والنجف[5]، والصرف بسخاء على هذه المظاهر، فخلال احتلاله العراق أمر

---

(١) لقد تقبل أهالي شيراز واستراباد وقزوين وغيرها الوضع الجديد بسلام. عبد الله الأفندي الأصفهاني (ت١١٣٠هـ/١٧١٨م)، رياض العلماء وحياض الفضلاء، (مخطوط) مكتبة كاشف الغطاء، النجف، تحت رقم ٧٠، ج٧، ص٦٤؛ أحمد قمى، بيشين، ص٨٩٩.

(٢) جعفر المهاجر، المصدر السابق، ص١٢٥.

(٣) أحمد قمى، بيشين، ج١، ص٢٣٤-٢٣٧؛ محسن الأمين، المصدر السابق، ج٤١، ص١٧٦؛ الخوانساري، المصدر السابق، ج٣، ص٣٩١. والدينار الشرعي يساوي مثقالا من الذهب، وظل وزنه ثابتا منذ الجاهلية حتى ضرب العثمانيون ليرتهم الذهبية فجعلوا زنتها دينارين شرعيين. إبراهيم سليمان، المصدر السابق، ص٥١، ١٠٧.

(٤) إبراهيم الحيدري، المصدر السابق، ص٦٠. اقتصرت الطقوس الحسينية في هذه المرحلة على تلك المراسيم الموروثة منذ أيام البويهيين، والتي تقتصر على مجالس الروضة، وهي التي يقوم أحد القراء "أخوند" بتلاوة صفحات من كتاب الروضة يتخللها بكاء ونواح على المصيبة، أما "التعزية" والتي تتضمن إقامة "مسرحية عاشوراء"، أو "الشبيه" فقد نشأت خلال القرن الثامن عشر.

Edward Browne, A Literary History of Persia, Bd. III, Cambridge, 1959, P. 28.

(٥) يندرج تحت هذا العنوان مظاهر التفاني التي أبداها الشاه عباس الكبير في تقديس المراقد فلقب نفسه "كلب عتبة علي"، أو "كلب عتبة الولاية"، ونقشه على خاتمه واستعمله في المخاطبات الرسمية، فضلا عن قيامه بكنس المقام وتقديم الطعام للزائرين بنفسه. فلسفى، زندگانى شاه=

بتجديد عمارة مشهد الكاظمين، وإحكام بنائها فقلع البناء القديم من أساسه وقام بوضع حجر الأساس لبناء محكم متين للروضة والرواق والصحن وجدّ في تزيينه من الداخل والخارج بالقاشاني الملون، ثم بنى القبتين بطراز جميل وزينهما بالقاشاني المعرّق وعوض المنارتين بأربع منائر، إلا أن بناءها توقف بعد أن ارتفعوا بها قليلا عن سطح الروضة، كما أمر ببناء المسجد المعروف بالجامع الصفوي شمال الروضة وبنى حجرات في الصحن لطلبة العلم والزائرين، وفضّض أبواب الروضة بصفائح من الفضة الخالصة، وأخيرا أمر بصنع صندوقين من الخاتم المرصع بالعاج مزينين بنقوش جميلة وكتابات بديعة، فنصبا على الضريحين بدلا من الصندوق الذي وضعه المستنصر بالله سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م والذي أمر الشاه بإرساله للمدائن لوضعه فوق مرقد سلمان الفارسي(١).

وعندما توجه الشاه لزيارة ضريح الحسين في كربلاء، أمر بتذهيبه وتعليق اثني عشر قنديلا ذهبيا على أطراف القبر وأمر بتجهيز صندوق دقيق الصنع من الفضة للقبر تم نصبه سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥-٦م وعمل ثوبا حريريا يلف الضريح وأن تفرش الحضرة بأنواع السجاد الثمين وبذل أموالا كثيرة لخدمته، كما حرص على إعطاء هذه الممارسات صبغة دينية حينما أعلن اعتكافه في حضرة الامام ليلة كاملة(٢)، ليتوجه بعدها لزيارة النجف عن طريق الحلة، ولما وصل إلى مشارف المدينة ترجّل ووصل المرقد ماشيا، وبعد أن أدّى الزيارة أمر بإصلاح قناة الماء القديمة التي كانت ترفدها بالماء والموجودة منذ أيام عطاء الملك الجويني، ومن ذلك الحال سميت "نهر الشاه"(٣)، كما أمر ببناء وتعمير العتبات وأهدى لها هدايا كثيرة من أبرزها مصحف كتبه بخط يده عندما كان في

---

=عبّاس اول...، ج٣، ص٣٤٠-٣٤٣.

(١) حسين الشاكري،الإمام محمد الجواد عليه السلام، قم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٥١٣.

(٢) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٩١؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٣٤؛ اسكندر بيك منشى، بيشين، ص٣٤؛ عبد الحسين ال كليدار، المصدر السابق، ص٧٢.

(٣) إبراهيم الحيدري، المصدر السابق، ص٢٤٢، ٢٦٠؛ جعفر محبوبة، المصدر السابق، ج١، ص١٩١-١٩٢.

لاهيجان[1]، وبهذا قدّم إسماعيل مشروعا سياسيا ناجحا ينم عن تفكير عميق ودراسة لمجتمع إيران.

### رابعا. أثر شمس الدين اللاهيجي ونجم الدين الصائغ في المشروع الصفوي:

يتبادر للمتتبع سؤال مهم يتعلق بوعي إسماعيل ومؤهلاته الفكرية ورؤاه التي أهلته للنهوض بمشروع بناء الأمة الايرانية الحديثة، وإذا ما كان يمكنه أن يتصدى لمهمة طالما عجز عنها سياسيون كبار ومحنكون مثل محمد خدابنده وأوزون حسن وغيرهما. أو أن هناك من يقف خلف هذا المشروع، إذا ما أخذنا بالحسبان أن الشاه ولد سنة٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م[2] وحينما توج شاها كان عمره لا يتجاوز اربع عشرة سنة[3]، والواقع ان جوابا قاطعا على مثل هذا الاستفهام يظل أمرا صعبا في ظل تعمد حاشية إسماعيل إحاطة شخصه وانجازاته بغموض روحاني يؤطره التصوف والطقوسية الإيرانية المعروفة، جزءا من الولاء الروحي/ السياسي لشخصه، فتصوره المصادر الفارسية دوما بأنه كان رجل المهمات الصعبة، فمهما يحاول الفرد تصور العبقرية التي يمكن أن يتمتع بها صبي في مثل تكوين إسماعيل النفسي والتربوي، لا يعقل أن يتمتع بكل هذه الكفاءة السياسية والمهارة في استخدام السيف ضد أعدائه، دون أن ينسى استخدام المقدس والرؤى الصوفية للجم أفواه أنصاره وأعدائه على حد سواء، إذا ما أبدوا شكًا أواعتراضا على أوامره، من دون أن يقف وراء ذلك مستشارون محنكون.

وإذا ما تتبعنا الشخصيات المحيطة بإسماعيل التي يمكن أن تؤثر في قراراته وتتبنى المشروعين العقائدي والوطني في إيران، يتبادر إلى الذهن أولا زعماء التجمعات التركمانية "أهل الاختصاص" الذين رافقوه في رحلة التشرد والنضال وأقصوا أخاه إبراهيم ليرفعوه إلى عرش تبريز، وليحققوا من خلاله ما فقدوه من مزايا سلطوية في الدولة العثمانية التي تحولت نحو الحكم المركزي منذ أيام

---

(١) غلام سرور، بيشين، ص٦٤؛ عبد الحسين الكليدار، المصدر السابق، ص٩٦. يراجع للتفاصيل عن اجراءاته في النجف. القهواتي، المصدر السابق، ص٥٣-٥٤.

(٢) أمير محمود خواندمير، بيشين، ص٣٧؛ زاهدى، بيشين، ص٦٨؛ غلام سرور، بيشين، ص٣٩.

(٣) سيد حسن حسيني استرابادي، بيشين، ص٣٢.

محمد الفاتح[1]، لكن ما يجعل هذا التصور صعبا أنهم كانوا في خضم المشروع العقائدي من أهم المعترضين على اتخاذ التشيّع الاثني عشري عقيدة للدولة مفضلين عقيدة والده حيدر القزلباشية، و كذلك على صعيد المشروع الوطني المتمثل في إحتواء الفرس في تشكيلات الدولة الصفويّة، إذ أنهم حاولوا في أكثر من موقف إقصاء الفرس لإحساسهم أن دخولهم في البنية السياسية للدولة يعني تقليل أهمية القزلباش.

والشخصية الثانية المتصورة بتبني المشروع الصفوي هو كار كيا ميرزا علي الذي استضاف إسماعيل وأخوته وتحمل في ذلك المخاطر، لكن الأخبار القليلة التي وصلت عن طبيعة العلاقة بينهما لا تؤيد أن يكون كاركيا ميرزا علي مسؤولا أو مشيرا لمشروع إسماعيل، ذلك أن خروج إسماعيل من لاهيجان كان بحد ذاته مريبا، فهو قد خرج في منتصف محرم سنة ٩٠٥هـ/ أواخر آب ١٤٩٩م[2] وليس معه سوى سبعة اشخاص هم أهل الاختصاص، وبين هذا التاريخ وبين الوقت الذي بدأ إسماعيل عملياته العسكرية في حدود جمادى الأولى ٩٠٦هـ/ أيلول- تشرين الأول ١٥٠٠م، أكثر من سنة قبل أن يبلغ الثالثة عشرة من العمر[3]، وهذا يوحي أن إسماعيل ربما أبعد بطريقة ما من گيلان لا لأنه حان وقت ظهوره، وأن كار كيا خرج لتوديعه[4]، فالمصادر الصفويّة اختلفت بكل شيء، حتى في ذكر اسم المكان الذي بلغه كار كيا ميرزا علي في توديع إسماعيل بين أوچوان أو سامان، وهما من توابع الديلم وأرجوان من توابع آستارا[5]، ويؤيد هذا من طرف خفي غبطة كاركيا ميرزا من موت رستم عدو

---

(١) عباس إسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص٤٤-٤٥.

(٢) أبو الحسن قزويني، بيشين، ص٦.

(٣) Comparison: Browne, OP. Cit., Vol. IV, P. ٢١.

وبالحساب الدقيق فان عمر إسماعيل في ذلك التاريخ، بلغ اثنتي عشرة سنة شمسية وسبعة وعشرين يوما، واثنتي عشرة سنة قمرية وستة أشهر ونصف.

(٤) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٧؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٤٠؛ أحمد قمى، بيشين، ج١، ص٤٧؛ غلام سرور، بيشين، ص٤٢. سبق أن نبهنا لهذا الأمر في الفصل

(٥) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٨؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٢٤؛ يحيى قزويني، بيشين، ص٢٤؛ ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، ص٤٤ب.

إسماعيل، إذ ينقل صاحب كتاب "عالم آراى شاه اسماعيل" أن مقتل رستم بيك قد أدخل السرور إلى قلب كاركيا ميرزا علي، فتوجه إلى إسماعيل بالقول: "إن رستم مات و أن خروجكم قد حان إن شاء الله"(١).

وما يؤيد هذا التصور أيضا ما ذكرته المصادر المتيسرة من أن كاركيا ميرزا علي قتل سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥-٦م، بعد أن خرج عليه أخوه كار كيا ميرزا حسين، ليتسلم الحكم بدلا عنه، ثم ما لبث أخوه هذا أن قتل بعد سنة بيد ابنه أحمد الذي تسلم الحكم وقابل إسماعيل بعد سنوات طويلة وأكرمه، وأهمية هذا في حديثنا أنه أول حاكم گيلاني تحوّل من المذهب الزيدي الجارودي إلى تبنى التشيّع الاثني عشري(٢)، بمعنى أن عمه كار كيا علي ظلّ زيديا جاروديا يرجع فى الأصول إلى عقائد المعتزلة وفى الفروع إلى مذهب الحنفية(٣).

وإذا ما قيل أن من يقف وراء هذا المشروع، معلم إسماعيل ووزيره فيما بعد شمس الدين اللاهيجي، فإن هذا القول يمكن الأخذ به، بسبب ما يتبين من مؤلفاته التي تركها، إذ أنه كان صوفيا نوربخشيا(٤)، أي أنه كان ثوريا متأثرا بالكثير من طقوس التشيّع الاثني عشري ومعتقداته(٥)، أما من الناحية الإثنية فإنه كان تاجيكيا

---

(١) ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه إسماعيل، ص٤١-٤٢. ربما كان يمكن للبحث أن يحصل على معلومات ثمينة عن هذه المرحلة لو تمكن من الوصول إلى كتاب عن تاريخ جيلان عنوانه "تاريخ خاني"، ألفه علي بن شمس الدين اللاهيجي الذي ظل ملازما لكار كيا ميرزا احمد والي لاهيجان، وشرع فيه سنة٩٢١هـ/ ١٥١٥م وانتهى منه سنة٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، ورتبه على ثلاثة أبواب: الثاني يختص بوقائع كار كيا ميرزا حسن، الثالث في وقائع كار كيا احمد. لكن الكتاب موجود في أوربا فقط كما يقول صاحب "الذريعة إلى تصانيف الشيعة". آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٢٦، ص١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٤٥٩؛ محسن الأمين، المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٣، ٥٧٠، ج٥، ص٥، ج٦، ص١٦٧، ج٨، ص٣٢٧. استمد الأخير معلوماته من التستري صاحب مجالس المؤمنين.

(٣) محمد صالح المازندراني (ت١٠٨١هـ/١٦٧٠-١م)، شرح أصول الكافي، الجزء الثاني، قم، بلا تاريخ، ص٢٥٧؛

http://www.d-sunnah.net/forum; http://www.rafed.net/mawsoah/f9.html

(٤) مقتبس في: علي الحسيني الميلاني، نفحات الأزهار في عبقات الأنوار، الجزء التاسع عشر، قم، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٣٨٢؛ "معجم الفلاسفة..."، ص٥٢٢- ٥٢٣.

(٥) ظل بعض المؤرخين يتهمون اللاهيجيين، بانهم من حرّض إسماعيل على انتهاج التشدد مع=

من سكان گيلان ويحمل ثقافة عالية ويتمتع بشخصية قوية وجذابة تؤهلـه لأداء مثل هذه المهمة الكبيرة.

وهناك شخصية فارسية أخرى هي نجم الدين مسعود الصائغ الذي تعـرف على إسماعيل في رشت، وأخلص في التواصل معه ورعايته، وخـلال رحلـة خروجه إلى شيروان إلتحق به، وأخبره أن الأمير اسحق في رشـت ووزيـره كوسه عباس يبغيان قتله، فهرب والتحق به[1]، وكان لنجم من الأهمية في حيـاة الشاه أنه عينه بمنصب "نفس الشاه النفيسة"، وبعد وفاته عين شخصا آخر مكانه سمّاه "نجم الثاني"، إعتزازا به[2]، ويمكن القول أن الأمير نجم كان يقـف وراء مشروع إسماعيل المذهبي والوطني. وهكذا فإن شمس الدين اللاهيجي و الأمير نجم الدين مسعود هما أقرب الناس روحيا إلى إسماعيل، وهذا القـرب أهلهمـا لإقناعه بمشاريعهما ورؤاهما السياسية العميقة، لكن هذا الاستنتاج لا يمكـن أن ينفي إفادة إسماعيل من رؤى الآخرين من زعماء المكونات الأخـرى للدولـة، لاسيما رؤساء التجمعات التركمانية (القزلباش)[3]، وبهذا فإن قيام دولة شيعية في ظل هذه الأجواء يبقى عملا بطوليا، على الأقل لأنها خلقت مواجهة حتمية مـع الدولة العثمانية، نجح من خلالها إسماعيل في منع العثمانيين من ضم إيران إلى دولتهم، وجعل الإيرانيين يسعون أكثر من أجل الحصول على الهوية الوطنيـة، وأوجد دولة مركزية وقوية[4].

---

=السنة. يراجع على سبيل المثال: محمد بهجة الاثري، ذرائع العصبيات العنصرية فـي إثـارة الحروب وحملات نادر شاه على العراق في رواية شاهد عيان، بغداد، ١٩٨١م، ص٩٣.

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٤٧؛ غلام سرور، بيشين، ص٤٥.

(٢) ربما يعود السبب في هروب نجم من رشت، إلى علاقته المتميزة بإسماعيل، أو عقيدته المذهبية أو السياسية، وكلها تصلح أدلة تدعم القول أن تحركا سياسيا حادا كان يعتري جـيلان بـشقيها الرشتي واللاهيجاني رافق خروج إسماعيل منها، لكن المصادر سكتت عنه.

(٣) يستنتج عباس صباغ، المتخصص في الدراسات الفارسية، من تبعية القبائل العرقية وانتشارها الجغرافي وما آلت إليه أوضاع زعمائها المهمة في هيكلية الدولة الصفويّة الإداري؛ أنهم وراء التجربة الصفويّة عندما رفعوا إسماعيل الصبي إلى العرش لتحقيق مافقدوه من مزايا سـلطوية في الدولة العثمانية، بفعل المركزية التي انتهجتها في حكم الأقاليم منذ أيام السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٦هـ/ ١٤٥١-١٤٨١م). صباغ، المصدر السابق، ص٤٤-٤٥.

(٤) سيورى، ايران عصر صفوى، ص٣٠. يبدو أن خطوة إسماعيل المذهبية دفعت الشاه طـاهر=

## خامسا. الهوية الوطنية والبناء الأثني للعناصر المكونة للدولة الصفويّة:

حظي المشروع الصفوي بتأييد تجمعات عرقية وقومية مختلفة من بينها عدد من التجمعات التركمانية التي أطلق عليها مجازا لفظ القبائل، لأن البلدان التي جاءت منها بعض هذه التجمعات والتي حملت أسماءها هي الرابط بين عناصرها، وليس رباط الدم الذي تستلزمه لفظة القبيلة، وكانت هذه التجمعات النواة الديمغرافية الأولى التي التفت حولها إثنيات الهضبة الإيرانية فيما بعد. كانت الغالبية العظمى من مؤيدي الشاه إسماعيل من قبائل الأناضول والشام وأرمينيا، اختلطت بقبائل فضّلت الانفصال عن الآق قوينلو والدخول في حوزة الصفويين بعيد معركتي ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م و٩١٢هـ/ ١٥٠٧م، عندما زالت دولتهم[١]، وكانت هذه القبائل قد بدأت في الحركة حيث دواخل أرمينيا وأعالي ما بين النهرين والأناضول منذ العهد السلجوقي، ولم تتوقف حركتها حتى بداية الحكم الصفوي[٢]، كما كان معظم سكان أذربيجان "قاعدة الدولة الحضرية الأولى" من الترك[٣]، وكذلك كان حال مجموعات جاءت من ديار بكر التي سقطت بيد الصفويين منذ سنة٩١٢هـ/ ١٥٠٧م[٤]، هذا فضلا عن عدد من التجمعات الإثنية الأخرى، ومن أبرزها:

=إسماعيل الى اقناع الشاه برهان نظام الدين (٩١٤-٩٦٢هـ/ ١٥٠٨-١٥٥٣م) ملك الهند أن يتحول إلى التشيّع بعد أن أصبح وزيرا له، والشاه طاهر الذي ينحدر من أسرة اسماعيلية إيرانية، نزح إلى جنوبي الهند لأسباب سياسية وسكن في أحمد نكر، ثم تحول إلى الامامية الاثني عشرية. ابراهيم الحيدري، المصدر السابق، ص١٥٦.

(١) نظام الدين مجير شيباني، بيشين، ص٧٩؛ عباس إسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص١١٤.

(2) Lambton, Landlord and Peasant in Persia, P. 106.

(٣) هناك دراسات قدمها المؤرخ الإيراني الدكتور محمد أمين رياحي حاول من خلالها إثبات الأصول الإيرانية لقبائل الأناضول، منها كتابيه "سفارتنامه هاى ايران"، و"زبان و ادب فارسي در قلمرو عثمانى"، إذ يعتقد أنهم من بقايا الساسانيين زمن مزدك وهاجروا إلى آسيا الصغرى والشام بداية ظهور الإسلام وخالطوا الروم، ودليله التشابه الكبير بين عقائدهم والعقائد والطقوس الزرادشتية القديمة، مثل الإيمان بتناسخ الأرواح واحترام النار، ووحدة شعاراتهم مع الشعار الزرادشتي، وهو "الفكر الصحيح – القول الصحيح – السلوك الصحيح". نقل از: پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٣٤٩، ٨٥١.

(٤) شمس الدين سامي، قاموس الاعلام، جزء سوم، استانبول، ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠-١م، ص١٦٦٥.

١. روملو: وكانت أكبر هذه التكتلات، سميت بذلك نسبة إلى بلاد الروم التي جاءوا منها، وكانوا يسكنون في الأصل سفوح جبال آرارات في آسيا الصغرى ومناطق قره حصار وسيواس وتوقات وأماسيا، إذ ينحدر عناصرها من أبناء الأسرى العثمانيين الذين أطلق تيمور سراحهم في أعقاب معركة أنقرة لصالح جده الشيخ علي، وظلّوا أوفياء للطريقة الصفويّة[١]، وتعد أقدم القبائل التي التحقت بالدعوة الصفويّة، وتصف بعض المصادر عظمة هذه القبيلة وجلالها وتقول إن طائفة كبيرة منها كانت بقيادة قراجه الياس بايبوردلو التحقت بالشاه إسماعيل الأول حينما أراد دخول أردبيل سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م[٢].

ومن أبرز رموز هذه القبيلة ديو علي سلطان روملو وكان له الفضل في مساندة عناصر كثيرة من قبيلته للشاه في بناء الدولة، فكان يمتلك شجاعة وذكاء مكناه من تولي منصب أمير الأمراء، إلى جانب بادنجان أو باتلي جان سلطان والي أردبيل، وقزاق سلطان أحد خلفاء الصوفية، وإيقود بيك، وبيري بيك، وغيرهم[٣].

٢. شاملو: وهي ثاني أكبر مجموعة التحقت بالصفويين واكتسبت الاسم نسبة إلى بلاد الشام التي جاءت منها، وكانت بزعامة حسين بك لله شاملو(ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)[٤] الذي أشرف على تربية الشاه إسماعيل، و وصفها ابن روزبهان بأنها "قبيلة قذرة مكونة من الآلاف من سود الوجوه"[٥]، ويعتقد أنها ثاني أقدم القبائل التي أيدت الدعوة الصفويّة وكانت في خدمتها[٦].

٣. استاجلو: هي الجماعة الثالثة التي كانت تنتشر في مناطق: أرزنجان، سيواس، أماسيا، وتوقات، وجاء اسمها من زعيمها محمد بيك بن ميرزا بيك

---

(١) ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برگ ١٧٧؛ عباس إسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص٤٢.

(٢) محمد جمالى، تشكيل دولت صفوى....، ص٧٩.

(٣) سومر، بيشين، ص٥٥؛ رحيم زاده صفوى، بيشين، ص٢٧٦، ٢٢٣، ٢٩٣؛ محمد جمالى، زندگانى شاه إسماعيل اول....، ص١٢١.

(٤) نظام الدين مجير شيباني، بيشين، ص٩٨.

(5) Fadlullah b. Ruzbihan, OP. Cit., P. 64.

(٦) اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص١٥٤.

الملقب استا حاجي لو أو محمد خان استاجلو الذي انضم للشاه منذ ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م، مع مئتين من قبيلته، ونصبه إسماعيل سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦-٧م حاكما على ديار بكر وتمكن خلال ذلك من الانتصار على علاء الدولة ذي القدر، بل وصلت به الجرأة إلى أن يرسل رسائل تهديد إلى السلطان سليم الأول، واستمر في منصبه لحين مقتله في معركة جالديران سنة٩٢٠هـ/ ١٥١٤م بعد أن أبلى بلاءً حسنا[1]، ومن أبرز وجوهها مُنِتش سلطان استاجلو وخيزر آقا استاجلو وغيره من الأمراء الذين عملوا في خدمة الشاه إسماعيل، ويحتمل هينتس، أنهم فرع من الشاملو[2]، ربما لأن منشأها سوريا، لكنها نزحت إلى أطراف أرزنجان أيام الشاه إسماعيل[3] حينما نال عناصرها أكبر المناصب وأعلى الدرجات في أيام نشوء الدولة الصفويّة الأولى.

٤. **ذو القدر**: هي مجموعات من الكرد قدمت من ديار بكر ومناطق مرعش والبستان، التحقت مجموعة منها بالدعوة الصفويّة منذ أيام الشيخ جنيد وتفرّقت بعد صدامه مع الشيروانيين والتحق قسم منهم بولده حيدر، وكانت بقيادة محمد بن كور شاه بن علاء الدولة الذي قتل في جالديران، وتؤكد المصادر أن علاء الدولة ذا القدر كان مخالفا لكل من السلطان سليم الأول والشاه إسماعيل على حد سواء؛ لذا وقف على الحياد في معركة جالديران، فأغضب موقفه هذا السلطان سليم، فقرر القضاء على دولته، فلقي حتفه بعد هذه المعركة وانقسم جيشه إلى ثلاثة أقسام، قسم انضمّ للعثمانيين، وآخر ذهب إلى ما وراء النهر لخدمة عبيد الله خان الأوزبك، وثالث انخرط في خدمة الشاه إسماعيل الذي قرر تفريق هذا القسم إلى ثلاث مجموعات أيضا، وضع إحداها تحت تصرفه وأرسل الأخرى إلى خراسان لخدمة ابن أخته الأمير دورميش خان شاملو، وأرسل الثالثة إلى شيراز[4].

---

(١) ناشناس مؤلف، تاريخ قزلباشان، ص٨-١١.

(٢) هينتس، بيشين، ص٩٣؛ "تاريخ إيران. دوره‌ء صفويان بزوهش از دانشكاه كامبردج"، ص٢٤.

(٣) اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص١٥٤؛ محمد جمالى، تشكيل دولت صفوي...، ص٨٠.

(٤) ناشناس مؤلف، تاريخ قزلباشان، ص٤٩-٥١؛ حسن روملو، بيشين، ج١١، ص١٥٤-١٥٥؛ نظام الدين مجير شيباني، بيشين، ص٨١. يراجع للاطلاع على مكانة الكرد في تشكيل الدولة الصفويّة: حسين ناظم بيك، تاريخ الإمارة البابانية، ترجمة: شكور مصطفى ومحمد الملا عبد=

وحول وفاء هذه المجموعة للمشروع الصفوي يروي صـاحب "خلاصـه التواريخ" أنه عندما أرسل إليهم الشاه إسماعيل يدعوهم للحضور إلـى أردبيـل، صادف أن شابا كان في ليلة زفافه، فلما سمع بهذه الدعوة ترك عروسـه فـي خيمتها ولبّى نداء إسماعيل[1]، وعلى ما في هذا الخبر من المبالغة، إلا أنه يـدل على حماسة الأناضوليين وحاجتهم لمثل هذه الفرصة التي من شأنها أن تـنقلهم من واقع الخيام والبداوة والقحط إلى الربوع الخضراء والاستقرار، وقد برز من هذه المجموعة أمراء كبار وقادة أكفاء خدموا الدولة، منهم چون جليل سلطان ذو القدر، وأخوه برادرش خليل سلطان الحرس الشخصي للشاه إسماعيل، وأبـدال بيك ذو القدر حاكم الري وغيرهم[2].

٥. **قاچار**: يعتقد أغلب المؤرخين أنها أخذت اسمها من اسم رئيسها قـاچار نويان المغولي (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣-١٣٠٤م) خلال عهد غازان خان[3]، وبعد العهـد المغولي استقرت في أرمينيا واستقر قسم منها في سوريا، فامتهنت سلب القوافل ونهبها والإغارة على القبائل الأخرى والأراضي المجاورة في الـشام وأرمينيـا وآسيا الصغرى وغيرها، وبعد الحملة التيمورية على آسـيا الـصغرى أسـرهم تيمور، واسكنهم مناطق قره باغ وأيروان وگنجة، وهذه المجموعة رافقت الدولة منذ تأسيسها فهاجرت إلى إيران[4]. يقول مؤلف كتاب "فوايد صفويه" عن هـذه الجماعة أن: "تعدادها كان يصل إلى اثني عشر ألف رجل"[5]، انقـسموا علـى قسمين: الأول "يوخاري باش" وتعني العشيرة العليا، والثاني "أشاقة باش" ومعناها العشيرة السفلى[6]، وهي تسميات تتعلق بسكنى هاتين العشيرتين، وبالنظر لـشدة

---

=الكريم المدرس، هه ولير، ٢٠٠١م، ص١٨-٢٢.

(١) أحمد قمى، بيشين، ص٥٧.

(٢) ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برگ ٢٩٩أ.

(٣) فلسفى، زندگانى شاه عبّاس اول...، ج١، ص١٦٥.

(٤) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٣١١؛ ناشناس مؤلف، تاريخ قزلباشان، ص٥١-٥٦؛ نظام الدين مجير شيباني، بيشين، ص٨٢؛ هينتس، بيشين، ص٩٥؛ عباس إسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص٤٤.

(٥) ابو الحسن قزويني، بيشين، ص٦.

(٦) همان منبع، ص٦.

تعظيم هذه المجموعة واحترامها لرموز الدولة الصفويّة؛ أصبحت من أكثر القبائل قربا إلى الشاه إسماعيل، فبرز من بين رجالها عدد كبير من القيادات التي خدمت في صفوف القزلباش(١)، لاسيما عشيرة يوخاري باش التي درجت على تولي تربية السلاطين الصفويين(٢).

٦. **تكه لو:** وهي من المجموعات التي ظهرت أيام الشاه إسماعيل بصورة واسعة وقدمت كما يتضح من اسمها من إمارة تكه في جنوبي الأناضول قرب سواحل البحر المتوسط(٣)، وكانت بزعامة چوها سلطان، وتكونت من أفراد قبيلتي حميدلي وتكه اللتين التزمتا موقفا معاديا للدولة العثمانية بسبب اضطهادها لهما واحتقارها لأفرادهما، بعد أن تمتعتا بحظوة عند السلاجقة(٤)، لذا كانت من أوائل المنضمين إلى الدعوة الصفويّة أيام السلطان حيدر الذي اتخذ من رئيسها حسن خليفة (والد شاه قولي) ممثلا خاصا في الأناضول بعنوان خليفة. يقول صاحب كتاب "أحسن التواريخ": أن حسن خليفة زار الشيخ حيدر مرتين فأرسله إلى الدار التي يمارس فيها الصوفية الرياضة الخاصة بهم لمدة أربعين يوما ثم أرسله إلى نواحي تكه(٥)، وقد هاجر قسم من أفرادها من قره مان ومنتشا وأطراف آسيا الصغرى واستقروا في أجزاء من إيران من بينهم أتباع شاه قلي بابا الذي أعلن الثورة ضد العثمانيين(٦).

ومن أبرز رجال هذه الجماعة فضلا عمّا تقدم، سارو علي تكه لو حامل أختام الشاه وأسهم في سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م مع عبيدى بيك شاملو في مقاتلة صارم بيك كرد أمير اللر فقتل في هذه المعركة، وبورون سلطان الذي أصبح

---

(١) محمد جمالى، تشكيل دولت صفوي....، ص٨١.

(٢) اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص١٥٤.

(٣) فلسفى، زندگاني شاه عباس اول....، ج١، ص١٦٣.

(٤) أبو القاسم طاهرى، بيشين، ص١٧٨. بعد سقوط دولة سلاجقة الروم انقسمت أقاليمها في آسيا الصغرى إلى عشر إمارات هي: قره سي، صاروخان، آيدين، تكه، حميد، قره مان، كرميان، قسطموني، منتشا، وقونية. وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، عمان، ٢٠٠٣م، ص٢٢؛ عبد الأمير الرفيعي، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، الجزء الثاني، بغداد، ٢٠٠٥م، ص٢٥.

(٥) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٣١١.

(٦) ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برگ ١٥١أ.

أميرا على مشهد، ويكن سلطان ورئيس بيك تكه لو وشرف الدين تكه لو، الذين كانوا مع الشاه قبل الهجرة العامة لهذه الجماعة بعد ثورة شاه قولي[١].

٧. **أفشار**: التي هاجرت من تركمانستان الغربية وسواحل بحيرة أرومية بعد الحملة المغولية واستقرت في أذربيجان حينما التحقت بالدولة الصفويّة أيام الشاه إسماعيل، واشتق اسمها من أوشار ابن يلدوز الأكبر، ثالث أولاد أوغوز بن أباقا خان بن هولاكو خان بن جنكيز خان[٢]. وورد في كتاب "بستان سياحه" أن هذه القبيلة تنقسم إلى عدد من الأفخاذ (أويماق)، وكل أويماق يشتمل على عدد من الفروع (أوجاق)[٣]، ومن أفخاذها: قاسملو وأرخلو فضلا عن ياقرقلو[٤] التي أجبرها الشاه إسماعيل على النزوح عن أذربيجان نحو أطراف خراسان الشمالية في مناطق أبيورد وخزر حتى نواحي مرو، بغية حفظ الحدود الشرقية لدولته والحيلولة دون توغل الأوزبك خلال هجماتهم[٥]، ويرى صاحب "بستان سياحه": أن الأفشار قبيلة ليست تركية، بل من القبائل الطورانية قدمت من تركستان، وظلت في خدمة الترك فتعلقت بهم فسموا بالتركمان، وتمكن أحد زعمائهم المسمى هوگ أن يستقل بهم عن هذه القبائل بالقوة والمكر والدهاء فانتشروا في معظم البلاد الإسلامية، فيقال أن ثلاثين ألف عائلة منهم تسكن الدولة العثمانية، وجميعها من السنّة الحنفية، كما توجد في كل من أذربيجان والعراقين وكرمان وخراسان وخوزستان ما يقارب من ثلاثمئة ألف عائلة، كما توجد مئة ألف عائلة تسكن طبرستان وزابلستان وكابول وكشمير والهند[٦]، ويقول: "أن جميع سكان إيران والهند من الشيعة الإمامية"، ثم يصفهم بالقول "إن أغلب فرق الأفشار، قوم

---

**(١) سومر، بيشين، ص٥٨-٥٩.**

**(٢) فلسفى، زندگاني شاه عباس اول...، ج١، ص١٦٣.**

**(٣) زين العابدين مستعلي شاه اسكندر تمكين شيرواني (ت١٢٥٣هـ/١٨٣٧م)، بستان السياحة (مخطوط)، ص١٠٤ب. نقل از: محمد جمالى، تشكيل دولت صفوي...، ص٨٢.**

**(٤) هو الفرع الذي ظهر منه نادر شاه أفشار.**

**(٥) ناشناس مؤلف، تاريخ قزلباشان، ص٥١-٥٢.**

**(٦) مستعلي شيرواني، بيشين، ص١٠٤ب. يراجع كذلك: ناشناس مؤلف، تاريخ قزلباشان، ص٥١.**

سيئوا الطوية وسيئوا الأدب، و لا تخلو طباعهم من الشر"[1]، وكل ما يمكن التعليق به على هذا النص أنه يمثل وجهة نظر الكاتب، وأن سوء الطبع مرده ضيق ذات اليد والظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة التي يعيشها الناس.

٨. **قره باغ**: اسمها يعني الجبل الأسود، ويتبين من تسميتها أنها من منطقة قره باغ التي تقع في جمهورية أذربيجان الحالية، ومن أبرز قادتهم ورؤسائهم الذين اعتمد عليهم الشاه إسماعيل، شاه محمد قره باغي الذي أرسله إلى قره باغ ليتولى التجسس على القوات العثمانية ونقل الأخبار، وغلام علي قره باغي الذي كان من أبرز قادته وكان يسميه "خوش خبر خان" لأنه كان يأتيه بالأخبار الطيبة ولأنه التحق به ومعه ألفي رجل من قبيلته[2].

٩. **ورساق**: هناك عناصر من قبيلة ورساق التي لا يعرف أصلها، وكل ما لدينا من معلومات عنهم أنهم من ولاية قره مان، اشتركوا مع الشاه إسماعيل في معاركه[3] لاسيما جالديران، وكانوا يطلقون الأناشيد الحماسية والأهازيج النارية لشد أزر المحاربين وتحفيزهم على الهجوم[4]، ومما يذكر هنا أن عناصر من هذه القبيلة في أدنة وطرسوس تحولت إلى القزلباشية وهاجرت إلى إيران، لهذا كانت السجلات العثمانية تدون أسماءهم بالحبر الأحمر بوصفهم أعداء للدولة العثمانية[5].

١٠. **طالش**: وهناك جماعات من منطقة طالش الجبلية في أذربيجان تنتمي لقبيلة شيخاوند التركمانية التي دخلت معركة جالديران دون أن يرتدي رجالها الدروع الواقية، لأنهم يعتقدون أنها تعرقل حركة المحارب وتثقل وزنه، واشتهرت هذه القبيلة بتربية الكلاب الضخمة التي يمكنها مهاجمة الأعداء واستخدمت في هذه المعركة بصورة فاعلة، مما دفع السلطان سليم إلى أن يأمر بقتلها أو اصطيادها للإفادة منها في المعارك، وتلخص واجب تلك الكلاب في

---

(١) مستعلي شيرواني، بيشين،، ص١٠٤ب.

(٢) محمد جمالى، تشكيل دولت صفوي...، ص٨٦.

(٣) فلسفى، زندگاني شاه عباس اوّل...، ج١، ص١٦٥.

(٤) ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برگ ١١١أ.

(٥) محمد جمالى، تشكيل دولت صفوي...، ص٨٦.

حراسة جموع القوات النائمة في الليل والحيلولة دون توغل القوات المعادية في صفوف القزلباش ليلا لتقيد أثناء النهار بسلاسل حديدية، وكان من أبرز وجـوه هذه القبيلة دده بيك طالش الذي كان قريبا من الشاه إسماعيل(١).

١١. **ساري قميش:** وهذه القبيلة المهاجرة كانت من الشيعة الأناضولية التـي قام العثمانيون بترحيلها لتصفية الجبهة الداخلية إبان المجزرة الجماعية التـي نفـذها السلطان سليم في سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م واستقروا لدى الشاه إسماعيل، وكان أصلان رئيس هذه القبيلة هاجر مع أفراد قبيلته من الأناضول نحو إيـران قبيـل معركـة جالديران فلاقى صعوبات كثيرة من اجل عبور الحدود، إذ خسر أمواله في الطريق، ولما علم الشاه إسماعيل بقدومهم خرج لاستقبالهم بنفسه وأقام حفلا كبيرا وأمر بنحر ثلاثة آلاف رأس غنم من ماله الخاص، وتم إسكانهم في الجبهة الشرقية لأروميـة، وفي النهاية قتل أصلان رئيس القبيلة مع عـدد مـن أفـراد قبيلتـه فـي معركـة جالديران(٢)، لكنه ترك ذكرا طيبا وسمعة جيدة في تاريخ الدولة الصفويّة.

١٢. **بياتلو:** فضلا عن بياتلو (البيات) التي جاءت مـن العـراق وقـسطموني الواقعة شمال آسيا الصغرى(٣)، ومنها فضولي البغدادي، أو "رئيس الترك" كما لقبـه أبناء جلدته والذي كانت له عند الفرس كما عند العرب والتركمان منزلة كبيرة(٤).

١٣. **الفرس (التاجيك):** لم تكن القبائل التركمانية وحدها مـادة المـشروع الصفوي، بل التحقت بالطريقة الصفويّة عناصر من الفرس(٥) كـان القزلبـاش يطلقون عليهم لفظ التاجيك ليقتصر لفظ القزلباش على المكونات (القبائل) السابقة حتى تلك التي لم تحمل أصولا تركمانية، وقد تولى الفرس شؤون الدولة الماليـة والإدارية في البلاط الصفوي نظرا لما عرف عنهم من خبرة ودراية فـي هـذا

---

(١) ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، برگ ٣٠ب؛ اسكندر بك تركمان، بيشين، ص١٥٦.

(٢) محمد جمالى، تشكيل دولت صفوي....، ص٨٨-٨٩.

(٣) ناشناس مؤلف، تاريخ قزلباشان، ص٥١-٥٦؛ حسن بك روملـو، بيـشين، ج ١١، ص٣١١؛ هينتس، بيشين، ص٩٥؛ نظام الدين مجير شيباني، بيشين، ص٨٠.

(٤) آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص٨٣٨؛

Browne, Op. Cit., Vol. IV, P. 185.

(٥) زرين كوب، بيشين، ص٦٦١.

المجال، دون أن يتولوا المناصب العسكرية بصورة واسعة، وبدأت هذه الجماعات التي تعدّ العمق التاريخي والديمغرافي للهضبة الإيرانية تأخذ مكانتها في الدولة منذ سنة٩٠٩-١٠هـ/ ١٥٠٣م، أي بعد أن ضم إسماعيل اقليمي فارس وعراق العجم إلى دولته، على أن سكان خراسان الفرس والترك لم يدخلوا في نطاق الدولة إلا منذ سنة ٩١٦-٧هـ/ ١٥١٠م، على إثر الصدام الرهيب مع شيبك خان أوزبك[١].

١٤. **العرب**: التحق بالشاه إسماعيل آلاف العرب كان يقودهم محمد كمونة قتل عدد كبير منهم في معركة جالديران[٢] يقدره عباس العزاوي بأكثر من عشرة آلاف[٣]، وهو رقم مبالغ فيه؛ لأن خسائر الطرفين في جالديران لم تصل إلى هذا العدد كما سيتضح في الفصل القادم، لكن ربما كان هذا هو عدد العرب الذين اشتركوا في المعركة.

١٥. **البلوج**: وهم مجموعات بدوية صحراوية ينتشرون بين كرمان وسيستان في المنطقة التي تسمى بلوجستان، كما ينتشرون في صحاري در ملك ومكران ومكس وقلات وپامپور على أطراف بحر السند، ويتكلم هؤلاء لغة خاصة بهم تعرف بالبلوجية، وأصبحوا جزءا من الدولة الصفويّة منذ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م بعد استيلاء إسماعيل على سيستان وكانوا في معظمهم سنّة[٤].

١٦. **الكرد**: إلى جانب قبيلة ذي القدر الكردية التحقت بالمشروع الصفوي مجموعات كردية أخرى رصدها الباحث خلال مراحل الدراسة، أولاها مجموعة كانت تسكن قرية منتش القريبة من الحدود الأرمينية، وانضمت بعد مدة وجيزة من ظهور إسماعيل وبعد أن الحق هزيمة بحاكمها منتش سلطان كرد[٥]، فضلا عن إعلان بعض الإمارات الكردية في كردستان خضوعها لسلطة إسماعيل

---

(١) ناشناس مؤلف، عالم آراي صفوي، ص٢٥٨.

(٢) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٩٤؛ نظمي زادة، المصدر السابق، ص١٨٥؛ عبد الرزاق كمونة الحسيني، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥.

(٣) العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ص ٣٥٣.

(٤) فراي، "بلوچستان"، دائرة المعارف الاسلامية، ج٨، ص٥٦-٩٧.

(٥) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٤٥٤؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٤٢.

وانضمامها إلى مشروعه، لاسيما تلك التي تسكن كرمانشاه وسنندج وكاروس وقسم من أذربيجان وساوج بلاغ (مهاباد) وكرد سلماس وخوي وماكو، فضلا عن خضوع مؤقت لكرد بدليس ووان وسنجق هكارى وغيرها[1]، وقد اشتركت معظم هذه المجاميع في معركة جالديران فمال قسم منهم خلالها إلى العثمانيين[2].

١٧. **النصارى الأرمن:** التحقت مجاميع صغيرة من النصارى الأرمن بالتجربة الصفويّة بعد أن وجدوا في بلاط الشاه منذ سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م حظوة كبيرة، وهم ينتمون إلى الهضبة الأرمينية التي تتضمن مدن أرزنجان وأرضروم وأيروان (يريفان) ونخجوان وقارص، فضلا عن غيرها من المدن المهمة بوصفها ملتقى طرق المواصلات الدولية ومفتاح آسيا الصغرى عبر طرابزون[3]. إذ كانوا يمارسون طقوسهم الدينية ونشاطهم التجاري بحريتين تامتين، وكانوا يمثلون البلاط في بعض البعثات الخارجية، أو يتولون الترجمة للوفود الأجنبية التي تزور البلاط[4]، وقدر الرحالة الفرنسي جان شاردن الذي زار إيران خلال العهد الصفوي عددهم بمئتين وخمسين ألف نسمة[5]، فضلا عن مجموعات كرجية من جورجيا في القوقاز، انضمت إلى الدولة الصفويّة بعد سقوط منطقة جورجيا وشيروان وغيرها[6].

كما كان عدد من النساطرة ومجموعات أخرى من ضمن مواطني دولة إسماعيل. ونتيجة لما تمتعوا به من حقوق في ظل دولته، زادت منزلة الشاه في نظر النصارى لاسيما بعد اتصاله بأبناء دينهم البرتغاليين، بل هناك من ردد

---

**(١) البدليسي، المصدر السابق، ج١، ص٤٣٦؛ عباس إسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص١٢٠؛ حسن الجاف، حياة فرهنكي كرد در برتو اسلام، رسال دكترى، دانشگاه تهران - دانشگده إلهيات ومعارف اسلامى، ١٣٥٢-١٣٥٣ش/ ١٩٧٣-١٩٧٤م، ص٦٠.**

**(٢) حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ إيران، الجزء الثالث (دراسة في التاريخ السياسي منذ ظهور الدولة الصفويّة الى نهاية الدولة القاجارية)، بغداد، ٢٠٠٥م، ص٢٣.**

**(٣) سترك، "أرمينيا"، دائرة المعارف الاسلامية، ج١، ص٦٥٨.**

**(٤) مريم مير احمدى، دين ودولت در عصر صفوى، چاپ دوم، تهران، ١٣٦٩ش/ ١٩٩١م، ص١٠١-١٠٢.**

**(٥) نقل از: همان منبع، ص١٠٠.**

**(٦) صباغ، المصدر السابق، ص١٢١-١٢٢.**

شائعات أوربية مفادها أن إسماعيل كان نصرانيا لأنه عاش في جزيرة ببحيرة فان Wan بعد أن هربت أمه ماريا بكم (كذا) من الآق قوينلو. وطبقا لمصادر الأرمن أنه تربى في دير للأرمن هناك وتلقى التعليم على معلم نصراني[١]. لكن هذه الأخبار تظل بلا أساس لأن ظروف اختفائه أضحت معلومة فلم يعش في فان ولم يتصل بالأرمن، كما أن هذه المصادر حولت اسم أمه حليمة إلى ماريا للإيحاء بعلاقتها بأمها النصرانية بالرغم من أن المصادر العثمانية قالت أنها بقيت على مذهب أبيها السني[٢].

١٨. **اليهود:** كان أتباع اليهودية موزعين على مناطق إيران وبخارى وأفغانستان، بعد أن وصل عدد كبير منهم هاربين من الأندلس بعد سقوطها[٣]، وكان ظهور الدولة الصفوية مثّل في نظر المؤرخين اليهود بداية لانقلاب في أوضاع يهود إيران، فهم يرون أن مذهب إسماعيل أظهر حقدا كبيرا على اليهود وعدّهم كفرة وأنجاسا، فأحرقت كنسهم وحول بعضها إلى مساجد، وأجبروا على التحول إلى الإسلام، فظهر بينهم ما عرف بالتاريخ اليهودي مصطلح "اليهود المتخفون"، وهم الذين اعتنقوا الإسلام وأضمروا دينهم الأصلي[٤].

لم يكن حظ الزرادشتيين الذين ضمتهم الدولة الصفوية من الاضطهاد أفضل من اليهود، إذ يقدر شاردن عددهم بأكثر من سبعين ألفا، وكذلك حال الصابئة الذين بلغ عددهم خمسة عشر ألفا[٥]، ففرضت عليهما ضرائب باهظة.

وفي السياق نفسه، حملت بعض التجمعات والفئات المؤيدة للصفويين اسم "صوفية" وفي مقدمتها "صوفية لاهيجان"، على الرغم من أنها كانت تنتمي إلى قبائل استاجلو وشاملو وتكه لو، وكذلك "صوفية قره باغ"، إلا أنها تميزت عن القزلباش الآخرين باحتفاظهم بالإطار الروحي السابق للتصوف، فيما تحول

---

**(1) Rudi Matthee, Christians in safavid Iran, Delaware, 2000, P. 11.**

**(٢) تمت دراسة هذه الظروف في نهاية الفصل الأول.**

**(٣) "اليهود في البلدان الاسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠"، تحرير: صموئيل أتينجر، ترجمة: جمال احمد الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥، ص١١.**

**(٤) المصدر نفسه، ص٢١-٢٥؛ مأمون كيوان، اليهود في إيران، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٢٣.**

**(٥) نقل از: مريم مير احمدى، بيشين، ص١٠١.**

القزلباش إلى تكتلات عسكرية عقائدية خالصة[1].

وإذا كانت الدولة الصفويّة التي تأسست على أراضي أذربيجان تمكنت من ضم معظم أراضي إيران التاريخية، واحتوت الكثير من التجمعات القبلية والبدوية إلى جانب أعداد كبيرة من سكان الحواضر؛ فإن المؤرخين اختلفوا عما إذا كانت الدولة التي أسسها إسماعيل على الأرض الإيرانية تعد دولة وطنية، أم أنها دولة غريبة عن إيران لا تختلف عن دول الغزاة التي سبقتها، ويقف المؤرخان البريطاني إدوارد براون والألماني والتر هينتس في مقدمة الذين نظروا لوطنية الدولة الصفويّة بوصفها الدولة التي تمكنت من تحقيق الوحدة التاريخية لإيران من خلال التوافق بين حدودها وحدود الدولة الساسانية، في ظل عقيدة واحدة هي المذهب الشيعي الاثنى عشري وما تمكنت إيران من تحقيقه في ظل هذه الدولة على صعيد مكانتها الدولية والمحلية، فالإيرانيون لم يفقدوا طوال القرون التي تلت الفتح الإسلامي الشعور الوطني والشخصية القومية نتيجة عدد من الأخطاء التي رافقت الحكم الإسلامي، إذ أسهمت السياسات الأموية والعباسية والمغولية والتركمانية في إلتفات الايرانيين الى تثبيت شخصيتهم الوطنية، وظل المواطن الايراني يشعر بالحيف حتى عندما تمكنت عدد من السلالات الإيرانية من تأسيس دويلات داخل إيران[2]، ولم يتراجع هذا الشعور بعد أن تمكنوا من السيطرة على مفاصل الدولة العباسية الإدارية والسياسية والوصول إلى مناصب مرموقة في أجهزتها، وتمكنوا من تنصيب الخلفاء وخلعهم والتحكم في مصائر الأقاليم وسكانها.

كما حاولت بعض الدويلات الإيرانية إعادة إنتاج الإسلام السياسي لصالح قيام دولة مستقلة على أراضي إيران التاريخية، طالما أنهم لم يتمكنوا من إنشاء حكومة مركزية قوية توحّد إيران التاريخية وتنشئ نسيجا اجتماعيا وقوميا واحدا على الرغم من وجود مرتكزات أساسية لهذا المطلب، مثل اللغة الفارسية ولهجاتها والعادات المتقاربة، والأهم من ذلك الطموح القومي الذي لم يغب عن مشاعر الإيرانيين ولو للحظة واحدة، وعلى الرغم من أن السلاجقة كانوا أكثر

---

(١) أبو القاسم طاهرى، بيشين، ص١٦٦-١٦٧.

(٢) يراجع للاطلاع على هذه الدويلات: الملحق رقم (١٢).

المؤهلين للتصدي لهذه المهمة حينما حكموا المشرق الاسلامي وجعلوا من إيران مركزا للمُلك وسلموا أهلها مقدرات الدولة وتخلق القائمون عليها بالتقاليد والثقافة الإيرانيتين، فان الاختلافات المذهبية الشديدة حالت دون أن يحققوا الوحدة الوطنية المنشودة، وحينما خضعت البلاد للغزو المغولي وماجلبه معه من مصائب عانى الإيرانيون منها أشد المعاناة، فإنهم إزدادوا انغماسا في هويتهم الاسلامية عن طريق التصوف، وبنظر هؤلاء الباحثين، فان الشاه إسماعيل الأول هو الذي تمكن من وضع أسس الوحدة السياسية والاجتماعية لإيران في العصر الحديث والتقريب بين مكونات الشعوب الإيرانية، ونبههم إلى مخاطر السيطرة الأجنبية أو هيمنة أقوام أخرى من المسلمين على مقدرات إيران[1].

ويقف في الجانب الآخر من هذا السجال عدد من المؤرخين القوميين الإيرانيين والترك وغيرهم، إذ يتصور هؤلاء خطل الرأي القائل بوطنية الدولة وعدّوه اندفاعا وراء الإحساس والتعصب الوطني، والسبب في ذلك أن إسماعيل لم يكن من أرومة فارسية من جهة الأب أو الأم[2]، وهو ما يعني انعدام الدم الفارسي في عروقه، وأن الصفويين هم الخلف المباشر لممالك التركمان من القره قوينلو والآق قوينلو، بل يعدهم الباحث الروسي فلاديمير مينورسكي المرحلة الثالثة من الهيمنة التركمانية في بلاد فارس، ويقول أن القوات العسكرية التي مكنت إسماعيل من الانتصار في معاركه ضد مراد آق قوينلو وألوند ميرزا

---

(١) استندنا في تأطير هذا التصور إلى: والتر هينتس، تشكيل دولت ملي در ايران، مقدمه؛ Browne, Op. Cit., Vol. IV, PP. 1-4; Arnold Toynbee, Study of History, London, 1945, Vol. II, P. 254; Lambton, Landlord and Peasant in Persia, P. 105.
ومن المؤرخين الإيرانيين المعاصرين يراجع: عبد الله رازي، تاريخ مفصل إيران از تأسيس سلسله ماد تا عصر حاضر، چاپ دوم، تهران، ١٣٣٥ش/ ١٩٥٧م، ص٣٨٧؛ زرين كوب، بيشين، ص٦٥٨.

(٢) يقف المؤرخان الفارسيان نصر الله فلسفي وأحمد كسروي في مقدمة المؤرخين الإيرانيين الذين رفضوا نظرية وطنية الدولة الصفويّة، فيما يقف فاروق سومر في طليعة المؤرخين الأتراك، وذلك بتركيزه على أثر قبائل القزلباش التركمانية في تأسيس الدولة "نقش تركان آناطولى در تشكيل وتوسعه دولت صفوى". يراجع: فلسفي، زندگانى شاه عبّاس اول...، ج١، ص١٦٤، ج١، ص ح-ى؛ أحمد كسروى، شيخ صفي وتبارش، ص٢٨؛ سومر، بيشين، ص٦-٧.

تشبه في تنظيمها قوات أعدائه في اعتمادها على التنظيمات القبلية المحضة[1].

كما أن اعتماده على أتباعه القزلباش من التركمان والعرب والكرد والتتار وغير ذلك يمثل بنظر هؤلاء احتقارا لتاريخ إيران ولغتها الفارسية، وهما الركنان الأساسيان للعنصر الإيراني، الأمر الذي جعل إيران وشعوبها تحت قيادة طوائف تركية غريبة، ففي وقت أهلت عذوبة اللسان الفارسي وطلاوته ليكون لغة الأدب والديوان في كل من الهند والدولة العثمانية[2]، ظلّت اللغة التركية لغة البلاط الصفوي حتى نهاية العهد وما بعده، لأنها لغة القبائل المكوّنة للدولة، وأن تبريز التركمانية ظلت مركزا للدولة حتى أواسط القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، بل وسجلت المصادر لإسماعيل قصائد شعرية كثيرة بالتركية، ولا يعتد هؤلاء المؤرخون بتماثل الحدود الطبيعية للدولة الصفويّة التي تماثل حدود الدولة الساسانية، لأنها أيضا قريبة من الحدود التي ضمتها الدولتان السلجوقية والإيلخانية[3]، بل أن أحد المؤرخين يزعم أنه لم يبق من الباحثين من يؤيد وطنية الدولة الصفويّة[4].

والواقع أن إيران تمكنت، بما تمتعت به من إمكانيات طبيعية وموقع جغرافي فريد وعمق حضاري هائل، من احتواء العديد من الأعراق والقوميات واستوعبتها ومنحتها الصبغة الإيرانية، بل يمكن القول بلا تردد إن البحث عن الأصول العرقية والنقاء العنصري للإيرانيين ضرب من الخيال، وأن الكثير من رموز إيران التاريخية لم يكونوا بالضرورة فرسا[5]، هذا إذا أخذنا بالاعتبار أن

---

**(1) Quited by: Lambton, Landlord and Peasant in Persia, P. 106.**

**(٢) بالمقابل فإن الترك يمتلكون أيضا ثقافات وعقائد خاصة بهم، ونذكّر هنا فقط، بقصائد الأحمدي الكرمياني (ت٨١٥هـ/١٤١٢-٣م) صاحب "جنك نامه"، والشاعر علي شير نوائي (ت٩٠٦هـ/١٥٠٠-١م)، وفضولي البغدادي، ومولانا آهي (ت٩٢٣هـ/١٥١٧م)، ومجموعة من أشعار البيكات الأتراك، إلى جانب المواويل "جخور أوا"، فضلا عن مجموعة من القصص والملاحم الشعبية. حاجي خليفة المصدر السابق، ج١، ص٨٦، ٢٨٥، ٧٠٤؛ إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٧٣٩؛ سومر، بيشين، ص١٠.**

**(٣) سومر، بيشين، ص٧.**

**(٤) همان منبع، ص٦.**

**(٥) يقال أن أبا مسلم الخراساني من العرب أو من الكرد، فيقول أبو دلامة:=**

أقواما أخرى تشارك الفرس الحياة على الهضبة الإيرانية بل أن أعدادها تساوي الفرس أو تزيد[1]، مع أن الشعارات التاريخية التي يحملها الكثير من الإيرانيين تدحض انتماء حامليها إلى الأرومة الفارسية، لاسيما العمامة السوداء التي لا يلبسها سوى المنتمين إلى آل البيت، لكن ما يمكن تسميتها "الفارسية الثقافية" استوعبتهم، حينما هيمنّت الأرومة الفارسية على كثير من قوميات إيران الأخرى، وتمكنت من إعادة إنتاجها قوميا، وعلى الرغم من هيمنة القزلباش على شؤون الدولة؛ فقد ظهرت ملامح الاهتمام بالهوية الفارسية من خلال إجراءات الشاه اسماعيل، وهو ما سيتجلى أكثر من متابعة النتاج الأدبي والثقافي والعمراني في ذلك العهد.

**سادسا. هوية الدولة الصفوية الثقافية في عهد الشاه إسماعيل الأول:**

لا يمكن وصف هوية الشاه إسماعيل انطلاقا مما تقدم، بأقل من أنه إيراني على الرغم من أصوله العرقية، كما أنه عاش معظم سني حياته إما في شيراز أو في گيلان الفارسيتين، أكثر مما عاش بين الترك، ولم نقرأ أن تأثير حسين بك لله

=أبا مجرم ما غيّر الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد
أفي دولة المهدي حاولت غدرة ألا إنّ أهل الغدر آباؤك الكرد.

كما أن جلال الدين الرومي وفضولي البغدادي ترك، ونادر شاه مغولي وكريم خان ينتمي الى عشيرة الزند الكردية، ورضا شاه كردي، فضلا عن أن أحمد كسروى من أصول علوية عربية. مؤلف مجهول (ق٣هـ/٩م)، أخبار الدولة العباسية. وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، بيروت، ١٩٧١م، ص٢٥٦؛ عباس القمي، المصدر السابق، ج١، ص١٥٨؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٠، ص٢٣٥؛ فلسفى، زندگانى شاه عبّاس اول...، ج١، ص١٦٤، ج١، ص١٦٣؛ العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٤، ص٩٨؛ كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥م، ص١١٣؛

http://www.kasravi.info/.

(١) هذا إذا أخذنا الإحصائيات الإيرانية المعاصرة على محمل الصدق، إذ ذكرت وكالة الأنباء الإيرانية في حزيران ٢٠٠٥م، إحصائية تقول أن نسبة الفرس إلى بقية أعراق إيران تبلغ ٥١% من السكان، والأذريين ٢٤%، الجيك والمازندران ٨%، الكرد ٧%، العرب ٣%، اللور ٢%، البلوج ٢%، الترك ٢%، عناصر أخرى ١%.

www.ara-amnesty.org; www.hrinfo.org/mena; www.iraqirabita.org

شاملو الذي أشرف على تربيته، كان أكثر من تأثير الفارسيين شمس الدين اللاهيجي، ونجم الدين مسعود الصائغ، فيلاحظ ميله الواضح للتاجيك، كما أبدى ميله للترك والعرب وغيرهم، ويلاحظ تشدده مع زعماء القزلباش كما تشدد مع بقية عناصر الدولة، وأبدى اهتماما واضحا بالأعياد والمراسيم الفارسية القومية، فعلى سبيل المثال بالغت الدولة في عهده بالاحتفال بأعياد النوروز[١]، وحرص على زيارة طاق كسرى عندما عاد إلى بغداد من زيارة النجف[٢]، بل أن التاجيك بدأوا يسيطرون على شؤون الدولة الإدارية والمالية منذ مرحلة مبكرة من تأسيس الدولة وتوسعوا تدريجيا في الهيمنة عليها، حينما تمكنت الأرستقراطية الفارسية من احتلال مكانة مرموقة في البلاط الصفوي.

كان من الطبيعي أن تكون التركية لغة البلاط الصفوي، طالما بقيت العاصمة تبريز، وكانت التركية اللغة القومية لعدد كبير من الأقوام المكونة للدولة، مثل أقوام أذربيجان وأرمينيا وتركمانستان الجنوبية وأجزاء مهمة من أفغانستان[٣]، وطالما كان القزلباش الأتراك مادة المشروع الصفوي خلال المرحلة الأولى، لأن التاجيك لم يتحمسوا في البداية بصورة واسعة للمشروع الصفوي، بسبب عدم تعرفهم على ملامح المشروع بصورة تجعلهم يثقون به أولا، وثانيا خوفهم من الخشونة التي بدت على القزلباش والأساليب الفجة التي تعاملوا بها في فرض سلطتهم على سكان الأقاليم، فظلوا ينظرون إليهم غرباء احتلوا مدنهم، فضلا عن أن التاجيك في الغالب كانوا من سكان حواضر مدنيون بطبعهم لا يميلون للحرب[٤]، لكن أمورا كثيرة دفعت الشاه إلى محاولة إيجاد توازن ديمغرافي بين

---

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥١٨؛ غلام سرور، بيشين، ص٦٤؛ فيصل عبد الجبار عبد علي، التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في إيران ١٥٠١-١٩٠٩، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الآسيوية والافريقية الملغي- الجامعة المستنصرية، ١٩٨٨م، ص١١-١٢.

(٢) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برگ١٤٤أ؛ غلام سرور، بيشين، ص٦٨.

(٣) تسمى اللغة التي يتداولها التركمان "تات" مقابل الفارسية أو التاجيك، كما كان يطلق على القزلباش أو القبائل التركمانية لفظة أتراك تمييزا لهم عن الفرس التاجيك. سومر، بيشين، ص٩.

(٤) يرى ابن خلدون، ان أهل البادية أقرب إلى الشجاعة من الحضر، إذ لم تفسدهم الدعة والترف والصنائع، وهو ما يصح في حالة قبائل القزلباش، البدوية في معظمها، بالمقارنة مع الفرس وغيرهم من حواضر إيران الذين اعتمدوا على السلطان في حماية مصالحهم فتركوا القتال=

سكان دولته بالاعتماد على التاجيك دون أن يقطع صـلته بالأناضـول المعـين البشري الكبير، فكان متوجسا من انقطاع سيول المريـدين والمهـاجرين ومـا يحملونه من نذور وهدايا إلى إيران بفعل الإجراءات الرسمية التي اتخذت هناك، فقد منع علاء الدولة ذو القدر قدوم مجاميع التركمان من دولته إلـى إيـران[1]، وكذلك منعه العثمانيون، الأمر الذي دفعه للتدخل والطلب من السلطان بايزيد:

**"السماح لقيام المشتاقين بزيارة قبور أجدادنا بـالوفود إلـى أردبيـل وأن لا يحرموهم منها"**[2].

تعهد بايزيد بذلك شرط أن يتعهدوا بالعودة إلى الوطن، وأن لا يخلقوا مشكلة سكانية[3]، ذلك أن هذه الهجرات زلزلت الكيان الإقطاعي للمنطقة من جذوره لأن الكثير منهم كانوا من الفلاحين عماد العملية الزراعية.

لقد أجهد أحد المؤرخين نفسه بالبحث عمّا في تراث الترك من تـشابه مـع التراث الشيعي ليدلل على أثر التركية في التشكّل العقائدي للصفويين، منها ربط تقويم حيوانات الأشهر الاثني عشر (الأبراج) بالأئمة الإثني عـشر، أو الحـزن الوارد في الأساطير التركية على أبطالها كما البكاء على البطل "گول تكـين" أو بطل الأساطير، في أسطورة "أورخون"، إذ يقوم المستمعون بتقطيـع شـعورهم وذرف الدموع على البطل وإقامة مراسيم العزاء له، وهو عين ما أقامه السلاجقة في أصفهان عند موت داود بن شاه سلجوق[4]، ولا ندري إذا كان الباكون علـى الشهداء كلهم تعلموا البكاء من أسطورة أورخون، أو أنه تقليد لسلاجقة أصفهان.

وإذا كانت التركية تمكنت من منافسة الفارسية في بداية الأمر، فإن الأخيرة استمرت لغة الأقاليم الفارسية أصلا، وهذا الأمر يصح خلال أوائل قرن تأسيس الدولة، كما استمرت لغة الكثير من المخاطبات الرسمية في البلاط الصفوي جنبا إلى جنب مع التركية، وهذا ما يتضح من مراجعة رسائل الشاه إلـى كـل مـن

---

=وانشغلوا بمصالحهم. ابن خلدون، المصدر السابق، ج١، ص١٢٥.

(١) سومر، بيشين، ص٣٤.

(٢) يراجع للاطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٤٥.

(٣) همان منبع، ج١، ص٣٤٦.

(٤) سومر، بيشين، ص١٢.

السلطانين العثمانيين بايزيد الثاني وسليم الأول، وعبيد الله شيبك خان الأوزبك، وسلطان المماليك في مصر والشام قانصوة الغوري وغيرهم، طالما أن الحكام المقابلين يتداولونها، وهو ما كان شائعا بين بلاطات ذلك الزمان، فضلا عن الفرامين والقرارات التي أصدرها كانت بالفارسية[1]، وهو أمر واضح إذا ما روجعت مكاتبات الشاه إسماعيل التي جمعها وعلق عليها المؤرخ عبد الحسين نوائي[2].

أما أشعار إسماعيل الصوفية التي وردت في ديوانه، فعلى الرغم من أن أكثرها كان بالتركية، وهو أمر طبيعي في ظل حاجة "المرشد الكامل" لوسائل إعلام توصل توجيهاته وترسخ سلطته بين أتباعه القزلباش[3]، فإن أحد الباحثين سجّل أن هذه التركية التي كتب بها إسماعيل أشعاره كانت ركيكة ومليئة بالأخطاء[4]، مما يعني أن الفارسية هي لغته الأم، ومصداق ذلك أن ديوانا آخر للشاه كتب قصائده بالفارسية كما يقول عنه صاحب "هدية العارفين"[5]، ويبدو أنه ضمن الجزء الثاني من الديوان الذي لم يتسن للباحث الحصول عليه من جامعة طهران لظروف قاهرة، على أن هناك من يشير إلى أن العصر الصفوي شهد الاستقلال النهائي للغة الفارسية الحديثة عن العربية، بعد أن زاحمتها منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[6].

على أنه من الطبيعي أن تشعر النخبة الثقافية الفارسية بالحيف والضيق من تسلط زعماء القزلباش على الأقاليم الإيرانية، وعدم تشجيع الكتابة والأدب،

---

**(١) على سبيل المثال كانت رسائل بايزيد إلى عبيد الله خان الأوزبك بالفارسية، والعكس صحيح. يراجع: "شاه إسماعيل صفوى. مجموعه اسناد ومكاتبات..."، ص١١١-١٣٢.**

**(٢) همان منبع، ص٤٣- ١٠٩.**

**(٣) تراجع مقطوعات شعرية لإسماعيل بالتركية أحتلت معظم الجزء الأول من ديوانه: "شاه إسماعيل خطائي أرثر لري"، دو جلد، آذربيجان، ١٩٧٣م، تقديم: سعد الدين نزهت، ايكى جلد ده، ص٥، ٧، ١٣، ١٦، ٢١ الخ.**

**(٤) بيگلوسكايا وديگران، بيشين، ص٤٧٨.**

**(٥) إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٢١٧؛ سيورى، ايران عصر صفوى، ص٢٢.**

**(٦) محمد عبد السلام كفافي، في أدب الفرس وحضارتهم، بيروت، ١٩٧٠م، ص٢٢١؛ أحمد محمد الحوفي، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٢٧٥.**

والانصراف إلى دعم الانتهازيين والوصوليين في ظروف البنـاء الأولـى، حينمـا يختلط الغث بالسمين والحق بالباطل، وإذا تـذكرنا أن هـؤلاء الزعمـاء تركمـان محاربون لا يفهمون الفارسية ولا يستعذبون شعرها ولا يهتمون بـالأدب والثقافـة، أدركنا حجم الإهمال الذي ينعكس في البنية الثقافية للبلاد، وهذا ما يتلمس في عبارة الكاتب أمير محمود خواندمير (ت٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م)، نزيل هراة التي تقول:

**"كنا نقضي أيامنا بحرقة، وليلنا بتعب، والعناء الأشد عدم توجه أهل الزمـان إلى الكتّاب، مما يغلق أمامنا أبواب التشجيع، وبسبب ذلك جثا أهل العلم علـى الركب، وأغلقوا كل الأبواب على أنفسهم"**[١].

والواقع إن وجود الدولة ذات المركزية القوية والأيدولوجيا الراديكاليـة، لا تمثل شروطا موضوعية صالحة لنشوء حركة فكرية وأدبية راقية، لاسيما حـين يتسلط الانتهازيون وأنصاف المتعلمين في أحسن الأحوال على شؤون الدولـة، فتكون حياة الشاعر والمبدع ثمنا للتعبير عن رأيه، ونشير إلى حقيقة مفادهـا إن ظهور أدباء ومبدعين ومتصوفة ومفكرين عظام في الشرق يتناسب عكسيا مـع قوة الدولة، فالفردوسي، وسعدي[٢] وحـافظ (ت٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م) الـشيرازيين، وعبد الرحمن جامي[٣]، وأبو بكر محمد بن زكريا الـرازي (ت٣١٣هـ/ ٩٢٥م)، وأبو نصر محمد الفارابي (ت٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)، والشيخ الرئيس الحسين بن سـينا (ت٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م)، وغيرهم، ظهروا في مرحلة ضعف نظام الدولة السياسي وتدهوره ابتداء من العصر العباسي مرورا بالعصرين المغولي أو التيموري وما

---

(١) محمود خواندمير، بيشين، ص٢٣٧. وكتابه هو: تاريخ شاه إسماعيل وشاه طهماسب صـفوي المسمى "ذيل تاريخ حبيب السير"، ألفه ليكمل به كتاب جد أبيه مـن الأم محمـد ميـر خوانـد (ت٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)، "تـاريخ روضـه الـصفا"، وكتـاب أبيـه غيـاث الـدين خوانـدمير (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥-٦م)، "تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد وبشر". آقـا بـزرگ الطهرانـي، المصدر السابق، ج٦، ص٢٤٥-٢٤٧.

(٢) ذكرت العصور التي عاش فيها هؤلاء في مكان آخر من هذه الدراسة.

(٣) هو نور الدين عبد الرحمن بن احمد الجامي النقشبندي (٨١٨-٨٩٨هـ/ ١٤١٥- ١٥٩٣م)، ولد بجام إحدى قرى ما وراء النهر، وكان والده قد انتقل إليها من أصفهان، ترك بعد وفاته مجموعة كبيرة من الكتب والدواوين، أهدى قسما منها إلى الحكام الذين عاصرهم. حاجي خليفة، المصدر السابق، ج١، ص٧٨١؛ الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص١٨٨.

أعقبه من نظم سياسية ضعيفة، بمعنى آخر أن المراحل التي يسود فيها نظام دول الطوائف تترافق مع قوة الإبداع الأدبي والعلمي والنتاجات الفردية، عندما يتسابق حكام الدويلات وأمراؤها على شراء نتاجات الأدباء والشعراء كي يدخلوا التاريخ حينما يعجزون عن الإيتاء بإنجازات تكتب أسماءهم في سجل التاريخ، وربما تضمّن تاريخ الآداب الشرقية شخصيات عديدة ومواقف ظلت على الألسن بفعل بيت كتبه شاعر، ونتيجة لذلك غالى بعض المؤرخين في وصف هذا الوضع ونتائجه، فقال إدوارد براون أن الشاعر جامي:

**"هو آخر حبة في عنقود الشعراء الإيرانيين الكبار، وقد مرّ على وفاته أربعمئة سنة[١]، دون أن يولد شاعر جليل القدر مثله... ومنذ عهده لحد الآن لم ينظم الشعراء في إيران شعرا يليق بمقام الشعر الإيراني"[٢].**

ويبرر ذلك، أن ظهور الآثار الأدبية والفكرية والفنية تحتاج إلى شروط اجتماعية مناسبة، وكانت هذه الشروط كلها مفقودة بداية العهد الصفوي[٣]، فحينما تسلط زعماء القزلباش من حكام الولايات ورجال الدولة وحواشيهم على شؤون الدولة، قرّبوا أبناء جلدتهم من التركمان وأهملوا المبدعين والشعراء والكتاب، لذا فضّل عدد كبير منهم الهجرة إما إلى الدولة العثمانية أو إلى الدولة التيمورية في الهند، حيث يحصلون هناك على المكافآت المالية والهبات والمنزلة الاجتماعية المرموقة[٤]، ولكن ينبغي أن يعتمد هذا الرأي بحذر شديد، بسبب أن عددا من أهم رجال الدولة الصفويّة كانوا شعراء بل وصلت إلينا دواوينهم، منهم القاضي شمس الدين اللاهيجي الذي لازم الشاه إسماعيل منذ بداية ظهور الدولة الصفويّة وكانت له العديد من النتاجات الفكرية[٥]، واعتماد الدولة كمال الدين ميرزا شاه حسين نائب الشاه إسماعيل الذي وصل إلينا ديوانه بالفارسية[٦]، فضلا

---

**(١) لنتذكر أن إدوارد جرانفيل براون (١٨٦٢-١٩٢٦م) ألف كتابه في مطلع القرن العشرين.**

**http///www.janus.lib.cam.ac.uk/db/node.xsp?id.**

**(2) Browne, OP. Cit., P. 17, 36.**

**(3) Ibid., PP. 35- 36.**

**(٤) سيورى، ايران عصر صفوى، ص٢٠١.**

**(٥) الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص٥٤٢.**

**(٦) المصدر نفسه، ج٩، ص٤٩٧.**

عن أن بعض الزعامات الفارسية استمرت في الحكم أيام إسماعيل وما بعده، ومنهم آل كيا في لاهيجان، إذ وصل إلينا ديوان واليها كاركيا حسن بن كاركيا أحمد (٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)[١].

كما وصلت إلينا عدد من المؤلفات كانت تحمل بصمات هؤلاء الزعماء، مثل "تاريخ خاني" وهو من الكتب التي اختصّت بتاريخ گيلان، ألفه علي بن شمس الدين اللاهيجي الذي ظل ملازما للسلطان كاركيا احمد والى لاهيجان[٢]، وكذلك كتاب على دوست بن قرا يوسف "رسالة في الهيأة ومعرفة التقويم" الذي رتبه في بابين كل منهما منظم على اثنى عشر فصلا، ويقول في نهايته أنه أهداه للخواجة شاه حسين الأصفهاني الصدر الأعظم للشاه إسماعيل، وأورد بعض شعره وانشأ قصيدة يمدحه[٣]، فضلا عن كتاب غياث الدين بن همام الدين الحسيني خواندمير (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥-٦م)، الكبير "حبيب السير في اخبار أفراد وبشر"، المعاصر لعهد إسماعيل الأول وانتهى مؤلفه منه في ١٩ رجب ٩٣٠هـ/ ٢٣مايس ١٥٢٤، ووصل الينا وهو مصدر أساس لدراستنا.

وبالعودة إلى النجاح الذي حققته التجربة السياسية الصفويّة، فهي مدينة بصورة كبيرة إلى ما تميز به الشاه إسماعيل من شخصية قوية مفعمة بالنشاط والحيوية وحدّة رؤية وذكاء ثاقب وإمكانيات بدنية وثقافية ونفسية أخرى، كانت ظاهرة خلال المرحلة التي سبقت جالديران، وكان من بين هذه المواهب قابليته الشعرية إذ لديه أكثر من ألف وأربعمئة بيت باللغة التركية، وذلك في مجموعة دواوين، منها "ده نامه" و"نصيحة نامه" و"مناقب الأسرار وبهجت الأحرار" و"ديوان الرباعيات والغزل"، فكان يجيد إلى جانب الفارسية، العربية والتركية[٤]، بل يقال أنه كان يعرف كل لهجات أتباعه وكان ينظم الشعر لهم بها[٥]، كما كان

---

(١) سام ميرزا، تحفه سامى، ج١، ص١٠. مقتبس في: الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص٤٥٩.

(٢) الطهراني، المصدر السابق، ج٢٢، ص١٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٢٥، ص٢٦٠.

(٤) ابراهيم الداقوقي، "الشاه إسماعيل الصفوي شاعرا"، الأخاء (مجلة)، بغداد، العدد ٧، ١٩٦١م، ص٨؛ رسول جعفريان، صفويّة از ظهور تا زوال، ص٦٦.

(٥) سيورى، تحقيقاتى...، ص١٠٤.

ينظم الشعر بالعربية، إذ يذكر بعض المؤرخين أبياتا يقال أنه أرسلها إلى سليم الأول بعد أن اشتد النزاع بينهما، تقول:

**نحن أناس قد غدا طبعنا حب عليّ بن أبي طالب**

**عيّبنا الناس على حبه فلعنة الله على العايب**

فأجابه سليم:

**ما عيبكم هذا ولكنه بغض الذي سمي بالصاحب**

**وكذبكم عنه وعن بنته فلعنة الله على الكاذب[(١)]**

وله غزليات فارسية كثيرة[(٢)]، ويذكر صاحب "سلسلهٔ نسب صفويه"، أنه كان يذيّل قصائده بلقب "خطائى"[(٣)]، ويلاحظ على هذه القصائد اهتماما بتبجيل أئمة آل البيت ومدحهم، إلى جانب تصوف وغزل، وكان يكتب معظمها بصورة رباعيات ومقطوعات وقصائد ومثنويات[(٤)]، ونهج في نظمه طريقة الشاعر نسيمي الذي كان يكتب شعره باللغة الأذربيجانية التركمانية[(٥)]، وقد اتخذ أعداؤه من أبيات قالها حجة لاتهامه بالإفراط وإدّعاء الإمامة أو النبوة أو حتى الألوهية، منها:

**چنان خوبست ماه عارض وچاه زنخدانش**

**كه يوسف مبتلا گشتست وإسماعيل قربانش[(٦)]**

---

**(١) ابن إياس، المصدر السابق، ج٣، ص٤٥؛ الغزي، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٦. يشك الباحث بنسبة هذين البيتين إلى إسماعيل، لأن مصدره مؤرخ مملوكي مصري وعدم وروده في كتب التاريخ العثمانية المعاصرة، وضعفهما الواضح.**

**(٢) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برگ ٣٠٤ب.**

**(٣) زاهدى، بيشين، ص٦٨-٧٢. يقول بعض المؤرخين أن معنى هذا الاسم مأخوذ من الخطاء، أو كثير الخطأ، وليس انتسابا لقبائل الخطا التركية، فيما يبالغ آخرون أن الشاه لقب نفسه بهذا اللقب، بعد أن احتل العراق وأمر بحفر قبر الحر بن يزيد الرياحي، بسبب مسؤوليته عن مأساة الحسين، لكنه رأى لجثمان هذا الصحابي كرامات دعته للندم والتراجع فلقب نفسه بالخاطئ: يقارن: عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ص٣٢٧؛ محمد كريم يوسف جمالى، زندگانى شاه اسماعيل...، ص٦٣.**

**(٤) محمد السعيد عبد المؤمن، الظواهر الأدبية في العصر الصفوي، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٥١.**

**(٥) إبراهيم الداقوقي، المصدر السابق، ص٨.**

**(٦) "شاه إسماعيل خطائي أرثر لري"، ج١، ص٢٢.**

ومعناها: مليح وجهه وإذا ما ضحك تصير بوجهه ندبة، لقد ابتلى يوسف، وإسماعيل صار قربانا، أو حين يقول:

**منصور ايله دار ده ايديم خليل ايله نارده ايديم**

**موسى ايله طورده ايديم غازيلر دين شاه منم[١].**

ومعناها: إني كنت مع المنصور (الحلاج) على المشنقة، ومع خليل الله في النار، ومع موسى على جبل الطور، أنا الملك الغازي المتدين، وهو يريد أن يصف طريقته التي تتصل بهؤلاء وليس شخصه، بأسلوب أدبي راق حرص المتصوفة على انتهاجه، والواقع أن هذه الأبيات تحمل فكرا صوفيا خالصا ينبغي مراعاته إذا ما أريد تفسيرها، فهو حينما يقول عن أن الإمام علي حي لم يمت، ينبغي أن يؤخذ هذا على محمل المجاز الشعري وليس تناسخ الأرواح والإفراط، ومعناه أنه سيبقى حيا في الأرواح والضمائر طالما بقيت مبادئه حيّة وفاعلة في حياة مجتمعاتنا التي ستظل بحاجة إلى الفرد النموذج، ولنتذكر في ذلك قوله(ﷻ): ﴿**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون**﴾ (البقرة ١٥٤).

وتلاحظ قابليات الشاه الشعرية العالية في غزلياته التي تركها، إذ يقول:

**بيستون نالهٔ زارم چو شنيد از جا شد**

**كرد فرياد كه فرهاد دگر پيدا شد**

ومعناها: بيستون (الجبل) تحول من مكانه عندما سمع آهاتي الحزينة، ونادى: إن فرهادا آخر ظهر إلى الوجود، وفرهاد شخصية فولكلورية فارسية يشارك عشيقته شيرين في بطولة قصة غرامية تشبه قصة قيس وليلى العربية، أو قوله:

**اگر مجنون توانستى سراز تربت برون كردى**

**نشستى سالها پيش من ومشق جنون كردى[٢]**

---

(١) همان منبع، ج١، ص٣٧٩.

(٢) "شاه إسماعيل خطائي أرثر لري"، ج١، ص٢٢، ٤١، ٦٢.

معناه: إذا ما خرج مجنون من تربته من جديد، يجلس أمامي سنين ويظهـر الجنون.

ليس ذلك فقط بل كان الشاه يقرب الشعراء ويدعمهم ويتنافسون في بلاطـه فيعين الأكثر تميزا منهم بمنصب "ملك الشعراء"، ومنهم الشاعر جيشي المولـود في أذربيجان الذي تربى في بلاط السلطان يعقوب آق قوينلو، لكنه تقـرب مـن الشاه فصار ملك الشعراء عنده[1]. وبغية حفظ ذكريات عهده أمر الشاه أديبـين إيرانيين بتدوين إنجازاته بصورة ملاحم شعرية، أحدهما رياضي من أهالي ساوة المتوفى سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، والثاني عبد الله هاتفي[2] وتوفي هو أيضا في سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م، قبل أن يتما مهمتهما[3]، ويذكر أن الشاه لم يتردد في الـذهاب لهاتفي إلى منزله ليكلفه بذلك[4]، لكن قاسم القاسمي الگنابادي[5] كتب تاريخ هذه المرحلة في منظومته "شاهنامه" التي تضمنت أيضا نشاط كـل رمـوز الدولـة الصفويّة قبل عهد إسماعيل وبعده ونشاطهم العسكري حتى عهد معاصره الـشاه طهماسب، ولا زال الكتاب موجودا وطبع في الهند سنة١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م[6]، وله منظومة أخرى سماها "كارنامه ياگووچوگان"، وهي لعبة بالعصا وكرة خـشبية كان الشاه ماهرا بها[7].

وإذا كانت حركة التأليف والفنون الجميلة تعد أهم معالم الهوية الثقافية للبلاد،

---

(١) آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص٢١٣.

(٢) من أهالي جام، وهو ابن اخت عبد الرحمن جامي الذي أمر الشاه بتهديم شواهد قبره، بعدما علم بتهجمه على المسلمين الشيعة والسنة على حد سواء، وكان خاله قد دربه على الشعر، فشهد له بالنجاح. الطهراني، المصدر السابق، ج١٣، ص٢٠.

(٣) سام ميرزا، تحفة سامى، ص٥٥. نقل از: غلام سرور، بيشين، ص١٢٤.

(٤) تراجع تفاصيل ذلك في: محمد جمالى، زندگانى شاه اسماعيل...، ص٧٠-٧٣.

(٥) هو محمد بن عبد الله الجنابذى الخراسـاني المعـروف بقاسـمى، (ت٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م)، مـن تصانيفه: "شاهرخ نامه" في قصة ليلى ومجنون، و"گوى وچوگان"، وهما منظومتين فارسيتين. يراجع لمزيد من التفاصيل: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص٢٥٤؛ الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص٨٦٦.

(٦) الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص٨٦٦.

(7) Browne, Op. Cit., Vol. IV, P.38.

فقد شهدت هذه الحركة توسعا مهما خلال عهد الشاه إسماعيل بسبب التشجيع الذي حظيت به، إذ دأب على تشجيع المؤرخين والفنانين والفعلة الماهرين بكل فروع الفنون وجعلهم تحت حمايته، حتى وصلت هذه الفنون إلى مستوى عظيم من الإبداع والرقي، يشهد على ذلك العديد من الأعمال الإبداعية واللوحات الفنية الموجودة في متاحف العالم[1]، ومن أبرز معالم هذا الاهتمام؛ حرصه على إخفاء عدد من الفنانين والمبدعين عن أنظار سليم الأول حينما دخل تبريز، ومنهم كمال الدين بهزاد النقاش (ت٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م)[2] في وقت لم يول نفائسه وكنوزه التاريخية، ومنها عرشه الثمين، أهمية تذكر. فخلال دخوله هراة فاتحا سنة٩١٦هـ/١٥١٠م؛ التقى الفنان كمال الدين بهزاد ونقله مع مجموعة من الفنانين والكتّاب إلى تبريز ليكونوا تحت حمايته وأوكل إليه مسؤولية دار الكتاب الملكية وأصدر مرسوما جاء فيه:

**"نادرة العصر وقدوة المصوّرين وأسوة المذهّبين الأستاذ كمال الدين بهزاد، يشمل هذا الفنان بالأعطاف الملكية وأمرنا أن يكون المسؤول الأول لدار كتب السلطنة ومسؤولا عن أهل الفن والأدب في السلطنة"**[3].

كما أبدى الشاه اهتماما ورعاية بالخطاط الإيراني الشهير مولانا سلطان علي (ت٩١٩هـ/ ١٥١٣م)، حتى أصبح أمهر خطاطي ذلك الزمن[4]، إلى جانب مجموعة أخرى من خطاطي إيران ورساميها، منهم شاه محمود النيسابوري والمولى مير علي وماني الشيرازي (ت قبل٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) وغيرهم، وقد تمكن السلطان سليم الأول من العثور على بعض الخطاطين والنقاشين في تبريز وأرسلهم إلى استانبول منهم، مير سيد حسن خوئي مبتكر خط النستعليق[5] وحاجي محمد التبريزي وشاه

---

**(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج١، مقدمه بقلم: جلال الدين همايى، ص٣.**

**(٢) عبد الحسين زرين كوب، بيشين، ص٦٧١.**

**(٣) نقل از: پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٧٤٣.**

**(٤) حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٤٠؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٧٤٤.**

**(٥) وهو من الخطوط الجميلة والصعبة، تتشكل حروفه من مزيج من حروف النسخ والتعليق، لذا سمي نستعليق.**

عبد الغني وأستاذ شاه قلي فضلا عن ملك التبريزي[١].

كما أصدر الشاه أمرا إلى الأمير غياث الدين منصور (ت٩٤٨هـ/ ١٥٤١-٢م) يقضي بإحياء مرصد نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣-٤م) في مراغة وتجهيز البناية وإصلاح ما تهدم منها، واستمر العمل بها ثلاثين سنة وصرفت عليها أموال كثيرة[٢].

ومن بين أهم النصوص التي لفتت نظر الشاه وحازت على اهتمامه، مفخرة الأدب الفارسي منظومة "الشاهنامه" للفردوسي[٣]، فقد سمّى أبناءه الأربعة بأسماء أبطالها، طهماسب وبهرام وسام ورستم، وحينما أراد أن يقدم هدية ثمينة لولي عهده ابنه البكر طهماسب؛ لم يجد أفضل من هذه الملحمة الشعرية لتظل خالدة على فم الزمان، يقرؤها طهماسب فيزداد ارتباطا بإيران وشعبها وتاريخها فيكون جديرا بقيادة إيران بعد وفاته، كما أراد أن يقدمها للإيرانيين من حاشيته ورعيته فيحفظون أبياتها ويرددون مقطوعاتها، فتحيي فيهم روح المجد وعنفوان الاستبسال والإقدام، ثم لا ينسون فحواها ويتذكرون في الوقت نفسه، الشاه إسماعيل وأمجاد أجداده، وهو الذي حرص على تجنيد عدد كبير من الرسّامين والخطّاطين والنقاشين الكبار في بلاطه لتجسيدها رسما وكتابة، ليتعلم منها القارئ والأمي على حد سواء، ويقول الباحث الإيراني عنايت الله رضا:

**"إن اختيار هذه الملحمة هدية لابنه تتعلق بصورة مباشرة بوجود القزلباش التركمان، لأنها تصوّر حب القائد الفارسي رستم لوطنه، وكفاحه لتحرير إيران من احتلال توران التركي لها، والكيفية التي تم بواسطتها طرده منها"[٤].**

---

**(١) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٤٩١.**

**(٢) محمد جمالى، زندگانى شاه اسماعيل...، ص١٠٩.**

**(٣) هو أبو القاسم الحسن بن اسحق الطوسى الفردوسي، شاعر توفى سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م، له ديوان شعر بالفارسية، ويوسف وزليخا (كذا) الذي ألفه في بغداد بأمر الخليفة في إثنى عشر ألف بيت، فضلا عن الشاهنامه المكونة من ستين ألف بيت. إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين...، ج١، ص٢٧٤؛ عباس القمي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٠.**

**(٤) نقل از: پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٧٥٥.**

ومع أن الشاه إسماعيل توفي قبل أن يشاهد هذا العمل الحلم؛ إلا أن ابنه طهماسب أمر بإكمالها وأغدق الهدايا على منفذيها، إلى أن اكتملت فوصلت إلى مئتين وثمانية وخمسين مجلدا من لوحات وخطوط ومحتويات نادرة المثال، فسميت بعد إتمامها "شاهنامه طهماسبيه"، لكن هذا الجهد العظيم والأثر المبدع لم ير النور بسبب أن الشاه أمر بأن تحفظ في خزانات التحف النادرة بالقصر أولا، ومن ثم قام بإهدائها إلى السلطان العثماني سليم الثاني (٩٧٤-٩٨٢هـ/ ١٥٦٦-١٥٧٤م)، بمناسبة جلوسه على العرش مع هدايا وتحف أخرى ثانيا، فخسرت إيران هذه التحفة الفنية والفكرية العظيمة، ثم بيعت بطريقة غامضة في القرن التاسع عشر إلى أوربا ووصلت إلى الثري البريطاني البارون أدموند روتشيلد، وبيعت بعدها إلى أرثور هاتن رئيس أمناء متحف نيويورك لتطل على العالم من هناك، لكنها سرعان ما بيعت مجزأة لتتفرق في متاحف العالم ويضيع قسم كبير منها[1].

وإذا كان قد مرّ بنا تقييم براون للأدب الفارسي بعد جامي، فلعل وجود شاعر مثل المولى نور الدين المعروف بهلالي الاستر آبادي المولد والنشأة، ما يدل على عكس تقييمه، فقد ترجم له المير عليشير نوائي في كتابه "مجالس النفائس" ذاكرا مطلع قصيدة غزلية له، وأطرى على قوة حافظته وفهمه وحسن طبعه، ووصلت إلينا مجموعة دواوين له، أهمها: "ليلى ومجنون"، و"شاه ودرويش"، و"صفات العاشقين" المطبوع بطهران، ونسخة ديوان غزليّاته الفارسية مرتبة على حروف القافية، مذهبة ومنقحة، لكنها ناقصة الآخر تشتمل على تسعمئة وأربعة وثمانين بيتا، وهذا الشاعر قتل في (چهار سوق) في هراة بسبب تشيّعه بيد سيف الله احد أعوان عبيد الله خان الأوزبك سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩-٣٠م[2].

وأطنب مؤرخ إيراني[3]، في تفصيل عدد كبير من شعراء عصر الشاه

---

(١) هذه المعلومات استمدها الباحث من: همان منبع، ص٧٥٤-٧٥٩.

(٢) يراجع لمزيد من المعلومات عنه: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٥٣٨، ج٢، ص٢٣٣؛ الطهراني، المصدر السابق، ج٩، ص١٢٩٤، ج٨١، ص٣٩٩، ج٩١، ص٢٢٢.

(٣) وهو المؤرخ الإيراني محمد كريم يوسف جمالي، الأستاذ في جامعة نجف آباد. والكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه دافع عنها في بريطانيا.

إسماعيل وكتّابه، ذاكرا شهادات مختلفة بحقهم، مثل فضولي البغدادي ومولانا أميدي الرازي (ت٩٢٥هـ/ ١٥١٩م) وبابا فغاني الشيرازي (ت٩٢٥هـ/ ١٥١٩م)، وغيرهم، ويقول عن جميع هؤلاء أنهم كانوا يحظون برعاية الشاه وتشجيعه(١).

وأبدى الشاه اهتماما كبيرا بالعمران، وكان اهتمامه بالمدن المقدسة مثل النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء وقم وأصفهان وغيرها ينطلق من أهميتها الدينيّة ووجود مراقد الأئمة أو أبنائهم أو أحفادهم فيها، كما أن تردده على أصفهان وقم جعله يتابع بنفسه إعمار تلك البقاع، ففي أصفهان لا زالت إحدى الكتابات التي تعود إلى سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، موجودة على جدران الجامع العتيق هناك وهي تقول: **﴿لا اله إلا الله * محمد رسول الله * علي ولي الله حقا﴾**، وعبارة أخرى تقول: "**ناد عليا مظهر العجائب تجده عونا لك في النوائب**"، وهي عبارة كان يحبّها القزلباش كثيرا، فضلا عن تعميره مزار الهارونية أو (هارون ولاية) وهو أحد المزارات القديمة في أصفهان وعليها كتابة تظهر ذلك، فضلا عن (مسجد علي القديم) الذي أمر بتجديده ووضع أسمه على بوابته، أما مدينة قم فقد شاركت أصفهان في اهتمامه بسبب وجود عدد من المراقد الشيعية، منها مرقد السيدة فاطمة (معصومة) بنت موسى الكاظم، وبعض آثارها قائم إلى الآن منها كتابات تعود إلى عهده، وبالتحديد لعام ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م، وقد غدت مدفنا لعدد من الملوك الصفويين(٢).

وأولى الصفويون اهتماما خاصا بالطب وصار للأطباء منزلة عظيمة، فكان الطبيب مستشارا للشاه، وللـ(حكيم باشي) أو الطبيب الأقدم مقاما عاليا في بلاطه، فكان يشرف على تدريس طلاب المدارس الطبية كتاب ابن سينا "القانون في الطب" ذي المجلدات الثلاثة، بوصفه المصدر الرئيس للعلوم الطبية والجراحية، ليس هذا فقط، بل وصلت من هذا العهد كتب في الطب مازالت موجودة باللغة الفارسية منها "خواص الأشياء ومنافعها"، وهو منتخب من كتب الأطباء، جمعه وألفه شاه قلى سلطان بن حمزة سلطان استاجلو الذي صار من

---

**(١) محمد جمالى، زندگانى شاه اسماعيل...، ص٦٧-٨٣.**

**(٢) رسول جعفريان، صفويّة از ظهور تا زوال، ص٦١-٦٣.**

كبار أمراء عصر الشاه طهماسب، ورسالة "چوپ چينى" للحكيم عماد الدين (ت٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م) [١]، كما كانوا يعرفون الكثير من الأمراض والعلل فيحاولون تقديم العلاج لبعضها، لكن أكثر جهدهم كان يتركز على إسعاف المصابين في المعارك وإنقاذهم من الموت، فضلا عن معالجة حالات التسمم باستخدام الترياق وبعض الأعشاب الطبية التي كانوا ماهرين في استخدامها مثلما هم ماهرون بممارسة التنجيم وكشف الطالع[٢].

والصفويّة من بين الطرق الصوفية التي أدخلت الموسيقى في طقوسها ومراسمها العرفانية إلى جانب بعض الرقصات واتخذوا منها وسيلة لخدمة الطريقة وانتشار المذهب فيما بعد، وكانت تدخل في تفاصيل الحياة الاجتماعية للإيرانيين، فكانت مصدر فرح وسرور لهم فلم يمارسوا أي طقوس أو احتفالات تخص الأفراح أو الأتراح إلا بحضور الموسيقى، وفي الأفراح عرفت القبائل نوعا من الموسيقى ترافقها رقصات البنات من أجل الترفيه عن الناس، كما كانت بعض الآلات الموسيقية تستخدم خلال الممارسات العسكرية والمعارك، ومنها الطبل والبوق والناي والسنطور والجوزة فضلا عن الدفوف، وهي من أدوات الموسيقى الإيرانية القديمة التي لم يضيفوا لها شيئا[٣]، ومن أشهر موسيقيي ذلك العهد الأستاذ محمد الموسيقار(ت٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م) والأستاذ حسين الشوشتري البلياني والأستاذ ناصر، وهؤلاء ممن نالوا رعاية الشاه وعملوا في قصره[٤].

يتضح من ما تقدم عمق الارتباط الصفوي بالتراث الإيراني والثقافة الفارسية، إذ يمكن القول بلا تردد أن هوية هذه الدولة الوطنية ارتبطت بماضي هذه البلاد وتمكنت من منحها الاستقلال والشخصية المتميزة، وأعادت لها تلك الحدود التاريخية التي سبق وأن وصلت إليها، فكانت التجربة السياسية الصفويّة تشبه إلى حد كبير طبيعة هذه البلاد الإثنية التي ضمّت عددا من القوميات

---

(١) الطهراني، المصدر السابق، ج٧، ص٢٧١.

(٢) سيورى، ايران عصر صفوى، ص٢١٩-٢٢٠.

(٣) همان منبع، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٤) محمد جمالى، زندگانى شاه اسماعيل...، ص١٢٩-١٣٣.

والألسن، لكنها استوعبتها وأعطتها الهوية الوطنية الإيرانية.

لقد تبين أن التشيّع العربي دخل إيران منذ القرن الأول الهجري وأن قم الإيرانية مصرّت على أساس شيعي، وأن الصفويين تمكنوا من إعادة إنتاج الإسلام إيرانيا ونفثوا فيه من تراث إيران وعاداتها وتقاليدها وأعطوا للتشيع بمقدار ما أخذوا منه، وكانت الدولة الصفويّة، كما هو حال سابقاتها من دول السلاجقة والمغول، مسرحا لثنائية ديموغرافية بين الفرس وغيرهم، بين السكان المستقرين والقبائل التركمانية البدوية المرتحلة[1]، لكن السجال أثبت في النهاية أن القبائل التركمانية هي قاعدة غير مستقرة لا يمكن لبناة الدولة الصفويّة الاعتماد عليها حتى النهاية، بسبب الجموح الثوري والنزاعات التي كانوا يفضلون الدخول فيها، حتى تعرض وجود الدولة بفعلها إلى الخطر، اضطر معها طهماسب الأول إلى تسريحهم وتشتيت تجمعاتهم[2].

وقد تمكن إسماعيل من بناء الدولة الحديثة في إيران، ولم يجعلها لقمة سائغة في فم القوى الكبرى التي كانت تتربص بها الدوائر، سواء كان ذلك من خلال عبقريته الشخصية أم بفضل دهاء مستشاريه وحنكتهم، على أن اتخاذه التشيّع مذهبا فكريا وعقيدة سياسية قد خدم قضيته التي ناضلت أسرته من أجلها، وهي بناء الدولة، وكان هذا التشيّع موجها بالأصل لمواجهة القوى المحلية الإيرانية، ولم يكن يعني القوى الإقليمية، مثل العثمانيين والأوزبك والمماليك بصورة مباشرة، كما يعتقد بعض الباحثين[3].

على أن الاعتقاد الشيعي في زمن الشاه إسماعيل لا ينبغي أن يفهم على أساس أنه تمسك بالتشيّع المأثور عن الأئمة الاثني عشر والسلف من الشيعة الأوائل، أخلاقا وشعائر، بل هو تمسك عقيدي أختلطت طقوسه وتقاليده كثيرا بقيم مستمدة من التصوف، ما جعلها أقرب إلى تصوف ذلك الزمن منه للتشيّع، فلم يكن التشيّع يعني

---

**(1) Lambton, Landlord and Peasant in Persia, P. 106.**

**(٢) "تذكره ء شاه طهماسب"، ص ٣٠.**

**(٣) سايروس وكيل الزاد، سوسيولوجيا المسجد في إيران، ترجمة: عبد الوهاب القصاب ولاهاي عبد الحسين الدعمي، (بيت الحكمة - محدود التداول)، بغداد، بلا تاريخ، ص٢٢-٢٣.**

له خلال المرحلة الأولى من حكمه سوى بعض المفردات والصور التي بعثها أو استحدثها أو غالى فيها، مثل اضطهاد المخالفين من المسلمين وشتم الخلفاء الراشدين الثلاثة وبعض الصحابة والمبالغة في الاحتفال بمراسيم عاشوراء بطرق ووسائل صوفية وإدخال الشهادة الثالثة المستحبة إلى الأذان، وغير ذلك من القضايا السطحية، وهي أمور يصبح معها الحديث عن دولة شيعية خالصة في إيران قبل عهد محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ/ ١٦٩٩م)[١] ضرب من المبالغة الفكرية.

فمثلا عرف عن إسماعيل وأتباعه تعاطيهم الخمر وإقامة مجالس الطرب والأنس في حلّهم وترحالهم، ولم يترك هذه العادة إلا بعد إحتلاله هراة حينما أصدر قرارا بمنعه، وكان قرار المنع من الصعوبة إلى الحد الذي فرض القتل فيه على كل من يحتسي الخمر[٢] بسبب تحوله إلى عادة، ولأن الجند كانوا بحاجة إليه سواء في الحرب أو لمواجهة البرد القاسي، ثم لم يلبث أن عاد إليها وكانت من أسباب كارثة جالديران، ولم تمنع إلا في عهد ابنه طهماسب[٣]، ومن جانب آخر فإن ما أشيع عن غلو في عقيدته، أو اعتقاد أتباعه للألوهية في شخصه أمور لا أساس لها[٤]، وأبرز دليل محاربته المشعشعين والأيزيديين بعد أن "علم بفساد عقائدهم"[٥]، على وفق التقييم الشيعي السائد.

---

(١) قاد محمد باقر المجلسي، وغيره من مفكري الشيعة الاثني عشرية، هجوما فكريا عنيفا ضد الصوفية، ومنهم البكتاشية والقزلباشية وسفه أفكارهم. يراجع على سبيل المثال: المجلسي، المصدر السابق، ج١٨، ص١٤٦؛ هاشم معروف الحسني، بين التصوف والتشيّع، بيروت، بلا تاريخ؛ رسول جعفريان، صفويه. در عرصه...، ج٣، ص٦٠٢-٦٠٣.

(٢) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برگ١٩٧ب؛ محمد يوسف واله أصفهانى (ق١١هـ/ ١٧م)، خلدبرين در روزگار صفويان، به كوشش: مير هاشم محدث، تهران، ١٣٧٢ش/١٩٩٤م، ص٢٠١؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٣٢٧.

(٣) يقول طهماسب:

"الحمد لله إن جميع جنودي تابوا عن الشراب والفسق، بل عن كل المنكرات، وأغلقت محلات الخمور وبيوت الدعارة وسائر المحرمات". "تذكرهء شاه طهماسب"، ص٢٩. وسنمر في الفصل القادم بقول طهماسب، يرفض فيه خبر ترك إسماعيل وقادته للخمر.

(٤) يعد المؤرخ مينورسكي، أبرز المؤرخين المحايدين الذين يصرّون على وجود الغلو في عقيدة إسماعيل وسلوكه، وهو ممن يتهمه بادّعاء الالوهية. تراجع آراؤه في تعليقاته وحواشيه على كتاب:
Fadlullah b. Ruzbihan, OP. Cit., P. 13.

(٥) يراجع للتفاصيل عن هاتين المعركتين: كسروي، تاريخ بانصد ساله...، ص٤١-٥٩؛ محمد هليل الجابري، المصدر السابق، ص٨١-٨٦؛ هوشنگ مهدوى، بيشين، ص١٢.

# الصدام العثمانيّ الصفويّ في جالديران وأثره في مستقبل الدولة الصفويّة

## ٩٢٠- ٩٣٠هـ/ ١٥١٤- ١٥٢٤م

حظيت العلاقات العثمانيّة الصفويّة باهتمام الباحثين العرب الذين تصدوّا لدراسة أسباب تحول التوسع العثمانيّ من أوربا نحو الشرق، بوصفه يمثل بداية التاريخ العربي الحديث، وأدى إلى الصدام المباشر بقوتين إسلاميتين كبيرتين هما: الصفويّون في فارس والعراق، والمماليك في مصر والشام، وكانت معركة جالديران من المعارك الفاصلة واهم المحطات في تاريخ العلاقات الصفويّة العثمانيّة الطويل، على أن الاهتمام بجالديران امتد إلى الأدب الأوربي، ومما ذكر في هذا الصدد، ما طالعنا به الإنجليزي وليام شكسبير Shakespeare William (١٥٦٤-١٦١٦م)، في مسرحية تاجر البندقيّة، من ذكر لحوادث المعركة، على الرغم من عدم دقتها التاريخية[1].

---

(١) يقول أمير مراكش: "قسما بهذا السيف الذي قتلت به شاه فارس وحززت به ناصية أمير فارسي انتصر في ثلاث معارك على السلطان سليمان". وليام شكسبير، تاجر البندقية، ترجمة: غازي جمال، بغداد، بلا تاريخ، ص٣٣.

## أولا. معالم سياسة التوسع العثمانيّ، وتحولها نحو الشرق في عهد سليم:

نشأت الدولة العثمانيّة في الأناضول وانطلقت للجهاد ضد البيزنطيين باسم الإسلام، فاصطبغت نشأتها بالصبغة العسكريّة واستأثر الجيش بعناية السلاطين[1]، واستندوا في نشاطهم العسكري على ما توفره لهم الجيوش الإقطاعيّة وضريبة الرأس من مقاتلة منذ عهد أورخان بن عثمان[2]، وحين فكّرت الدولة بتأسيس الجيش الانكشاري[3]، شكلت منهم فرق مشاة خاصة سميت (قابوقول) أي عبيد الباب، وخيالة سميت (قابو قول سيوارسي) تمييزا لهم عن فرسان التيمار[4]، وبذلك تمكنوا من أداء مهمات كبيرة منها الاستيلاء على مدن وحصون بيزنطيّة كبيرة في أوربا وآسيا الصغرى وفي مقدمتها القسطنطينيّة[5].

وإذا كان التوجه العسكري العثمانيّ نحو أوربا أمرا جليا، فإن العثمانيّين لم يترددوا منذ عهد أورخان في تغيير وجهة غزوهم من "دار الكفر"، نحو الإمارات التركمانيّة المسلمة في الأناضول والضفة الأوربيّة لبحر مرمرة وضمّها سواء بالقوة أو بالاختيار[6]، كما لم يتردد السلطان بايزيد الأول في التحالف مع ستيفان ملك صربيا النصراني ووالدته الوصية على عرشه، لضرب الإمارات التركمانية في الأناضول، مثل إمارات قسطموني ومنغيسا وصاروخان وقره سي وآيدين

---

(١) يراجع: هاملتون جب وهارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٧١م، ص٦٣-٦٧.

(2) Edward S. Creasy, History of the Ottoman Turks, London, 1878, PP. 2-3; Stanly Lane Poole, Turkey, Beirut, 1966, P. 23;

محمد فؤاد كوپريلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٧٣.

(٣) الاسم تحريف للكلمة التركية (ينيجري). وتتكون من مقطعين، (يني): الجديد، و (جري): العسكر، فالانكشارية معناها: الجيش الجديد، وأطلق هذا الاسم تمييزا عن الجيش السابق (أزل جري).

(4) Compare: Creasy, Op. Cit., PP. 2-3; Lane- Poole, Op. Cit., PP. 23-24; Stanford Shaw, History of Ottoman Empire and modern Turkey, Cambridge, 1976, Vol. I, P. 14, 27.

(٥) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة: عفيفة البستاني، موسكو، ١٩٧١م، ص٢٥-٢٦.

(٦) سالم الرشيدي، محمد الفاتح، الطبعة الثالثة، جدة، ١٩٨٩م، ص٢٥؛ وديع أبو زيدون، المصدر السابق، ص٢٢، ٣٦؛ عبد الأمير الرفيعي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥.

ومنتشا وقره مان وتكه، وغيرها[١]، ومع الإمبراطور البيزنطي مانويل الثـاني (١٣٩١-١٤٢٥م) لبسط سيطرته على الأناضول[٢]، لتصبح جميـع الإمـارات التركيّة تحت سلطة العثمانيّين باستثناء طرابزون و أزمير[٣]. وتحولت من دولة "أمراء جهاد الثغور" إلى دولة "سلاطين الروم" بعد أن تمكنت من حكم بيزنطـة مقر إمبراطور الروم[٤]، وقد تحقق كل ذلك بفضل تضحيات الانكشاريّة الـذين كانت لهم إسهامات عظيمة في هذه النشاط العسكري[٥].

لكن الانكشاريّة اصبحوا يمثلون خطراً على الدولـة بتـدخلهم فـي خلـع السلاطين وتنصيبهم وفرض من يراعي مصالحهم أكثر من بين المتـصارعين، والأخطر من كل ذلك ميل هؤلاء الدائم للحرب وحب القتال، تحقيقا للمكاسـب، فكانوا يؤيدون السلطان المحارب على حساب المسالم. وظهر هذا الصراع جليـا في عهد السلطان سليم الأول، وكان توجه حركة التوسع العثمانيّة إلـى الـشرق أبرز ما اتصف به عصره، وبالنظر لأهمية هـذا التوجـه، تعـددت الأسـباب والنظريات الخاصة به.

## ثانيا. الدوافع التي أدت إلى الصدام العثمانيّ الصفويّ في جالديران:

يلقي بعض الباحثين تبعة تغيير ملامح الاستراتيجيّة العسكريّة العثمانيّة مـن أوربا نحو المشرق الإسلامي على الدول الأوربيّة نفـسها[٦]، فبعـد أن خـاض

---

(١) عاشق باشا زاده، بيشين، ص٦٤-٧١؛ علي خليل أحمد، المصدر السابق، ص٣٤-٣٦.

(٢) يلماز أوزتونا، المصدر السابق، م١، ص١٠٤.

(٣) سالم الرشيدي، المصدر السابق، ص٢١ــ٢٢.

(٤) يقارن: بروكلمان، المصدر السابق، ص٤٢٠؛ محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمـسألة الشرقية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٢؛ علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، ص١٣٥؛ وديع أبو زيدون، المصدر السابق، ص٢٣.

(٥) جيل فاينشتاين، "الإمبراطورية في عظمتها. القرن السادس عشر"، تـاريخ الدولـة العثمانيـة (كتاب)، ج١، ص٢٨٧؛ سيار الجميل، تكوين العرب الحديث، عمـان، ١٩٩٧م، ص٦٧؛ علـي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، ص١٦٨.

(٦) يأتي الدكتور عبد العزيز الشناوي في مقدمة هؤلاء الباحثين ومنه اشتقت معظم الدراسـات آراءهـا. عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، ١٩٧٨م.

العثمانيّون معارك طويلة ضدها، خلدوا، أيامَ السلطان بايزيد الثاني، إلى الراحة واتخذوا السلم شعاراً لهم بعد مرحلة طويلة من الحروب كلفتهم أعدادا كبيرة من العناصر المنتجة سكانياً في المجتمع العثمانيّ.

بدأ العثمانيّون يحتكون بإمبراطوريات قوية مثل إمبراطوريتي المجر والنمسا، وصار التوسع في أوربا شاقاً، فبدأوا ينكفئون إلى الدفاع بعد الهجوم وكان عليهم أن يبحثوا عن ميادين جديدة للنشاط والتوسع، إذا علمنا أن محمد الفاتح نفسه لقي هزيمة منكرة على أبواب بلغراد سنة٨٦٢هـ/ ١٤٥٦م، بعد أن احتل القسطنطينيّة، ويرى الدكتور عبد العزيز الشناوي، أن هذا الموقف يتفق مع المنطق التاريخي، لأن لكل دولة مدى معينا في التوسع، ودولة مركزها القسطنطينيّة من المعقول أن يقف مداها عند المجر(١)، كما أدرك السلطان سليم مغبة الوثوق بأمراء أوربا الشرقية الذين دخلوا عنوة في حكم العثمانيّين(٢). ويرى أصحاب هذا الرأي أن أعداد سكان البلاد المفتوحة أصبحت أضعاف عدد الأتراك العثمانيّين، فتحول الأتراك إلى أقلية في دولتهم الشاسعة(٣).

وكان معظم رعايا الهيئة الإسلاميّة الحاكمة من النصارى، على حد تعبير أحد المؤرخين(٤)، في وقت لم يحاول العثمانيّون الاندماج مع الرعية لاختلاف جنسهم وعاداتهم وتقاليدهم وديانتهم(٥)، أو يحاولوا إذابة مجتمعات الولايات الأوربيّة التابعة لهم اجتماعياً وسياسياً في كيان الدولة(٦)، فأبقوا على الشكل الداخلي والتكتلات العنصرية كما هي، في وقت كانت أوربا تسير بسرعة نحو

---

(١) يقارن: المصدر نفسه، ص٧٧؛ "العلاقات العربية التركية"، (ندوة )، تحرير: عقيل البربار، الجزء الأول، طرابلس، ١٩٩٤م، ص٧٥.

(٢) محمد جميل بيهم، المصدر السابق، ص٤٦.

(٣) جورج كيرك، موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر، ترجمة: عمر الاسكندري وسليم حسن، القاهرة، بلا تاريخ، ص٩٠.

(٤) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، تاريخ العرب الحديث، بيروت، ١٩٩٠م، ص١١.

(٥) هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ترجمة: محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، القاهرة، ١٩٦٦م، القسم الثاني، ص٤٦٢-٤٦٣.

(٦) محمد جميل بيهم، المصدر السابق، ص١٢٨-١٣٣؛ ساطع الحصري، المصدر السابق، ص٤٧؛ علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، ص٧٩.

الدولة القومية المتجانسة. وحينما وصل سليم الأول إلى السلطة أدرك مغبة اعتماد اللامركزية سياسة في حكم أقاليم الدولة، وهو لا يثق بالأمراء المحليين، ففكر في تحويل وجهة التوسع نحو آسيا على أمل أن يعثر على قوى مذهبيّة لا يجدها في أوربا لتؤيده في مشروعه القادم القاضي بجمع الأقطار الإسلاميّة من الصين إلى شواطئ المتوسط، بل يجدها في بعض سكان إيران التي سيبدأ باكتساحها وصولا إلى أهل السنّة في ماوراء النهر، فضلا عن بلاد العرب، من ثم يصبح ممكنا أن يكرّ من جديد على أقطار أوربا.

وبالفعل فبعد أن سيطر سليم الأول على مناطق مهمة في الشرق وأصبحت الساحة التي تم إضافتها للدولة العثمانيّة أكثر بكثير من المدى الذي وصلت إليه في أوربا، بدأ سليم يفكر في خطوات جريئة لتحويل هوية الدولة الطائفية وتركيبتها الإثنيّة، فيذكر أحد المؤرخين أنه فكّر في اعتماد اللغة العربيّة لغة رسميّة للدولة[١]، لأنه تصور أن التركيّة لا تصلح لغة إمبراطوريّة تجمع الشعوب المحكومة وتعتمد عليها في صناعة حضارة واحدة تتصل بالتاريخ.

ولأوربا أثر آخر في هذا التحول، يتعلق بتفوق الجيوش الأوربيّة تقنيا والذي أفاد منه العثمانيّون، حينما استخدموا البارود والمدفعية والبنادق لتجهيز جيوشهم منذ عهد بايزيد الأول[٢]، وهي أسلحة فتاكة في ذلك الوقت، فضلا عن إعادة تنظيم المؤسسة العسكريّة على غرار نظيراتها الأوربيّة، وهو من الأمور التي شجعت سليم على هذا التوجه لمقاتلة الجيوش الإقطاعيّة المسلمة التي لم تمتلك السلاح الناري حتى ذلك الوقت. على أن أوربا لم تكن العامل الوحيد في هذا التحول، بل يرى البعض أن هناك عوامل أخرى منها العامل الطائفي.

---

**(١) محمد جميل بيهم، المصدر السابق، ص٦٧. درج العثمانيون على كتابة رسائلهم بالعربية والفارسية للتبشير بانتصاراتهم، وبالتركية إذا ما أرادوا تحقير حاكم، وكان سليم يتقن كل هذه اللغات وينظم فيها الشعر. فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٨٣-٣٨٤؛ الحصري، المصدر السابق، ص٢٠.**

**(٢) هناك أكثر من رأي في هذا الصدد. يراجع: سمير الخادم، السلاح الناري وأثره في الشرق في القرنين السادس عشر والسابع عشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص١١٧.**

يرى بعض المؤرخين أن سبب التغير في موقف الدولة العثمانيّة، يعود إلى تحول إسماعيل إلى التشيّع والصراع الذي خاضه الصفويّون الشيعة في إيـــران ضد العثمانيّين السنّة من أجل تزعم المنطقة(١). وبغية التحقق من هذه الـــدعوى لابد من قراءة متأنية للعقائد الدينية السائدة في الدولة العثمانيّة، سواء التي كـــان يتدين بها السلاطين أو الرعية، ذلك الأمر الذي فرضته نشأة الدولة والجغرافيـــة المذهبيّة والدينية للرقعة التي قامت عليها، إذ ورث العثمانيّون مجتمعا يتكون من عنصرين رومي نصراني وتركماني مسلم، فكان على السلاطين اتخـــاذ عقيـــدة وسطية تجمع بين الإسلام ومبادئ المسيح من جهة، وبـــين الإســـلام التقليـــدي والتصوف السائد من جهة أخرى، بغية جمع هذه العناصر وكسبها، فكان من حظ البكتاشية أن قامت بهذا النشاط إلى جانب الطريقة المولوية. فالبكتاشية تـــضمنت العنصر الإسلامي الذي يستطيع إمداد الفرقة الجديدة بمثـــل روحيـــة وصـــوفية متعارف عليها، مع ميل للزهد دون ارتباط ظاهر بمـــذهب فقهـــي أو كلامـــي معين(٢)، فاتبعتها جموع الفلاحين والطبقات الشعبية وأفراد الجيش.

تنتسب الطريقة البكتاشية إلى السيد محمد الرضوي المشهور بالحاج بكتاش الولي (ت٧٣٨هـ/ ١٣٣٧-٨م)(٣)، وهو من ألقى بركاته على الجيش الانكشاري أيام أورخان وأطلق عليه هذا الاسم فارتبط بهذه الطريقة وأطلق علـــى أفـــراده "أبناء الحاج بكتاش"، وعيّن لكل كتيبة منهم شيخا بكتاشيا يسمى "بابا"، يقـــودهم أثناء الحرب(٤). وينتسب بكتاش للإمام علي بن موسى الرضا وتصل طريقته إلى

---

(١) يراجع على سبيل المثال: شمس الدين محمد بن طولون (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)، مفاكهة الخـــلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، القـــاهرة، ١٩٦٤م، ص٣٢٢؛ الـــشناوي، الدولـــة العثمانية...، ص١٧١؛ علي سلطان، تاريخ العرب الحديث، طرابلس الغرب، بلا تاريخ، ص٨٠؛ **Toynbee, Op. Cit., Vol. II, P. 387.**

(٢) كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٣٩-٣٤٠.

(٣) كامل الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيّع، ص ٤٩٥؛ "معجم الفلاسفة..."، ص٢٤٦.

**(4) Birg, Op. Cit., P. 74.**

يراجع لمزيد من التفاصيل:

**ar.wikipedia.org/wiki/بكتاش_حاجي-35k;**

**www.kultur.gov.tr/AR/Yonlendir.aspx? .**

معروف الكرخي، كما اتصل بجلال الدين الرومي[1] ليحاوره ببعض معتقداته والبدع التي تضمنتها طريقته[2]. ولا تختلف البكتاشية عن التصوف المعاصر لها إلا بأشياء بسيطة، كالاذكار التي تُستعمل أثناءها الشموع، ويجري فيه تناول عشاء تقليدي، ويمارس نوع من الرقص، ويرتدي أتباعها اللباس الأبيض وغطاء رأس خاص[3].

وإذا ما تضمنت البكتاشية خلال المرحلة الأولى من تاريخها أيام مؤسسها حاجي بكتاش طقوسا وأذكارا تعظم الصحابة[4]، فإن التشيّع الغالي سرعان ما تغلغل فيها وتمكن منها، لاسيما على يد مجددها بالِيم سلطان (ت٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)[5] أحد أتباع الطريقة القلندرية الذي جاء من تكية قيزيل دلي في ديموتيقة إلى زاوية حاجي بكتاش برغبة من السلطان بايزيد الثاني في سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، وأعاد تنظيم الطريقة وأعطاها اسما جديدا هو البكتاشية بدلا

---

(١) هو جلال الدين محمد البلخي القونوي الرومي الذي يصل نسبه إلى أبي بكر الصديق (٦٠٤-٦٧٢هـ/ ١٢٠٧ - ١٢٧٣م): عالم بفقه الحنفية وأنواع العلوم، ثم تصوف، ولد في بلخ وانتقل إلى بغداد، ثم استقر في قونية سنة ٦٢٣هـ، فتولى التدريس في أربع مدارس بعد وفاة أبيه، ثم تركه وتصوف فشغل بالرياضة وسماع الموسيقى ونظم الأشعار وإنشادها. ونظم كتابه (المثنوي) بالفارسية وهو منظومة صوفية فلسفية، واستمر يتكاثر مريدوه وتابعو طريقته إلى أن توفي بقونية. وقبره معروف فيها. خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج٧، ص٣٠؛ كامل الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيّع، ص٤٤٠.

(٢) محمد معصوم التبريزي (ت١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)، طرائق الحقائق، الجزء الثاني، تهران، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، ص١٥٤-١٥٥.

**(3) Birg, Op. Cit., P. 51.**

يراجع لمزيد من التفاصيل:

**ar.wikipedia.org/wiki/بكتاش_حاجي-35k;**

**www.kultur.gov.tr/AR/Yonlendir.aspx? .**

(٤) وهو موقف يمكن رصده في مقالات حاجي بكتاش المخطوطة والموجودة في مكتبة جامعة كمبردج تحت رقم E20، إذ شبه البكتاشية عدد أوقات الصلوات بالنبيﷺ والخلفاء الراشدين، وذكروا عائشة، وأشاروا إلى شفاعة النبيﷺ دون ربطها بالأئمة. كامل الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيّع، ص ٤٦٦؛ كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٣٩.

(٥) يراجع لمزيد من التفاصيل عن سيرته:

**www.torkiye.com/farhang/ar/muzeha.php44k;**

**www.kultur.gov.tr/AR/Yonlendir.aspx?**

من الحيدرية، كما ميزها بنوع من الاستقلال، فظهرت في التاريخ العثمانيّ في أوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بهوية غير سنيّة[1].

على أن العلاقات الفكرية والطقوسيّة والسياسيّة بينهم وبين القزلباش تبقى فوق حدود التصور، إلى حد أن رموزها عوقبوا جميعا بالنفي وإغلاق الزوايا وتعقب أتباعهم بسبب دعمهم للدعاية الصفويّة[2]، وهو ما دعا جمعا من المؤرخين أن يجعلوا القزلباشية ذات أصول بكتاشية، وأنهم من غلاة الشيعة الذين يؤلهون علي ويذمون الخلفاء الثلاثة، أو أنهم أضافوا إلى علمهم الأحمر شكل القمر والسيف كناية عن ذي الفقار على موضعين منه، وأخذوا التثليث عن النصارى، الله محمد علي[3]، وهي أوصاف بحاجة إلى مراجعة مستفيضة.

لقد تضمنت البكتاشية الكثير من المعطيات والعقائد الشيعية، منها ذكرهم حديث الغدير بتفاصيله، وذكر الأئمة الإثني عشر إلى المهدي، واتخاذهم جعفرا الصادق إماما لفرقتهم الناجية، ولعنهم يزيدا ومعاوية. لهذا يرى كامل الشيبي أنهم شيعة إمامية اثنا عشرية ليس في ذلك شك مطلقا[4]، على أن عقائدهم تتضمن تفاصيل لم ترض منظري التشيّع الرسمي[5]، فقد جعل شعراء البكتاشية لعلي مكانة سامية ربما ارتفعت فوق مقام النبوة[6]، وهم يعتقدون أن النبي حينما جرح في معركة أحد، شفي بتلاوة الدعاء التالي بأمر حمله جبريل، وهو من النصوص

---

(١) واصل شاه قلندر الذي ادّعى أنه أحد أحفاد بكتاش، مهمة باليم سلطان بعد وفاته، لكنه أعلن الثورة ضد العثمانيين سنة٩٣٥هـ/ ١٥٢٧م. أحمد يشار أوجاق، المصدر السابق، م٢، ص١٨٨-١٨٩.

(٢) المصدر نفسه، م٢، ص١٨٩.

(٣) تشودي، "بكتاش"، دائرة المعارف الإسلامية، م٤، ص٤٦٧-٤٧٠؛ هـ. أ. جب و ج. هـ. فالمرز، الموسوعة الإسلامية الميسرة، ترجمة: راشد البراوي، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٥٣؛ أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٣٣٩؛ السائح علي حسين، لمحات من التصوف وتاريخه، طرابلس، ١٩٩١م، ص٢١٠؛
**Birg, Op. Cit., P. 16, 134-135.**

(٤) كامل الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيّع، ص٣٠.

(٥) المجلسي، المصدر السابق، ج١٨، ص١٤٦؛ هاشم معروف الحسني، المصدر السابق، ص٦٧؛ رسول جعفريان، صفويه. در عرصه...، ج٣، ص٦٠٢-٦٠٣.

(٦) علي الوردي، لمحات اجتماعية...، ج١، ص٣٨-٣٩.

الأثيرة عندهم والذي يعرفه الشيعة، ويقول:

**"ناد عليا مظهر العجائب تجده عونا لك في النوائب"(١).**

انتشرت التعاليم البكتاشية بين مجاهدي الثغور قبل تشكيل الجيش الانكشاري بمدة، وهو ما يفسر ارتباط نشأة هذا الجيش بها، وواصلت انتشارها على يد مريدي بكتاش، بل وتمكنت خلال القرن الخامس عشر من صهر طرق صوفية أخرى واستيعابها واستيراثها، مثل البابائية واليسوية والوفائية والقلندرية، وهي طرق تشترك مع البكتاشية في أن معظم مؤسسيها من خراسان(٢).

وبالنسبة للطريقة المولوية التي كان يتدين بها سلاطين العثمانيّين والأرستقراطية المحلية، فقد حرص هؤلاء على رعايتها منذ القرن الرابع عشر حينما بدأت تتوسع تنظيميا في الحواضر الكبيرة فاعتقد بها سلاطين بني عثمان(٣)، كما جذبت إليها السلطات المحلية وأبناء الفئات المثقفة والمتنفذين(٤)، لكنها سرعان ما انقسمت إلى فرعين على يد أولو عارف جلبي (ت٧٢٠هـ/١٣٢٠م) الذي مال إلى الطريقة القلندرية البكتاشية، لينأى الفرع الثاني بنفسه عن الاستدراج الشيعي الذي مثل لبّ الصحوة الفكرية خلال تلك المرحلة، ويحتفظ بفعل رعاية السلاطين العثمانيّين والقيادة الصارمة والمركزية بالتكية الرئيسة في مدينة قونية، وفضلت دوما مساندة السلطات الحاكمة، فحصلت بفعل ذلك على إقطاعات وأملاك ودعم مادي منها، لاسيما أواسط القرن الخامس عشر الميلادي؛ حينما شهدت هذه التكية نهضة جديدة بفعل إقامة السلطان مراد الثاني تكية مولوية كبيرة في أدرنة وضعها رسميا تحت رعاية السلطة المركزية وتوجيهها(٥).

---

**(1) Birg, Op. Cit., P. 16, 138-139;**

**كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ج٢، ص٣٤٢. على أن المجلسي سلّم بهذه الرواية في موضعين من بحاره. يراجع: المجلسي، المصدر السابق، ج٢٠، ص٧٣، ج١٠٨، ص٢٨٠.**

**(٢) أحمد يشار أوجاق، المصدر السابق، م٢، ص١٧٣-١٧٤، ١٨٨.**

**(٣) أوزتونا، المصدر السابق، م١، ص١٨٤.**

**(٤) أحمد يشار أوجاق، المصدر السابق، م٢، ص١٨١.**

**(5) H. Inalcik, The Ottoman Empire. The Classical age 1300-1600, London, 1973, P. 120.**

واستمر هذا الوضع يتصاعد إلى أن اصطبغ رجال هذه التكية بالصبغة الأرستقراطية لعلاقاتهم برجال السلطة، تاركة الريف والحواضر الأخرى لنفوذ خمس من التكايا المولوية الأخرى[1] كان لها شأن آخر وموقف مغاير للبكتاشية وغيرها من الطرق الصوفية الناشئة في الأناضول، مثل الكازرونية والخلوتية والنقشبندية والبيرامية، لتتمدد هناك[2].

وإذا ما جرت الأقلام على وصف الدولة العثمانيّة بأنها تمثل السنّة في مواجهة الصفويّين الشيعة، فإن العودة إلى أسس الطريقة المولوية ومبادئها، والتي كانت عقيدة السلاطين العثمانيّين والطبقة الأرستقراطية قبل عهد سليم، ربما يوحي بأن هذا الموقف لا ينطلق من العقيدة والمذهب بمقدار المصلحة السياسيّة، فهذه الطريقة تنسب إلى مولانا جلال الدين الرومي المعاصر لحاجي بكتاش[3]، وترتبط بمعروف الكرخي[4]، وفي المولوية الكثير من النزعات والصلات مع التشيّع والفكر الشيعي، فهي مثلا أخذت من الإمامية الشيعية وراثة الطريقة بأبناء جلال الدين وأحفاده[5].

كما أن لمولانا جلال الدين اعتقاد عظيم بعلي وأبنائه[6] واستلهم اعتقاد الشيعة حول طبيعتي آيات الكتاب الظاهرية والباطنية[7]، ويمنح قدسيّة عظيمة إلى ذي الفقار سيف علي[8]، وغير ذلك الكثير. لذا فهذه المعطيات التي تضمنتها الطريقة المولوية تؤيد أن الروح العقيدية للدولة كانت شيعية قبل أن تكون غير

---

(١) وهي تكايا: قيرشهر، وأماسيا، وتوقاد، وأرزنجان، وتكية رئيسية في بايبورد. أحمد يشار أوجاق، المصدر السابق، م٢، ص١٨٠.

(٢) يراجع للتعرف على نشاطها في الأناضول: المصدر نفسه، م٢، ص١٨٠-١٨٦.

(٣) محمد معصوم التبريزي، المصدر السابق، ص١٥٥؛ كامل الشيبي، النزعات الصوفية...، ص٣٣٧.

(٤) كامل الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيّع، ص٤٤٠-٤٤١.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٤٧.

(٦) المصدر نفسه،، ص٢٠٦.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٢٢.

(٨) المصدر نفسه، ص ٤٩٥. يراجع لمزيد من التفاصيل:

www.alazhr.com/mafaheemux/17/4.asp;

saaid.net/feraq/sufyah/79.htm; ar.wikipedia.org/wiki/جلال_الدين_الرومي.

وعن مؤلفاته يراجع:

www.fikr.com/cgi-bin/_authbooks.cgi?id=1090 - 9k.

ذلك، مع أن أتباع هذه الطرق يرجعون في العبادات والمعاملات إلى المذهب الحنفي[١]، وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين:

**"كان الانتماء الفقهي العثمانيّ للحنفية على مستوى الأسرة الحاكمة، لا يمنع اختلاطا فكريا في الممارسة الدينية يجمع بين التصوف والتشيّع الذي يبرز في النزعة نحو تقديس أئمة أهل البيت وشيوع فكرة المهدوية.... ولما قامت ثورة شاه قولي في الأناضول عام ١٥١١م وقمعت بشدة، بدأ الفرز المذهبي - الإيديولوجي يأخذ مداه على مستوى الدولتين، فبالنسبة للدولة العثمانيّة بدأ الفقه السياسي السني المنتج في ظل سلطنتي السلاجقة والمماليك والمبرِّر بصورة أساسيّة لسلطنة الأمر الواقع ولو كانت جائرة، وللبيعة ولو كانت قهرية، يأخذ مكانه في وسط علماء الدولة العثمانيّة.... كل ذلك أدى إلى تقاطع بين نظرية فقهية سنية معينة ونظرية ملك إلهي فارسيّة"[٢].**

بمعنى آخر أن التسنن العثمانيّ لم يكن أصيلا، بل فرضته على سليم إفرازات الصراع بين المعسكرات، حينما تطلب المشروع السياسي العثمانيّ في عهده مشروعا طائفيا مضادا لمواجهة الفرز الطائفي الشيعي الذي أكسب إيران هويتها الوطنية وتبناه إسماعيل الصفويّ كسد منيع ضد التوسع العثمانيّ، إذ يقول سليم في رسالة بعث بها إلى الشاه:

**"إذا كنت تريد الصلح، ألحق إيران بالدولة العثمانية، وإعترف بتبعيتك لنا"[٣].**

فكان عليه أن يدّعي التسنن ويتقمص شخصية المدافع عن السنّة، إذ أقسم على الانتقام لمقتل الزعيم الأوزبكي محمد شيباني على يد إسماعيل، وأولى رعاية لبسطاء مصر ومحروميها وفلاحيها من أهل السنّة بعد دخوله إليها، حينما أمر بتوزيع اللحم على الشعب، وحرر الفلاحين وفقراء المدن من العمل الإلزامي لمصلحة الجيش، وألزم بذلك الأعيان والسكان الميسورين، بل وقع شعارا منقوشا على مقياس مستوى ارتفاع مياه النيل قرب القاهرة بـ"خادم الفقراء سليم"[٤]، في

---

**(١) محمد صالح المازندراني، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٥٧.**

**(٢) كوثراني، المصدر السابق، ص١٣٨-١٣٩.**

**(٣) "شاه اسماعيل صفوى. مجموعه اسناد ومكاتبات..."، ص١٦٠؛ سيد محمد على حسينى زاده، بيشين، ص٣٩.**

**(٤) ابن إياس، المصدر السابق، ج٥، ص٢٩١، ٢٠٥؛ نيقولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار=**

وقت لم يكن حريصا على كسب أحد حينما دخل تبريز عاصمة الصفويّين سوى الصنعة والفنانين، فأمر بقتل جميع الأسرى وأعوان الدولة ورجالها بطريقة هستيرية. فيما سيضطر إلى استدعاء التصوف في مواجهة المماليك الذين طالما ادّعوا تمثيل السنّة وحماية الخلافة العباسيّة[1]، لأن سليما كان يريد قيادة العالم الإسلامي بعد تدمير القوى الإسلاميّة القائمة وينهض في حملة توسع جديدة تلبي طموحاته التوسعية باتجاه أوربا[2] التي صارت عصيّة على العثمانيّين.

بقي أن نتطرق لأثر البرتغاليين في هذا التحول بعد وصولهم إلى المنطقة وما ردده بعض المؤرخين، من أن التحول العثمانيّ نحو الشرق وضرب الصفويّين كان نتيجة للعلاقات التي قامت بين الصفويّين وهؤلاء الغزاة، فقد ترتب على كشف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح أن انفتح أمامهم المجال للسيطرة على المحيط الهندي ومناطق شرقي إفريقيا، ومن ثم السيطرة على الطريق التجاري الذي يربط الهند بالخليج العربي والبحر الأحمر[3]. وكانت مصر المملوكية أكثر المناطق تأثرا بهذا الاتجاه بوصفها الوسيط التجاري في إيصال إنتاج الهند إلى أوربا وإفريقيا حين فقدت مورداً مهماً بتحول التجارة إلى رأس الرجاء الصالح ومنع البرتغاليين للأساطيل القادمة من البحر الأحمر والخليج العربي من الوصول إلى الهند[4].

أفتتح فاسكو دي جاما منذ وصوله الهند سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م، الطريق

---

=العربية، ترجمة: يوسف عطا الله، مراجعة: مسعود ضاهر، دمشق، ١٩٨٨م، ص٥٠.

(١) ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج٨، ص١٤٥. من ذلك حرصه على إعادة بناء قبر الصوفي المعروف محي الدين بن عربي في بلاد الشام الذي يعدّه أحد مؤرخي الطائفة العلوية أنه أحد رموزهم، وأن تعمير مرقده كان يمثل ترضية للعلويين، لاسيما وأنه أمر بهدم قبر يزيد بن معاوية في الشام الذي كان يزار حتى ذلك الوقت وحوّله إلى مزبلة. محمد أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٦م، ص٣٤٧.

(٢) ينقل أحد الكتاب عن السلطان سليم الأول أنه قال بعد إلقائه نظرة على خريطة العالم: "وهل تتسع هذه الدنيا لأكثر من ملك واحد". محمد جميل بيهم، المصدر السابق، ص٥.

(٣) نوال حمزة يوسف الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، الرياض، ١٩٨٣م، ص٣٤.

(٤) شوقي الجمل، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، القاهرة، ١٩٧١م، ص١٦٧؛ عبد العزيز عوض، "الاحتلال البرتغالي لموانئ الجزيرة العربية"، المؤرخ العربي(مجلة)، بغداد، العدد٢٩، ١٩٨٦م، ص١٧.

التجاري البحري الجديد عبر رأس الرجاء الصالح، عندما قام بنقل أول حمولة من التوابل أثناء رجوعه في العام التالي إلى البرتغال ومنها إلى أوربا، امتازت برخص تكاليفها وضمان وصولها باستمرار، وبذلك ضمنت بلاده مورداً تجارياً مهماً، فتسابق قادة البحار البرتغاليون[1]، في خوض غمار المنافسة لامتلاك الثروات، وإقامة ممالك لهم، لاسيما الفونسو دي البوكيرك (١٤٥٣-١٥١٥م)، ودوم فرانسيسكو دي الميدا، وتصرفوا على هذا النحو في محاربة السفن المارة في المحيط الهندي، وقاموا بأعمال قرصنة ضد السفن العربيّة، كما عمل البوكيرك على نقل مقره الرئيس من كنانور على الطرف الجنوبي لشبه القارة الهندية إلى جوا على ساحل مليار المطل على بحر العرب[2]، لإظهار نواياه الحقيقية بتوجيه سياسته التوسعية نحو فارس وبلاد العرب، فقام ومنذ سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٥م، بمهاجمة السواحل العربيّة وشن حرب تدميرية على المعاقل التجارية والبحرية العربيّة وإشعال النار بها، كما قام بجمع الناس في المساجد و أضرم النار فيها[3].

وكاد الوجود البرتغالي في الهند أن ينتهي على يد الأسطول المملوكي بقيادة حسين مشرف الكردي في ذي الحجة ٩١٣هـ/ آذار ١٥٠٨م، عندما انهزم الأسطول البرتغالي بقيادة لورنزو دى الميدا قرب شولابور إلى الجنوب من بومباي[4]، لكن المماليك ما لبثوا أن انسحبوا أمام البرتغاليين في معركة ديو البحرية التي جرت في ٢٠ شوال ٩١٤هـ/ ٣ شباط ١٥٠٩م، وخسروها بسبب

---

**(١) يراجع للإطلاع على أسماء قادة البحر البرتغاليين: الجواهري، المصدر السابق، ص١٢٦.**

**(٢) دريا دار، خليج فارس، تهران، ١٣٣٥ش/ ١٩٥٧م، ص١١؛ صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٧٤م، ص١٧.**

**(٣) ك. م. بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٤٥-٤٦؛ عبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص٧٢؛ طارق نافع الحمداني، "دور مصر واليمن في مقاومة الغزو البرتغالي للبحر الأحمر والمحيط الهندي في أوائل القرن السادس عشر"، معهد البحوث والدراسات العربية(مجلة)، بغداد، العدد ١٢، ١٩٨٣م، ص٢١٨**

**(٤) يراجع: احمد زين الدين المعبري المليباري (ت بعد ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م) تحفة المجاهدين في احوال البرتغاليين، تحقيق: محمد سعيد الطريحي، بيروت، ١٩٨٥م، ص٢٧٧-٢٧٩.**

الخيانة[1] على الرغم من تعاون مالك عياض حاكم ديو[2]، لكن البرتغاليين لم يتمكنوا من السيطرة على البحر الأحمر، أو تحويل التجارة نهائياً عن الطريق البري، وبقى التجار العرب طوال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي يقومون بجلب الحرير والأصباغ والعقاقير من الشرق والبن من اليمن وينقلونها عبر البحر الأحمر ثم عبر الصحراء إلى البحر المتوسط[3]، ولكن بكميات قليلة، وكان بإمكان القوى المحلية الإسلاميّة إخراج البرتغاليين من المنطقة قبل اشتداد عودهم، لولا أن تفرغت للصراع فيما بينها[4].

ويرى بعض الباحثين إن العلاقة والتحالف الذي قام بين البرتغاليين والشاه اسماعيل ضد الدولة العثمانيّة هو أحد أسباب الحرب بين الطرفين، أو أن التوجه العثمانيّ نحو الشرق كان يستهدف منازلة البرتغاليين وإبعادهم عن سواحل الجزيرة العربيّة[5]، وهي آراء فيها مبالغة واضحة، بل وخاطئة، لأن عقدين من

---

**(1) William Muir, The Mamluke or Slave Dynasty of Egypt, Amsterdam, 1968, P.192.**

**(٢) ايفانوف، المصدر السابق، ص٣٤؛ حسن احمد محمود، "التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب"، المؤرخ العربي (مجلة)، بغداد، العدد ١٢، ١٩٨٠م، ص٢٢١.**

**(٣) جيمس دفي، الاستعمار البرتغالي في افريقية، ترجمة: الدسوقي حسنين المراكبي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٣٣؛ كيرك، المصدر السابق، ص٩٩.**

**(٤) كان يمكن للقوى الإسلامية التصدي للبرتغاليين مستغلين ضعف البرتغال السوقي، إذ كان كل ما يمكن أن يوفره البوكيرك لاحتلال الحجاز وتدمير مكة، خمسملة خيال، الأمر الذي جعل الباحث التقدمي الهندي بانيكار، يستغرب من بقاء البرتغاليين في جوا خمسين سنة بقوة عسكرية ضئيلة لا تكاد تذكر، كما لم يتوان البوكيرك عن المبالغة والتهويل في تصريحاته ورسائله، ففي وقت كان عاجزا أن يوفر قوة كافية لشن هجوم كاسح على مصر، كان يصرّح أنه على وشك أن يغير مجرى نهر النيل! لتحطيم مصر دون قتال!!، وإذا ما علمنا أن حكومة انتوني إيدن البريطانية فكّرت في محاصرة جمال عبد الناصر بعد تأميم السويس سنة١٩٥٦م بتقليل المياه المتدفقة عبر النيل الأبيض لم يكن أمامها إلا استخدام أحد سدود أوغندا، ذلك بالرغم من تقدم وسائل الحفر والري، وكان الفشل مصير المخطط ومن بعده مصير هذه الحكومة. يقارن: إيفانوف، المصدر السابق، ص٣٤؛ بانيكار، المصدر السابق، ص٤٥؛ هيئة الإذاعة البريطانية، برنامج B.B.C. Extra، السبت ٢ كانون الأول ٢٠٠٦.**

**(٥) ابن طولون، مفاكهة الخلان،...، ص٣٢٢؛ العقاد، المصدر السابق، ص١٧؛ عبد العزيز الشناوي، المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرقي الجزيرة العربية، بحث مقدم إلى "مؤتمر دراسات شرقي الجزيرة العربية"، الجزء الثاني، الدوحة، ١٩٧٦م، ص٦٥٦؛ علي سلطان، تاريخ العرب الحديث، ص٢٠.**

الزمن مرّت بعد احتلال العثمانيّين لمصر كي يتخذ السلطان سليمان القانوني أولى الخطوات لمجابهة البرتغاليين[1]. في وقت تؤكد المصادر التاريخية أن العلاقات الصفويّة البرتغالية في مرحلة ما قبل جالديران اتسمت بالتوتر[2]، بعد أن أرسل الشاه إلى توران شاه أمير هرمز في أعقاب الاحتلال البرتغالي لها عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م، طالبا جزية سنوية، أجاب البوكيرك الرسول:

**"إن هرمز مُلك لعاهل البرتغال سيطر عليها برجاله ومدافعه، وإن الجزية التي تريدها ليست سوى عدد من قنابر المدافع والبنادق، وستنتقل قواتنا إلى السواحل الشرقية بعد إكمال قلعة هرمز، وعندها سنطلب من مليكك أن يدفع الجزية لنا"[3].**

وحينما حاول من جديد مع البرتغاليين وأرسل وفدا إلى جوا حيث مقر البوكيرك نائب الملك البرتغالي في الهند في سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م، يطلب الاعتراف بسيادة الشاه على هرمز، ووجه المبعوث الإيراني ببرود[4]، لذا أرسل الشاه مبعوثا إلى توران شاه أمير هرمز يعلن حمايته على هرمز في مواجهة البرتغاليين، فأعلنت هرمز امتناعها عن إرسال الجزية السنوية إلى البوكيرك، مما دعا الاخير للتوجه إلى هناك ومعه ست وعشرين سفينة حربية، وأمطر القلعة بالقنابل ورفع عليها علم البرتغال من جديد، دون أن يتمكن اسماعيل المشغول حينذاك بجالديران وتداعياتها، من تقديم أي مساعدة لتوران شاه[5]،

---

**(١) صالح أوزبران، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١م، ترجمة: عبد الجبار ناجي، بغداد، ١٩٧٩م، ص٣٩-٥٩؛ عبد العزيز عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، الجزء الأول، بيروت، ١٩٩١م، ص٤٠-٤٥؛ نايف محمد حسن الأحبابي، الموقف العربي والإقليمي من الهيمنة البرتغالية في الخليج العربي ١٥٠٧-١٦٥٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٨م، ص٨٥.**

**(٢) نصر الله فلسفي، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، ترجمة: محمد فتحي يوسف الريس، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٢-١٣؛ نايف الأحبابي، المصدر السابق، ص٧٠-٧١.**

**(3) Quoted in: Sykes, Op. Cit., Vol. II, P.186.**

**(٤) عبد الحسين نوائى، روابط سياسى ايران واوربا در عصر صفوى، تهران، ١٣٧٢ش/ ١٩٩٤م، ص٩-١٠.**

**(٥) جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م، ترجمة: محمد أمين عبد الله، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٧؛ هوشنگ مهدوى، بيشين، ص٢٢.**

لاسيما أن الشاه لم يكن يملك أسطولا أو سلاحا ناريا(١).

لكن الذي ينبغي تأكيده أن السكان الذين أرعبهم الغزو البرتغالي وأساليب الدعاية النفسيّة التي استخدمها، وفقدانهم الأمل في قوة المماليك البحرية، كانوا يتطلعون إلى منقذ يخلصهم من الوقوع في قبضة الاستعمار المسيحي، في وقت كان العثمانيّون فيه يمثلون قوة ترفع شعار الإسلام وحماية المسلمين.

## ثالثا. وصول سليم الأول إلى السلطة وأثره في التوجه العثمانيّ نحو الشرق:

عرف عن السلطان بايزيد الثاني ميله للسلام والبساطة في حياته، وحبه لحياة الأنس واللهو، فكان يشرب الترياق في أيام شبابه، لكنه ترك كل ذلك وانقطع للعبادة والزهد، كما كان يرعى العلوم والآداب(٢)، لهذا أطلق عليه بعض المؤرخين العثمانيّين لقب "الصوفي"(٣)، كما سمى بعض المؤرخين حكمه "عهد

---

(١) احمد زكريا الشلق، "عرض وتحليل كتاب: عرب الخليج في المصادر الهولندية، تأليف: ب. ج. سلوت"، التنوير الثقافي (مجلة)، الدوحة، العدد الأول، ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩٨م، ص١٢٦. وفي ذلك يقول اللورد كرزن: "لا يوجد في التاريخ بلد مثل إيران يمتلك ساحلين بحريين مهمين، ويملك موقعا تجاريا لا مثيل له، ويجهل في الوقت نفسه تماما أهميتها، إذ لم ينجب طوال تاريخه الحديث بحارا واحدا ولا أسطولا تجاريا، ولم يخض معركة بحرية واحدة".

**George Carson, Persia and The Persian Question, London, 1892, Vol. II, P. 388.**

(٢) عبد الله بن فتح الله الغياث البغدادي (ت بعد ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م)، التاريخ الغياثي. الفصل الخامس من سنة ٦٥٦-٨٩١هـ/ ١٢٥٨-١٤٨٦م، دراسة وتحقيق: طارق نافع الحمداني، بغداد، ١٩٧٥م، ص٣٦٦-٣٦٧؛ اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٦٥.

(٣) يقول البدليسي عنه: "أخذ الطريقة عن الشيخ محي الدين والد مفتي الزمان أبو السعود أفندي فكان يعتكف معه في الخلوة". شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٤. يراجع كذلك: خير الله افندى، تاريخ دولت عليه عثمانيه، استانبول، ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، ص٨؛ عبد الرحمن شرف، بيشين، ص١٨٥؛

**G. W. Bury, Arabia In Felix or the Turks in Yemen, London, 1915, P. 85.**

بل أن أحمد بن العليف (ت٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م)، ألف في مناقبه كتابا سماه: "الدر المنظوم في مناقب بايزيد سلطان الروم". يراجع تعريفه في: شمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦-٧م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الجزء الأول، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٠٧؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج٨، ص١٤١-١٤٢؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج١، ص٥٤-٥٦.

ترسيخ البنى التحتية للدولة وإعادة تنظيمها"[١]. وعلى المستوى الخارجي شهد عهده انفتاحا في العلاقات مع أوربا[٢]، لكنه حين لاحظ نتيجة لذلك انتعاش الآمال الأوربيّة بطرد العثمانيّين من كل أوربا؛ لم يتردد في استخدام القوة والتصدي لمطامعهم، كما أرسل إلى المماليك عام ٩١٧هـ/١٥١١م ثلاثمئة بندقية وبارود ونبال وألفي مجداف وحبالا وغيرها، لإعادة بناء أسطول البحر الأحمر[٣]، متناسيا العداء بين الدولتين، وبذلك ضمن حياد المنطقة ولو مؤقتاً. وهكذا تميزت علاقات بايزيد الثاني مع دول الجوار بالهدوء والسلام كانت الدولة بحاجة إليها لإعادة تنظيمها وتقويتها، بغية الانطلاق من جديد لمواجهة القوى الأوربيّة المتنامية، فاستغل هذه السنوات في تقوية الأسطول العثمانيّ، وأضاف مئة وخمسين سفينة[٤]. وبعد هزيمة جيشه مع المماليك بادر لتزويد جيشه بالبنادق[٥].

لكن السلطان بايزيد الثاني تعرض أواخر سنوات حكمه إلى محنة كبرى كادت أن تعصف بأركان الدولة كلها، تمثلت في إعلان أبنائه الثلاثة العصيان ضده ومن ثم صراعهم فيما بينهم[٦]، وهم ابنه الأكبر أحمد[٧] الذي أحبه الأمراء

---

(١) داود دورسون، بيشين، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٢) نيقولا فاتان، المصدر السابق، ج١، ص١٥٤.

(٣) محمد بن محمود الحلبي، بن آجا، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، صنعه: محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٩٨٦م، ص٢١٨. يراجع لمزيد من التفاصيل عن السفارات المتبادلة: منى إبراهيم عبد الرحمن، السفارات الأجنبية في مصر في عهد المماليك، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٣٦-١٩١.

(4) **Lord Eversley, the Turkish Empire its Growth and Decay, Lahore, 1917, PP. 120-121.**

(٥) محمد توفيق، عثمانلى تاريخى، قسطنطينه، ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، ص١١٦؛ عبد الرحمن شرف، تاريخ دولت عثمانيه، جلد١، استانبول، ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧-٨م، ص١٨٥-١٨٧؛ محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤-٥م)، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع، الجزء الأول، القاهرة، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، ص١٦١؛ باري، المصدر السابق، ج٦، ص١٧٣؛

**Creasy, Op. Cit., P. 116-121; White, Op. Cit., P. 13-14.**

(٦) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، جدة، ١٩٩٦م، ص٤٦؛ علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية. عوامل النهوض وأسباب السقوط، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٠٤.

(٧) ولد سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م، تولى حكم أماسيا – وتوقات منذ سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، وقتل في=

وكبار رجال الدولة والأعيان، بسبب حكمته وبعد نظره ومواهبه السياسيّة، وكان الصدر الأعظم علي باشا مخلصا له[1]، والأوسط قرقود أو كركود (ق٩١٨هـ/ ١٥١٢م)[2] الذي اهتم بالشؤون العلمية والدينية دون العسكر والحرب[3]، لذا لم يلق دعم الانكشاريّة، أما ثالثهم سليم فإنه جمع من الصفات ما أهلته لتولي الحكم بعد أن تمكن من خلع أبيه والإنفراد بالحكم، ثم بدأ حملة واسعة للتخلص من المعارضين، وإحكام قبضته على مقاليد الأمور في الدولة[4]، بمباركة الانكشاريّة وتأييدهم، بسبب عدم إيلاء بايزيد الثاني الحرب اهتماما كبيرا[5]، فقللت سياسته السلمية من أعطياتهم التي كانوا يتحصلوا عليها من غنائم الحرب، كما قام بايزيد بإلغاء قرارات أبيه محمد الفاتح بمصادرة أراضي سكان الأناضول لصالح قادة الجيش الانكشاري، وأعادها إلى أصحابها من الأرستقراطيين الزراعيين السابقين، مقابل زيادة الضرائب المالية والمجندين من أصحاب الملكيات الزراعية[6]، فأخذ الانكشاريّة يتآمرون للإطاحة به ولوحظ ذلك في السنوات الأخيرة من حكمه الذي طال إلى حوالي إحدى وثلاثين سنة، وانتهى بانقلابهم ضده وتنصيب ابنه سليم سلطانا[7].

---

=١٧ صفر ٩١٩هـ/ ٢٤ نيسان١٥١٣م. وديع أبو زيدون، المصدر السابق، ص٥٥.

(1) Eversley, Op. Cit., P. 107.

(٢) اسمه محمد، ولد ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧-٨م، تولى حكم صاروخان وأزمير وتكه وحميد وعرف برعايته للبحارة، وكان من أفاضل الدولة وعلمائها، له كتب منها:"دعوة النفس الجامحة (الطالحة) إلى الأعمال الصالحة"، وديوان شعر معروف بـ"ديوان حريمي" و "فتاوى قورقود خانية" و"حل إشكال الأفكار في سؤال الكفار". حاجي خليفة، المصدر السابق، ج١، ص٧٨٥؛ إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون، ج١، ص٤٧٣، ٥٥٦؛ عمر كحالة، المصدر السابق، ج٨، ص١٣٤.

(3) Creasy, Op. Cit., P. 124.

(4) Lane Poole, Op. Cit., P. 152;

بروكلمان، المصدر السابق، ص٤٤٥؛ عبد العزيز محمد الشناوي، أوربا في مطلع العصور الحديثة، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٦٧٧-٦٧٨.

(٥) فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص٧٣.

(٦) داود دورسون، بيشين، ص٢٠٤، ٢٠٧؛ علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، ص١٨٣.

(٧) فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص٦٨؛ إيوار، "بايزيد الثاني"، دائرة المعارف الإسلامية، م٦، ص١٧٠-١٧١؛ باري، "بايزيد الثاني"، دائرة المعارف الإسلامية، م٦، ص١٧١-١٧٧.

ولد سليم في أماسيا سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م، وأمه عائشة خاتون بنت علاء الدولة ذي القدر التي توفيت عام٩١١هـ/ ١٥٠٥م[١]، وهو أصغر أبناء بايزيد الأحياء[٢]، وكان قد سبق للمنجمين في أيام جده أن بشّروا أبيه بايزيد أن كرسي السلطنة سيؤول إليه، وليس لأخيه جم، لكن نهاية حكمه ستكون على يد ابن له لم يولد بعد، فكلّف القابلة التي يثق بها أن تفتك بأي صبي تلده جواريه، ولما ولد سليم تحرجت القابلة التي عرفت بالصلاح والتدين من قتله، ففضّلت اخبار أبيه أن فتاة قد ولدت له فأسماها سليمة، وبتقدم السنين ظهرت علامات الغلومة عليه، وبعد أن دخل إلى سراي بناته في يوم عيد يحمل لهن الفواكه والحلوى، اختطف سليم مابين أيديهن من الحلوى، وهن خائفات منه لأنه كان يضربهن، كما صادف أن دارت نحلة في المجلس فاختطفها بيده ومرسها، ما لفت انتباه بايزيد له وإلى تقاسيم جسده، فأدرك أنه صبي وليس فتاة، وحينها أقرّت القابلة بذلك، لكنها أجابته أنها خافت من الله أن تقتل من لا ذنب له، فقال بايزيد:

**"لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ما قدّره الله فهو كائن"[٣].**

بعدها درج على إبداء رعاية خاصة له، فشبّ وهو يمتلك بعض صفات القيادة والزعامة؛ فهو فضلا عما يتمتع به من الحيوية الذهنية والجسدية، كان شديد الصرامة في كل الأمور، لاسيما شؤون الدولة والحكم، فاهتم منذ الوهلة الأولى بالتوسع وضرب القوى المناوئة له أيا كانت هويتها.

كل ذلك كان نتيجة لسنوات الرعب التي عاشها خلال طفولته المهددة والمفرغة من الرعاية والاحتضان الأبوي، وهي طفولة توثق المصادر النفسيّة احتمالية عالية أن يشوب الفرد الذي يعيشها عدد من المظاهر المعتلّة أبرزها العنف الموجه للخارج نتيجة الشعور بالتهديد، والتصلب والقسوة المفرطة

---

**(١) أوزتونا، المصدر السابق، م١، ص٢٠٥.**

**(٢) كان للسلطان بايزيد ثمانية أولاد وتسع عشرة بنتا. المصدر نفسه، م١، ص٢٠٦-٢٠٧.**

**(٣) أورد هذه القصة عد من المؤرخين منهم: محمد بن أبي السرور البكري الصديقي (ت بعد١٠٧١هـ/ ١٦٦١م)، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية، تحقيق: ليلى الصباغ، دمشق، ١٩٩٥م، ص٦٤-٦٥؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٥-٢٢٦.**

والإحساس الدائم بالشك تجاه محيطه، فضلا عن الميل للتسلط[١]. وسيلاحظ أن مثل هذه المظاهر عبرت عنها شخصية سليم وسلوكه قبل أن يبلغ سن الرشد وبعده، فكان يمارس العدوان على شقيقاته، ويمارس التوسع على جيرانه بعد توليه حكم طرابزون، ثم توّج كل ذلك بإعلان الثورة ضد أبيه وما تبعه من دس السم له، وقتل أخويه أحمد وقرقود وأبنائهما، بل قتل أبناءه الأربعة ولم يترك سوى ابنه سليمان[٢]، وقتل جده لأمه (علاء الدولة) أمير ذي القدر، بعد أن حرّض عليه ابن أخيه علي بك بن شاه سوار وأمده بالسلاح والعساكر، وأرسل رأسه مملوءا بالتبن إلى سلطان المماليك[٣]، وتذكر المصادر التاريخية العملية البشعة التي استعملها سليم في تصفية صبي صغير من أبناء أخيه أحمد، إذ قتل خنقاً بوتر وهو يستمع لصرخاته في غرفة مجاورة[٤]، وهو سلوك عدواني حاد ومؤشر واضح على معطيات البيئة التي ترعرع فيها، خلال الطفولة المبكرة أو السنوات الخمس الأولى، وهو أمر مسلم به في معظم المصادر النفسيّة[٥].

وهكذا فإن الشعور العارم في ذات سليم نتيجة لما كان يشعر به من تيارات الإحساس بالظلم والاضطهاد، كرست في ذاته ميكانيزمات الشر والروح الساديّة التي يشعر معها باللّذة والراحة عند إلحاق الأذى والظلم بالآخرين، وهو ما يمكن أن يكون تعويضا عن مشاعر النقص والحرمان الطفولي[٦]. ويظهر ذلك في حرصه على بناء أهرامات من جماجم أعدائه بعد قتلهم، وحرصه على بناء أوسع شبكة جاسوسيّة على رجال دولته والدول الأخرى، فيوصف أنه:

> **"كثير التفحص عن أخبار الناس، وكان في التجسس له الغاية، وله الجواسيس لنقل الأخبار، ومهما نقلوه فعل بمقتضاه"[٧].**

---

(١) يوسف مراد، "منهج التحليل النفسي وطبيعته التكاملية"، علم النفس (مجلة)، القاهرة، عدد يونيو (حزيران)، ١٩٨٢م، ص٢٥.

(٢) كرامرز، "سليم الأول"، دائرة المعارف الإسلامية، م١٢، ص١٢٢.

(٣) ابن آجا الحلبي، المصدر السابق، ص٢٢٩؛ فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص٧٣.

(٤) اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٦٨.

(5) Gabbard, OP. Cit., Vol. IV, P. 72.

(٦) علي كمال، النفس. انفعالاتها وأمراضها وعلاجها، بغداد، ١٩٨٨م، ص٣٣٢.

(٧) البكري الصديقي، المصدر السابق، ص٧١؛ قطب الدين الحنفي النهروالي (ت٩٨٨هـ/=

كان والده قد عينه واليا على طرابزون[1]، لكـن تطلعاتـه اتجهـت نحـو الاستحواذ على قدر أكبر من السلطة، بعد أن أحس بميل والده إلى الهدوء وبعـد أن أوصى بولاية العهد إلى أخيه أحمد[2]. وحينما أدرك أن الوقت مناسب لتحقيق طموحاته الشخصية وأمجاده؛ بدأ بإثارة القلاقل لوالده، فرفض ولاية طرابـزون وتركها ليسافر إلى ولاية كافا في بلاد القرم مستعينا بواليها ابنه سليمان وصهره منكلي كيراي خان القرم، ومن هناك أرسل إلى أبيه طالبا تعيينـه فـي إحـدى ولايات الروملي (البلقان)، فرفض السلطان طلبه هذا وأصرّ علـى بقائـه فـي ولايته، فلم يمتثل للأوامر وجمع أعداداً من تتار القرم وتحـرك ليعبـر بقواتـه الدانوب، ومن هناك طالب أباه من جديد بحكم ولاية في البلقان[3]، لكن بايزيـد رفض هذا التهديد وجهز جيشاً لمحاربته وإقناعه بالعودة إلـى ولايتـه والتـزام الهدوء، فاصطدم به في ٨ ربيع الأول ٩١٧هـ/ ٣ آب ١٥١١م، فهزمت قواتـه أمام قوات والده السلطان، وكاد سليم أن يقع في المعركة، لولا فـراره الـسريع بفضل جواده الشهير (قره بولوت)، أو السحاب الأسود[4].

لكن بايزيد تراجع ونزل عند رغبتـه عـام٩١٧هـ/ ١٥١١م عنـدما أدرك تصميمه على القتـال، وبعد توسط مولانا نور الدين سرگورز، فأمر قواته بعدم الاشتباك مع قوات ولده، ومنحه إدارة خمسة ألوية بلقانية، هي: سمندرية وفيدين وآلاچه حصار ونيغبولو فضلا عن إيزفورنك[5]، ليتفرغ لمحاربة شاه قولي الذي أغار على مناطق في شرقي الأناضول.

أحدث قرار تعيين سليم هذا، شرخاً كبيراً في جـسم الإمبراطوريّـة أخـذ

---

=١٥٨٠م)، الإعلام بأعلام بلد الله الحرام، الجزء الثالث، بيروت، ١٩٦٣م، ص٣١٧.

(١) طرابزون أو (ترابيزوند): ولاية تقع شمال شرقي الأناضول على ساحل البحر الأسـود، وهـي مجاورة للدولة الصفويّة.

(٢) كرامرز، سليم الأول، م١٢، ص١٢١.

(٣) المصدر نفسه، م١٢، ص١٢١-١٢٢.

(٤) أوزتونا، المصدر السابق، م١، ص٢٠٩.

(٥) المصدر نفسه، م١، ص٢٠٨.

بالاتساع بسبب ثورات أبناء بايزيد عليه وخوفهم من أن يلتهم سليم الابن الأصغر باقي الولايات. وكان تفكير سليم يسير في السياق نفسه الذي يفكر به أخوته، إذ توقع أن حصوله على ولاية في البلقان سيؤلب أخوته عليه، فتحرك من سمندرية وسار إلى أدرنه، وأعلن نفسه والياً عليها، فجهز والده من استانبول جيشاً كبيراً ألحق به هزيمة ودفعه للفرار إلى بلاد القرم(1).

لم تمض سوى مدة بسيطة، حتى أعلن السلطان بايزيد العفو عنه، بعد إلحاح كبير من الانكشاريّة الذين أعجبوا كثيرا بأسلوبه وقدراته العسكريّة وجرأته، وعندما رجع سليم إلى ولاية سمندرية، قابله الانكشاريّة في الطريق إليها وجاءوا به إلى سراي السلطان بايزيد في استانبول باحتفال مهيب وطلبوا من بايزيد التنازل له؛ فقبل واستقال في٦ صفر ٩١٨هـ/ ٢٤ نيسان١٥١٢م(٢)، واختار بايزيد أن يسافر للإقامة في ديموتيقه (Dimetoka) خلافا لمبتغى ابنه سليم، لكنه مات في الطريق في ٢٦ أيار ١٥١٢م(٣)، إذ قيل أن سليما دسّ السم له(٤) خوفا من عودته إلى السلطة كما عاد إليها جده مراد الثاني.

جلس سليم على تخت السلطنة وعمره ست وأربعون سنة، وبعد توليه السلطة بدأ بتصفية أخويه وأبنائهم، كما عمل على ترضية الانكشاريّة الذين وقفوا إلى جانبه ونفذوا أوامره، فزاد رواتبهم وجعلهم ركيزة لحكمه، كما زاد عددهم إلى خمسة وثلاثين ألفاً، وعني بتدريبهم وتسليحهم بالأسلحة النارية المتطورة(٥)، مشددا على أن لا يتسرب إليهم غير أبناء الأسرى واللقطاء والأطفال

---

**(1) Bury, Op. Cit., P. 90; Creasy, Op. Cit., P. 126; Eversley, Op. Cit., P. 108.**

(٢) فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص٧٢؛ أوزتونا، المصدر السابق، م١، ص٢١٠؛ جلال يحيى، العالم الإسلامي الحديث و المعاصر، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص١٧٥.

(٣) إيوار، بايزيد الثاني، م٦، ص١٧٥؛ أوزتونا، المصدر السابق، م١، ص٢١١.

(٤) فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص٧٢؛ احمد حقي، بيشين، ج٢، ص٢٤٦؛ بروكلمان، المصدر السابق، ص٤٤٦؛ أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الطبعة السابعة، الجزء الخامس، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٨٢٦؛

**Eversley, Op. Cit., P. 11.**

(٥) محمد أنيس، الدولة العثمانية والمشرق العربي، القاهرة،١٩٨١م، ص١٠٢-١٠٤؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص٧٩.

النصارى[1]، وهكذا تبلورت الأوضاع العامة كلها لخدمة أهداف السلطان سليم لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الدولة العثمانيّة، وهي التوجه نحو الشرق الإسلامي، وليبدأ معاركه ضد إيران الصفويّة في جالديران، والتي لم تكن وليدة سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، بل نتيجة سنوات طويلة من الاحتكاك بين الطرفين، يمتد إلى سنوات الصدام الأولى بين الصفويّين والآق قوينلو، والتي حاول بايزيد متابعتها عن قرب ومعالجة آثارها على دولته.

### رابعا. السياسة العثمانيّة تجاه إيران قبيل معركة جالديران:

وجد بايزيد حينما وصل إلى الحكم أن إيران تشكّل مصدر خطر على دولته بسبب الترابط الإثني بين سكان الأناضول والقزلباش، فضلا عما تشكله من عمق استراتيجي لدولته المشغولة بالجبهة الأوربيّة الغربية، فبدأ يعد العدّة لتدخل غير مباشر في الشأن الإيراني منذ وقت مبكر، فاستغل مثلا لجوء كوده أحمد ميرزا بن السلطان يعقوب آق قوينلو إلى بلاطه، بسبب الصراع الداخلي، فزوّجه من إحدى بناته، وجهزه بجيش كبير اندفع إلى إيران وتمكن في ذي القعدة ٩٠٢هـ/ تموز ١٤٩٧م، من القضاء على رستم بن مقصود، لكنه لم يتمكن من الصمود طويلا، فانتهى حكمه ومعه الحلم العثمانيّ في إيران بعد ستة أشهر[2].

لكن بايزيد ظل حريصا على عدم إقحام جيشه في حرب مباشرة في إيران، على الرغم من عقود التدهور السياسي التي مرت بها، واستعداد كوده أحمد لإلحاق إيران بالدولة العثمانيّة[3]. ويبدو أنه لم يطمع من إيران بأكثر من أن لا

---

**(١) ينقل أن أحد تجار الشام الموسرين عرض على دفترداره أن يتنازل للدولة عن ستين ألف ريال كانت الدولة قد استدانتها منه، مقابل قبول ابنه في سلك الانكشارية، ولما نقل الدفتردار هذه الرغبة للسلطان، وبخه قائلا:**

**"وتربة أجدادي لولا خوفي من أن يقول الناس قتل تاجرا طمعا بماله، لأمرت بقتلك وقتله...، إن كل من يجرأ [كذا] على إدخال غريب إلى وجاق الانكشارية جزاؤه القتل".**

**مقتبس في: أحمد جودت باشا، بيشين، ج١، ص١١٩؛ محمد جميل بيهم، المصدر السابق، ص١٢٩.**

**(٢) حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص٢٥؛ يحيى قزويني، بيشين، ص٣٧٦.**

**(٣) يلاحظ ذلك في رسالة كوده أحمد للسلطان بايزيد. يراجع: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٣٥.**

تكون عامل قلق وأن لا توجه طعنة لدولته وهي تدير ظهرها لتواجه عدوها التقليدي في الغرب. ومع صعود الدولة الصفويّة والصراع بين زعماء دولة الآق قوينلو، فضّل بايزيد التنسيق مع حكّام الآق قوينلو للتصدي للطموحات الصفويّة، ففي رسالة إلى ألوند بيك طلب بايزيد منه إنهاء خلافه مع أبناء عمومته لمواجهة خطر القزلباش، وعليه كتب ألوند إلى ابن عمه مراد بيك وقاسم بيك بن جهانكير يطلب منهما إنهاء الخلاف "لدفع القزلباش الضالين المضلين ورفعهم"، وبعكسه "فإني عازم على ذلك بالتعاون مع السلطان بايزيد"(١)، وتضمنت رسالة ثانية من بايزيد إلى ألوند تحريضا واضحا ضد إسماعيل، فيقول:

**"إن القزلباش الباغية خذلهم الله لو وجهوا نيرانهم الحاقدة الصادرة من طاقياتهم الحمر نحو الدنيا لأحرقوها. لذا عليكم الوقوف ضد هذا التيار وهدم منائرهم...، وعليكم العزم والجزم القاطع لقلع تلك الفتنة الباغية وقمعها ودفع المجموعة المكروهة قبل أن يصل شرر فتنتهم إلينا... وبعون الله سنكون معكم ولن نقصر في تنفيذ ما تريدون"(٢).**

كما حاول التنسيق مع رستم بيك كرد ملك شاه والي خرم آباد في كردستان من أجل الحصول على معلومات دقيقة عن تطورات الوضع الإيراني، فأرسل في ربيع الأول ٩٠٨هـ/ تشرين الثاني١٥٠٢م مندوبا يحمل رسالة يطلب فيها تزويده بما يعلمه من تحركات إسماعيل الصفويّ في صراعه مع أمراء الآق قوينلو(٣)، فحمّل رستم بيك المندوب جوابا يخبره عن انتصار القزلباش على ألوند وسحقهم لمراد بيك الذي فرّ نحو العراق، وأنهم متجهون نحوه لحسم أمر برناك، كما توقع أن يصل طوفانهم إلى ديار بكر ومرعش، فضلا عن عقدهم معاهدة صداقة مع المماليك في مصر، كما أخبره أن أوضاع إيران أصبحت غير مستقرة، وأن أغلب الولايات تعاني منهم، متمنيا على السلطان أن يهب "لقلع تلك

---

**(١) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٥١-٣٥٢.**

**(٢) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: همان منبع، ج١، ص٣٥٢-٣٥٣؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص٢٥-٢٨.**

**(٣) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٥٣؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص٣١.**

الفئة الضالة من أرض الإسلام"[1].

والغريب في هذه الرسالة إشارته إلى علاقات صفويّة مملوكية في هذا الوقت المبكر، على الرغم من أن قانصوة الغوري سلطان المماليك، بادر بعد سنتين عام٩١٠هـ/ ١٥٠٤-٥م، إلى الاستفسار من بايزيد عن أوضاع إيران وضرورة التنسيق المشترك لمواجهة إسماعيل، مما يعني أن الحديث عن هذا التحالف ليس سوى دعاية وتهويل بهدف تحريض بايزيد ضد القزلباش، فالعلاقات بين المماليك والصفويّين كانت في هذا الوقت سيئة، إلى حد أن مجرد ادعاء رجل من صعيد مصر أنه من خلفاء الصوفية الصفويّة، كان كافيا ليفتي الشيخ شمس الدين الحنفي (ت٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م) بقطع رأسه واثنين من أتباعه[2]. وتفيد المصادر التاريخية أن أول رسالة تبودلت بين إسماعيل والمماليك، كانت في أواخر صفر٩١٧هـ/ آذار ١٥١١م بمناسبة قتل شيبك خان[3].

وبالعودة إلى رسالة قانصوة التي لم تصل إلينا، ويستخلص مضمونها أعلاه من جواب السلطان بايزيد، فيستفاد منها تحريضا مملوكيا لبايزيد ضد إسماعيل الذي ظهر في "شرق مملكتنا [العثمانيّة]"، و"تسلطه على جزء من بلادكم"[4]. لكن بايزيد أدرك مغزى هذا التحريض، مع علمه بوجود تنسيق مزعوم بين المماليك والصفويّين، فأجاب ببرود مكتفيا بقوله: "ما علينا [إلا] أن نرفع أيدينا إلى الله في الصلوات الخمس، رجاء أن يفعل ما هو صلاح للمؤمنين"[5]. فأجاب قانصوة

---

(١) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٥٣-٣٥٤؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص٣٢-٣٣.

(٢) شمس الدين بن طولون، أعلام الورى بمن ولى نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تصحيح: محمد أحمد دهقان، دمشق، ١٩٦٤م، ص٢٠٦.

(٣) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص٩٣-٩٦؛ رسول جعفريان، "مناسبات سياسى شاه اسماعيل صفوى با دولت مماليك"، مقالات تاريخى (كتاب)، دفتر يازدهم، قم، ١٣٨١ش/ ٢٠٠٣م، ص٢٩.

(٤) إشارة إلى غزو إسماعيل لدولة علاء الدولة ذي القدر التي يعدها المماليك جزءا من دولتهم. ابن طولون، مفاكهة الخلان...، ص٣٠٢؛ رسول جعفريان، مناسبات سياسى...، ص٢٥.

(٥) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٥٣-٣٥٤؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص٣٢-٣٣.

برسالة باللغة العربيّة، تعبر عن خيبة أمله من جواب بايزيد، واصفا فيها القزلباش بأقذع الألفاظ وأبشع الصفات، وواصفا ظهورهم بالبلاء العام، مؤكدا أن التصدي لهم من الواجبات، لأنهم:

**"أهل البدع والضلالة وأصحاب الشر والشقاوة، كلهم روافض وجمّهم ملاعين، ليس في قلوبهم الردية أثر الرحمة والشفقة، ولا في طينتهم الخبيثة علائم الهداية والرأفة، وأنهم هتكوا عرض المؤمنين والمؤمنات، وقتلوا علماء الدين والسادات، وأغاروا [على] أموالهم، وأسروا صبيانهم".**

وبعد أن شبّه أفعالهم بأعمال جنكيز خان وتيمور، وصفهم بـ: "الكفرة الفجرة"، ولم ينس أن يختم رسالته بالدعاء:

**"اللهم دمرهم واقهرهم وفرق شملهم وكسّر أعناقهم وطهّر الأرضين من هؤلاء الأرجاس الأنجاس"[١].**

وبهذا نتلمس سعي السلطان بايزيد من خلال القنوات الدبلوماسيّة لتحريض قوى المنطقة ضد الصفويّين، دون أن يعلن عزما أو نية على الاختلاف مع الصفويّين، ناهيك عن إعلان الحرب ضدهم، وهو يعود لما يتميز به من طبع حذر وأنه سعى إلى أن يجنب هذه المنطقة نشوب حرب تجعل منها مصدراً للكوارث، حتى بعد أن اشتد تعارض المصالح، فعالج معظم الأزمات التي ظهرت بحكمة دون إراقة دماء، وحرص على الظهور راعيا للعلماء والصالحين سواء السنّة في إيران، أو الشيعة في الأناضول[٢].

على أن مهمته في مواجهة المد الصفويّ داخل حدود دولته لم تكن يسيرة، بسبب عقود طويلة من جهود أجيال من خلفاء الطريقة الصفويّة، فبينما كان العثمانيّون يحتلون البلدان ويغزون الأمم، كان الدعاة الصفويّون يسيرون قدما في ترسيخ أصول الطريقة الصفويّة وتقاليدها في نفوس الناس. وتصاعد هذا النشاط

---

**(١) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٥٦-٣٥٧؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص٩١.**

**(٢) مثال علاقته مع التفتازاني والشاعر جامع في هراة، وحسن خليفة والد شاه قولي في تكه. يراجع: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٦٥-٣٦٦؛ اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٤٦؛ أوزتونا، المصدر السابق، م١، ص٢١٢.**

منذ وصول الشيخ جنيد إلى المنطقة، وهو ما لمسه بايزيد بعد أن تمكن إسماعيل من السيطرة على إيران، فلاحظ بجلاء الهوى الصفويّ للأناضول، التي يشكّل الشيعة أربعة أخماس سكانها[١]، وكانت مصدرا رئيسا لرفد التجربة السياسيّة الصفويّة بالمقاتلين ورجال القزلباش، ما يمثّل خطورة استراتيجيّة على الدولة، يؤدي إذا ما أهمل إلى إلحاق المنطقة بإيران عاجلا أم آجلا[٢]، فضلا عما تتعرض له المنطقة من نزيف بشري، بعد أن بدأت هجرة هذه العناصر إلى إيران بحجة زيارة قبور الصالحين من شيوخ الصفويّة في أردبيل، والانضمام إلى جيوش إسماعيل. ولما كان معظم هؤلاء من المزارعين ومربي المواشي، فان الإقطاعيات الزراعية فقدت فلاحيها ولم يتمكن أصحابها من الإيفاء بالتزاماتهم العسكريّة تجاه الدولة من المقاتلين[٣].

انتهج بايزيد الثاني سياسة ذكية وبعيدة المدى لمعالجة هذا الوضع، كانت أولى خطواتها تدمير مراكز القوة بهذه المنطقة المتمثلة بسيطرة الإقطاعيين المطلقة على مقدراتها عندما انتزع سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م أراضي أعيان الأناضول من الشيعة الموالين للصفويين وسلّمها لآخرين[٤]، وأصدر مرسوما منح بموجبه بيوت الراحلين إلى إيران وأملاكهم إلى السنّة الفارين منها[٥].

وقام بعد ذلك بإغلاق الحدود المتاخمة لبلاد فارس لإحكام سيطرته عليها بتعزيز الحاميات الشرقية[٦]، بغية منع السكان من الاتصال بالصفويّين، لكن القوافل التجارية استمرت بين إيران والأناضول، كما أمر بترحيل أعداد من أتباع

---

(١) استنادا إلى إشارة مارينو سانو تو، وهو خبير من البندقية كتب أحداث العالم بين سنتي ٩٠٢-٩٤٠هـ/ ١٤٩٦-١٥٣٣م، في يوميات، طبقا لأسانيد معتبرة ومعلومات دقيقة، وبلغت ٣٨ كتابا. نقل از: بيگلوسكايا وديگران، بيشين، ص٤٧٥؛ بتروشفسكى، بيشين، ص٣٨٧.

(٢) باري، المصدر السابق، م٦، ص١٧٣.

(٣) وهو ما ورد في رسالة السلطان بايزيد الجوابية إلى الشاه إسماعيل. يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٤٥-٣٤٦.

(٤) داود دورسون، بيشين، ص٢٠٣؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص٧٥.

(٥) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٥٤.

(٦) اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٤٤؛ كيرك، المصدر السابق، ص٨٩.

القزلباش من آسيا الصغرى إلى بلاد المورة[١]. وفي الوقت نفسه بادر إلى إرسال سفارة إلى الشاة إسماعيل تحمل رسالة تهنئة بانتصاراته على الآق قوينلو، يهين فيها حليف الأمس ألوند ميرزا ويصفه بأنه: "عديم الفائدة"، ويشرح له بأسلوب أبوي لطيف بعض الأعراف الدبلوماسيّة، منها: "أن الملوك إذا انتصروا على عدو أرسلوا رسائل [فتحنامه] للملوك القريبين يبشرهم بانتصاراته"[٢]، إدراكا منه لجهل الشاه بهذه الأصول، فأرسل الشاه أيضاً سفارة للسلطان بايزيد الثاني ليس ليشكر السلطان على تهنئته فقط، بل ليحتج أيضا على الغارات التي يشنها ولده سليم أمير طرابزون[٣] الذي بدأ التحرش بالصفويّين فأرسل حملات عسكرية هدفها احتلال المناطق الحدودية التابعة لهم، فاصطدم بقوة صفويّة يقودها سليمان[٤] شقيق الشاه قرب أرزنجان، وتمكن من أسره وتدمير قوته، لكن الشاه الذي لم يفضل الاصطدام بالعثمانيّين، أرسل إلى السلطان بايزيد رسالة يشكو فيها تصرفات سليم العدوانية تجاه رعاياه، ويطلب التدخل لإصلاح الوضع، فكتب السلطان بذلك إلى سليم يأمره بإطلاق سراح الأسرى وإخلاء المناطق التي احتلها[٥].

لكن سليم أخبر والده أن إخلاء هذه المناطق "عمل يخلو من الشرف"، لأنه لم يمر وقت طويل على انتزاعها من الصفويّين، ومع إصرار السلطان اضطر في

---

(١) سيورى، تحقيقاتى...، ص٩٧؛ الحصري، المصدر السابق، ص٤٠؛ كيرك، المصدر السابق، ص٨٩. والمورة، هي المنطقة الجنوبية من اليونان.

(٢) يراجع نص الرسالة في: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٤٥؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص٥٥-٥٦.

(٣) يراجع للإطلاع على نص الرسالة في: اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٤٢-٤٧. ظل سليم في طرابزون عدة سنوات، فتعرف عن قرب على الصفويين وتحركاتهم، ومن هناك استدعى مراد سلطان الآق قوينلو الذي فرّ من إسماعيل ومنحه وأولاده وظائف وبيوت في طرابزون. نيقولا فاتان، المصدر السابق، ج١، ص١٦٤، ٢٠٩.

(٤) يخطئ المؤرخ التركي يلماز أوزتونا الذي ننقل هذا الخبر عنه، بالقول أن القوة كانت بقيادة إبراهيم أخو الشاه، وقد تقدم الحديث عن اختفائه قبل قيام الدولة، ويبدو أن سليمان هو المقصود، والذي أعلن الثورة ضد أخيه بينما كان منشغلا في محاربة شيبك خان، كما تقدم.

(٥) وهي كل من: أرزنجان، بايبورت، كماه، وإيسبر، وكانت جزءا من أقاليم الآق قوينلو وسيطر عليها الصفويون. أحمد تاج بخش، تاريخ صفويه، شيراز، ١٣٧٢ش/ ١٩٩٤م، ص٣٤.

النهاية إلى تنفيذ أوامره، فلم تلق هذه الخطوة ارتياحا في صفوف الجيش العثماني"[1].

ومن متابعة نصوص الرسائل بين اسماعيل وبايزيد، تلاحظ النصائح اللطيفة حينا والشديدة أحيانا لإسماعيل والإرشادات التي تتعلق بأخلاق الملوك وأسلوب الحكم وطريقة معاملة الرعية ودول الجوار، كما يلاحظ قبول اسماعيل لنصائحه بارتياح ودبلوماسيّة عالية، فيخاطبه بـ"والدي الأكرم"، ويجيبه بايزيد بـ"ولدي صاحب المقام"[2]، فعلى الرغم من اللهجة الشديدة والنصائح القاسيّة التي تضمنتها إحدى الرسائل في أعقاب ثورة شاه قولي عام٩١٧هـ/ ١٥١١م، حرص بايزيد على تأطيرها باحترام للأسرة الصفويّة، حين يقول:

**"أيها الشاب القليل الخبرة، اسمع نصيحة من أبيك.... فلكي يقبل مذهبك، عليك أن تصون دماء المسلمين... ولا تذهب بخيالك كثيرا، والتزم بنهج أجدادك أنار الله برهانهم....، وان إرسالك لجلد رأس شيبك لن يخيف السلاطين العثمانيّين، لأننا أشجع مما تتصور، أو إرسال مجاميع من الجهلة لحث الناس على مغادرة ديارها إلى إيران، وقيام مجاميع من هؤلاء بالإغارة على أموال الناس وقتل الأبرياء دون ذنب".**

ووصف بايزيد إيران بأنها جسر يربط العالم الإسلامي ببعضه، وهو بحاجة إلى محافظ حكيم، فدعاه لأن يكون هذا المحافظ، ودعاه إلى عدم قطعه سبل التواصل مع المسلمين بسياسته المذهبيّة، كما دعاه إلى عدم التفكير في ممالك الروم، والانشغال بالقضاء على ملوك الطوائف وتوحيد إيران وبلاد طوران والهند، وعدم إشغال سلاطين العثمانيّين في جهادهم ضد أوربا، كي لا ينشغلوا بالالتفات إلى إيران وتدميرها[3].

لقد أدت قلة خبرة الشاه إسماعيل بشؤون الحكم واللياقة الدبلوماسيّة، وتأثير قادة القزلباش الذين يكنون الكره الشديد للعثمانيين، إلى ارتكابه أخطاء فظيعة في

---

**(١) أوزتونا، المصدر السابق، م١، ص٢٠٦؛ نيقولا فاتان، المصدر السابق، ج١، ص١٦٤.**

**(٢) يراجع للإطلاع على نماذج من هذه الرسائل: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٤٥-٣٤٧؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص٥٥-٦٤.**

**(٣) فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٤٧؛ اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٦٧-٦٩.**

علاقته ببايزيد، كان لها أثر كبير على الطرفين، فبعد عودته إلى قم من معركته الناجحة ضد شيبك خان، التقى الشاه عام٩١٧هـ/ ١٥١١م بوفدين من بايزيد وقانصوة الغوري يحملان رسائل وهدايا التهنئة بإحتلال خراسان، وبدلا من تقديم الشكر لبايزيد، بادر اسماعيل إلى إرسال خليل آقا صوفي روملو مبعوثا عنه يحمل جلد رأس شيبك خان مليئا بالتبن إلى بايزيد، ومعه رسالة تقول:

"**إن هذا الرأس كان مليئا بالحيوية والآن يمتلئ بالتبن**"[١].

كما لم يرسل لبايزيد ليعلن براءته من تصرفات شاه قلي وأتباعه، تهدئة لخاطره ودعما لاتجاهاته السلمية، في وقت كان بايزيد يمر بأسوأ الأوضاع في الداخل، فشكّل هذا إحراجا له أمام ابنه سليم وبعض العلماء ورجال الدولة الذين كانوا يلحّون على السلطان بأن القوة المسلحة هي الطريق الأنجع للتصدي للصفويين، فيما هو يرفض ذلك[٢]. وكان من النتائج الآنية لذلك، قيام سليم بقتل خليل آقا صوفي روملو رسول اسماعيل، بسبب حماسته وتحريض بعض أصحابه[٣]، فضلا عما أورده أحد المؤرخين، أن بايزيد نزل عند رغبة ابنه بإرسال سليم على راس جيش لمحاربة اسماعيل، مقابل تراجعه عن مطالبته بالعرش، لكن سليم وافق بشرط أن يتولى السلطان بنفسه قيادة هذا الجيش[٤].

وبسبب تداعيات ثورة شاه قولي والصراع بين أبنائه ودعم الانكشاريّة لسليم ودخولهم العاصمة، وافق على التنحي لصالحه. وعندما تسلم سليم الحكم جاءت الوفود لتهنئته، باستثناء اسماعيل الذي ظل يتصور أنه مغتصب للسلطة، وأنها من حق الأمير أحمد الذي كان يناضل لإعادتها[٥].

وعلى الصعيد الفكري كان على بايزيد أن يتبنى عقيدة تمثل ضدا نوعيا، يمكنه بواسطتها سحب البساط من تحت أقدام خلفاء الطريقة الصفويّة في الأناضول ومواجهتهم فكريا، فأعلن رعايته للطريقة البكتاشية محاولا استغلال

---

(١) ناشناس مؤلف، جهانكشاىخاقان، برگ ٣٨٠؛ طاهرى، بيشين، ص١٩٤.
(٢) اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٦٢؛ سومر، بيشين، ص٣٤.
(٣) ناشناس مؤلف، عالم آراى صفوى، ص٣٣٢.
(٤) اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٧٤.
(٥) نوائي وغفارى فرد، بيشين، ص٩١.

الشبه الكبير بين عقائدها والقزلباشية لاجتذاب البسطاء والمتدينين[1]. فأخذ يقدم الدعم للتكايا البكتاشية، بل ادّعى أنه من أتباعها[2]، وبدأت تمارس نشاطها الصوفي ومجالس الذكر على غرار الطريقة الصفويّة[3].

وبدأوا ينظمون قصائد المديح والأغاني للإمام علي، وحلّ (العاشق) محل (الخليفة) في تنظيم الطريقة، وكان يتولى إنشادها باللغة التركيّة التي بدأت السلطات بتشجيعها، وبدأت بمحاربة اللغة الفارسيّة بمختلف الأساليب من بينها أهازيج وأشعار تنتقص منها، فضلا عن تحريم التحدث بها سياسيا ودينيا[4].

لم يتمكن العثمانيّون مع كل هذه الجهود، من إجتثاث ولاء سكان الأناضول للصفويين، بسبب استمرار معاناة الفلاحين والبسطاء من سطوة الظلم الإقطاعي. وظل المشروع السياسي الصفويّ بالنسبة لهم منقذا انتشل آلافا من أبناء جلدتهم من الفقر والحرمان وسيَّدهم على إيران، لذا نشطت في تكه مركز انتاليا دعوة قزلباشية موالية للصفويين بين صفوف قبيلة تكه لو التركمانية، بزعامة رئيسها شاه قولي بابا[5] بن حسن خليفة. ووالده هذا يعد أحد أقدم دعاة القزلباشية في المنطقة منذ أيام الشيخ حيدر الصفويّ، أكمل مراحل التصوف في أردبيل، وعاد بأمر من شيخه إلى موطنه تكه بعد نيله مرتبة خليفة، وسكن بصحبة ابنه قرا بييق أوغلي في غار قريب من قريتهم قزل قيه، وبدأ رحلة الزهد والعبادة، فنال إثر ذلك شهرة عظيمة وصلت إلى مسامع السلطان بايزيد الثاني فأوصله بمرتب

---

**(١) يراجع للإطلاع على عناصر التشابه والاختلاف بينهما: أحمد حامد الصراف، الشبك من فرق الغلاة في العراق، بغداد، ١٩٥٤م، ص٤٥-٤٩.**

**(٢) تؤكد المصادر التركية أن بايزيد كان مولويا. أوزتونا، المصدر السابق، م١، ص١٨٤.**

**(٣) فيروز منصورى، رازهايى در دل تاريخ. شاه اسماعيل شاعر نبوده وديوانى هم نداشته است، تهران، ١٣٣٧ش/ ١٩٥٩م، ص٢٠-٢٣.**

**(٤) لقد شاع بين الترك بيت من الشعر نصه:**

**"هرگيم اوخور فارسي گيدر دينين ياريسى".**

**ومعناه "من تكلم الفارسية وتعلمها، فقد نصف دينه". يراجع لمزيد من التفاصيل: پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٧٣٨.**

**(٥) صباغ، المصدر السابق، ص٤٣. وكلمة "بابا": هي درجة دينية تطلق على الزعامات الصوفية منذ العصر السلجوقي.**

سنوي مقداره ستة آلاف إلى سبعة آلاف أقجة مقابل أن يدعو له بالخير(١).

وحلّ ابنه قرا بييق أوغلي مكانه بعد وفاته، وحصل على لقب خليفة، وأطلق عليه اسم "شاه قولي بابا" أي عبد الشاه(٢)، ولسرعة تحركه ودهائه لقبه العثمانيّون "شيطان قلي" أو عبد الشيطان(٣)، وبدأ يمارس نشاطا دعويا مكثفا لصالح الطريقة الصفويّة، فتجاوز نشاطه الأناضول ليصل دعاته إلى الروملي(٤).

كان شاه قولي شخصا ذا عقل وجسارة، يمتلك قدرات عسكرية كبيرة امتلكها خلال عمله ضابطا سباهيا (خيالا) في الجيش العثمانيّ(٥)، وبدأت طموحاته السياسيّة تكبر وسط انتصارات الشاه إسماعيل وصعوده المتنامي، ووسط عجز الدولة العثمانيّة وسلطانها عن التصدي لموجات الولاء وتيارات التأييد للانتصارات الصفويّة بين صفوف رعاياها في الأناضول، بسبب ظلم الحكام المحليين وجورهم، وطبيعة الأناضول الجغرافية المعقدة(٦)، فحاول الإفادة من هذه الظروف لصالحه، ونهض مستعينا بجموع الفلاحين الفقراء والمحرومين للثورة ضد بايزيد الثاني. وبعد أن تمكن من إلحاق هزيمة بالجيش العثمانيّ بقيادة قره گز باشا أمير أمراء الأناضول، ازدادت سمعته بين أتباعه، فانضم إليه الآلاف، إلا أنه اضطر للانسحاب إلى تكه بسبب قدوم جيش عثماني بقيادة الصدر الأعظم خادم علي باشا لمساندة قره گز باشا، وبعد أن أدرك شاه قلي أن

---

**(١) اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٤٦.**

**(٢) صباغ، المصدر السابق، ص٤٣. يحمل عدد من رجال الدولة الصفويّة هذا الاسم، منهم الأمير شاه قلي سلطان يكان أوغلى حاكم خراسان، ومهتر شاه قلى، كبير حراس الشاه إسماعيل الذي قتل ميرزا شاه حسين الأصفهاني، وشاه قلى سلطان بن حمزة سلطان أستاجلو ، من أكابر أمراء عصر السلطان الشاه طهماسب، ومؤلف كتاب "خواص الأشياء ومنافعها" في الطب. آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٧، ص٢٧١، ج٩، ص٤٩٧؛ علي النمازي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق: علي بن حسن النمازي، الجزء الاول، قم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٥٣٥.**

**(٣) قطب الدين النهروالي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٦٠.**

**(٤) ظاهرى، بيشين، ص١٩٢.**

**(٥) أوزتونا، المصدر السابق، م١، ص٢٠٩.**

**(٦) يراجع للإطلاع على جغرافية الأناضول: تيشنر، "الأناضول- أناطولى – آسية الصغرى"، دائرة المعارف الإسلامية، م٤، ص٥٠٢-٥١٢.**

لا قبل لقواته بمواجهة هذا الجيش، حاول الفرار مع عشرين ألف من أتباعه إلى إيران(١).

لكن خادم علي باشا أغلق الطريق عليه واضطر للاصطدام بالجيش العثمانيّ في المنطقة المحصورة بين سيواس وقيصرية في ٥ ربيع الأول٩١٧هـ/ ٢ تموز ١٥١١م، فدارت معركة رهيبة بين الطرفين كانت نتيجتها هزيمة هذا الجيش ومقتل قائده علي باشا(٢)، في وقت أصيب شاه قولي هو الآخر بإصابات بليغة أودت بحياته(٣)، فأوصى أحد مساعديه ليحل محله وينتقل بأعوانه إلى إيران للانضمام إلى إسماعيل(٤).

ويقول أحد المؤرخين العثمانيّين أنه خلال مسير بقية عناصره إلى أذربيجان أحدثوا خرابا ودمارا في المناطق التي مرّوا بها، حتى إذا ما وصلوا إلى أرزنجان صادفوا قافلة خارجة من تبريز فأغاروا عليها وقتلوا من فيها وسلبوا كل ما فيها، وكان الشيخ إبراهيم التستري رئيس العلماء والمحققين وابنه من بين ضحاياهم(٥).

كان لإعلان شاه قولي الثورة أصداء واسعة في الأناضول، بعد أن حققت نتائج عسكرية مهمة فغدت تمثل خطراً شديداً على العثمانيّين وسببت حرجا كبيرا

---

(١) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٩١-٩٢.

(٢) أوزتونا، المصدر السابق، م١، ص٢٠٩. كان مقتل علي باشا الذي قضى في المنصب مدة سبع سنوات، عاملا آخر لصالح سليم، لأنه كان من مؤيدي الأمير أحمد.

(٣) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٩٢؛ فلسفى، زندگانى شاه عبّاس اول...، ج١، ص١٦٤؛ پاري، المصدر السابق، م٦، ص١٧٤.

(٤) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برك٢٤ب، ٢٠٢ب - ٢٠٤أ؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٢٥-١٢٨؛ قزوينى غفارى ، بيشين، ص٢٧٤.

(٥) ادريس بن حسام البدليسي (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)، سليم نامه (مخطوط)، ص٥١ ب. نقل از: محمد جمالى، تشكيل دولت صفوي...، ص٨٣-٨٤. والضحية هو أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن النقشبندي، مؤلف "أنبياء نامه"، كان يعرف بسيبويه الثاني نظرا لقابلياته اللغوية الهائلة. أصله من شبستر في تبريز، وسكن في قرية نبيس في حلب، نظم قصائد كثيرة في مدح الإمام علي له الكثير من المؤلفات. وقد اختلف في السنة التي حدثت فيها هذه الحادثة بين (٩١٠هـ، ٩١٥هـ، ٩٢٠هـ). يراجع لمزيد من التفاصيل: مجمع الفكر الإسلامي، موسوعة مؤلفي الإمامية، الجزء الأول، قم، بلا تاريخ، ص١٨٨.

لهم، لاسيما أنها امتدت إلى طوروس المتنازع عليها بين العثمانيّين والمماليك، مما يعني أن أي تدخل من جانب العثمانيّين سوف يدفع بالمماليك للتحالف مع الصفويّين ضدهم(١)، كما أن شاهنشاه بن بايزيد الثاني (ت٩١٧هـ/ ١٥١١م) انضم إلى الثوار، بعد أن انتشرت الثورات في كل مكان من هذا الإقليم.

وإذ يحمّل معظم المؤرخين اسماعيل والصفويّين المسؤولية عن مجرياتها(٢)، فلا بد من الالتفات، قبل ذلك، إلى أسبابها الاجتماعية والاقتصادية الداخلية، وفي مقدمتها ضغط مركزية الحكم العثمانيّ في الأناضول(٣)، وطموحات شاه قولي الشخصية، لأن الشاه إسماعيل كان يدرك نتائجها الكارثية على الدولة وشيعة الأناضول، وعلى الطريق التجاري الرابط بين دولته والمناطق الشرقية، فكان عدم رضاه واضحا في هذا الصدد وينبغي أن يقبل بلا تردد(٤)، فأمر بقتل رؤوس هذه القبيلة سلقا بقدور الماء المغلي بعد وصولهم إلى إيران(٥)، وأرسل چوهه سلطان تكه لو إلى زعماء القبيلة في الأناضول لمنعهم من تهجير أتباعهم إلى إيران(٦).

ويرى المؤرخ الفرنسي جان أوبن (Jean Aubin) هذا الرأي، مستندا إلى رواية گزارش باشا قاضي انتاليا لدى الأمير قورقود بن بايزيد الذي يقول ان شاه قولي لم يستأذن الشاه إسماعيل ولم يعلمه بنيته(٧). كما يتبنى المؤرخ التركي فاروق سومر(٨)، أيضا هذا الرأي ويقول، أن ثورة شاه قولي لم تكن من أجل

---

(١) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، بيروت، ١٩٨٤م، ص٦٨-٦٩، ١٧٤.

(٢) يراجع على سبيل المثال: احمد راسم، رسملى وخريطلى عثمانلى تاريخى، جزء اول، استانبول، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، ص٤٢١؛ محمد السعيد عبد المؤمن، المصدر السابق، ص٣٠.

(٣) إيفانوف، المصدر السابق، ص٤٩.

(٤) بيگلوسكايا وديكران، بيشين، ص٤٧٤-٤٧٥؛ بتروشفسكى، بيشين، ص٣٩٥.

(5) Jean Aubin, Op. Cit., P. 91.

(6) Ibid., P. 89.

(7) Ibid., P. 90.

(٨) (١٩٢٤-١٩٩٥م) أستاذ التاريخ التركي الوسيط في جامعة استانبول وأنقرة، له أكثر من سبعين كتاب ومقالة تتناول تاريخ القبائل التركية وآدابها، من أبرزها كتاب " أوغوزها- تركمانها"، "نبرد ملازكرد"، وغيرها.=

إسماعيل الصفويّ، كما لم تكن من أجل الذهاب إلى إيران، بل هي ترجمة لطموحات شاه قولي السياسيّة بقصد الاستقلال في الأناضول، ويستدل على ذلك بإجراءاته الإدارية، حينما نصّب نائبا له، وعيّن أميرا للأمراء لقيادة جيوشه وتنظيمها[1]، وهو رأي سديد يؤيده ما ورد في رسالة شاه قولي إلى أحد خلفائه، يحثه فيها على التمرد والعصيان على كل الحكام[2]، بل أن المصادر العثمانيّة نفسها تؤكد أنه ادّعى المهدوية[3]، فضلا عن قوله "أن الدولة من نصيبي قبل موتي"[4].

ويبدو أن السبب في ما تراه الكثير من المصادر التاريخية من أن إسماعيل هو الذي أرسل شاه قولي إلى الأناضول، هو الخلط بين شخصية شاه قولي وشخصية أخرى هي نور علي خليفة روملو الذي تواجد في الأناضول خلال هذه المرحلة، واضطر إلى خوض الحرب ضد قوة عثمانية[5]. فبعد أن سمع الشاه إسماعيل الذي كان موجودا في الشرق، بتداعيات الثورة ووصول سليم الأول إلى السلطة أدرك خطورة موقف أنصاره في الأناضول، فعاد إلى تبريز، وأرسل نور علي خليفة روملو حاكم أرزنجان إلى هناك وأمره بجمع كل مريديه هناك وجلبهم إلى إيران، فانضم إليه ثلاثة إلى أربعة آلاف عائلة من أتراك سيواس وأماسيا وتوقات[6].

لم يكن العثمانيّون بعيدين عن المشهد، فحضرت قوة عثمانية يقودها قسطي

---

=www.turkmenstudents.com/modules/myReviews

(١) سومر، بيشين، ص٤٣.

(٢) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برگ ٢٠٣ب.

(3) Convection for: Shaw, Op. Cit., Vol. I, P. 70.

(٤) نقل از: سومر، بيشين، ص٤٣. كما يؤيد هذا الرأي كل من: بيگلوسكايا وديكران، بيشين، ص٤٧٤-٤٧٥؛ بتروشفسكى، بيشين، ص٣٩٥.

(٥) يعد منشى بوداق القزويني صاحب "جواهر الأخبار"، أول من حاول إشاعة هذا الخلط الذي ربما يكون مقصودا لأنه أهدى كتابه إلى الشاه إسماعيل الثاني (ت٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م)، المعروف بعودته إلى التسنن. آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج٥، ص٢٥٨؛ سيورى، تحقيقاتى...، ص٩٧.

(٦) سيوري، ايران عصر صفوى، ص٣٠؛ فلسفى، زندگانى شاه عبّاس اول...، ج١، ص١٦٦؛ نوائي وغفارى فرد، بيشين، ص٩٢.

سنان بيك من قره مان لمنع نور علي خليفة من المغـــادرة فاصـــطدم بـــالجيش العثمانيّ وتمكن من إلحاق هزيمة منكرة به وقتل قسطي باشا، وعاد بمن معه إلى إيران[1]. والدليل الآخر على حرص اسماعيل على السلام مع العثمانيّين، حرصه على إبعاد الأمير مراد بن أحمد بن بايزيد برفقة عشرة آلاف من أنصاره، عـــن ولاية أرزنجان المحاذية لهم، وتخصيص مقاطعة له في ولاية فارس بين كاشان وأصفهان، لكنه مرض في الطريق إلى هناك ومات[2].

وهكذا لم يثبت أن الأقاليم العثمانيّة كانت هدف اسماعيل في أي وقت مـــن الأوقات، بل أن ما شهدته الأناضول من نشاط سياسي هـــو طموحـــات محليـــة لزعماء أناضوليين محسوبين على إسماعيل[3]، اتخذت صفة الحراك المـــذهبي، وإن اللجوء إلى إطار تنظيم الخلفاء الموروث من سنوات الطريقة الأولى، لم يكن سوى استغلال من شاه قولي وسواه للظروف السياسيّة لتنفيذ طموحات سياســـيّة محلية. على أن الأناضول كانت معقلا لصراع آخر بين أقطاب البيت المالك في استانبول، فعندما وصل سليم إلى الحكم كان أخوه الأمير أحمد بن بايزيد يحكـــم قونية، فلم يقبل بحكمه وهيأ نفسه لمواجهته، كما حاول ابنه الأمير مراد الموجود في أماسيا استغلال كل شيء للوقوف ضد عمه سليم، ومساندة والـــده المطالـــب بحقه في العرش العثمانيّ، بما في ذلك الاتجاهات الشيعية الأناضولية الموالـيـــة للصفويين[4]، فلم يتردد في ارتداء عمامة القزلباش في احتفال رسمي. ولما رأى فائق بيك قائد منطقة توقات المحلي العثمانيّ انهيار الحكم العثمانيّ في المنطقـــة ووصول نور علي خليفة إليها، وموقف أهلها المرحب به وإقامة الخطبة باســـم

---

(١) حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٧٥؛ هوشنگ مهدوى، بيشين، ص١٩.

(٢) اسماعيل حقى، بيشين، ص ٢٦٨؛ غلام سرور، بيشين، ص٧٣.

(٣) يرفض أحد المؤرخين هذا الرأي، ويقول أنها تمت بعلم الشاه. طاهرى، بيشين، ص١٩٣.

(٤) حينما سمع الأمير أحمد الذي كان على خلاف مع أخويه قرقود وسليم، بتوجه جيش سليم نحوه، انسحب نحو الشرق، وبقي في مدينة ديوريكي، فأرسل إليه ابنه مراد يعرض عليـــه مـــساعدة الصفويين، واستعداد الشاه لإرسال عشرين ألف مقاتل يقودهم ديو ســـلطان روملـــو، ويـــدعوه للحضور إلى أرزنجان، لكنه رفض ذلك ولشدة تأثره مزق الرسالة، ليقع أسيرا بيد سليم ويقتـــل خنقا بعد ذلك. لذا فإن أحمد لم يذهب إلى إيران، كما يشتبه البعض. يقارن: پارسادوست، شـــاه اسماعيل...، ص٦٣٩؛ سومر، بيشين، ص٤٥؛ احمد حقى، بيشين، ج٢، ص٢٧٠.

الشاه إسماعيل؛ فضّل ترك المدينة، لكن مراد أجبره على البقاء برفقة قواته البالغة عشرة آلاف مقاتل، ولما بدأ أهالي توقات يخالفون مراد بعد مغادرة نور علي خليفة إلى أرزنجان أمر بإحراق المدينة[1]، وأدت هذه الأحداث بالنهاية إلى إزهاق الكثير من الأرواح، وتدمير عدد كبير من القرى والمدن نتيجة الحملات العسكريّة، وحملات السلب والنهب.

وبعدما استولى سليم الأول على السلطة سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، دخلت العلاقات مع الصفويّين منعطفاً خطيراً، فكان على قناعة تامة أن حل مشكلة أقاليم الأناضول الثائرة يمر عبر القضاء على الشاه الذي بمجرد اختفائه سوف ينهار المذهب المؤسس على صورته من تلقاء نفسه[2]. لكن هذه الخطوة كانت تتطلب مجموعة من الإجراءات التحضيرية لأنه يتعامل مع دولة يدّعي شاهها النسب العلوي، وما يعنيه من مشروعية في نظر الكثير من المسلمين[3]، فعمل السلطان سليم على نشر الدعاية المعادية لإسماعيل الذي اتهم بأنه:

**"رجل جاف أجتمع على الملاحدة وأحزاب الشيطان، ادّعى الربوبية، وأن عسكره يسجدون له ويأتمرون بأمره، وأنه قتل العلماء وأحرق كتبهم ومصاحفهم ونبش قبور المشايخ من أهل السنّة"[4].**

لقد كانت هذه الدعاية ناجحة إلى حد كبير في المناطق الواقعة تحت سيطرة العثمانيّين وعملت على تنفير الناس منهم، لاسيما بعد أن أعلن أن سليم جمع مشايخ الفقهاء فأصدروا مجموعة فتاوى، تقول إحداها:

---

**(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٢٣؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاي خاقان، ص٨٤ب؛ حسن روملو، بيشين، ج١١، ص١٣٥؛ احمد قمى، بيشين، ص١٢٤.**

**(٢) جان – لوى باركى-جرامون، أوج الإمبراطورية العثمانية. الأحداث ١٥١٢-١٦٠٦، "تاريخ الدولة العثمانية"، ج١، ص٢١١.**

**(٣) سبق للعثمانيين أن حاولوا ادعاء النسب العربي أيام السلطان محمد الفاتح، وأنهم من قبيلة حجازية كانت تقطن وادي الصفرا، ولما شاع الأمر أدى إلى تدهور العلاقات بينهم وبين المماليك. إيفانوف، المصدر السابق، ص٥٤.**

**(٤) الحلبي، المصدر السابق، ص١٤٤. ويدخل في هذا الباب ما كان يشاع بين الحين والآخر داخل أقاليم الدولة المملوكية، من وصول جيش "اسماعيل الصوفي" إلى حلب أو غيرها بداعي الغزو. ابن إياس، المصدر السابق، ج٤، ص٢٥٧-٢٥٨، ٢٧١.**

**"أن كل ما يقوله علماء المذهب الشيعي هو كفر محض، وأن الجهاد ضد الكفر واجب، وأن ثواب قتل شيعي واحد أكثر من ثواب قتل سبعين كافرا عيسويا"[١].**

كما حصل السلطان من المفتي عبيد الله محمد بن يعقوب الفناري (صاري جوريز) (ت٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م)، على فتوى تخرج الشاه إسماعيل وأتباعه من الجماعة الإسلاميّة[٢]، كما أشاع أن الشاه إسماعيل يتطلع للسيطرة على الحجاز وأماكنه المقدسة[٣].

وبغية انتزاع السلطة الدينية من الطرق الصوفية، أبدى العثمانيّون اهتماما مضطردا بالمذهب الحنفي ورجاله، بغية الإفادة من فتاوى هؤلاء في تبرير سياسة السلاطين وتأكيد الصفة الشرعية للدولة من خلال عدم اشتراطهم القرشية في الخليفة، فلجأ سليم والسلاطين الذين تلوه إلى تطوير مؤسسة "مفتي العاصمة"، بتعيين بعض العلماء بهذا المنصب، بعد أن كان حرا وغير مرتبط بالدولة[٤]، كما أقدم سليم على تعيين أبي السعود أفندي مفتي استانبول، بمنصب "شيخ الإسلام"، فبدأت مرحلة اتسمت بالانتقال بالإفتاء من طابعه الإسلامي الاجتهادي إلى طابع إداري مؤسسي انبث داخل الأقاليم العثمانيّة والقصبات، ونال مكانته القانونية في

---

**(١) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص ٧٥. يقول ابن طولون أنه: "جمع العلماء فأفتوا "بكفره وإلحاده وارتداده". ابن طولون، مفاكهة الخلان...، ص٤٨. والمعروف شرعاً أن كل تهمة تختلف عن الأخرى من حيث البعد الديني لها، فالكافر غير الملحد أو المرتد، كما أن الملحد غير المرتد وهكذا.**

**(٢) جان – لوى باركى–جرامون، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٩. تقول بعض المصادر أن سليما استند في عمله إلى فتوى الشيخ نوح الحنفي (ت١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م) مفتي قونية في العهد العثماني، بتكفير الشيعة، والواردة في الفتاوى الحامدية، مع أنه لم يكن معاصرا له. يقارن: الزركلي، المصدر السابق، ج٨، ص٥١؛ عبد الله نعمة، روح التشيّع، الجزء الأول، قم، ١٩٨٧م، ص٦١؛ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، النجف، ١٩٥٥م، ص٦٥. وسبب الالتباس على ما يبدو، أن هذه الفتوى كانت مبررا لمذبحة أخرى نفذها العثمانيون في بلاد الشام فيما بعد. محمد حسين المظفر، تاريخ الشيعة، النجف، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، ص ١٤٧ .**

**(٣) إيفانوف، المصدر السابق، ص٣٥.**

**(٤) من هنا نفهم الانتقادات اللاذعة التي كان هؤلاء يوجهونها للسلطانين بايزيد وسليم التي يرويها صاحب "الشقائق النعمانية"، فيتقبلها هؤلاء. طاشكبري زادة، المصدر السابق،ص١٩، ٥٠، ٩٠.**

عهد السلطان سليمان القانوني[١].

كما بدأ سليم حملة واسعة لكسب الطوائف المسيحية في الشرق إلى جانبه، حتى غدت الروسيّة والبلغارية والصربية وغيرها من اللغات السلافية لغات الجزء الأكبر من الجيش العثمانيّ، وكثيرا ما كان الخيالة العثمانيّون يحتفظون بعقيدتهم الأرثوذوكسيّة[٢]، كما استعان بخبراء عسكريين أوربيين من البندقيّة والنمسا لإدارة مدفعيته وتنظيم جيشه وتوفير الاستشارات له ولقادته[٣]. ويذكر أحد الباحثين أن سليما استعان بقوات من مرتزقة صربيا ومقدونيا وأبيروتي وتساليا[٤]، إلى جانب الخيالة الأتراك[٥]. وأوعز سليم بتنظيم شبكة جاسوسيّة في أنحاء الدولة، لاسيما ثغورها، لمتابعة الموقف وإيصال الأخبار إلى العاصمة بسرعة وفاعلية، ونشر الدعايات المضادة، مستفيدا من شبكة سابقة كان اسماعيل قد أنشأها، فاشترى ذممهم ليكونوا عملاء مزدوجين ويوصلوا أخبارا مزيفة إلى الصفويّين عن تحركات العثمانيّين، كما ضمت هذه الشبكة عناصر من سنّة إيران الذين كانوا يستمعون يوميا إلى شتائم القزلباش لمقدساتهم وأئمتهم[٦]، وقد طغت جهوده الإستخبارية، على أعماله، فوصفه أحد المؤرخين أنه:

**"كان كثير التفحص عن أخبار الناس، وكان في التجسيس [التجسس] له الغاية، فكان عظيم التجسس عن أخبار الممالك، ومهما نقلوه عمل بمقتضاه"[٧].**

---

**(١) يورد الدكتور عبد العزيز الشناوي عددا من الآراء حول تاريخ دخول مؤسسة "شيخ الإسلام" للدولة، لكن الدكتور وجيه كوثراني الذي ناقش هذا الموضوع بإسهاب يثبت ما ذكر أعلاه: يقارن: الشناوي، الدولة العثمانية...، ج١، ص٣٣٩-٤٠٧؛ كوثراني، المصدر السابق، ص٧٧-٨٨. يراجع كذلك: صالح الورداني، مدافع الفقهاء، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٤٠.**

**(٢) لذا أتهمه المماليك أنه يحمل راية الإسلام المزيف، حينما أدخل إلى ديار الإسلام جحافل جيوشه التي تضم أعدادا كبيرة من المسيحيين الأرمن وغيرهم. إيفانوف، المصدر السابق، ص٤٩.**

**(٣) ومن بينهم ماريا انجوللو الذي رافق الجيش العثماني إلى إيران، ثم زار إيران عدة مرات بصفة تاجر. طاهرى، بيشين، ص١٧٤؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص٨٤.**

**(٤) تقع أبيروتي شمال غرب اليونان، أما تساليا فتقع في شرقيها بين جبال ابيندوس وبحر ايجة.**

**(5) Knolls, History of the Turk.**

**نقل از: سيورى، تحقيقاتى...، ص١٠٢.**

**(٦) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٣٢٢-٣٢٣.**

**(٧) البكري الصديقي، المصدر السابق، ص٧١.**

كما أمر سليم ولاة الأقاليم الشرقية بجرد ومتابعة كل شيعي بين السابعة من العمر والسبعين، وإرسال تقارير دورية عنهم، وتنظيم سجلات خاصة بذلك[1]، ففي أحد أوامره، يقول:

**"أجر تحقيقا فوريا عاما وشاملا، بواسطة القضاة ومأموري الولايات، حول أمور المفسدين والملحدين وأحوالهم، وأرسل لنا تقارير سريعة"[2].**

كما أمر بقتل مولانا الشيخ عيسى قاضي شهر پولى، لاتهامه بعلاقته مع الصفويّين[3]. على أن استئصال التجربة الشيعية الصفويّة كان مطلبا خالصا لدى بعض الأرستقراطيين وعدد من مثقفي الدولة العثمانيّة[4]، وبعض زعماء الكرد وعلماء الدين ممن تضرروا نتيجة هذه التجربة[5] على غرار ما فعله صلاح الدين الأيوبي حينما تمكن من القضاء على الفاطميين في مصر والمغرب بضربة واحدة[6]، وقد أبلغ بعضهم سليما بذلك.

---

(1) Browne, Op. Cit., Vol. IV, P. 73.

(٢) نقل از: پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٧٣٤.

(٣) استمرت هذه السياسة بعد جالديران، ففي سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، أمر بترحيل شيعة حلب إلى الأناضول. همان منبع، ص٧٣٤.

(٤) منهم المؤرخ التركي علي بن عبد الإله الذي جاء في رسالته إلى السلطان: "سيأتي يوم على دولة الروم [العثمانية] تتحول كلها إلى أردبيليين وكفرة"، والمؤرخ لطفي باشا، وأديب اسمه سعد الدين الذي دعا إلى القضاء على: "الأتراك الملحدي المشرب والرافضي المذهب، ممن جعلوا من اسماعيل قبلة الحاجات وكعبة المناجاة، وقدموا أخواتهم وبناتهم خادمات له، وإذا ما سمعوا نداءه يخرّون إلى الأرض ساجدين"، وكمال باشا زادة المعروف بابن الكمال، وغير ذلك من المواقف التي ذكرها فاروق سومر بالتفصيل: يراجع: سومر، بيشين، ص٣٤-٣٨.

(٥) منهم فضل الله بن روزبهان الذي وصلتنا منه قصيدتان فارسية وتركية أرسلهما إلى السلطان سليم يهنئه على نصره في جالديران ويحثه في إحداها على مقاتلة اسماعيل، فيجعل من سليم مهدي آخر الزمان، فيما يطلب في الأخرى منه مبلغ مئة تومان. يراجع للإطلاع على القصيدتين: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص ٣٦٧؛ المرعشي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٨. وإدريس البدليسي، وغيرهما ممن أفتى بتكفير الشيعة، وهدر دمائهم. اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٩١-٩٢.

(٦) يشعر بعض المؤرخين بالأسف لعدم تمكن سليم من استئصال التشيّع الإيراني، كما استؤصل الفاطميون من قبل. علي بن محمد اللخمي (ت بعد ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان (مخطوط)، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ص١١؛ أوزتونا، المصدر السابق، م١، ص ٢٠٣؛ الصلابي، المصدر السابق، ص٢٢٣.

وبالمقابل كانت الحرب مع العثمانيّين مطلبا ملحا لزعماء القزلباش الذين كانوا يكنّون الحقد والبغضاء للدولة العثمانيّة التي هربوا من سياساتها[١]، من هنا تفهم أسباب الرسائل المهينة التي كان يرسلها محمد خان استاجلو والي ديار بكر إلى السلطان سليم يدعوه فيها إلى الحرب والنزال، وأرسل له برفقة إحداها ملابس نسائية، استفزازا له وتحقيرا[٢].

بعد ذلك أصدر سليم الأول أوامر سرية إلى وزيره يونس باشا[٣] بـ"قطع جذور الفساد وقمعها في آسيا الصغرى"، وقتل كل من تثبت إدانته بالعلاقة بثورة شاه قولي والصفويّين، وكي جباه المشبوهين الذين لا يثبت تورطهم ليكونوا معروفين بين الناس[٤]، فنفذ يونس ياشا حملة قتل فيها أربعين ألف شيعي بوحشية عارمة، لم يستثن منهم الأطفال أو النساء أو الشيوخ[٥]، ويتفق البدليسي مع عدد ضحايا هذه المجزرة ويؤرخها في سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م، ويقول أنهم من "الشيعة الملعونة المهدورة دماؤهم"[٦]، أي أنه ممن أفتى بقتلهم، بل أن سليما أمر بتسجيل أسماء كل من لآبائه علاقة بالصفويّين حتى الجد الثالث وشملهم بالقتل[٧].

وقد شاهد نيقولا جستينياني (Nicolo Guustiniani) سفير البندقيّة جزءا من المجزرة في ساحات الإعدام، وذكرها في أقدم وثيقة تصل إلينا، وأيد المؤرخ

---

**(١) زرين كوب، بيشين، ص٦٦٩؛ تاج بخش، بيشين، ص٨٧.**

**(٢) ناشناس مؤلف، عالم آراى شاه اسماعيل، ص٤٤٢؛ ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، برك ٢٤٤ب؛ غلام سرور، بيشين، ص٩٢؛ سومر، بيشين، ص٥٠.**

**(٣) أصبح الصدر الأعظم، بعد عزل سلفه هرسك باشا، لكن سليم قتله أيضا بعد عودتهم من مصر، لانتقاده سياسة السلطان حينما قال له: إن الحملة على مصر كلفت العثمانيين نصف جيشهم، ثم سلموها إلى ضابط خائن كان يطمع بالسلطة، وهي إشارة إلى غزالي بردلي والي حلب المملوكي الذي خان سيده الغوري. عبد الأمير الرفيعي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٦.**

**(٤) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٧٥، ١١٧، ٢١٦-٢١٧.**

**(٥) لاكهارت، انقراض سلسلهء صفويه، ص١٦؛ جواد بولس، التحولات الكبيرة في تاريخ الشرق الأدنى منذ الإسلام، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٢٠.**

**(٦) إدريس البدليسي، بيشين، برك ٥٢ أ- ب.**

**(٧) همان منبع، برك٦٨ب؛ طاهرى، بيشين، ص١٩٣؛ ميخائيل مسعود، مسافات حضارية. بحث في البعد العربي عن حضارة العصر الحديث، بيروت، ١٩٩٧م، ص١٢٣؛**

**Lane Poole, Op. Cit., P. 155.**

فان هامر ما جاء فيها[١]، كما أمر بإلقاء أعداد منهم بالسجن مدى الحياة[٢]، وهكذا يؤيد البدليسي وجستنياني المعاصران حصول المذبحة، فضلا عن أن بعض الشعراء خلّدوها بقصائد فارسيّة نقلها براون[٣]، بصورة لا تبقي مجالا لمن يحاول التشكيك بحصولها، وكما سبق لإسماعيل أن اتخذ من التعصب المذهبي سلما للصعود قي دنيا السياسة، فان سليم اتخذه أيضا، وبالنظر لهذه الدموية لقب "ياوز" The Grim أو السفاح[٤]، وربما من المفيد أن نذكر هنا، أن سليما لم يقصد من خطواته الدموية هذه إصلاح عقائد هؤلاء البؤساء، لأنه يعلم أن من يريد إصلاح عقائد الناس ينبغي أن ينصفهم اجتماعيا واقتصاديا أولا، لأن العقائد تنشأ نتيجة هذه الظروف وليس نتيجة التفكير المنطقي المحض.

وفي المجال الاقتصادي ترافق التوجه العثمانيّ نحو الشرق، مع مشاكل تجارية عميقة كانت الدولة تتعرض لها، نتيجة اكتشاف رأس الرجاء الصالح، وتحول التجارة من البحر المتوسط إلى المحيطين الهندي والأطلسي[٥]. وبدلا من استغلال التجارة وتنشيطها مع إيران، لجأ سليم إلى فرض حصار اقتصادي على الصفويّين، ومصادرة البضائع الفارسيّة من أيدي التجار العرب والفرس والترك، كما أنه منع استيراد الحرير الفارسي وبيعه، وفرض الغرامات على من يقبض عليهم وهم يبيعونه[٦].

كانت لهذه الإجراءات نتائج مهمة على إيران ظهرت خلال الحرب وبعدها[٧]، بل أصبح للحرير والمتاجرة به شأن في الصراع العثمانيّ التالي في

---

(1) Josef Von Hammer, Des Osmanischen Reichs, Vol. II, Wien, 1815, P. 403.
نقل از: طاهرى، بيشين، ص١٩٤.

(2) Creasy, Op. Cit., P. 131-132.

(3) Browne, Op. Cit., Vol. IV, P. 52.

(٤) هوشنگ مهدوى، بيشين، ص٢٢؛ سيار الجميل، بقايا وجذور...، ص١٠٥.

(٥) كوثراني، المصدر السابق، ص٦٦.

(٦) أولسن، المصدر السابق، ص٦٠.

(٧) كوثراني، المصدر السابق، ص٦٥. يرى الباحث البريطاني لايبر Lybyer أن الهدف من الحرب العثمانية على الصفويين السيطرة على الطرق التجارية ومنها طريق الحرير وطريق التوابل الذي يمتد من البصرة إلى بغداد وحلب. مقتبس في: صالح أوزبران، المصدر السابق، ص٢٧.

عهد ابنه سليمان[1]، فسمح بإستئنافها، لكن بعد أن فرض عليها ضرائب عالية، وربما يشكل حرصه على احتلال تبريز نفسها أنها منطقة إنتاج حرير[2].

وعلى الصعيد الاستراتيجي أمّن سليم اتصالا بالأوزبك يحرضهم على تحريك الجبهة الشرقية لإشغال جزء من الجيش الصفويّ، فقد طلب من عبيد خان الأوزبك في رسالة، القيام بهجمات خاطفة ضد إيران لإقلاق اسماعيل. وكان جواب عبيد خان إيجابيا[3]، كما انطلق ينسق مع الزعماء الكرد الذين يصفهم تاجر فينيسي زار بدليس في ذلك الوقت، أنهم أشد الناس رفضا للتعاليم القزلباشية على الرغم من أنهم ارتدوا طاقياتها[4]، ومنهم حكام الجزيرة الذين فشل الصفويّون في الاحتفاظ بمناطقهم على الرغم من المذابح التي جرت ضد السكان، وانتهى الأمر بإعلانهم الخضوع للعثمانيين[5]. وكان ثمن هذه التحركات آلاف الأنفس الكردية، فولّد كل ذلك حقدا في نفوسهم، أدى إلى رفض الخضوع للصفويين والاتفاق مع العثمانيّين[6]، فضلا عن التنسيق مع الأمير حكيم الدين إدريس البدليسي حاكم بدليس الذي سبق للشاه أن أمر بإلقائه في السجن مع عشرة من أنداده الكرد بتحريض من محمد بيك استاجلو، لكنه تمكن من الهروب من السجن، ولجأ في النهاية إلى العثمانيّين، إذ حضر البدليسي لدى سليم برفقة عشرين زعيما كرديا للاتفاق معه[7]، فصبّ ذلك كله في خدمة مخططاته.

---

(١) يراجع للإطلاع على تفاصيل الجوانب الاقتصادي من الصراع: أولسن، المصدر السابق، ص٤٨-١٨٤؛ كوثراني، المصدر السابق، ص٦٢-٧٩. لم يتمكن الصفويون من تعويض هذا المصدر إلا في عهد السلطان سليمان القانوني.

(٢) كان الحرير من الأهمية إلى حد، أن الصفويين احتفظوا بتبريز على وفق معاهدة ١٦١٢م، مقابل مئتي حمل من الحرير، ومئة حمل من البضائع الأخرى. أولسن، المصدر السابق، ص٦٧.

(٣) يراجع للإطلاع على نص الرسالة وجوابها: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٧٤- ٤٧٧، ٣٧٧-٤٧٩؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص١١٢- ١١٤، ١٢٤-١٢٦.

(٤) نقل از: پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٣٩٨-٣٩٩.

(٥) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص١٠٤؛ شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٧٤.

(٦) يراجع لمزيد من التفاصيل: شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٦٧؛ كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص٢٢٩-٢٣٠؛ ديفيد مكدول، تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج آل محمد، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٦٤-٦٨.

(٧) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٥؛ حسين ناظم بيك، المصدر السابق،=

كما أرسل سليم إلى محمد بيك بن فرحشاد بيك آق قوينلو الموجود في إيران، يذكره بأصله السني وضرورة العودة إليه، وترك عقيدته القزلباشية الجديدة، فكانت إجابته مدهشة، إذ كتبها بماء البصل (الحبر السري)، قال فيها: أنه قرأ رسالته عدة مرات، وقال في نفسه "أخاف أن أفقد رأسي إذا ما وقعت هذه الرسالة بيد القزلباش، لذا كتبتها بماء البصل"، دون أن يوعد السلطان بشيء[1]. كما أرسل إلى قانصوة الغوري سلطان المماليك يدعوه للتحالف ضد الصفويّين، لكن هذا فضّل البقاء على الحياد[2]، ويبدو أن الهدف من هذه الخطوة تحييد المماليك أكثر من أي شيء آخر، إذ وصله وفد منهم كما هو الحال مع القوى الأوربيّة التي بادر إلى عقد معاهدات سلم معها، إذ وصلته وفود من رومانيا ومولدافيا وموسكو والمجر والبندقيّة لهذا الغرض[3]، فأمّن بذلك جبهته الغربية.

**خامسا. مجريات معركة جالديران ونتائجها:**

عجل اعتلاء السلطان سليم الأول العرش بحدوث أزمة في العلاقات العثمانيّة الصفويّة بعد أن مرت هذه العلاقات بمرحلة من الهدوء المشوب بالحذر أيام بايزيد الثاني، على الرغم من سعي سليم الأول إلى زعزعتها، والدفع بها إلى الحرب قبل تسلمه السلطة، وهكذا بدأت الاستعدادات للصدام على قدم وساق، بغية تحجيم الخصم الصفويّ، ومن ثمّ فتح باب جديد للتوسع والحصول على الغنائم.

---

=ص٢٢-٢٣؛ طاهرى، بيشين، ص١٨٤.

(١) يراجع للاطلاع على نص الرسالة وجوابها: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٧٧-٣٧٩، ٣٨١-٣٨٢؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص١٥١-١٥٢، ١٥٣-١٥٤.

(٢) ابن اياس، المصدر السابق، ج٤، ص٣٨٣؛ منى عبد الرحمن، المصدر السابق، ص١٨٧؛ رسول جعفريان، مناسبات سياسى...، ص٤٣.

(٣) فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص١٨٨.

### ١. التحرك إلى جالديران واختيار ساحة المعركة:

حشد سليم جيشا ضخما وصفه البعض بأنه أقوى جيوش عصره(١)، يتكون من أكثر من مئة وأربعين ألف مقاتل(٢) مزودين بمئتي مدفع كبير ومئة مدفع صغير من نوع الزنبورك(٣)، واثني عشر ألف بندقية(٤). وخلال رحلة القدوم إلى جالديران التي انطلقت من مدينة أدرنة في ٢٢محرم٩٢٠هـ/ ٢٠آذار١٥١٤، بادر سليم إلى استفزاز غريمه اسماعيل عن طريق الرسائل، فبعث له أربع رسائل، يبين في الرسالة الأولى الأسباب الدينية والسياسيّة التي دفعته إلى التوجه للقضاء على دولته، ثم يصف نفسه بألقاب ملوك فارس العادلين مثل فريدون، وكيخسرو، فيما يطلق على اسماعيل ألقاب الملوك الظلمة في التاريخ الإيراني مثل الضحاك وأفراسياب وداراب المجنون، ويسميه "أمير العجم"، والأهم في هذه الرسالة ما ورد فيها من عرض للسلام إذا ما اعترف اسماعيل بالسيادة العثمانيّة على الأراضي التي ستطأها خيوله، وتنازل عنها، فإنه سيرى من سليم ما يسره(٥). وربما كان سليم يقصد من إرسال هذه الرسالة بوقت مبكر، (صفر/ آذار- نيسان)، إفساح المجال لإسماعيل لجمع اكبر عدد ممكن من الرجال لإبادتهم في ضربة واحدة بالمدفعية والبنادق، لعلمه بعدم امتلاكه السلاح الناري.

وصل السلطان وجيشه إلى سيواس في ٨ جمادى الأولى/ ٥ أيار، وهناك واجهته مشكلتان: الأولى امتناع جده علاء الدولة ذي القدر عن تقديم المؤن

---

(١) جان – لوى باركى-جرامون، المصدر السابق، ج١، ص٢١١.

(٢) يختلف المؤرخون في أعداد القوات العثمانية، لكن عددا من المؤرخين يتفقون مع الرقم أعلاه وهو الذي ذكره صاحب "سليم نامه". يقارن: ادريس البدليسي، بيشين، برک ٧٢ أ، ٨٤ أ؛ غلام سرور، بيشين، ص٩٥؛ نوائي وغفارى فرد، بيشين، ص٩٥.

(3) Eversley, Op. Cit., P. 105.

والزنبورك: مدفع صغير يحمل على الجمال أو العربات الصغيرة، وتزن قذيفته من رطل إلى رطلين. سمير الخادم، المصدر السابق، ص١٥٢.

(٤) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٤٦؛ أمير خواندمير، بيشين، ص٨٧.

(٥) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٧٩-٣٨١؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص١٤٣-١٤٧.

والمساعدة السوقية لقواته[1]، مما اضطره لجلب المؤن والإمدادات بواسطة السفن من استانبول إلى طرابزون، ثم نقلها بواسطة ستين ألف بعير، وهناك أمر أعيانه وتجاره بجلب كل ما لديهم من بغال أو جمال، فنقلت المؤن برا لمسافة ألفي كيلومتر[2]، وخلال دخوله إلى إيران واجه مشكلة ثانية، وهي تنفيذ نور علي خليفة والي أرزنجان ومحمد بيك استاجلو والي ديار بكر الدقيق لسياسة الأرض المحروقة أمام القوات العثمانيّة التي لم تجد أثرا للحياة أو للقزلباش كلما توغلت في لأراضي الإيرانية، كما قام خليفة بنقل سكان أرزنجان إلى أذربيجان[3]. مما يعني انعدام وجود الأعلاف والمؤن، فضلا عن أن جواسيسه نقلوا له أخبارا غير سارة مفادها أن اسماعيل لا يريد الاصطدام به، وأنه يريد منه التوغل أكثر لإنهاكه. وتأكدت هذه الأخبار بوصول رسالة من محمد بيك بن فرحشاد آق قوينلو، لكن سليم أمر بسجن الجواسيس كي لا يتسرب الخبر فتضعف معنويات الجيش[4]، وخلال ذلك أرسل لإسماعيل رسالته الثانية، يطلب فيها منه العودة إلى المذهب السني شرطا للسلام بينهما[5].

وتحسبا لما يمكن أن يقوم به شيعة الأناضول، وتخلصا من أعداد كبيرة من الجند غير المتحمسين وقليلي التدريب وكبار السن، أمر سليم بترك أربعين ألف مقاتل بين قيصرية وسيواس، وهو ما ورد في رسالة سليم الثالثة إلى اسماعيل التي كتبها أواخر جمادى الأولى/ أواسط أيار، بالتركيّة بدلا من الفارسيّة، تحقيرا للشاه[6]، وفيها يصف الشاه بالجبن وقلة الرجولة ليحرضه على المواجهة، كما أرسل معها مسبحة وكشكول وعصا وغيرها من علامات التصوف ليذكره بأصله، وقال:

---

(١) عمر، تاريخ المشرق العربي، ص٦٩ .

(٢) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص١٦٧-١٦٨؛ غلام سرور، بيشين، ص٩٥.

(٣) غلام سرور، بيشين، ص٩٦؛ اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص٤١؛
Lane Poole, Op. Cit., P. 157; Creasy, Op. Cit., P. 136.

(٤) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٤١١.

(٥) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٨٢-٣٨٣؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص١٥٧-١٦١.

(٦) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص١٦٣.

"إنها أدوات أجدادك التي ينبغي أن تستخدمها، لأنك لست أهلا لاستخدام السيف"[١].

هنا أجابه اسماعيل بهدوء موضحا عمق الصداقة بين دولتيهما، وتساؤله عن أسباب العداوة بينهما، ويتضح من الرسالة اعتقاد اسماعيل أن العبارات الواردة في الرسائل السابقة، ومنها اتهام الصفويّين بالإلحاد لا علم للسلطان بها، لذا أرسل جوابه مع خادمه الخاص (شاه قولي آقاى)، فورد فيها أن هذه العبارات هي من تأليف كتّابه الذين وصفهم بأنهم مدمنو حشيشة، وانه عندما وصلته الرسالة كان مشغولا بالصيد في أصفهان، وإذا ما وصلت الأمور إلى الحرب فأنه مستعد لها، وهدده أنه سيقبض عليه ويضعه في قفص[٢]، وبهذا يذكره بمصير جده بايزيد الذي أسره تيمورلنك، ولعلمه بإدمانه على الترياق[٣]، أرسل له علبة ذهبية مختومة بختم الشاه فيها كمية منه، لذا فإن السلطان سليم أمر بقتل شاه قلي آقاى رسول الشاه[٤]. ولما وجد سليم عدم استعداد الشاه للقتال، في وقت يستحيل عليه العودة إلى بلاده، أمر كتّابه بإجابته بالتركيّة، لاستفزازه وتحريك الغيرة بداخله ودفعه إلى دخول المعركة، فأرسلها مع أحد رسل اسماعيل في أواخر جمادى الآخرة/ أواسط حزيران، ومعها ملابس نسائية وأدوات تنظيف الوجه، وجاء في الرسالة:

**"جئنا في طريق طويل... وتوغلنا داخل ممالككم، هل أن زوجتك هي التي تحكم، فلو كان لديك حصة من رجولة، وفي قلبك ذرة من غيرة، ما رضيتم أن يأتي الآخرون ويتعرضون لنواميسكم، فإن اسم الرجولة حرام عليكم، لذا أرسلت لكم ملابس النساء لتلبسها بدلا من لامة الحرب"[٥].**

---

(١) همان منبع، ص١٦٣؛ اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٨٢. يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٨٣-٣٨٤؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص١٦٥-١٦٦.

(٢) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٨٤-٣٨٥؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص١٦٧-١٦٩.

(3) Eversley, Op. Cit., P. 107; Creasy, Op. Cit., P. 137.

(٤) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص١٧٣؛ اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٨٤.

(٥) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٨٥-٣٨٦؛ "شاه اسماعيل=

وخلال وجود السلطان بين أرزنجان وترجان، التقى هناك مصطفى كمال كرد وعددا كبيرا من زعماء الكرد، وتحركوا معا للسيطرة على مدينة بايبورد، ومن هناك تقدموا سوية للتوغل داخل إيران، وفي شگرد أعلن عدد من القادة والأعيان والانكشاريّة التمرد، في ٢٥ جمادى الآخرة/ ٢٠حزيران، إما نتيجة تأثرهم بالعقائد الصفويّة أو بسبب قسوة الطريق وأوامر السلطان الصارمة، وطالبوا السلطان بعدم التوغل أكثر في إيران، بل أن بعضهم أضرب عن الطعام، لكن السلطان المصمم على المعركة قام بقتل همدم باشا والي قره مان الذي نقل إليه هذا الالتماس[1]. ولما رأى رسائل جنوده التي تلقى على معسكره والنار التي تطلق على خيمته، يطالب أصحابها بالعودة ومصالحة اسماعيل، انتقل إلى معسكرهم وأعلن أنه ذاهب لهداية هؤلاء القزلباش إلى الدين القويم، فأقنعهم برأيه[2]. وكان مما ساعد السلطان على إقناعهم برأيه، ذلك الكسوف الذي أصاب الشمس في تلك الأيام، فاستدلوا على سعد سليم ونحس اسماعيل، لأن الشمس رمز إيران، والهلال رمز العثمانيّين[3].

وسار الجيش العثمانيّ قاصدًا تبريز، فلم تقابله في تقدمه واجتياحه إيران مقاومة تذكر، فقد كانت الجيوش الفارسيّة تتقهقر أمامه بصورة منظمة ويحرقون المحاصيل، ويدمرون الدور بعد انسحابهم. وهكذا كان استخدام سياسة الأرض المحروقة، وترك عدد كبير من الحاميات والقطعات في تخوم الدولة الشرقية، أبرز إجراءات الشاه، كما كتب إلى محمد خان استاجلو ونور علي خليفة روملو يأمرهم بالتوجه إلى أذربيجان. وفي هذا الوقت وصل شاه خلفا بيك والي بغداد وخليل سلطان ذو القدر حاكم فارس، لينضموا إلى منتشا سلطان حاكم تبريز، فيما كان يرافق الشاه الذي تحرك من همدان اثنا عشر ألف مقاتل، فبلغت أعداد

---

=صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص١٧٣-١٧٤.

(١) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٩٥؛ إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية، القاهرة، ١٩٠٥م، ص٧٩؛ نوائي وغفارى فرد، بيشين، ص٩٥.

(٢) اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٨٥؛ إبراهيم بك حليم، المصدر السابق، ص٨٠؛ سومر، بيشين، ص٢٤.

(٣) حسين مجيب المصري، تاريخ الأدب التركي، القاهرة، ١٩٠١م، ص٥٠١.

القوات التي وصلت تبريز أربعين ألف مقاتل من خيرة فرسان القزلباش[1]. وأمر الشاه ديو سلطـــــان في بلخ، وزينل خان شاملو في هـــراة، والأمير ســلطان موصللو في قائن، البقاء في أماكنهم وبرفقة كل منهم قوات كبيرة، كما أمر بترك آلاف المقاتلين لتأمين جبهته الشرقية ضد الأوزبك[2]، حرصا منه على عدم إلقاء قواته كلها في أتون هذه المعركة، ربما لأسباب، أولها معنوي يتعلــق بــالحرب النفسيّة التي كان يتبعها مع أعدائه، إذ عرف عنه الحرص الدائم علـــى دخـــول المعارك بأعداد أقل من الخصم، والثاني سوقية ترتبط بتركيزه على الفرســـان، بوصفهم قوة ضاربة يمكنها حسم المعركة بسرعة ورشاقة، أو ربما كان يريـــد الاحتفاظ بقوات أخرى في أماكن بعيدة تحسبا لما يمكن حدوثه، ليبدأ بها من جديد إذا ما هزم في هذه المعركة.

اختار الشاه إسماعيل صحراء جالديران الواسعة التي تبعد مسافة عـــشرين فرسخا(٩٦ كم) شمـــال غرب تبريز، وخمسة عـــشر فرســـخا (٧٢كـــم) عـــن خوي[3]، بهدف سحب خصمه المتفوق عددا وعدة إلى معارك فروسيّة ومبارزة يتداخل فيها الطرفان فتحيّد المدفعية والأسلحة النارية، ويكون الخصم عرضـــة لهجمات فرسان القزلباش، وبهذا يمكن تحقيق توازن نوعي بين القوتين.

وقد وصل سليم إلى المكان في الأول من رجب ٩٢٠هـ/ ٢٢ آب ١٥١٤م[4]، وطالما كان محمد خان استاجلو ونور علي خليفة روملو، أكثـــر القـــادة خبـــرة ومعرفة في قتال الجيش العثمانيّ وتكتيكاته الحربية والنارية، فقد قدم الأول خلال مجلس الحرب الذي عقده الشاه شرحا تفصيليا لطريقة استخدام المدفعية، واقترح الانسحاب وتأجيل المعركة شهرين لتجميع القوات وإحـــراج الخـــصم بمجـــيء الشتاء، بالنظر للفرق الهائل بين القوتين، ولما وجد إصرارا مـــن الـــشاه علـــى المنازلة، اقترح الشروع فورا بشن حرب خاطفة طالما كانـــت معـــدات العـــدو

---

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٤٧؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برك٢٩٢-٢٩٣؛ اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص٤١.

(٢) حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٤٥؛ سيورى، تحقيقاتى...، ص٩٩.

(٣) چان – لوى باركى-جرامون، المصدر السابق، ج١، ص٢١١.

(٤) ابن طولون، مفاكهة الخلان...، ص٥٣.

ورجاله في العراء، مستغلين الإرهاق الذي أصاب معظم الجنود العثمانيّين بسبب بعد المسافة التي قطعوها وعدم النوم والتوتر وانشغالهم بالتجهيز للمعركة، وقبل أن يكمل العدو استعداداته وينصب مدفعيته، فيرتبك العدو وتتشتت جموعه، فأيده بذلك نور علي خليفة، لكن دورميش خان بن عبدي بيك شاملو ابن أخت الـــشاه، استخفّ بكلام استاجلو قائلا: "إن طبولكم تسمع في ديار بكر فقط"[1]، وقال للشاه لابد من ترك العدو يعد نفسه، كي يروا من الصفويّين ما لم يروه فـــي حيـــاتهم، فوافق الشاه على كلام دورميش، قائلا:

**"أنا لست لص قوافل، لأهاجمهم بغتة، وما قدره الله سيكون"[2].**

وهكذا قرر الشاه أن يترك لعدوه اختيار الكيفية التي يخوض بها الحرب كما يريدها هو، لا كما يريد القزلباش، وترك الشاه المجلس ليتفقد جنوده واستعدادهم للقتال[3].

وهكذا دفع الغرور ونشوة الخمر الشاه إسماعيل، لأن يقرر خوض حرب، لا يشك عقلاء قومه في خسارتها، في وقت بدأ الـــسلطان ســـليم حـــال وصـــوله جالديران، يهيئ فورا كل مستلزماتها، وينظم صفوف جيشه، مستعينا بخبـــرات مستشاريه، على الرغم من التعب والإنهاك الذي لحق به وبجيشه، نتيجة قطعهم مسافة ألفي كيلومتر طوال مئة وخمسة وخمسين يوما، منها أربعين يومـــا فـــي أراض محروقة جرداء. وحتى حينما فكّر بإعطاء الجيش مدة من الزمن ليستريح بها، تراجع أمام اعتراض پيرى محمد چلبى المسؤول المالي الذي قال أن معظم

---

**(١) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، پرک٢٤٦ب؛ قزوينى غفارى، بيشين، ص٢٧٧.**

**(٢) ناشناس مؤلف، تاريخ شاه اسماعيل، پرک٢٦٧ب؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٥٩.**

**(٣) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٤٢٤. كان الشاه طهماسب يلعن دورميش خان كلما تـــذكر أحداث جالديران، ويقول في مذكراته: "لعن الله دورميش خان، إذ حـــرّض أبـــي علـــى دخـــول المعركة". "تذكرهٔ شاه طهماسب"، ص٢٩. والواقع إن دورميش خان لم يكن الوحيد الذي حرّض الشاه على دخول المعركة، لكنه لم يوافق رأي محمد خان استاجلو بمهاجمة العثمانيين مبكـــرا، ويقول طهماسب في رسالة بعثها إلى السلطان سليمان القانوني:**

**"حينما خاض أبي الحرب ضد والدكم، كان دورميش خان وسائر الأمـــراء وقـــادة الجـــيش سكارى، وقضوا ليلة الحرب في الشرب حتى الصباح".**

**"شاه تهماسب صفوى. مجموعه اسناد ..."، ص٨٢.**

الجند الانكشاريّة هم من مريدي الشاه اسماعيل وأن أي تأخير يعني تعرّف هؤلاء عليه، مما يعني المزيد من المشاكل والتمرد[1]، لذا لم يلبث في جالديران سوى يوم واحد، وقرر أن يكون الثاني من رجب/ الثالث والعشرين من آب هو يوم المعركة.

**٢. الصدام وهزيمة الصفويّين:**

وفي فجر يوم الأربعاء ٢رجب/ ٢٣آب، نظّم الشاه إسماعيل صفوف قواته، فجعل دورميش خان على الميمنة، وبإمرته عدد من كبار القادة منهم حسين بيك لله شاملو وخليل سلطان ذو القدر ونور علي خليفة، ووضع محمد خان استاجلو على الميسرة، فيما اتخذ لنفسه مكانا في القلب، يرافقه نائبه نظام الدين مير عبد الباقي، وغيره من الأعيان، واختار ساروبيره استاجلو مسؤولا عن الارتباط بين أجنحة الجيش[2] الذي ما إن أتم تنظيمه، حتى تركه وذهب برفقة ألف من جنوده لصيد الدرّاج، ولم يعد للمعركة إلا بعد أن اشتد وطيسها[3].

وبالمقابل فقد وزّع السلطان سليم قواته، فجعل على الميمنة خادم سنان باشا والي الأناضول[4]، يساعده زينل باشا قائد خيالة قره مان، وأوكل إلى حسن باشا قائد قوات الروملي قيادة الميسرة، وأمر الفرسان بحماية المشاة في جناحي الجيش، ونصب مدافعه في مؤخرة القوات العثمانيّة، مبادرا إلى ربط هذه المدافع ببعضها بسلاسل وحبال، يصعب اجتيازها، وأمر الانكشاريّة بالوقوف صفين بصورة قوس خلف السواتر الترابية يحملون البنادق لحماية الجيش والسلطان الذي يقف خلف الجيش بستة صفوف، وتحمي هذا الجيش كله عربات الحمل

---

(١) اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٨٧، ص٤٢٤.

(٢) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص١٤٧؛ اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص ١٠٥-١٠٦.

(٣) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٤٢٧.

(٤) أصبح الصدر الأعظم بعد عزل هرسك أوغلي احمد باشا، وأصله مسيحي، عين قائدا عاما للقوات المحاربة في الشام ومصر، لكنه قتل في مبارزة مع طومان باي في الريدانية، في ٢٩ ذي الحجة ٩٢٣هـ/ ٢٣ كانون الثاني ١٥١٧م. بابنكر، "سنان باشا"، دائرة المعارف الاسلامية، م١٢، ص٢٣١.

وأعداد هائلة من الجمال التي تحيط به من الجناحين والخلف بعد أن ربطت بإحكام مع بعضها. وأمر السلطان حرسه الخاص ومجموعة فرسان ومشاة أخرى يقودها شادي باشا بارتقاء تلة قريبة خلف الجبهة للطوارئ، فضلا عن مجموعة أخرى مسلحة بالأسلحة الخفيفة يقودها ميخال أوغلي واسفنديار أوغلي چرخچى أمام القوات للربط بين القوات[١].

وأمر الشاه إسماعيل ساروپيره قائد المقدمة ببدء الهجوم، فتمكن من إزالة قوات الصدمة العثمانيّة من مكانها، ولكن ما لبث أن تعرض إلى هجوم من ميخال أوغلي فعاد إلى مكانه، حينها أمر الشاه الذي كان في المقدمة بهجوم كاسح على القوات العثمانيّة، فتعرض مالغوچ أوغلي والي صوفيا للشاه، وكان أحد أقوى فرسان العثمانيّين ولجسارته وضخامة جسمه كان يسمى "التنين"، وكان مكلفا بأسر الشاه، وبعد مبارزة بسيطة سقط على الأرض بضربة هائلة من الشاه قسمت قلنسوته ورأسه إلى جزأين، فتعجب الجند من هذه الضربة، ودبّ الخوف في نفوس العثمانيّين، وتراجعت الجموع إلى داخل قلب الجيش[٢]. وفي هذا الوقت وصلت الشاه من جواسيسه، أن السلطان أمر المقدمة بالانسحاب لكشف القزلباش أمام المدفعية المخفية وراء الجيش، ففكر باستهداف أجنحة الجيش العثمانيّ، فانتقل لقيادة الميمنة ومهاجمة ميسرة الجيش العثمانيّ، وكان هجوما ناجحا، إذ تمكن من تدميره وقتل قائده حسن باشا، فبدأ العثمانيّون بالتراجع لاسيما وأن الهجوم الذي قامت به الميسرة بقيادة محمد خان استاجلو قد أعطى نتائج إيجابية وتمكن من إزاحة الميمنة العثمانيّة من أماكنها[٣].

أبدى الشاه ضروبا من الشجاعة والإقدام ما حيّر أعداءه، فكان يميل من الميمنة إلى الميسرة ومنها إلى الخلف لمهاجمة المدافع والجند الانكشاريّة، والجميع يخشى مواجهته، حتى يبالغ البعض بالقول أنه وصل سبع مرات إلى

---

**(١) همان منبع، ص٤٢٥.**

**(٢) اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص٤٢. اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص ١٠٥.**

**(٣) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص١٤٨.**

مكامن المدفعية، واضطر لتغيير جواده سبع مرات أيضا[1]، كما أن القزلباش تفانوا في القتال بسبب ما كانوا يرونه من استبسال شيخهم وشاههم ليداعب ما في نفوسهم من قدسيّة وكرامة له، وكذلك أبدى قادته الآخرون وهم أمهر فرسان الأناضول وأشجعهم، ضروبا من الشجاعة، لذا يؤكد شاهد عيان[2]، أن السلطان سليم بدأ يفكر بالانسحاب، بعد أن انتقل محمد استاجلو وجموع القزلباش لمهاجمة قلب جيشه، لكن تدخل سنان باشا أنقذ الموقف، فأمر قوات القلب بالتراجع وأمر المدفعية بإطلاق قذائفها على كل من في ساحة النزال من القزلباش والانكشاريّة على حد سواء. ولما رأى استاجلو ذلك، بدأ بالانتقال لمهاجمة مواقع المدافع وقتل رماتها، لكنه قتل بإحدى هذه القذائف، فانتشر الهرج والمرج بين الجيشين واختلط فرسان الطرفين ببعضهما، بعد أن بدأت الخيول تنفر من سماع أصوات القنابل التي لم تسمع بمثلها من قبل، ولم يتمكن فرسانها من السيطرة عليها[3]، وبهذا اهتزت معنويات القزلباش، وتمكن رماة البنادق من الانكشاريّة من الوصول إلى التلال الواقعة وراء القزلباش وبدأوا التصويب نحو صدور أعدائهم، ليقتلوا الآلاف في ساعات قليلة، فارتبكت جموعهم، ولاحظ الشاه أن خليل سلطان ذا القدر يقف متفرجا مع قوته التي جلبها على جانب قريب من المعركة، فأرسل إليه الشاه يدعوه للمشاركة، لكنّه رفض ذلك بعد أن رأى بوادر الهزيمة، مؤثرا ثروته ومملكته على التضحية في سبيل الدولة، وترك أرض المعركة عائدا إلى ولايته[4]، كما مال عدد من مقاتلي الكرد المنتظمين في الجيش الصفويّ إلى الجيش العثمانيّ نكاية بالقزلباش الذين استخدموا العنف المفرط في إخضاع

---

(١) همان منبع، ج١١، ص١٤٨؛ اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص٤٢. يقول المؤرخ رحيم زاده صفوى، إن أحد المدافع التي هاجمها الشاه بالطبر، موجود في إحدى ساحات تفليس بجورجيا، وعلى فوهته شق بعمق أربعة أصابع. رحيم زاده صفوى، بيشين، ص٣٥٨.

(٢) هو ماريا انجللو الضابط الفينيسي المار ذكره، الذي رافق الجيش العثماني: نقل از: سيورى، ايران عصر صفوى، ص٤١.

(٣) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٤٦؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٢٠١أ.

(٤) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٢٠١أ.

المناطق الكردية وضمها وتحويلها إلى التشيّع[١]. ولما رأى الشاه هذا المآل بادر بقيادة القوة التي معه، لمهاجمة مواقع المدفعية العثمانيّة في محاولة منه لقطع السلاسل التي تحميها، لكنه تعرض لإصابتين في ساقه وذراعه، فأحاطت قوة الحماية المكونة من ثلاثمئة مقاتل به وأخرجته من المعركة. وكان القزلباش قد دبّروا أمرا يتلخص في نزول شبيه للشاه يرتدي ملابس تشبه ملابسه وجوادا يشبه جواده إلى ارض المعركة للتمويه على العثمانيّين، ليتم إخراجه من المعركة بسلام[٢]، فتم ذلك دون أن يعلم جنوده بذلك، حتى أن بعضهم استمر بالهجوم بعد سماعهم بوق الانسحاب، وتمكنوا من تشتيت من وجدوه أمامهم من الانكشاريّة[٣]، لكن المدفعية حصدت هذه المجاميع من جديد، ولاذ الأحياء منهم بالفرار، وكان دورميش خان ونور علي خليفة، من بين الذين استمروا بالقتال، وهكذا لاحت علائم النصر للعثمانيين، وتمكنوا من دخول معسكر الشاه القريب[٤].

وبعد انجلاء المعركة أمر السلطان سليم بجرد عدد القتلى فكان ثمانية آلاف ومئتين وستة عشر[٥]، من بينهم ألفان وتسعمئة وثلاثة وثلاثون مقاتلا عثمانيا

---

(١) حسن الجاف، حياه فرهنگى كرد....، ص٥٧.

(٢) يروى أن حصان الشاه سقط في حفرة وكادت قوة عثمانية أن تدركه، لولا ظهور سلطان علي ميرزا أفشار الذي يشبه الشاه ويشتبك معهم، وهو ينادي "أنا الشاه"، وبالفعل فقد وقع في الأسر، فتمكن الشاه من الهروب إلى دركزين. حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٤٩؛ ناشناس مؤلف، تاريخ عالم آراى صفوى، ص٤٩٥؛ نظمي زادة، المصدر السابق، ص١٨٥؛

**Lane Poole, Op. Cit., P. 157.**

وينقل كاترينو زينو الحديث الذي دار بين السلطان سليم وسلطان علي ميرزا وحجج الأخير في الدفاع عن سيده إذ قال للسلطان: "إذا كنت متمسكا بشرع رسول الله فلم تحارب سيدي الذي هو من نسله"، وانتهى الحوار بغضب السلطان منه فقتله. مقتبس في: القهواتي، المصدر السابق، ص٦٨.

(٣) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص١٠٩-١١٠.

(٤) همان منبع، ص١١١؛ قزوينى غفارى، بيشين، ص٢٧٧.

(٥) يقول البدليسي إن عدد قتلى القزلباش كان خمسة آلاف. شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٠.

بينهم ثمانية عشر برتبة سنجق بك، والعدد المتبقي هم قتلى القزلباش[١]، هذا إلى جانب أعداد كبيرة من الجرحى، فأمر بدفن كل القتلى، وأمر بأن تصنع حلوى النصر في تلك الليلة وهي مكونة من الرز والسكر، وتوزيعها على الجند. كما أسفرت المعركة عن مقتل عدد كبير من أمراء الدولة الصفويّة، من بينهم فضلا عن استاجلو، حسين بيك لله شاملو وساروپيره استاجلو قورچى باشى وخلفا بيك حاكم بغداد ونائب الشاه الأمير نظام الدين عبد الباقي اليزدي والصدر الأعظم السيد شريف الدين علي الشيرازي والسيد محمد كمونة نقيب أشراف النجف وغيرهم[٢]، إلى جانب مئات الأسرى القزلباش الذين أمر السلطان بقتلهم جميعا في اليوم التالي، وان يصنع من جماجمهم هرما ينصب في ساحة المعركة[٣]، وكان للنتيجة التي آلت اليها المعركة إنعكاسات خطيرة على شخصية الشاه، حينما أجبرته جحافل سليم على الهروب إلى درگزين وهمدان وتحمل الإصابات للمرة الأولى في حياته، فتبدل اندفاعه واعتداده بنفسه إلى فتور ويأس في ما تبقى من حياته، وانعزل عن الحياة السياسيّة والعسكريّة، ولم يخض أي معركة بعد جالديران حتى وفاته، إذ لم يسبق له أن خسر أي معركة قادها، وكان يقود غزوة أو يخوض معركة في كل عام، بل وتبدلت الأسس السياسيّة للدولة من حكومة إلهية دينية إلى حكومة دنيوية وإدارية وذات دواوين، كما اهتزت صورة الشاه بوصفه "المرشد الملهم والزعيم الذي لا يهزم" في نظر أتباعه، وترك أمور الدولة لنائبه الجديد ميرزا شاه حسين الأصفهاني، فخفّت علاقاته بأمراء القزلباش[٤]. وفي هذا الصدد يقول نصر الله فلسفي، أن الشاه أمر بنصب المآتم وأن لا يرتدي أتباعه بعد ذلك غير عمامة الحداد، كما ارتدى هو أيضا العمامة

---

**(1) Lane Poole, Op. Cit., P. 157.**

سمّى المؤرخون العثمانيون يوم جالديران يوم الفناء، بسبب كثرة قتلاهم، فضلا عن أعداد كبيرة أخرى خرجوا من القتال نهائيا بسبب إصاباتهم البليغة. ادريس البدليسي، بيشين، برگ ١٨٦أ.

(٢) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٠؛ سيورى، ايران عصر صفوى، ص٤٠؛ القهواتي، المصدر السابق، ص٦٧؛ عبد الرزاق كمونة الحسيني، المصدر السابق، ج٢، ص٥٦.

(٣) حسين ناظم بيك، المصدر السابق، ص١٩؛ حسن الجاف، الوجيز...، ج٣، ص٢٣.

(٤) جان فوران، بيشين، ص٤٥؛ سيورى، تحقيقاتى...، ص١٠٤- ١٠٥.

السوداء، وأن لا ترفع غير الرايات السوداء، وأمر بأن تكتب كلمة "القصاص"، على كل راية، ويقول أيضا أنه سمّى ابنه الثاني "القاص" الذي بشّر بولادته بعد جالديران، نسبة إلى القصاص(١).

وربما كان للهزيمة نتيجة إيجابية على شخص الشاه الذي كان مقتنعا بما كان يقتنع به أتباعه من قدرات روحية خاصة(٢)، رسختها انتصاراته العسكريّة التي حققها على الدوام بقوات أقل عددا من العدو. هذا إلى جانب ما طرأ على شخص الشاه من تحول. وبغية السيطرة على ما أصابه من همّ وحزن، فضّل الهروب إلى الخمر ومجالس الأنس والصيد والاستجمام، وكان يقضي ما تبقى من حياته، في ساحات الصيد ومجالس اللهو والطرب بين تبريز أو نخجوان(٣)، بدلا من ساحات التدريب وإعداد الجيوش وعمل المستحيل من أجل الحصول على السلاح الحديث لتزويد الجيش الإيراني به، فتحوّل كبرياؤه وغروره إلى خنوع، وهمته واندفاعه إلى يأس وترقب، كما انتقل تطرفه السياسي والديني إلى نقيضه، ويبدو أنه كان يحمل هذه السمات المعاكسة، لكن المهمة التي كان يقوم بها، تتطلب منه أن يكون مقداما ومندفعا وعدوانيا، وهو ما تسميه المصادر النفسيّة "عملية تقمص الدور"(٤)، وكانت الانتكاسة أرجعته إلى عقلانية الحكام وتوازنهم. وهكذا أدت

---

(١) نصر الله فلسفى، چند مقاله تاريخى وادبى، (جنگ چالدران) "دانشكدهٔ ادبيات تهران"(مجلهٔ)، شمارهٔ ٢، سال اول، دى ماه ١٣٤٢ش/ ١٩٦٤م، ص١٢١. لكن مؤرخ معاصر لإسماعيل يقول إن اسم قاص هذا اختصارا لإسم (ألقاصب) أو (أرجاسب)، مثلما (طهماس) اختصارا لطهماسب. واستنادا لذلك: يقول مترجما كتاب سيوري ، تحقيقاتى...، إن هذا الاسم لا علاقة له بالقصاص. يقارن: غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٠٥؛ سيورى، تحقيقاتى...، ص١٠٥. هامش المترجمين.

(٢) وهو ما يراه أيضا عالم الاجتماع علي الوردي، إذ يقول أن الشاه كان مؤمنا انه مكلف بما قام به من نشاط من قوة روحية عليا، وهو بوصفه صوفيا يؤمن بالكشف والإلهام الغيبي. علي الوردي، لمحات اجتماعية...، ج١، ص٥٧.

(٣) يقول ابنه سام ميرزا عن والده، أنه "قضى أوقاته بين سنتي ٩٢١و٩٣٠هـ [١٥١٥-١٥٢٤م] في الشرب والمتعة". سام ميرزا، تحفة سامى، ص٨. نقل از: پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٥٩٠. يراجع كذلك: غلام سرور، بيشين، ١٠٥-١٠٧؛ سيورى، تحقيقاتى...، ص١٠٢؛ نوائى وغفارى فرد، بيشين، ص١٠٠.

(٤) سعد جلال، المرجع في علم النفس، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٣٩٩-٤٠٠.

العديد من العوامل إلى هزيمة الصفويّين في جالديران، منها سوقية تتعلق بتحضيرات المعركة ومستلزماتها، ومنها شخصية تتعلق بالقيادة والمزاج الشخصي للشاه وقياداته.

**٣. أسباب انكسار الصفويّين في جالديران:**

أدت جملة من الأسباب إلى هزيمة الصفويّين في جالديران، يأتي في مقدمتها، استخدام العثمانيّين للمدفعية والبنادق وما نتج عنه من سد ناري هائل، في وقت لم يشأ القزلباش التفكير باستخدام البارود والأسلحة النارية، على الرغم من أن أوزون حسن جد إسماعيل أدرك أهمية هذا السلاح منذ وقت مبكر[(١)]. ويقال أن أباه حيدر الصفويّ استخدمه لضرب قلعة گلستان، وأن إسماعيل غنم من شيبك خان أربعة مدافع[(٢)]، فضلا عن أن المعادن والفلزات والفحم موجودة في إيران وكانت من أهم المواد التي كان يرسلها التجار الإيرانيون إلى أوربا والدولة العثمانيّة قبل عهد سليم، فيما كانوا يعودون بالأسلحة النارية[(٣)]. لذا لم يكن الصفويّون بعيدين عن استخدام الأسلحة النارية، ويرى أحد المؤرخين أن عدم جلب إسماعيل للمدافع التي تركها سليم في أماكنها في جالديران ومحاولة الإفادة منها، أمر محيّر، إذ بقي الإيرانيون سنين طويلة حتى تعلموا فنون استخدام المدفعية[(٤)].

والواقع أن خوفهم من استخدام السلاح الناري، في وقت لم يكونوا خائفين أو مترددين في الحملات والغارات الليلية على العدو، يتعلق بمنظومة قيم الفروسيّة

---

**(١) أرسل أوزون حسن إلى البندقية طالبا ستة عشر مدفعا وألف بندقية وكميات من المقذوفات والبارود، لكنها لم تصل لسقوط قره مان التي كان ينبغي أن تصل عن طريقها بيد السلطان الفاتح، ولم يتسلمها الآق قوينلو إلا بعد هزيمتهم أمام العثمانيين سنة ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م. فأرسلت البندقية مئة مدرب إلى ديار بكر واستخدمها ابنه خليل في معاركه. يراجع: سيورى، ايران عصر صفوى، ص٤٢.**

**(٢) سيورى، تحقيقاتى...، ص٤٥، ٨٨.**

**(٣) سومر، بيشين، ص٥١.**

**(٤) لارنس لاكهارت، "سپاه ايران در دوره صفوى"، صفويان (كتاب)، ص٣٢٣.**

وغرور البداوة اللذين لم يسمحا لهم بالإفادة من هذا السلاح، تلك القيم التي لم تغيرها الهزيمة[1]، فزعماء القزلباش الذين وصلوا إلى السلطة بفعل المهارات الفردية وقيم الرجولة، يشعرون أن السلاح الناري يهدد منزلتهم، فالسلاح الناري بحاجة إلى مهارات قتالية من نوع مغاير لتلك التي تحتاجها الفروسيّة، ولا يملكها إلا سكان المدن، وبذا لابد من منظومة قيم جديدة تستمد فيها طاقات سكان المدن وغالبيتهم من سكان البلاد الأصليين، حينها تتحول الدولة إلى الاستقرار، وتتراجع مكانة هؤلاء، لذا فمن الطبيعي أن يصف القزلباش الأسلحة النارية بأنها "أسلحة الجبناء، وأن حامليها ليسوا رجالا"[2].

وكان اختيار جالديران ساحة معركة مفتوحة لتلائم قتال الفرسان، أدى إلى أن يكون القزلباش أيضا مكشوفين أمام رصاص البنادق وشظايا المدفعية، لأنها كانت ملائمة هي أيضا لقتال الأسلحة النارية. وكانت النتيجة أن الخيل بدأت تنفر من أصوات المدفعية التي لم تعتد على سماعها من قبل. ولما لجأ الفرسان الصفويّون إلى التداخل مع نظرائهم العثمانيّين، لم يتردد سنان باشا في توجيه المدفعية لتصب نيرانها على الطرفين، فلو اختيرت منطقة متموجة مختلفة التضاريس، ولو أخذ الشاه برأي محمد خان استاجلو الأول، القاضي بالانسحاب وتأجيل الصدام، بغية إحراج سليم لقرب فصل الشتاء، والإنهاك الذي سيصيب الجند، من ثم استخدم فرسان القزلباش طريقة الكر والفرّ طوال طريق تنقل خصمهم الطويل؛ كان يمكن أن تلحق خسائر أكبر في صفوف العثمانيّين، وستكون خطوة مهمة يمكنها جرهم إلى حرب استنزاف طويلة لن تكون على الأرجح في صالحهم، وتؤدي بالجيش العثمانيّ إلى التمرد. ويراهن أحد المؤرخين الإيرانيين على أن الانسحاب إلى داخل الأراضي الإيرانية سيؤدي إلى ما تقدم[3]. ولو أخذ الشاه برأي استاجلو الثاني وهاجم خصمه المنهك من السفر

---

**(١) يقول عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر، إن منظومات القيم الاجتماعية تتغير كل أربعين سنة، لكن الحروب والكوارث يمكن أن تعجل بهذا التغير، فيما يسهم الاستبداد في تأخيره. مقتبس في: فاخر عاقل، مدخل إلى علم الاجتماع، بيروت، ١٩٦٨م، ص٩.**

**(٢) سيورى، تحقيقاتى...، ص١٠٠.**

**(٣) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٤٦٢.**

قبل أن يسترد أنفاسه، ربما لمنعه من نصب مدفعيته وإرباك صفوفه، لكن الشاه رفض هذين الرأيين السديدين لأسباب واهية، وتمكن دورميش خان بسبب معرفته مفاتيح شخصية الشاه بوصفه "أنيس الحضرة البهيّة وجليس العتبة العليّة"، من إقناعه برأيه الخاطئ بعد أن أنهكه الخمر.

وكان لطبيعة اسماعيل الشخصية الذي بدأ يصدّق أنه يمتلك قدسيّة وقدرات غيبية، وما تبع ذلك من خلل نفسي، أثر في هذه الهزيمة، إذ دفعته تهيؤاته إلى عدم اتخاذ خطوات جدية تتلاءم مع هذا التحدي الخطير، فبينما كان سليم يسهر الليل من أجل الإعداد للمعركة، كانت القيادة الصفويّة تقضي ليلتها في احتساء الخمر واللهو، وبينما كان الجيشان يتهيآن للقتال، يترك اسماعيل الجيش باستخفاف لممارسة الصيد، ولم يدخل المعركة إلا بعد ما انكسرت قوة الصدمة التي يقودها ساروبيري، فدخل المعركة ليقاتل كأي جندي، فبقي الجيش الصفوي يقاتل بلا قيادة عليا أو توجيه، في وقت كان ينبغي أن يقف الشاه في مكان آمن ليمارس مهمة القائد ويتفق مع قادته على وسائل وإشارات للاتصال، فيما كان سليم يجلس على تلّة قريبة يشرف من خلالها على المعركة، ويوجه القطعات لسد النقص ومعالجة الخلل، وهو صاحب الأمر والنهي الذي يتحكم بأمور المعركة، لذا كانت النتيجة لصالحه. فضلا عن الجهد الاستخباراتي الرهيب الذي بذله العثمانيّون منذ وقت مبكر، في تحييد أكثر من قوة صفويّة[1]، ومنها الكرد وخليل سلطان ذو القدر حاكم فارس وغيرهما، بل وتمكنوا من اختراق بلاط الشاه الذي قابل جاسوسا مزدوجا اسمه الشيخ أحمد أحد رجال فرحشاد بيك آق قوينلو، فأفهمه أن معظم رجال الانكشاريّة سينضمون إليه في حالة الصدام[2]، فيما لم يبذل اسماعيل أي جهد استخباراتي، بغية كسب قادة الجيش الانكشاري وجنوده

---

(١) سبق لسليم الأول أن بعث رسولا إلى الشاه يخبره بجلوسه على العرش، ويطلب منه تسليمه ابن أخيه الأمير مراد، لكن هذا المبعوث تمكن خلال المدة التي قضاها في تبريز من جمع معلومات مهمة عن البلاد والجيش، وتمكن من الاتصال ببعض الأمراء والأعيان، وجعلهم يعملون لصالح العثمانيين. هوشنگ مهدوى، بيشين، ص١٨.

(٢) رافق الشيخ أحمد الشاه إلى خوي فتعرف على معظم أسرار الجيش الصفوي ونقلها إلى سليم. اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص١٧٧-١٧٨.

الذين تربوا على حبه وحب العائلة الصفويّة، وكان يمكنه كشف الشيخ أحمد وغيره، لو قام ببذل جزء من الجهود التي بذلها خصمه في هذا المجال.

أفرزت معركة جالديران مشاركة مهمة للمرأة الصفويّة في المعارك، حينما عثر العثمانيّون على عدد من النساء بين القتلى يرتدين لباس الرجال. وينقل عن مؤرخين إيطاليين شهدوا المعركة، أن السلطان سليم استحسن ذلك، وأمر بدفنهن بمراسيم خاصة، وكان هدف اسماعيل من هذه المشاركة رفع معنويات الرجال، وتحريك غيرتهم وحميتهم[١].

كما عثر العثمانيّون في معسكر الشاه على إحدى زوجاته، فأخذت أسيرة، إذ يقول حيدر جلبي كاتب سر البلاط العثماني والذي شهد جالديران: "إن إحدى زوجات الشاه الضال اسماعيل كانت بين الأسرى"[٢]. إذ من المعروف أن للشاه عدد من النساء، من بينهن واحدة من قبيلة موصللو، ولدت له ابنه الأكبر طهماسب، وناجلو أو (تاجلو) خانم، بنت خلفا بيك خادم بيك طالش وهي التي وقعت في الأسر. بل يقال أن أمه هي تاجلو خانم نفسها[٣]. وهنا تختلف المصادر في مصيرها، فالمصادر العثمانيّة تقول أنها نقلت إلى استانبول، وزوّجها السلطان من جعفر چلبی قاضي عسكر الانكشاريّة نكاية بالشاه[٤].

وهؤلاء يستندون في أقوالهم إلى رسالة يقال أن سليما أرسلها إلى اسماعيل جوابا على الوفود التي أرسلها إليه يطلب فيها الصلح[٥]. وإذا ما علمنا أن سليما قام بإيداع الوفود التي ارسلها الشاه السجن[٦]، ولم ينقل لنا التاريخ وفدا وصل

---

(١) فلسفى، جنگ چالدران، ص٦٦.

(٢) نقل از: اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص١١١. محمد جمالى، زندگانى شاه اسماعيل...، ص١٩٥.

(٣) سومر، بيشين، ص٦٩..

(٤) فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص٧٤؛ العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ص٣٥٣.

(٥) ينفرد الباحث الإيراني مؤيد ثابتي بايراد رسالة جوابية من سليم لم يشأ ذكر مصدرها، فضلا عن أن مضمون الرسالة غير معقول، ولا يتفق مع التسلسل التاريخي. يراجع: پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٥١٦.

(٦) قام سليم بإيداع الوفد الذي رأسه شيخ الإسلام الأمير عبد الوهاب الحسني التبريزي، السجن حينما قابله في أماسيا. وفي السنة التالية كان السجن مصير وفد آخر برئاسة كمال الدين=

إلى تبريز من استانبول[1]، بل أن المصادر تجمع على أن جعفر چلبي كان في مقدمة الذين أمر سليم بقتلهم منذ وقت مبكر بسبب امتناعهم عن متابعة الفارين من الصفويّين[2]، لذا فهذه القصة ملفقة من أساسها[3]، بهدف التعتيم على جهود إسماعيل في طلب الصلح وحقن الدماء، إذ أن تاجلو خانم التي أسرت تمكنت من الهروب من معسكر السلطان في تبريز بمساعدة الانكشاريّة، بعد أن ألبسوها ملابس الرجال[4]، والتجأت إلى حاكم خوى الذي أخفاها. وبعد انسحاب العثمانيّين من إيران، أرسلها إلى الشاه معززة مكرمة[5]، وكان لها شأن في بلاط اسماعيل بعد ذلك، فساندت القزلباش بعد وفاته في تنصيب ابنه طهماسب[6].

### ٤. السياسة العثمانيّة تجاه إيران في أعقاب معركة جالديران:

أرسل السلطان سليم من جالديران، إلى بعض أعيان تبريز يدعوهم للتعاون مع أحمد باشا الذي أرسله ليتولى إحتلال المدينة ويدير شؤونها، فأرسل إلى الشيخ شمس الدين أحمد قاضي تبريز، وإلى شيخ الإسلام الأمير نور الدين عبد

---

=حسين بيك وبهرام آغا ذهب يطلب الصلح من جديد. وأصاب المآل نفسه الوفد الثالث الذي قابله في حلب في طريقه إلى مصر، وكذلك الرابع الذي كان يرأسه صارو شيخ وكان يحمل رسالة وهدايا بمناسبة احتلال مصر. اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٩٠؛ آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج١١، ص١٠٩؛ فلسفي، جنگ چالدران، ص٧٥؛ عبد الحسين نوائى، روابط سياسى واقتصادى...، ص١١-١٢.

(١) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٢٥٢؛ هوشنگ مهدوى، بيشين، ص٢١؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٥٥٧؛ محمد جمالى، زندگانى شاه اسماعيل...، ص٣٣٦.

(٢) فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٤٧٠؛ اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٩٧. تم إعدامه في ٨ رجب ٩٢٠هـ/ ٢٩ آب ١٥١٤م. إيوار، "جعفر چلبى"، دائرة المعارف الإسلامية، م١٢، ص٥٣؛ ف. ل. ميناج، "جعفر چلبى"، دائرة المعارف الإسلامية، م١٢، ص٥٤.

(٣) هذا الرأي سبق أن توصل إليه أكثر من مؤرخ. يراجع: اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٢٠٠؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٤٧٨، ٥١٤-٥١٩.

(٤) قزوينى غفارى، بيشين، ص٢٧٧؛ اسبيناقجي باشا زادة، بيشين،، ص١١١.

(٥) خورشاه بن قباذ الحسيني، تاريخى ايلجي نظام شاه، ص٣٠ب. نقل از: سومر، بيشين، ص٦٩.

(٦) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٤٨١.

الوهاب الحسني التبريزي (فخر السادات)[1]. وكان قادة السلطان ظنوا أن انسحاب القزلباش كان تكتيكيا لنصب الكمائن للجيش، لذا أمروا قواتهم بالبقاء مكانها وعدم ملاحقة المنهزمين. وبعد أن اطمأن سليم إلى عدم وجود القزلباش؛ توجه في ٣رجب/ ٢٤آب إلى العاصمة تبريز، فدخلها دون مقاومة في ١٦رجب/ ٦أيلول، وأمر بالقتل العام لسكانها وبادر جيشه إلى سلب كل ما يقع أمامهم ونهبه[2].

وتشير المصادر إلى أن سليما أمر بجرد أموال الشاه وخزائنه وعرشه وإرسالها إلى استانبول[3]. وجمع العمال المهرة والحاذقين من أرباب الحرف والصناعات والخطاطين والشعراء والكتّاب والصحّافين ونساجي السجاد فضلا عن بعض التجار والأعيان، وأرسلهم إلى عاصمته لنقل ما بلغوه من الخبرة والمهارة[4]. ومن بين الذين اصطحبهم معه الفقيه ظهير الدين الأردبيلي الحنفي الشهير بقاضي زاده وعين له كل يوم ثمانين درهما[5].

---

(١) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٩٠-٣٩١. والأمير عبد الوهاب هو جد السادة العبد الوهابية في تبريز، يصل نسبه إلى ابن طباطبا العلوي المتوفي٣٢٢هـ/ ٩٣٤م، أخذ لقب الأمير لأنه كان صهرا للسلطان حسن بك آق قوينلو والشيخ حيدر الصفوي، والد إسماعيل، أرسله الشاه اسماعيل إلى سليم، لطلب الصلح، فأمر بسجنه وتوفي بعد خروجه من السجن بقليل، له رسالة باللغة العربية في الوصايا والنصائح الحكمية لأولاده. محمد رضا الطباطبائي، تنقيح الأصول. تقرير بحث آقا ضياء العراقي، تحقيق: محمد علي القاضي، النجف، ١٩٥٢م، ص ٦ – ٨ من المقدمة؛ اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٩٠؛ آقا بزرگ الطهراني، المصدر السابق، ج١١، ص١٠٩؛ فلسفي، جنك جالديران، ص٧٥

(٢) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برگ ٢٥٣أ؛ غلام سرور، بيشين، ص١٠٥.

(٣) فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص٧٤. كان من بين هذه الكنوز مصحف ثمين، حمله سليم معه إلى مصر بغية مقارنته بالمصحف المصري، واتخاذ الاختلاف بينهما حجة لتثبيت تكفير علمائه للصفويين، وبعد المقارنة ثبت أنهما متفقان ولا فرق بينهما. يراجع: أبو الفضل مير محمدي الزرندي، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، قم، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٢٧٢.

(٤) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص١٢٠؛ فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص١٩٠؛ زياد أبو غنيمة، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، عمان، ١٩٨٦م، ص٢٥٤. يقول بعض المؤرخين أن عدد هؤلاء ألف، وآخر يقول أربعين، فيما أكثرهم يؤكد أن سبعمئة عائلة تم ترحيلهم. پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٤٩١؛ طاهرى، بيشين، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٥) ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٣؛ صالح الورداني، المصدر السابق، ص٣٨.

ولما كان السلطان سليم يشعر بما نال جنوده من تعب وإعياء بعد المجهود الشاق والخارق الذي بذلوه، فقد مكث في المدينة ثمانية أيام ليستردّ جنوده أنفاسهم، وينالوا قسطًا من الراحة استعدادًا لمطاردة فلول الصفويّين، ومن هناك بعث برسائل النصر أو "فتحنامه" إلى الملوك والزعماء، ذكر في جميعها تفاصيل المعركة، فأرسل إلى مراد بيك آق قوينلو، يخبره بانتصاره ويدعوه للحضور إلى تبريز فورا لتسلم عرش آبائه، وإلى ولده سليمان قائم مقام استانبول، وإلى الزعماء الكرد وبقية ولاة الأقاليم العثمانيّة يبشرهم بالنصر ويدعوهم لنشر هذه الأخبار، وإلى رستم كرد حاكم لرستان، يدعوه إلى قتل القزلباش أينما وجدهم(١)، وإلى قانصوة الغوري سلطان المماليك في مصر والشام، ورئيس جمهورية البندقيّة، فضلا عن صهره منگلى گراي خان حاكم القرم(٢).

لكن سليما لم يلبث في تبريز سوى ثمانية أيام بسبب العمليات الانتحارية التي قام بها القزلباش وأهالي تبريز من العيارين والأيتام ضد السلطان وقواته(٣). وقد ألقي القبض على مجموعتين، إحداهما قوامها خمسون من القزلباش يتزعمها رستم كرد حاكم لرستان الذي دخل تبريز لمقابلة السلطان بغرض قتله مستغلا العلاقة الطيبة بينهما، لكن مؤامرتهم كشفها أحد التركمان فأبلغ سليما بها، فأمر بقتلهم جميعا، كما أمر سليم بقتل خالد بيك أحد أمراء القزلباش، ومعه مئة وخمسون من القزلباش، للسبب نفسه(٤). وأدت المجاعة التي أصابت تبريز بعد ثلاثة أيام من دخول جموع العثمانيّين إليها(٥)، إلى تمرد الانكشاريّة بعد أن تبيّن

---

**(١) يراجع للإطلاع على نصوص الرسائل: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٨٣، ٣٨٧، ٣٩٠، ٣٩٣؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص١٧٧-١٧٨، ١٨١، ٢١٣-٢١٥.**

**(٢) يراجع للإطلاع على نصوص الرسائل: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٤١١-٤١٣؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص٢٤٠-٢٤٢؛ اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص١٧٤-١٧٦.**

**(٣) عباس إقبال آشتياني وديكران، بيشين، ص ٦٦٧؛ حبيب الله شاملوئى، بيشين، ص٦١٦؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٤٩٦؛ حسن الجاف، الوجيز...، ص٢٤.**

**(٤) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص١١٥-١١٦.**

**(٥) ناشناس مؤلف، عالم آراى صفوى، ص٥٠٣.**

لهم في هذا الوقت أن العدو الذي قاتلوه لم يكن سوى الشيخ اسماعيل، إذ تضمنت إحدى الرسائل الثلاث التي أطلقت ليلا بالسهام على خيمة سليم:

**"الأمة التي تصلي وتؤذن وتصوم وتقرأ القرآن، وتشهد أن لا إله إلا الله محمدا رسول الله، بأي حق نعتبرها كافرة، نحن لا نحارب من أجل الدين بل الملك والأرض، وهي لا تساوي دماء خمس وأربعين ألف نفس في بلادنا، وعشرين ألف مسلم في إيران، قتلوا بتهمة الإلحاد، وبسبب فتاوى علمائنا الذين لم يطلعوا جلالتكم على الفتوى الصحيحة"[1].**

كما وصلت إلى سليم معلومات استخباريّة تفيد أن اسماعيل بدأ يعد العدة ويجمع الرجال لاستئناف القتال، إذ يذكر مؤرخ معاصر للأحداث، أن الشاه أرسل إلى الولايات لإستنفار أتباعه ومقاتليه، مما دفع سليما إلى ترك إيران[2]. ولما كان سليم قائدا حذرا يعرف تفاصيل قدرات جنوده وقابلياتهم، وعدم استعدادهم لمواجهة حرب عصابات يمكن أن تخوضها ضده قوات القزلباش التي تعرف مداخل البلاد ومخارجها، فضّل ترك تبريز في ٢٤رجب/ ١٤أيلول، كي لا تهتز صورة النصر الذي حققه ضد الصفويّين. وتحرك بجيوشه سالكا طريقا آخر غير طريق القدوم المدمَّر، فاختار طريق مرند – زنور – نخجوان، حتى وصل إلى شاطئ نهر أراس الذي كان في حالة فيضان، لذا تعرض الكثير من الجند والخيول إلى الغرق عندما خاضوا مياه النهر السريعة الجريان[3]، إذ أن وعورة الطريق تؤيد ما ذهب إليه لورنس لاكهارت من أن سليما اضطر إلى ترك مدافعه في إيران، وتدحض قول بعض المؤرخين من أنه أخذها معه[4].

وبعدما دخل نخجوان أمر بنهب المدينة على الرغم من إعلانها الخضوع له،

---

(١) يراجع للإطلاع على نصوص الرسائل: اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص١١٨؛ رسول جعفريان، تاريخ إيران اسلامى، ج٤، ص٦٠.

(٢) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٤٨.

(٣) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص١٢٠.

(٤) يقارن: لاكهارت، سپاه ايران...، ص٣٢٣؛ ناشناس مؤلف، عالم آراى صفوى، ص٥٠٣.

ما يدل على يأسه وتقدم الغنائم على تقاليد الحرب لديه. وفعل بأيروان مثلما فعل بنخجوان، ليتحرك بعدها إلى جورجيا، لكنّ حاكمها أرسل هدايا ثمينة وأرزاقا كثيرة لسليم، فعدل عن دخولها. ثم توجه إلى قارص، وقلعة بيابورد، ونصّب حاكما عليها وعلى أرزنجان وكيفي[١].

ثم عاد بعدها إلى أماسيا، ليقضي الشتاء، ويعود للحرب بقدوم الربيع، غير أنه ووجه برفض الانكشاريّة العودة إلى تلك المناطق مرة ثانية عندما حل فصل الربيع[٢]، فبادر إلى قتل وزيره الجديد أحمد باشا بيده في ١٨محرم ٩٢١هـ/ ٢٢شباط ١٥١٥م[٣].

وعندما وجد سليم أن العودة إلى العمق الإيراني ليست سهلة أو مضمونة، اتّبع استراتيجيّة جديدة تتلخص في قضم الأطراف الصفويّة المجاورة لدولته، لتكون محطات سوقية آمنة في أي حملة جديدة ضد إيران تمكنه من تقصير المسافة إلى تبريز، وكانت قلعة كماخ الحصينة الواقعة بين سيواس وأرزنجان من بين هذه النقاط، التي لم يتعرض لها خلال حملته الأولى، بسبب أن حصارها وإحتلالها يحتاج إلى جهد ووقت، فتحرك في ٥ ربيع الأول ٩٢١هـ/ ١٩ نيسان ١٥١٥م، نحوها، مستغلا قلة عدد جنود محمد بيك ورساق الذي أوكلت إليه قيادتها، إذ لم يكن فيها سوى ثلاثمئة مقاتل، بسبب مشاركة حاكمها يوسف بيك وجنوده في جالديران. وقد طلب سليم في البداية من المدافعين عنها إخلاؤها، ولما ووجهت دعوة السلطان بالرفض أمر بقصف القلعة بشدة، حتى انهارت أبراجها. وكان على جموع العثمانيّين بعد دخولها أن يواجهوا شراسة المدافعين واستماتتهم إلى أن أبيدوا جميعا، فدخلها السلطان في ٥ ربيع الثاني ٩٢١هـ/ ١٩ أيار ١٥١٥م[٤].

---

(١) اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٩١.

(٢) چان – لوى باركى-جرامون، المصدر السابق، ج١، ص٢١١.

(٣) اسماعيل حقى، بيشين، ص٢٩٠.

**(4) Creasy, Op. Cit., P. 139-140; White, Op. Cit., P. 84-85;**

وبينما كان المدافعون عن كماخ يلقون مصيرهم برصاص الإنكشارية، كان الشاه يحتفل بالنوروز وعيد الربيع في أردبيل وسهند، دون أن يفعل شيئا لمساندتهم[1]، هذا على الرغم من أنه كان يتوقع هجوما عثمانيا جديدا لم ينفك سليم يهدد به، مما يستوجب تعزيز قوة الحاميات الغربية للبلاد وعدم ترك رجاله طعما للقوات العثمانيّة. فشجعت هذه المعطيات وابتعاد اسماعيل عن شؤون الدولة العثمانيّين على التمادي في قضم المزيد من الأقاليم، فانتقلوا للهيمنة على أرزنجان، بعد أن نجحت حملة قادها سنان باشا في القضاء على دولة علاء الدولة ذي القدر، في ٤جمادى الأولى ٩٢١هـ/ ١٦حزيران ١٥١٥م[2] الذي حاول المحافظة على علاقات متوازنة مع القوى الإسلاميّة الثلاث[3]، إذ اتهمه سليم باتخاذ موقف معاد لقواته حين امتنع عن تقديم المؤن لهم، كما اتّهمه بالقيام بهجمات على مؤخرة جيشه، وانتهى الأمر باحتلال قلعة كوماش وقتل علاء الدولة وخضوع إمارته للسيادة العثمانيّة، مع أنه عيّن ابن عمه علي بيك شاه سوار حاكما عليها[4].

وكانت أرزنجان ونشاطات حاكمها نور علي خليفة قد مثّلت قبل جالديران وخلالها عامل قلق للعثمانيين بوصفها أقرب قاعدة صفويّة إلى الأناضول، لذا

---

(١) أحمد قمي، بيشين، ص١٣٤.

(٢) بروكلمان، المصدر السابق، ص٤٤٨؛ القهواتي، المصدر السابق، ص٧٠. يقول ابن زنبل الرمال، إن ذلك كان بعلم السلطان المملوكي وموافقته. احمد بن زنبل الرمال (ت٩٦٠هـ/١٥٥٣م)، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق: عبد المنعم عامر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٨٨.

(٣) كان علاء الدولة يحاول المحافظة على دولته وسط هذا الخضم المتلاطم، فكان يُلبس عددا من غلمانه ملابس المماليك، حينما تصله رسل العثمانيين، ويلبسهم ثياب الترك عندما يستضيف المماليك. ثم يذكر لممثل مصر أن رسل العثمانيين جاءوا ليحرضوه ضد المماليك لكنه رفض لصداقته للسلطان المملوكي، ويقول لمبعوث استانبول مثل ما قال لنظيره المملوكي، وكان يقول دائما: "لديّ طائران من ذهب، يبيض أحدهما ذهبا، والآخر فضة"، وبهذا ضمن حياد بلاده، من هنا نفهم الأسباب التي دعت أحد المؤرخين ليتصوّر أن مواقف علاء الدولة، كانت بإيعاز من الغوري، ودفعت سليم في الوقت نفسه لإرسال رأس جده علاء الدولة مملوءا بالتبن إلى قانصوة الغوري. يقارن: اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص٣٣؛ حسين ناظم بيك، ص١٩-٢٠؛ علي سلطان، تاريخ العرب الحديث، ص٢٤.

(٤) فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص١٩١.

أمر سليم محمد باشا بيغلو جاوش بقيادة الحملة ضد قوات نور علي القليلة العدد، وكانت النتيجة دخول العثمانيّين أرزنجان على جثث المدافعين عنها في جمـــادى الأولى ٩٢١هـ/ حزيران ١٥١٥م[١].

وبعد هذه الرحلة المضنية، عاد سليم إلى استانبول وهناك أمر بإعدام وجبة جديدة من كبار قادته بتهمة تشجيع الانكشاريّة على التمرد في أماسيا، ورفضهم العودة إلى إيران، وعلى رأسهم اسكندر باشا، وبال يمز سگبان باشـــي، فقتلـــوا بحضوره[٢]. ومن هناك أمر بيغلو محمد باشا باحتلال ديار بكر، بعد أن أعادها قره خان استاجلو بالقوة إلى الحظيرة الصفويّة، لكن الهزيمة كانت مصير القـــوة العثمانيّة، والتجأ من تبقى منها إلى قلعة آمد عاصمة ديار بكر، وساعدهم الأهالي في التصدي للقوات الصفويّة التي حاصرت القلعة[٣].

ولما تناهت هذه الأخبار إلى مسامع السلطان سليم؛ انزعج وأمـــر بتنحيـــة هرسك زاده الصدر الأعظم من منصبه وعين بدله يونس باشا، كما أمر ســـنان باشا بقيادة قوة من ثلاثة آلاف جندي مسلحين بالبنادق، فضلا عن إرساله إلى كل من الأمير إدريس البدليسي وعدد من الزعماء الكرد، وعلي بيك شاه سوار حاكم ذي القدر، يأمرهم بالتجحفل مع سنان باشا، والتحق بهذه القوات بيغلو محمد الذي ترك قلعة آمد بعد أن تركها قره خان إلى ماردين[٤].

وفي هذه الأثناء وصلت قوة صفويّة يقودها دورميش خان قاجار لمـــساندته، فالتقى الطرفان في قوچ حصار[٥] في أطراف نصيبين ودارت معركة رهيبة بين الطرفين في ربيع الأول ٩٢٢/ نيسان ١٥١٦م، كانت معظم تفاصـــيلها لـــصالح الصفويّين حينما تمكن القزلباش من تحطيم القطعات العثمانيّـــة، وبعـــد أن لاح

---

**(١) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٢٥٩-٢٦٠؛ حسن بيـك روملـو، بيـشين، ص١٥٤؛ سومر، بيشين، ص٤٩.**

**(٢) اسبيناقچى باشا زاده، بيشين، ص١٣٧-١٣٨.**

**(٣) حسن بيك روملو،بيشين،ج١١، ص١٥٧؛ شرف خـان البدليـسي، المـصدر الـسابق، ج٢، ص١٢٦.**

**(٤) اسبيناقچى باشازاده، بيشين، ص١٧٠-١٧١؛ منوچهر پارسادوست، ريـشه هـاى تـاريخى اختلافات ايران وعراق، چاپ چهارم، تهران، ١٣٦٩ش/١٩٩١م، ص٣٣-٣٤.**

**(٥) تسمي المصادر العثمانية هذه المعركة "قره غين دده". سيار الجميل، بقايا وجذور....، ص١١٢.**

النصر لهم تمكنت رصاصة طائشة من تمزيق صدر قره خان لترديه قتيلا وليتشتت جمع القزلباش. وتقدم العثمانيّون لاحتلال ديار بكر[1]، وتمكن دورميش خان من إنقاذ خالته زوجة قره خان والعودة بها إلى تبريز[2]. فتضمنت رسالة النصر التي أرسلها بيغلو محمد باشا إلى سليم:

**"لاذت زوجة قره خان، شقيقة الشاه مع عدد من القزلباش بالفرار"[3].**

وقد أمر سليم بإرسال رأس قره خان إلى قانصوة، وهو تهديد واضح للمماليك. وهكذا فقد الصفويّون هيبتهم السياسيّة والعسكريّة أمام العثمانيّين والقوى المحلية المنافسة، فانسلخت أجزاء كبيرة من المناطق التي احتلوها وأهمها الموصل وديار بكر وماردين، لتصبح تابعة للدولة العثمانيّة التي عينت حكاماً عليها، كما طلب أمراء أردلان و العمادية وجزيرة ابن عمر الانضواء تحت الوصاية العثمانيّة، وأقامت الدولة العثمانيّة حامية لها في ولاية وان[4]. ونتيجة هذا التوسع العثمانيّ ضعف الحكم الصفويّ في وسط العراق وجنوبه.

وعلى الرغم من أن سليما تمكن من تحجيم الخطر الذي كان يهدد دولته من الشرق، إلا أنه كان على قناعة أن عليه أن يواصل الحرب ضد الصفويّين، لكن هذه المعركة أثبتت لسليم عدم إمكان القضاء على دولة كانت نتاج طريقة عمرها قرنان من الزمن. ولكن أيا كانت نتيجة هذه المعركة، فإنها كانت انتصارا كبيرا لدول أوربا المسيحية التي لولا هذا الاشتباك، لكان يمكن للعثمانيين أن يتجهوا إليها فيحققوا انتصارات مهمة، وهو رأي يؤيده أوجر بوزبك (Augir Busbeque) سفير فرديناند في الباب العالي[5].

ويمكن أن نتلمس سعي البندقيّة ورجالها في تأجيج نار الصراع بين الطرفين لأكثر من هدف، فالبندقيّة كانت في مقدمة الخاسرين من الهيمنة البرتغالية على

---

**(1) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ٥٥٤؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٦٣.**

**(2) اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص٤٣.**

**(3) فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٤١٩.**

**(4) پارسادوست، تاريخى اختلافات ايران وعراق، ص٣٢-٣٣؛ عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م، دمشق، ١٩٧٤م، ص٦٦.**

**(5) Convection for: Creasy, Op. Cit., P. 171.**

تجارة الهند، حينما فقدت صفة الوساطة فيما يتعلق بالتجارة الشرقية، وكانت تطمع بالحصول على موطئ قدم في البحر الأحمر، وفي تصورها أنها مؤهلة أكثر من القوى المحلية الأخرى للتصدي للبرتغاليين، والهيمنة على تجارة الشرق[1].

لذا فان أي صدام بين القوى المحلية يصب في مصلحة البندقيّة، في وقت وجدت استعدادا لدى حكام المنطقة للتدخل بينهم. وتصب في هذا المجال تلك الأخبار الأسطورية الملفقة التي كان ينقلها الدبلوماسيون والرحالة البنادقة عن الشاه وإيران التي كانت تستفز مشاعر المسلمين، فهم ينقلون أن القزلباش كانوا يعبدون الشاه بدلا من الله(ﷻ) ويسجدون له[2]، وهو ما تلاقفته المصادر العربيّة والعثمانيّة[3]. على أن أهالي تبريز كانوا يدركون هذا النشاط التخريبي ليس في هذا الوقت فحسب، بل ومنذ عهد أوزون حسن، إذ يقول امبروزيسو كنتاريني (Ambrosio Contrarini) سفير البندقيّة لدى سلطان الآق قوينلو:

"كنا نسمع أهالي تبريز يصفوننا بالكلاب ويرددون، إنهم جاءوا ليفرقوا بين المسلمين، لذا علينا أن نقطعهم إربا"[4].

---

(١) سمير الخادم، المصدر السابق، ص٣٠-٣١.

(٢) نقل از: سيورى، تحقيقاتى...، ص١٠٣-١٠٤. ويكذب هذه الأخبار ما ورد في ديوان الشاه من قصائد خشوع، وإقرار بالعبودية، وتضرع إلى الله، والتوسل بالنبي وآل البيت، ليعفو الله عنه. يقارن: "شاه اسماعيل خطائي أرثر لري"، ج١، ص١٢، ١٥.

(٣) قال عنه النهروالي، أنه قتل أكثر من ألف ألف نفس، حتى لم يعهد في الجاهلية ولا في الإسلام ولا في الأمم السابقة من قبل من قتل من النفوس ما قتله الشاه اسماعيل وقتل عدة من أعاظم العلماء بحيث لم يبق من أهل العلم أحد في بلاد العجم، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم، وكان شديد الرفض بخلاف آبائه، ومن جملة تعظيم أصحابه له أنه سقط مرة منديل من يده إلى البحر وكان على جبل شاهق مشرف على ذلك البحر فرمى نفسه خلف المنديل فوق ألف نفس تحطموا وتكسروا وغرقوا، وكانوا يعتقدون فيه الألوهية. قطب الدين النهروالي، المصدر السابق، ج٣، ص١٢٦.

(٤) نقل از: پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٧٢٩.

## سادسا. أوضاع إيران في السنوات العشر الأخيرة من حكم الشاه اسماعيل:

عاد الشاه اسماعيل إلى عاصمته، بعد خروج العثمانيّين منها، كما بدأت القيادات الصفويّة العودة إلى مناطقها منذ أواخر ٩٢٠هـ/ أوائل١٥١٥م، لإعادة بسط نفوذها على الأقاليم، ومن بين هذه المناطق، شمالي العراق وماردين وديار بكر التي تولى حكمها قره خان استاجلو (شقيق محمد خان استاجلو)[١]. واضطر الشاه لترقية رجال كانوا يشغلون مناصب أدنى إلى المناصب القيادية في الدولة بسبب مقتل عدد كبير منهم. فبعد مقتل الأمير عبد الباقي، عيّن مكانه ميرزا شاه حسين الأصفهاني[٢] في منصب الوكيل، وكان يتولى قبل ذلك منصب الصدر الأعظم، لكن هذا المنصب أصابه التبدل بعد هذا التاريخ، فلم يعد الناس تطلق عليه سوى لقب "صدر الصدور" أو "الوكيل" أو "وكيل السلطنة". كما بدأت عناصر القزلباش تشعر أنه حظي من الشاه برعاية أكبر مما يستحق، لاسيما بعد أن ترك الشاه شؤون الحكم بيده مدة طويلة في أعقاب انكساره العسكري والنفسي في جالديران وانسحابه من الحياة السياسيّة، وألزم الأمراء والأعيان وأشراف الدولة وموظفي السلطنة بتنفيذ أوامره ونواهيه وعدم إجراء أي شيء دون موافقته[٣]، حتى تجرأ على إبعاد دورميش خان شاملو ابن أخت الشاه ومربي ابنه سام ميرزا، عن البلاط وتعيينه حاكما على خراسان[٤]، وهو أحد أبرز رموز

---

(١) حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٠٤؛ حسين ناظم بيك، المصدر السابق، ص٢٤. كان محمد خان استاجلو مقترنا بأخت الشاه اسماعيل، وبعد مقتله أمر الشاه بأن يتزوجها أخوه محمد بيك قره خان استاجلو. پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٥٢٨.

(٢) معمار من أصفهان، كان أحد موظفي دار السلطنة هناك، فاتخذه دورميش خان ابن أخت الشاه، مساعدا له حينما صار واليا على أصفهان، وحينما عين الشاه دورميش خان مربيا لولده طهماسب، عاد إلى تبريز، فدخل من خلاله ميرزا شاه حسين إلى بلاط تبريز، وتمكن بدهائه من التقرب إلى الشاه وأن يصبح وزيرا ثم نائبا للشاه. ويقال أنه كان ينزعج عندما يصادف دورميش خان لأنه يتذكر أسوأ أيامه معه، فأبعده عن البلاط وعينه وال على هرات. وظل كذلك حتى قتل. غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٩٨؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٧٧.

(٣) سيورى، ايران عصر صفوى، ص٤٦.

(٤) تسمي المصادر الصفويّة دورميش خان: "أنيس الحضرة البهية وجليس العتبة العليّة" أو=

القزلباش، فتآمر القزلباش لقتله عدة مرات حتى أفلحوا في النهاية في إيداعه الثرى بخناجر أحد حراس الشاه الشخصيين وجمع من القورچية في ٢٨جمادى الثاني ٩٢٩هـ/ ١٤نيسان ١٥٢٣م، وهربوا إلى شيروان، لكنهم أدركوا وألقي القبض عليهم ليقتلوا[١].

وعلى الرغم من أن هذا الحادث أثر في نفس الشاه كثيرا، إلا أنه ظل عازما على انتهاج سياسة الموازنة بين مكونات الشعب الإيراني، فعيّن الخواجة جلال الدين محمد التبريزي بمنصب الوكيل، بعد أن كان "وزيرا مستقلا لدى صاحب الحضرة العليّة"[٢]، وبقي هذا في منصبه حتى وفاة الشاه إسماعيل بعد سنة من ذلك التاريخ.

وبعد أن شغر منصب الصدر بتعيين الميرزا شاه حسين وكيلا توالى على المنصب كل من القاضي شيخ كبير الأردبيلي والأمير جمال الدين الاستراباذي الذي عاد إلى المنصب بتدخل الشاه، وبقي فيه حتى وفاة الشاه[٣]. كما اتخذ الشاه من چون جليل سلطان ذي القدر، وأخيه برادرش خليل سلطان حرسا له، بعد مقتل سارو پيره استاجلو في جالديران[٤]،

وبعد أيام قليلة من عودة الشاه إلى تبريز وصله رأس مراد بيك آق قوينلو الذي كان يعيش لدى علاء الدولة ذي القدر، وعندما انتصر سليم في جالديران دعاه للحضور إلى تبريز لتسلم الحكم، لكن تداعيات الأيام التالية لجالديران التي أجبرته على الإسراع بمغادرتها، دعت مراد للعودة إلى ديار بكر، فاشتبك مع القائد الصفوي آچه سلطان قاجار، في ربيع سنة٩٢١هـ/ ١٥١٥م، وتمكن الأخير

---

="إيشيك أقاسي ديوان أعلى"، أي رئيس تشريفات البلاط الشاهنشاهي. سيورى، تحقيقاتى...، ص١١٨.

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٨٨؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص ١٨٤.

(٢) حسن بك روملو، بيشين، ج١١، ص٣٧٤.

(٣) راجر سيورى، "مناصب عمده دولت صفوى در زمان شاه اسماعيل اول"، صفويان (كتاب)، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٤) خاندان نصيرى، بيشين، ص٣٣، ٩٧.

من قتله وأرسل رأسه للشاه، فكرمه بهدايا فاخرة ومنحه لقب قدورمش سلطان[1].

وفيما يخص إمارات كردستان، فقد تقدم شرف الدين حكيم البدليسي حاكم بدليس إلى السلطان سليم بعد انتصاره في جالديران، طالبا منح حكام كردستان الاستقلال الذاتي تحت ظل الدولة العثمانيّة، فلم يتردد في أن يكتب له عهدا بذلك[2]. كما كتب إلى داود بيك حاكم خيروان رسالة مؤرخة في الثاني من رجب عام ٩٢٠هـ/ ٢٣ آب ١٥١٤م، يطلب منه مساعدة الأمير شرف الدين لاسترداد قلعة بدليس من أيدي القزلباش[3]. وبالفعل فقد هاجم البدليسي قلعته وبعد مقاومة بسيطة استسلم القزلباش الموجودون فيها، ولم يبادر الأمير شرف الدين إلى قتلهم، بل أرسلهم إلى إيران[4].

وفيما يخص السياسة المذهبيّة، فقد عاد الشاه إلى تبريز بعد الهزيمة بقناعة جديدة مفادها أن الانتماء المذهبي لا يمكن أن يكون الفيصل في ولاء الفرد للحاكم، فكانت تضحية رستم بيك كرد حاكم لرستان وأعوانه، ومقاومة أهالي تبريز للاحتلال العثمانيّ على الرغم من عدم مرور وقت طويل على إدخالهم للتشيع، مقارنة بانتهازية بعض قيادات القزلباش ومنهم خليل سلطان ذي القدر، دليلا على أن الرعية التي أجبرت على تغيير عقائدها لم تهتبل فرصة انكسار الدولة وتطعنها من الخلف، وظلت مخلصة لدولتها في ظروف الاحتلال الأجنبي أيا كانت صوره ومبرراته، هذا إذا ما استثنينا بعض الكرد، ومن هنا نفهم الأسباب التي أدت بالشاه إلى أن يأمر حكام الأقاليم بتغيير سياسة الدولة

---

(١) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٤٩٣. وقدورمش: كلمة تركية تعني الشجاع أو المقدام.

(٢) يراجع للإطلاع على نص العهد: شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٦-٤٣٧؛ حسن الجاف، حياة فرهنكى كرد، ص٦٠.

(٣) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٣٩٣.

(٤) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٣؛ فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص٧٥؛

Creasy, Op. Cit., P. 140.

ويقول المؤرخ البريطاني ديفيد مكدول، إن هذه الأخبار منقولة عن البدليسي نفسه، لذا ينبغي أخذها بحذر. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص٦٩.

المذهبيّة[١]، وجاء في أحد توجيهاته:

"لا تجبروا أحدا على ترك مذهبه، واحرصوا على المساواة بين الرعية في حقوقهم وواجباتهم أمام المحاكم، ولا تضيعوا حقوق أحد"[٢].

كما لم يعرف عنه استخدام العنف الداخلي إلا في مرة واحدة، حينما أراد أن يعاقب خليل سلطان ذا القدر الذي امتنع عن الإسهام في المعركة، فقام بإرسال القورچي باشي كور سليمان للقصاص منه. وعندما وصل هذا إليه وجده في جلسة طرب، فهمس بإذنه أن الشاه أمر بأن يضرب اثنتا عشرة عصا عقابا على عصيانه الأوامر، وانه يريد أن يرافقه لمكان سري كي لا يراه ندماؤه، فذهب معه وضرب عنقه وجلب رأسه للشاه[٣]. ولكنه وبغية ضمان استمرار ولاء قبيلة ذي القدر له، أعلن لزعمائهم أن شيراز ستظل وراثية في قبيلتهم، ونصّب علي بيك ذا القدر حاكما عليها[٤].

وشمل التحول السياسي الصفويّ مجال العلاقات الخارجية، بعد أن بدأ اسماعيل ينظر بعين أخرى لمخالفيه، فعلى الرغم من السنوات الطويلة من العداء بين الصفويّين والشروانيين، حاول تحسين علاقته بشيخ شاه بن فرخ يسار سلطان شروان، بعدما تيقن من سعي السلطان سليم إلى التقرب منه. وعلى أثر وصول وفد يمثله إلى تبريز، بادر الشاه اسماعيل في سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م إلى إرسال وفد رفيع برئاسة نائبه ميرزا شاه حسين الأصفهاني إليه. ويرى المؤرخون الصفويّون، أن شروان شاه بادر إلى التوسط بين الشاه والسلطان سليم[٥]، بعد أن وصلته رسالة من القاهرة في السنة نفسها، تحمل رغبة سليم في

---

(١) يعلل أحد المؤرخين العثمانيين هذا التحول، بعدم استفزاز سليم، ومحاولة استرضائه كي لا يفكر بغزو إيران مجددا، وكأن هذا المؤرخ مقتنعا أن إخلاص سليم للتسنن، حتى بعد أن حارب المماليك السنّة هو الدافع وراء غزو إيران. إبراهيم بك حليم، المصدر السابق، ص٨٢.

(٢) اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص١٢٨؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٤٩٧.

(٣) غياث الدين خواندمير، بيشين،ج٤، ص٥٥٠-٥٥٢؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٥٢.

(٤) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٢٥٦؛ احمد قمى، بيشين، ص١٤٦.

(٥) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٥٧؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٢٧١ب؛ احمد قمى، بيشين، ص١٣٩؛ اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص٤٤.

إعادة الكرّة على إيران[1].

ويبدو أن السبب في تدخل شيخ شاه ليس التقرب من اسماعيل فحسب، بل لاتقاء شر سليم الذي لم يسلم منه صديق ولا عدو، قريب أو غريب. واشتكى الشاه في رسالته إلى شيخ شاه من مخالفة سليم للأعراف السياسيّة، حينما ثابر على اعتقال الوفود التي أرسلها إليه، فحاولت رسالة شيخ شاه الجوابيّة إلى سليم، أن تذكره بعظمة دولته والمجد الذي وصل إليه، حينما ركّز على وصف الأقاليم التي دانت لسليم ابتداء من جيلان ومازندران وقهستان وجنوب خراسان وقاين وبيرجند وسيستان وأمراء الكرد فضلا عن ملوك جورجيا، وذلك كي يذكره بهذه الأقاليم فيشبع ويمتنع عن التوسع بعد ذلك، كما تضمنت الرسالة رجاءه أن لا يغلق باب العفو في وجوه الذين يلتجئون إليه، ورجاءه أن يقبل مبعوثي الشاه ويقبل اعتذاره[2].

لكن جواب سليم لم يختلف عن سابقاته، بل طلب من شيخ شاه أيضا أن يسهم في قلع تلك الفئات، وأن لا يبخل عليه بالمعلومات الإستخبارية عن إيران وتهيئة كميات من المؤن والأعلاف للجيش العثمانيّ القادم[3]، وهو طلب تكرر في رسائل أخرى أرسلها سليم إلى كل من حاكمي جيلان وحاكمي مازندران. وهنا لا بد أن نذكّر بأن حكام گيلان، سواء أميره دباج حاكم الجزء الغربي (رشت)، أو أحمد كاركيا حاكم القسم الشرقي (لاهيجان)، هم من الشيعة الزيدية، وحكام مازندران سواء من السادة المرعشية، أو من آل روزأفزون، هم من الشيعة الإمامية، وما تضمنته رسائل سليم إليهم من أنواع التقدير والاحترام، أدركنا أن السبب المذهبي لم يكن الدافع لتحركه ضد اسماعيل[4].

---

(١) يراجع للاطلاع على نص رسالة النصر: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٤٣٧-٤٤٤؛ "شاه اسمعيل صفوى. اسناد ومكاتبات...، ص٢٧٥-٢٨٩.

(٢) يراجع للاطلاع على نص الجواب: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٤٤٤-٤٤٥؛ "شاه اسمعيل صفوى. اسناد ومكاتبات...، ص٢٩٥-٢٩٨.

(٣) يراجع للاطلاع على نص الرسالة الثانية: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٤٤٥-٤٤٦؛ "شاه اسمعيل صفوى. اسناد ومكاتبات...، ص٣٠١-٣٠٢.

(٤) يراجع للاطلاع على نصوص الرسائل: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٤٣٥، ٤٣٦-٤٣٧؛=

وفي الجانب الآخر استمرت العلاقات الصفويّة الشيروانية بالتحسن، وأرسل شيخ شاه ابنه خليل إلى تبريز عام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م، محملا بالهدايا وطالبا يد ابنة الشاه اسماعيل، فوافق الشاه وحمله بالهدايا المناسبة حينما عاد مع زوجته إلى شروان، بل وبادر شيخ شاه بنفسه لزيارة الشاه حينما كان في مراغة في السنة نفسها، فلقي منتهى الحفاوة والاكرام في ضيافته التي دامت عدة أيام، طلب خلالها الشاه الزواج من بنت شيخ شاه، فوافق وأرسلت الفتاة له واستقبلها قرب تبريز[١]. وهكذا تحولت العلاقات بين العائلتين من الحرب والثأر، إلى المصاهرة والمودة وحسن الجوار.

كذلك حاول اسماعيل حل المشكلات الداخلية التي كانت تظهر بين الحين والآخر، بطريقة سلمية بعيدة عن السياسة السابقة، ففي سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م وبعد أن قضى الشاه عيد النوروز في نخجوان، انتقل إلى قم فبلغه أن حكام مازندران امتنعوا عن دفع الخراج السنوي، فوجه إليهم زينل خان و دورميش خان لمعالجة الوضع، فتمكن الاخير من الاستيلاء على قلعة كليس بعد هرب محمد روزافزون، وبعد ثلاثة أيام من الحصار، واستولى على مجوهرات وأموال كثيرة، وأرسلها إلى الشاه. ثم توجه دورميش خان بعدها إلى قلعة أولاد حيث التجأ روزافزون، لكن الأخير أرسل يطلب الأمان فمنحه ما أراد[٢].

ولما سمع أخوه عبد الكريم بذلك، بادر هو أيضا إلى إرسال ابنه محمود إلى دورميش ومعه هدايا ثمينة، وتعهد أن يرسل خراجا سنويا، فأرسل الهدايا والوفود إلى إسماعيل فأكرمهم، لكن محمد روزافزون هرب من معسكر الشاه، إلى مازندران لمحاربة أخيه عبد الكريم فانتصر عليه. لذا انتدب الشاه چوهه سلطان على رأس جيش من العراقين والكرد لردعه، وألقي عليه القبض وأرسل مخفورا إلى الشاه الذي عفا عنه، لكنه لم يسمح له بالعودة، لينفرد أخوه عبد

---

="شاه اسمعيل صفوى. اسناد ومكاتبات...، ص٣٢٣-٣٢٥، ٣١١-٣١٥.

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٧٤؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٦٨؛ قزوينى غفارى، بيشين، ص٢٨٠.

(٢) مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٢٧٨؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٧٣.

الكريم بالحكم، مقابل تعهده بدفع سبعة آلاف تومان سنويا. وظل الحال كذلك حتى وفاة الشاه اسماعيل[1].

وكان ميرزا محمد زمان بن بديع الزمان بن حسين ميرزا قد استغل انشغال الشاه بأحداث جالديران وتخلفه عن متابعته فزحف نحو استراباد واستولى عليها والتف حوله جيش من الجغتاي، لكن الخواجه مظفر الدين تپكچى بالاتفاق مع أمراء خراسان زحفوا إليه وألحقوا الهزيمة به في١٦رمضان٩٢٠هـ/٣٠تشرين أول١٥١٤م فلاذ بالفرار نحو جورجيا واتفق مع أميرها أردوشاه الذي كان أحد رجال جده، على إحتلال إقليم بلخ الذي صادف أن كان واليها ديو سلطان قد التحق بخدمة اسماعيل وترك الأمير محمد بهارلو يحكمها، لذا تمكن محمد زمان من دخولها بجهد ضئيل وظل يحكمها طوال عشر سنوات[2].

أما ولاية خراسان التي كانت تمر بظروف اقتصادية واجتماعية صعبة نتيجة عدم استقرارها السياسي، فكان عليها مواجهة تهديدات الأوزبك المستمرة لها بالتنسيق مع العثمانيّين، حينما استمرت المراسلات بين السلطان العثمانيّ وعبيد خان الأوزبك، لكن الأخير لم يستغل فرصة جالديران ويهاجم خراسان طبقا لخطة سليم بتقسيم إيران بينهما[3]. وربما منعته من ذلك المجاعة والأوبئة التي عانت منها خراسان ابتداء من سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م[4]، وأدت إلى انتشار السلب والنهب، والتي طلب على أثرها أمير خان موصلو والي قاين وزينل خان والي هراة وديو سلطان حاكم بلخ وشبرغان، من الشاه إنقاذ الموقف، بعدما استمرت الأوضاع بالتدهور، فقرر الشاه إرسال ابنه الأمير طهماسب ليكون حاكما على المنطقة الشرقية الممتدة من نهر جيحون إلى حدود سمنان ودامغان. ولأن طهماسب كان صبيا أمر الشاه أن يكون أمير خان موصلو مستشارا خاصا له

---

(١) غياث الدين خواندمير، بيشين،ج٤،ص٥٦٠-٥٧٤؛احمد قمى، بيشين، ١٤٠.

(٢) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٢٥٩أ؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٥٠؛ شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤١.

(٣) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٤١٥-٤١٦.

(٤) غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٥٢؛ ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٢٥٩أ؛ امير محمود خواندمير، بيشين، ص٨٨.

وأميرا لأمراء خراسان، والأمير غياث الدين محمد بن الأمير يوسف صدرا وقاضيا للقضاة ومقدما للعلماء والسادات هناك. فوصل طهماسب ومساعدوه إلى هراة في ربيع الأول٩٢٢هـ/ نيسان١٥١٦م، ففوّض أمير خان شؤون الإقليم إلى مجد الدين محمد الكرماني، لكنه عزله بعد سنتين، فتوالى في هذا المنصب كل من مولانا أمير السمرقندي، وخواجه علي جان كره رودي. وخلال ذلك بدأ الصراع بين القزلباش والتاجيك يتصاعد في ظل تراجع نشاط الشاه السياسي وتأثيره في الأحداث، لاسيما بعد أن أوكل، منذ سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م، إلى الأمير غياث الدين مهمة تعليم ابنه طهماسب وتربيته، وعينه حاكما عاما على خراسان، أي أن يحل محل أمير خان القزلباشي. فبادر أمير خان إلى منع الأمير غياث الدين من ممارسة صلاحياته، وبدأ يحكم الإقليم بروح من الفردية والاستبداد. وحتى حينما هاجم عبيد خان خراسان برفقة ثلاثين ألف مقاتل، بعد وفاة السلطان سليم بعام واحد، لم يلب أمير خان موصلو طلب الأمير غياث الدين نجدة هراة التي كان يقاتل فيها وحاصرها الأوزبك، لكن الصدر غياث الدين تمكن من الصمود لمدة اثني عشر يوما، واضطر عبيد لأن يعود أدراجه إلى بخارى في٢رجب٩٢٧هـ/ ٨كانون الثاني١٥٢١م[1].

وكان الأمير غياث الدين يهم بالسفر إلى الشاه ليعرض عليه سلوك أمير خان موصلو، حينما أمر الأخير بقتله في السجن ومصادرة أمواله، وأرسل إلى الشاه يبرر ذلك بخيانة غياث الدين ومراسلته لمحمد بابر شاه يدعوه للحضور وتسلم الحكم في خراسان[2]. لكن هذه المزاعم لم تنطل على الشاه، وطلب من أمير خان موصلو الحضور إلى تبريز للتحقيق معه حول قتل غياث الدين، فحاول المراوغة والتهرب من الحضور متخذا من طهماسب الصبي رهينة تحميه من بطش الشاه

---

(١) لكي يبرئ موصلو نفسه من تهمة التقاعس عن التصدي للأوزبك، أرسل إلى الشاه في تبريز يطلب النجدة، فأرسل له قوات يقودها دورميش خان وزينل سلطان لنجدتهم، لكن عبيد خان اضطر أمام مقاومة هراة، أن ينسحب مؤثرا مهاجمة القرى والقصبات التي تقع أمامه، فيسلب وينهب، ولم يسجل هجوما أوزبكيا آخر في حياة اسماعيل. يراجع للإطلاع على التفاصيل: غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٥٤؛ امير محمود خواندمير، بيشين، ص١٠٣.

(٢) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٦-١٤٧.

وعقوبته. لكن الأخير قام بتعيين ابنه الثاني سام ميرزا حاكما عاما بدلا من طهماسب، وتكليف ابن أخته دورميش خان بمرافقته بوصفه أمير أمراء خراسان. وكان على الأخير استدراج أمير خان موصلو وإرساله إلى تبريز وإنقاذ طهماسب من براثنه، فأرسل إليه في سبزوار يطمئنه أنه لازال حاكم خراسان المطلق، وذهب إليه بقوة قليلة يدعوه للعودة، فنجحت الخطة وعاد إلى هراة، ومن هناك أرسله دورميش خان للشاه برفقة طهماسب، لكنه توفي بعد مدة قصيرة من وصوله تبريز، وأمر الشاه بإعادة أملاك الأمير غياث الدين إلى أهله وإكرامهم(١).

مع كل ما تقدم كان الشاه يدرك أن السياسة السلمية التي انتهجها في أعقاب جالديران، ستؤدي إذا ما تمادى بتطبيقها، في ظل إنكسارات متواصلة في مواجهة العثمانيّين، إلى تفرغ جموع القزلباش للشغب والمشاكل الداخلية بسبب حاجتهم إلى الغنائم التي كانت في مقدمة الأهداف التي جاءوا إلى إيران من أجلها. وكان لابد من البحث عن جبهات أخرى للغزو والقتال لإشغالهم، فأقنعه بعض زعماء القزلباش بالهجوم على جورجيا، بوصفها دولة نصرانية لا تستفز مهاجمتها أحدا من القوى الإقليمية، فأنفذ أربع غزوات ضد الجورجيين، دون أن يشارك فيها، مستغلا الصراع الداخلي الذي نشب بين حكام ولاياتها(٢)، ولجوء گرگوار حاكم ولاية كاخت، بعد أن هزم أمام منوچهر حاكم ايمرتل، إلى الشاه، فأرسل معه قوة يقودها ديو سلطان روملو، واستطاع أن يدحر منوچهر ويسلب ولايته وينهبها، فلجأ الأخير بالمقابل إلى السلطان سليم الذي أرسل معه قوة يقودها ميرزا بيك عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، تمكنت من إلحاق الهزيمة بغريمه گرگوار الذي هرب مجددا إلى إيران. وعاد ديو سلطان روملو ثانية واصطدم بمنوچهر وميرزا بيك، وتمكن من قتلهما وسحق قواتهما والعودة إلى نخجوان

---

(١) يراجع للإطلاع على التفاصيل: غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٨٧-٥٨٨؛ امير محمود خواندمير، بيشين، ص١١٣-١١٦؛ اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص٤٤؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٥٨٤-٥٨٧.

(٢) تتكون جورجيا من أربع ولايات: كاخت (Kakhetia)، كارتيل (Kartlia)، إيمرتل (Imeretia)، مينگرل (Mingrelia). پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٥٩٢.

منتصرا. وأصبح گرگوار حاكما على الولايتين، وعندما ثار عليه الجورجيون، لجأ من جديد إلى الشاه، فقاد ديو سلطان قوة صفويّة ثالثة تمكنت من إلحاق قلعة گوري مركز جورجيا، ليعيده الشاه للمرة الرابعة لغزو جورجيا سنة٩٢٧هـ/ ١٥٢١م، بعد أن قام لوند خان أحد ولاة جورجيا بالهجوم على ولاية شكى، لكن ديو سلطان عاد هذه المرة إلى معسكره دون حرب، ذلك أن لوند خان سرعان ما أبدى الطاعة للشاه قبل المعركة فعفا عنه[١]. وهكذا شهدت السياسة الداخلية الإيرانية تحولا نحو العقلانية واللين، وتحول الانتقام في شخص الشاه إلى العفو والمهادنة، على أن جالديران لم تغير رؤية الشاه في المجال الداخلي فقط بل امتد ليشمل علاقات الدولة الخارجية، حينما بدأت إيران بالانفتاح على الدول الأخرى.

**سابعا. علاقات إيران الخارجية في أعقاب جالديران:**

كان من أبرز نتائج معركة جالديران، إدراك الشاه الذي كان منكفئا على الداخل، أهمية العلاقات الخارجية في بناء الدولة، التي أفاد منها سليم في حربه ضد إيران، فإذا كان بمقدور رسالة من سليم إلى عبيد الله خان الأوزبك تحييد عشرات آلاف القزلباش لحراسة الحدود الشرقية، وكان بإمكان رسالة أخرى إلى فرحشاد بيك آق قوينلو، أن تقدم له معلومات استخباراتية ثمينة كان بأمس الحاجة إليها. لذا بعد أن يئس اسماعيل من جنوح سليم إلى الصلح، وفشل بعثاته الأربع إلى استانبول، اضطر لإقامة علاقات مع الغرب، فاتجه أولا نحو البرتغاليين الموجودين في الهند والخليج.

وكان اسماعيل اضطر إلى السكوت عن السياسة البرتغالية في الخليج وسيطرتها على مدخله، ففكّر في طلب مساعدة البوكيرك في حربه مع العثمانيّين، فأرسل وفدا يطلب منه مد يد الصداقة والتعاون، فكان الرد البرتغالي

---

**(١) يراجع للاطلاع على تفاصيل هذه الأحداث: ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٢٧١أ؛ حسن بيك روملو، بيشين، ج١١، ص١٦١؛ احمد قمى، بيشين، ١٣٧؛ پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٥٨٠-٥٨٢.**

هذه المرة على الرسالة ايجابيا[1].

وفي جمادى الأولى ٩٢١هـ/ نيسان١٥١٥م، عقد الطرفان معاهدة تساعد البرتغال بموجبها الدولة الصفويّة على بسط نفوذها على إقليمي البحرين والقطيف، والسيطرة على المناطق الساحلية في بلوجستان ومكران المتمردة حينذاك، مقابل الاعتراف الصفويّ بالهيمنة البرتغالية على هرمز وامتناع المأمورين الصفويّين من التدخل في أمور الجزيرة. كما اتفق الطرفان على التعاون في محاربة الدولة العثمانيّة[2]، وتزويد الصفويّين بالمدافع الثقيلة لتطوير قدرات الجيش[3].

لكن هذه الاتفاقية ظلت حبرا على ورق، وتحولت إلى اتصالات سياسيّة مجردة لم تنفذ على أرض الواقع، لان البوكيرك عاد بعد عقد هذه المعاهدة إلى الهند ونصّب ابن أخيه برو (Peru) حاكما على هرمز، ليموت في الهند بعد ذلك أوائل رجب ٩٢٢هـ/ أواسط كانون الأول١٥١٥م[4]، وبقيت السفن البرتغالية تحتكر التجارة وتجوب الخليج العربي من هرمز حتى البصرة أكثر من قرن، دون حساب لمصالح الصفويّين[5].

كما وافق اسماعيل على التنسيق مع مماليك مصر والشام، ضد العثمانيّين ومخططات سلطانهم التوسعية، فاستقبل العجمي الشنقجي مبعوث السلطان الغوري الذي عرض عليه التحالف لمواجهتهم، وتعهد بارسال القوات المملوكية

(١) عباس إقبال، مطالعاتى در باب بحرين وجزاير وسواحل خليج فارس، تهران، ١٣٢٨ش/ ١٩٥٠م، ص٨؛ عبد الحسين نوائى، روابط سياسى ايران واوربا...، ص١٠.

(٢) ج.ج. لوريمر، دليل الخليج العربي ـ القسم التاريخي، ترجمة: قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر، الجزء الأول، الدوحة، بلا تاريخ، ص١٤؛ عبد الحسين نوائى، روابط سياسى واقتصادى ايران...، ص٨٦؛ الشناوي، المراحل الأولى للوجود البرتغالي...، ص٦٤٠.

(٣) هوشنگ مهدوى، بيشين، ص٢٢. لم تصل هذه المدافع إلا في عهد الشاه طهماسب الأول. سيورى، ايران عصر صفوى، ص١٠٣.

(٤) والدليل على أن هذه الاتفاقية ليست سوى مراسلات سياسية، أن مؤرخا معاصرا للصفويين لم يتناهى إلى سمعه شيئا عنها. أحمد المليباري، المصدر السابق.

(٥) فلسفى، ايران وعلاقاتها الخارجية...، ص١٦؛ على أكبر ولايتى، تاريخ روابط خارجى ايران در عهد شاه اسماعيل صفوى، تهران، ١٣٧٥ش/ ١٩٩٧م، ص٢٦٣-٢٦٤.

إلى حدود بلاد الشام في حالة حدوث صراع أخر بهدف إحباط المخططات العثمانيّة[١]. وأرسل اسماعيل بالمقابل في سنة٩٢٢هـ/ ١٥١٥م، سفيرا إلى القاهرة، برفقة مئتي جارية جورجية وتركمانية هدية إلى السلطان، ورسالة مودة شدّد اسماعيل فيها على ضرورة التحالف في مواجهة العثمانيّين عسكريا[٢].

وكان سليم في هذا الوقت قد سيطر على أجزاء من كردستان وشمالي العراق، ثم صوّب أنظاره نحو سوريا المملوكية. لذا قام السلطان قانصوة بإعداد جيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل من القاهرة، ولما وصل إلى شمالي حلب، اصطدم بجيش عثماني كبير يقوده السلطان سليم، ودارت بينهما معركة شديدة في مرج دابق في ٢٤نيسان ١٥١٦م، دارت فيها الدائرة على المماليك[٣]، وقتل فيها سلطانهم الكهل قانصوة، وتم أسر آخر الخلفاء العباسيين في القاهرة الذي كان عبارة عن رمز ديني وأرسل إلى استانبول[٤]. ولم يكتف السلطان بهذا النصر، بل واصل زحفه إلى القاهرة وخاض هناك معركة ناجحة أخرى في الريدانية في ٣نيسان١٥١٧م ضد السلطان المملوكي الجديد طومان باي الذي فرّ من المعركة، حين خانه من لجأ إليهم وسلموه للعثمانيين، فشنق في القاهرة وانتهى حكم المماليك في مصر[٥]. وهناك تسلم السلطان سليم مفاتيح الكعبة من شريف مكة[٦]، وهو ما يعني رمزيا جماية العثمانيّين للعتبات المقدسة.

وعلى الرغم من هذه التداعيات لم يشأ الشاه إسماعيل الإسهام فيها ضد

---

**(١) ابن آجا الحلبي، المصدر السابق، ص٢٣١؛ عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، ص٧٣. يصر المؤرخ الروسي إيفانوف على أن وفدا من اسماعيل استقبل في القاهرة قبل هذا التاريخ، تماشيا مع المصادر العثمانية، لكن الوثائق تثبت أن التنسيق لم يبدأ إلا بعد جالديران، وان المماليك هم الذين بدأوا بذلك. ولم يسجل ذهاب وفد صفوي الى هناك إلا بمناسبة قتل شيبك خان، كما مر بنا. إيفانوف، المصدر السابق، ص٣٦.**

**(٢) رسول جعفريان، مناسبات سياسى...، ص٤٤-٤٥.**

**(٣) يقول ابن طولون، إن أسباب التوجه العثماني لضرب المماليك تكمن في ما تناهى إلى أسماع سليم من اتفاق بينهم وبين اسماعيل. ابن طولون، مفاكهة الخلان...، ص٢٣.**

**(4) Bury, Op. Cit., PP. 39-40; Shaw, Op. Cit., Vol. I, PP. 84-85.**

**(٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص٨١-٨٥؛ صالح العابد، المصدر السابق، ص١٦.**

**(6) Lane-Poole, Op. Cit., PP. 161-162; Eversley, Op. Cit., PP. 117-118.**

العثمانيّين، على وفق الاتفاق مع الغوري، دون أسباب واضحة. فالمؤرخون العثمانيّون يدّعون أن اسماعيل كان يريد استرضاء سليم بأي ثمن[1]، لكن التغيير الذي طرأ على سياسة الشاه اسماعيل نحو العقلانية والسلم، ربما هو السبب وراء عدم مشاركة اسماعيل بهذه الحرب، مع أنه كان قد هيأ جيشا كبيرا حينما وردته أخبار خروج سليم لحملة بلاد الشام التي كان يعلن أن إيران هي وجهته، لكنه توجه للنزهة والتمتع حينما وجد أن الخطر قد زال[2]. على أن من حق الشاه أن لا يثق بالمماليك الذين كانت أوساطهم تعلن عداءها للصفويين، وكانوا قد انتهوا في القاهرة، حسب أحد المؤرخين، في٧ رجب ٩٢٠هـ/ ٢٨ آب ١٥١٤م، أي بعد خمسة أيام من معركة جالديران، من إعداد جيش لنصرة العثمانيّين في حربهم ضد اسماعيل[3].

أرسل اسماعيل سفارة أخرى، ولكن إلى البندقيّة هذه المرة بهدف الاتفاق معها على مهاجمة العثمانيّين من البحر في الوقت الذي يهاجم الصفويّون من البر، وبهذا يتمكن الطرفان من إعادة ما فقداه في صراعهما ضد العثمانيّين، لكن البنادقة اعتذروا عن الاستجابة للصفويين بحربهم مع بابا الفاتيكان، واضطرارهم لعقد اتفاقية صلح حديثة مع العثمانيّين، فعاد مبعوث الشاه خالي الوفاض[4]. ويبدو أن هذه هي المرة الأولى التي يتصل بها الصفويون بالبنادقة، وهذا يتعارض وما أورده ابن اياس المؤرخ المملوكي المعاصر، من إلقاء القبض على رسل الشاه اسماعيل إلى ملوك الفرنجة، في سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م للاتفاق على مهاجمة المماليك. ويبدو أنها جزء من دعاية مضادة كانت تنتشر في بلاد الشام بغرض التحريض ضد الصفويين[5].

وبعد أن سمع الشاه إجابة البندقيّة وسقوط مصر والشام بيد العثمانيّين، أرسل في ٩٢٥هـ/ ١٥١٨م سفيرا إلى ملك المجر دعاه للاتحاد ضد عدوهما

---

(١) اسماعيل حقى، بيشين، ص٣٠٢.
(٢) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، ص٢٧٣أ.
(٣) ابن طولون، مفاكهة الخلان...، ص٥٠٤-٥٠٥.
(٤) سيورى، ايران عصر صفوى، ص١٠٤؛ هوشنگ مهدوى، بيشين، ص٢٤-٢٥.
(٥) يقارن: ابن إياس، المصدر السابق، ج٤، ص٢٢٠.

المشترك[1]، فاستقبل لودريك الثاني (ت٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م) الذي كان العثمانيّون يهددون حكمه، خطة الشاه بالرضا والموافقة، وأرسل فرا بطرس Fra Petrus، وهو قس ماروني لبناني الأصل يجيد الفارسيّة إلى الشاه، فأقنعه بقدرة شارل الخامس Charles V أو شارلكان عاهل الامبراطورية الرومانية المقدسة (١٥٢٠-١٥٥٨) وشقيق زوجة ملك المجر، على التحالف معهما ضدهم بوصفه ألد أعداء العثمانيّين[2].

وبادر الشاه إلى إرسال وفد إليه عام٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م، يحمل رسالة باللاتينية، ذكر فيها تفاصيل الصراع مع العثمانيّين، وتفاصيل اتفاقه مع البرتغاليين القاضي بالهجوم المشترك من الشرق والغرب ضد العثمانيّين في وقت واحد، وامتناع الطرفين عن عقد صلح معهم في حالة عدم تحقيق نصر حاسم عليهم [3]. ووصل المبعوث الإيراني برفقة القس بطرس إلى شارلكان، وكان الجواب الذي تسلمه المبعوث في ذي القعدة٩٣١هـ/ آب١٥٢٥م، إيجابيا إذ تضمن المشاعر الطيبة تجاه الشاه، وموافقته على مقترحاته في الاتحاد ضد العثمانيّين[4]. لكن بطرس والوفد الإيراني وصلوا تبريز بعد عام من وفاة الشاه عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م[5].

وكم كان أجدى وأكثر فائدة، لو اتجه الشاه إلى شعبه بدلا من الاتجاه إلى أعدائه البرتغاليين أو الأوربيين البعيدين عنه، فطوّر جيشه وأعاد تنظيم صفوف القزلباش، وحرص على تجهيزهم بالسلاح الناري بصورة جدية، معتمدا على ما لديه من موادها الأولية من فلزات وفحم وغيرها والموجودة في باطن الأرض الإيرانية، والتي كان يصدرها إلى الدولة العثمانيّة، وتطوير ما تخلف من مدافع الآق قوينلو والأوزبك والعثمانيّين، والتي يقال أنها ظلت في العراء مدة طويلة من الزمن. ولو كان قد أولى التنسيق مع القوى الإسلاميّة الأخرى اهتماما أكبر، لتمكن ربما من التصدي مع المماليك وذي القدر، لنزعات التوسع والعدوان

(١) عباس إقبال، مطالعاتى...، ص٩-١٠؛ عبد العزيز عوض، دراسات...، ص١٦٥.
(٢) اسماعيل حقى، بيشين، ص٣٧١-٣٧٢؛ تاج بخش، بيشين، ص١٢٢-١٢٣.
(٣) يراجع للإطلاع على نص الرسالة: على اكبر ولايتى، بيشين، ص٢٦٨-٢٦٩.
(٤) يراجع للإطلاع على جواب شارلكان: همان منبع، ص٢٧٠-٢٧٢.
(٥) هوشنگ مهدوى، بيشين، ص٢٦.

العثمانيّة في عهد سليم، بدلا من تركهم وترك الأقاليم الصفويّة، تسقط الواحدة تلو الأخرى بيد سليم.

لقد اتصفت المرحلة التي أعقبت هزيمة جالديران إيرانيا بالقلق والترقب الصفويّ، نتيجة وعود سليم وتهديده أنه سيعيد الكرة ويقتلع الدولة الصفويّة من جذورها. لكن وفاة السلطان سليم الأول سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م، جعلت الشاه اسماعيل يتنفس الصعداء، في ظل الإجراءات المعتدلة التي اتخذها ولده السلطان سليمان الذي أعاد فتح الحدود أمام التجارة مع إيران مع أنه فرض ضرائب كبيرة، كما انتقد سياسة والده في حبس السفراء الصفويّين، وأمر بإطلاق سراحهم وإرسالهم إلى إيران، كما أنه أجاب على رسالة التعزية التي أرسلها الشاه بوفاة سليم، والتهنئة بإحتلال جزيرة رودس[١]، حينما أمر رئيس كتابه جوري چلبى بكتابة جواب حسن للشاه. كما اتسمت السنوات التي أعقبت جالديران بابتعاد الشاه عن الحياة السياسيّة وإدارة شؤون الدولة، ولجأ إلى السمر وشرب الخمر، بطريقة متواصلة أسهمت في إنهاك جسده وتقليل مناعته ضد الأمراض، وفي ذلك يقول أحد المؤرخين الصفويّين:

**"قضى معظم أوقاته بالسمر والشرب والطرب، حتى خرجت حالته من الاعتدال ومالت نحو الزوال، فابتلي بمرض (الإسهال الكبدي)، ولم يؤثر فيه العلاج أو الدواء، فمات في منتجع أوجان في سراب، وتولى الصدر جمال الدين الاسترابادي تجهيزه ودفنه، في مقبرة جده في أردبيل"[٢].**

لقد توفي الشاه في ليلة الاثنين ١٩رجب٩٣٠هـ/ ٢٣آذار١٥٢٤م، متأثرا بمرض السل[٣]، عن عمر يناهز السابعة والثلاثين، وترك أربعة أبناء هم علـى

---

**(١) يراجع للإطلاع على نص الرسالة وجوابها: فريدون بيك، بيشين، ج١، ص٥٢٥-٥٢٦، ٥٢٦-٥٢٧؛ "شاه اسماعيل صفوى. اسناد ومكاتبات..."، ص٣٢٩-٣٣٠، ٣٣٣-٣٣٤.**

**(٢) أمير محمود خواندمير، بيشين، ص٢٢٧-٢٣١.**

**(٣) بوداق قزوينى، بيشين، ص٢٩٦. نقل از: پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٦٦٩؛ اسبيناقجي باشا زادة، بيشين، ص٢٧٠. ويقول غياث الدين خواندمير وامير خواندمير، أنه أصيب بالاسهال الكبدي، فيما يقول نصر الله فلسفي انه اصيب بالسل. يقارن: غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٥٩؛ امير محمود خواندمير، بيشين، ص١٢٠؛ نصر الله فلسفى، چنگ جالديران، ص٨٦.**

التوالي: طهماسب ميرزا، القاص (القاسب) ميرزا، سام ميرزا، بهرام ميرزا[١]، وأكبرهم وهو الذي خلف والده كان عمره عشر سنوات وبضعة أشهر، وكانت له خمس بنات هن: خانش خانم، بري خان خانم، مهين بانو خانم، فرنگيس خانم، وزينب خانم[٢]، وقد وصفه ماريا انجللو الفينيسي الذي رآه، بالقول، أنه كان جميل الصورة والطبع، له قامة موزونة، يميل إلى البدانة، أكتافه عريضة، لون شعره يميل إلى الاحمرار، يطلق الشاربين ويحلق اللحية، وكان أعسر اليد، وكان أشجع من كل أمرائه وأقواهم وأحكمهم بنيانا[٣]، وكان كريما إلى الحد الذي كان يأمر الفقراء من رجاله بالاغارة على مخيمه ومخيمات كبار رجاله، ليسلبوا وينهبوا ما فيها من نقود وذهب وجواهر، وكان يقدم الهدايا والغنائم التي يحصل عليها لرجاله[٤]، وقد وصفه مؤلف مجهول، بأنه:

**"كان يعامل رعاياه بالعدالة والإنصاف، ولم يستطع احد التعدي على الرعية بوجوده، وكان في ميدان الحرب الأشجع والأقوى، وفي مجالس الأنس كغيث يمطر سخاء، وكان الحجر والدر عنده سواء"[٥].**

وهكذا شكل تأسيس الدولة الصفويّة نذير خطر نظر إليه السلطان سليم الأول بعين الفزع، فعمل على تقويض أركانها بشتى الوسائل والطرق، فعد عدته وجهز جيوشه للقضاء على هذه القوة قبل أن يستفحل أمرها، فكانت معركة جالديران منعطفاً كبيراً في العلاقات بين الدولتين لعقود طويلة، وكانت مقدمة حفزت سليم على القضاء على إمارة ذي القدر ودولة المماليك، فضم مناطق شاسعة لدولته، لاسيما مصر وبلاد الشام، وكانت مقدمة لضم العراق فيما بعد إلى الدولة العثمانيّة، لكن جالديران لم تتمكن من إنهاء الدولة الصفويّة، بعد أن بقي الشاه حياً، يمتلك أنصاراً يؤمنون بأفكاره، وعاشت بعده الدولة حتى ١١٣٤هـ/ ١٧٢٢م.

---

**(١) حينما كان الشاه في منتجع بيلاق سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، بشر خلال أسبوع واحد بميلاد ثلاثة أولاد هم سام ميرزا وبهرام ميرزا ورستم ميرزا الذي توفي في حياة والده. غياث الدين خواندمير، بيشين، ج٤، ص٥٥٥-٥٥٦.**

**(٢) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برك٢٠٨أ.**

**(3) Convection for: Browne, Op. Cit., Vol. IV, P. 51.**

**(٤) پارسادوست، شاه اسماعيل...، ص٧٧١.**

**(٥) ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان، برك٢٠٨ب.**

# الخاتمة

ظهرت الأسرة الصفويّة في ظروف تاريخية عادية، لكنها تمكنت خلال مدة قصيرة من قيادة جموع المريدين على رأس طريقة صوفيّة جديدة خرجت من تحت عباءة الشيخ زاهد الگيلاني حينما تلمذ مؤسسها صفي الدين على يده وتزوج ابنته، فاستثمر منزلته الدينية بوصفه أشهر القيادات الصوفية في ظروف الغزو المغولي لإيران وغياب المرجعية السياسية، ثم ورث الطريقة وأتباعها وأضاف إليها بعض الطقوس والتنظيمات الصوفية التي أمنت لها الانتشار والتمدد في المناطق المجاورة.

لكن الطريقة تحولت في ظل صفي الدين إلى المنهج الوراثي حينما أمر أن يكون ابنه صدر الدين موسى شيخا، على الرغم من وجود شخصيات كبيرة ذات قابليات علمية وصوفية متميزة، وكان ذلك بداية لما سمته دراستنا "الاستدراج الشيعي" للطريقة، ليتواصل في عهد أبنائه، كما أفاد الصفويون من نسبهم العلوي الذي حاول عدد من المؤرخين القدامى والمحدثين التشكيك فيه، مع أنه يعد مستوفيا للشروط الصارمة التي وضعها علماء الأنساب لإثبات صحة أشجار النسب.

وكان التطور الأهم لهذه الطريقة بداية احتكاكها بالسلطات الحاكمة والتأثير بسياساتها بعد أن فرضت هيبتها وسطوتها على حكام تلك الدول، منها ذلك اللقاء الذي تم بين الشيخ علاء الدين وتيمورلنك، ويستمد هذا اللقاء أهميته من توسط علاء الدين لإطلاق سراح أسرى معركة أنقرة ضد العثمانيين وضمهم إلى الطريقة، ومن الوثيقة التاريخية التي وصلت إلينا وهي تحمل الختم الخاص

بتيمور وتتضمن أصل الأسرة وشجرة نسبها والدعم الهائل الذي قدمه بموجبها الى الطريقة بإعطائها إقطاعيات واسعة من الأرض فزادها رسوخا وقوة خلال عهد شيخها التالي إبراهيم الذي تمتع بسطوة مالية أثرت في تقدم الطريقة فبدأت تنحو نحو المزيد من العقلانية فلقب بـ"الشيخ الملك".

ولعل الفعل الأبرز الذي طرأ على الطريقة تحولها إلى الدعوة السياسية ابتداء من عهد الشيخ جنيد، فبدأ أتباعه يلقبونه "سلطان"، بسبب نشاطه العسكري والغنائم التي حصل عليها في غزواته للقوى النصرانية المجاورة، فضلا عن اقترانه بأخت أوزون حسن سلطان الآق قوينلو، في محاولة لكسبه وتجنيد أتباعه في صراعه ضد القوى الإقليمية. والتحول الآخر الذي شهدته الطريقة دخولها النهائي مرحلة العسكرة في عهد حيدر بن جنيد وتأسيسه تنظيم القزلباش العسكري مستفيدا من دعم خاله أوزون حسن ورعايته له، لكن أوزون حسن لم يعمّر بعد ذلك فتوالت المحن على الأسرة وأتباعها.

لقد درجت المصادر على وصف العقائد التي اعتنقها جنيد وابنه حيدر بأبشع الصور والأوصاف، لاسيما ما شاع عنهما من غلو، مع أن وجود أوزون حسن السني المخلص، حسب المصادر نفسها، وقبوله التحالف مع جنيد وإيلاء ابنه الرعاية، لا يدل على وجود نزعات مذهبية حادة لديهما، بل هي إسقاطات لما وقع بعد ذلك من تطورات مذهبية، ومقالات مؤرخين معادين للصفويين لعل أبرزهم فضل الله بن روزبهان.

عانت الأسرة الصفويّة بعد مقتل حيدر من غياهب سجن اصطخر والمطاردة، ثم تحولت إلى رهينة عند حكام أسرة الآق قوينلو، فحاول رستم بن مقصود آق قوينلو اتخاذ الأسرة وأتباعها ورقة في صراعه ضد أخوته وأبناء عمومته. ولما قضى منها وطرا حاول القضاء عليها، فكان الثمن رأس الشيخ علي بن حيدر وتشريد أخوته واختفاءهم. وتدل المناقشة المتأنية لظروف اختفاء الأسرة والطبيعة النفسية والاجتماعية لعناصرها على تحكّم "أهل الاختصاص" بمصير الطريقة، وهو ما سينعكس على مصير الدولة وسياساتها فيما بعد، إذ من المريب أن يختفي الابن الأوسط لحيدر في ظروف غامضة، وهو ما كان ينبغي

أن تؤول المشيخة إليه، وهو أمر لم ينل حظا من المناقشة في الدراسات التاريخية السابقة، فحاولت دراستنا تشخيص ذلك وأن أهل الاختصاص أقصوا إبراهيم بن حيدر عن قيادة الطريقة بسبب حزمه وميله المبكر إلى الهدوء ومحاولته العودة بالطريقة إلى طورها السلمي والدعوي وتوفير دماء أتباعها، فاضطر إلى مغادرة لاهيجان التي لجأ إليها هو وأخوته، لكن خلفه اسماعيل صادف أن تلقى تعليما دينيا وثقافيا على شخصية سيكون لها اثر علمي وسياسي في مستقبل الدولة ونعني به شمس الدين اللاهيجي الذي غرس في نفسه حب التشيّع والولاء لإيران التاريخية، وهو ما سينعكس في محاولات إسماعيل إقصاء رموز القزلباش لصالح التاجيك للإفادة من قابلياتهم السياسية والإدارية.

استغل اسماعيل تدهور النظام السياسي لدولة الآق قوينلو وصراع أمرائها فيما بينهم، وتشرذم إيران وما جاورها إلى أكثر من عشرين دويلة متناحرة لا رابط بينها، فانطلق لتأسيس الدولة، بالرغم من أن الدراسة تشك في أن اسماعيل خرج من مخبئه لتوفر الشروط الموضوعية والظروف المناسبة لخروجه، بل أخرج قسرا بسبب تحولات سياسية داخلية وحراك خطير شهدته لاهيجان، وبدأ نشاطه العسكري ضد شيروان الغنية والعنيدة التي سبق أن لقي جده وأبوه حتفهما في معارك ضدها. وحينما الحق الهزيمة بالآق قوينلو في معركة شرور ودخل تبريز بسهولة عجّل بتبني المذهب الإثني عشري مدركا الحاجة إلى إطار عقيدي يعبئ أنصاره لخدمته من اجل السير في طريق ترسيخ الدولة، إذ لاحظ اسماعيل في عهد التأسيس ضرورة اللجوء إلى عملية فرز "ديني – سياسي" يتعرف من خلالها على الموالين لدولته والمعادين لها، وخشية من يؤول ولاء أصحاب الفرق الإسلامية الأخرى من الإيرانيين إلى قوى سياسية أخرى (عثمانيين – مماليك – أوزبك) ثم اتبع سياسة عنيفة استهدفت إجبار هؤلاء على الدخول في التشيع وإعلان تبعيتهم السياسية له، كما لم يأل الشاه جهدا للاهتمام بالفقهاء الشيعة داخل مناطق نفوذه وخارجها ودعمهم بكافة السبل بغية إشاعة المذهب الشيعي بين رعايا دولته، فكان عمله إيذانا بهيمنة التشيع على عقائد الإيرانيين ورسوخه إلى يومنا هذا، كما أمر أتباعه من القزلباش برفع شعار شتم الخلفاء الراشدين بعد

الصلوات وفي الأسواق.

وعلى الرغم من جهود العلامة نور الدين الكركي الذي استدعاه اسماعيل إلى إيران، في نشر التشيع العقيدي وما ترتب عليه من منع الشاه لعادة شرب الخمور التي درجت الطرق الصوفية المعاصرة لهم على السماح به لأتباعها؛ فإن الدولة ممثلة بشخص الشاه ورجاله سرعان ما عادت إلى هذه الطقوس والعادات قبل معركة جالديران وبعدها.

لقد درج العديد من المؤرخين على وصف إيران أنها كانت سنيّة قبل مشروع التشيع الصفوي، أو أن هذا كان أول عهود إيران بالتشيع انطلاقا من أسباب مختلفة. لذا حاولت هذه الدراسة متابعة جغرافية التشيع في إيران قبل اسماعيل، لتثبت أن التشيّع السياسي لم يكن جديدا على إيران، وأن المشروع الصفوي ظهر في بيئة شيعية الهوى أو الانتماء، لأن ما يقرب من ثلث سكان إيران كانوا ينتمون إلى التشيّع العقيدي، فضلا عما تابعته الدراسة من ظاهرة ليست فريدة في العالم الإسلامي، وهي "التسنن الاثني عشري" أو ظاهرة "التشيع الثقافي" التي كانت مرتكزا أسهم في إنجاح المشروع الصفوي، هذا إلى جانب متابعة الهوية الوطنية للدولة الصفويّة، من خلال دراسة المادة البشرية للمشروع الصفوي، فما أثبتته الدراسة أن مشاعر الشاه واهتماماته كانت إيرانية أولا، إذ أولى التاجيك اهتمامه، لكنه كان مضطرا للاعتماد على سيوف القزلباش الأناضوليين وغيرهم في توسيع الدولة وحمايتها، بعد أن لاحظ كللا أصاب سيوف الفرس. فلا غرو أن اسماعيل اتخذ لقب الشاهنشاه الفارسي، وسمّى أبناءه وبناته بأسماء فارسية، وشجّع الناس على الاهتمام بالتراث الفارسي، فاهتم بطاق كسرى وملحمة الفردوسي "الشاهنامة" وعيد النوروز.

لكن المحنة الكبيرة التي واجهتها الدولة تتركز في الخلاف الصفوي العثماني وما تبعه من هزيمة منكرة للشاه أمام جيوش سليم التي اخترقت مئات الأميال من أراضي إيران، لتلتقي بالصفويين في جالديران. وهناك قالت المدفعية كلمتها فحسمت التفوق للعثمانيين، مع أن الطريقة التي سعى فيها سليم للقاء القزلباش تمثل ضربا من المغامرة، إذ لولا الانتصار لقال التاريخ كلمة أخرى عن السلطان

الذي قطع مئات الفراسخ لمحاربة دولة بعيدة، ولكان وصف سلوكه بالحماقة من المسلمات. والواقع أن الخلاف بين الصفويين والعثمانيين لم يكن خلافا عقيديا أو صراعا سنيا - شيعيا في أسبابه وأهدافه؛ بل كان نتيجة تطورات اجتماعية واقتصادية شهدتها الأقاليم العثمانية على إثر المشاكل الداخلية ومصادرة الأراضي وإعادة توزيعها ومركزية الإدارة، وساعدت كلها على نجاح الدعاية الصفويّة وانعكست بموجة تأييد عارمة لمشروع اسماعيل السياسي. أي أنه ينبغي التركيز دوما على العوامل الداخلية في دراسة التاريخ العثماني في أوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، كي يتم فهم أعمق للأوضاع السياسية والحراك المذهبي في حينها، لكن سليم توسل بالتعبئة المذهبية لتحريض الأوزبك والآق قوينلو والمماليك وغيرهم ضد الصفويين متخذا من شتم الصحابة التي لم يكن اسماعيل بحاجة إليها مبررا للاتحاد ضد "الروافض".

وتناسى سليم أن رجال الانكشارية درجوا في طقوسهم البكتاشية الأسبوعية على شتم الصحابة والتبرؤ منهم، كما لم تجف دماء الصفويين بعد حينما توجه للقضاء على دولة ذي القدر والمماليك السنيتين. مع كل هذا لم يتمكن العثمانيون من القضاء على الصفويين واستمرت الدولة، لكن سياسة سليم تجاه إيران، وأطماع قيادات القزلباش في أقاليم الأناضول، وسكوت إسماعيل على تجاوزات القزلباش، وحساباته الخاطئة حينما راهن عل الخلافات الداخلية بين رموز البيت السلطاني العثماني، كلها قادت العالم الإسلامي إلى مرحلة من الحروب الطائفية الطويلة، ثمنها رقاب آلاف المسلمين ووقوع آلاف أخرى من النساء والأطفال أسرى ليباعوا في أسواق النخاسة. هذا إلى جانب تدمير مدنهم وقراهم، وأصبح العالم الإسلامي نتيجة هذا الصراع لقمة سائغة للمستعمرين الأوربيين، فلم يكن المسلمون في بلدانهم يأمنون على حياتهم بسبب عقيدتهم المذهبية الإسلامية، فيما تتباهى دولهم بأنها تعامل المخالفين من اليهود والنصارى بمنتهى التسامح والمودة، بل وكان التحدي العثماني مبررا للصفويين لفتح صفحة من العلاقات الدبلوماسية مع قوى أوربية للاستنجاد بها ضد العثمانيين، بل ودفعت هزيمة جالديران اسماعيل إلى التزام سبيل المهادنة مع البرتغاليين في الخليج العربي،

لذا فإن لومه على علاقاته بأوربا ينبغي أن يُسبق بلومٍ أكبر للأسباب التي دعتــه إلى هذه الخطوات اليائسة في معظمها.

وبالنتيجة تمكن اسماعيل الصبي بسيوف القزلباش والعرب والكرد، وحكمة التاجيك، والمذهبية الشيعية من بناء الدولة الصفويّة التي أدخلــت إيـــران إلـــى العصور الحديثة وأبقتها موحدة في مواجهة قوى إقليمية ودولية حاولت ابتلاعها، فإسماعيل لم يكن شيطانا كما حاول جمهرة من الكتّاب تصويره، كما لــم يكــن ملاكا، ترك الدنيا ولم يسلم من النقد. وفي الوقت نفسه ظلّت سيرته ملء الأسماع والمجالس، سواء أكان ذلك في أذربيجان أم إيـــران أم الأناضـــول أم الـــشام أم شمالي العراق إلى يومنا هذا. لقد بقي في ضمير الشعب الأذربيجاني حتى اليوم، ففي عام ١٩١٩م، قام الموسيقار الأذربيجاني مسلم ماگمايوف بتأليف أوبرا مـــن خمسة فصول سمّاها "أوبرا الشاه اسماعيل"، وأقيم له أكثر من تمثال وسط باكو، فضلا عن مقدار التقديس والحب الذي يكنّه عدد من سكان تركيا وشمالي العراق وإيران وغيرها لشخصه بوصفه شيخا صوفيا.

# الملاحق

الملحق رقم (١)

# توثيق شجرة النسب الصفوية

موسى الكاظم ــــ أبو القاسم حمزة[١] ــــ أبو محمد القاسم[٢] ــــ محمد الأعرابي[٣] ــــ أحمد الأسود[٤] ــــ محمد المجدر[٥] ــــ أحمد[٦] ــــ إسماعيل مجد الدين[٧] ــــ محمد صدر الدين[٨] ــــ جعفر[٩] ــــ إبراهيم جلال الدين(الأدهم)[١٠] ــــ محمد صدر الدين ــــ الحسن أبو الصلاح ــــ محمد أبي رافع ــــ محمد معين الدين شرفشاه ــــ حبيب الدين فيروز شاه (زرّين كلاه) ــــ عوض الخواص ــــ محمد شمس الدين الحافظ ــــ صلاح الدين رشيد ــــ أحمد قطب الدين أبو بكر ــــ محمد الصالح ــــ أمين الدين جبرائيل ــــ صفي الدين أبو الفتح اسحق[١١].

---

(١) ذكره جميع النسابين.

(٢) قتل في أصفهان. شيخ الشرف العبيدلي (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب، (مخطوط)، مكتبة الحكيم، النجف، ص٣١٢؛ نجم الدين أبي الحسن العلوي العمري (ت٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م)، المجدي في أنساب الطالبيين، تحقيق: أحمد المهدوي الدمغاني، قم، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١١٧؛ ابن عنبة، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص٢٢٨.

(٣) العبيدلي، المصدر السابق، ص١٦٩؛ إبراهيم بن ناصر بن طباطبا (ق٥هـ/ ١١م)، منتقلة الطالبية، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، النجف، ١٩٦٨م، ص١١٢؛ ابن عنبة، المصدر السابق، ص٢٢٨؛ فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩-١٢١٠م)، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، (مخطوط)، مكتبة المرعشي، قم، ص٩٦؛ البخاري، سر السلسلة العلوية، ص٤١. توجد نسخة خطيّة من الكتاب في مكتبة كاشف الغطاء في النجف.

(٤) العبيدلي، المصدر السابق، ص١٦٩؛ ابن عنبة، المصدر السابق، ص٢٢٨؛ إسماعيل العلوي المروزي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤-٥م)، الفخري في أنساب الطالبيين، (مخطوط)، مكتبة كاشف الغطاء، النجف، ص٢٠؛ الرازي، المصدر السابق، ص٩٦؛ أحمد بن محمد الكيائي (ت ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨-٩م)، سراج الأنساب، مخطوط في مكتبة المرعشي، قم، ص٧٦؛ أبو الحسن علي بن زيد البيهقي(ابن فندق) (ت٥٦٥هـ/ ١١٦٩-٧٠م)، لباب الأنساب، قم، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص٥٩٥.

(٥) العبيدلي، المصدر السابق، ص١٦٩؛ ابن عنبة، المصدر السابق، ص٢٢٨؛ المروزي، المصدر السابق، ص٢٠؛ الرازي، المصدر السابق، ص٩٦؛ الكيائي، المصدر السابق، ص٧٦؛ البيهقي، المصدر السابق، ص٥٩٥.

(٦) المروزي، المصدر السابق، ص٢٠؛ الرازي، المصدر السابق، ص٩٦؛ البيهقي، المصدر السابق، ص٥٩٥؛ الكيائي، المصدر السابق، ص٩٦.

(٧) المروزي، المصدر السابق، ص٢٠؛ الرازي، المصدر السابق، ص٦٩؛ إبن فندق، المصدر السابق، ص٥٩٥؛ الكيائي، المصدر السابق، ص٩٣؛ ضامن بن شدقم، المصدر السابق، (نسخة المكتبة القادرية)، ج٢، ص١٢١.

(٨) المروزي، المصدر السابق، ص٢٠؛ الرازي، المصدر السابق، ص٩٦؛ البيهقي، المصدر السابق، ص٥٩٥.

(٩) الكيائي، المصدر السابق، ص٧٧؛ ابن شدقم، المصدر السابق، ج٢، ص١٢١.

(١٠) الكيائي، المصدر السابق، ص٧٧؛ ابن شدقم، المصدر السابق، ج٢، ص١٢١.

(١١) ابن بزّاز، بيشين، ص٧٠؛ وقفية تيمور.

الملحق رقم (٢)

## شجرة عشيرة الجبارية الكردية
## المقيمة حاليا في قرية علياوة التابعة لخانقين الحالية

عبد الجبار ــــ أمين الدين جبرائيل ــــ صالح ــــ قطب الدين ــــ صالح ــــ محمد ــــ عوض الخواص ــــ فيروز ــــ محمد ــــ إبراهيم ــــ جعفر ــــ محمد ــــ إسماعيل ــــ [أحمد بن محمد المجدر بن أحمد الأسود][(١)] ــــ محمد [خطأ والصحيح أحمد الأسود][(٢)] ــــ احمد [خطأ والصحيح محمد الإعرابي][(٣)] ــــ القاسم ــــ حمزة ــــ موسى الكاظم[(٤)].

---

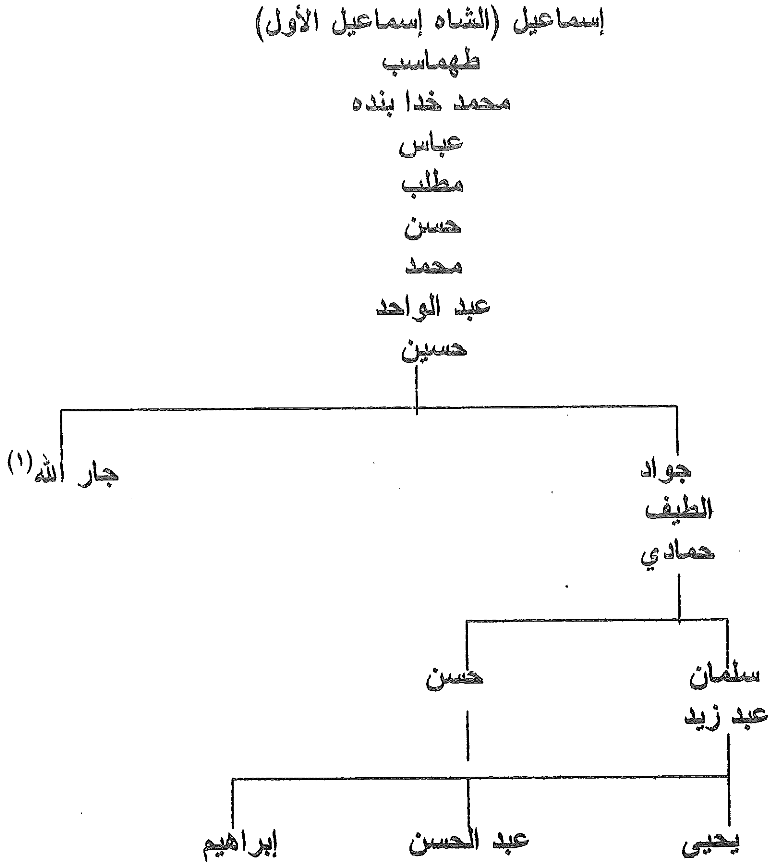
(١) الإسمان ساقطان من شجرة النسب. العبيدلي، المصدر السابق، ص١٦٩؛ ابن عنبة، المصدر السابق، ص٢٢٨؛ المروزي، المصدر السابق، ص٢٠؛ الرازي، المصدر السابق، ص٩٦؛ الكيائي، المصدر السابق، ص٧٦؛ البيهقي، المصدر السابق، ص٥٩٥.

(٢) العبيدلي، المصدر السابق، ص١٦٩؛ ابن عنبة، المصدر السابق، ص٢٢٨؛ إسماعيل العلوي المروزي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤-٥م)، الفخري في أنساب الطالبيين، (مخطوط)، مكتبة كاشف الغطاء، النجف، ص٢٠؛ الرازي، المصدر السابق، ص٩٦؛ أحمد بن محمد الكيائي (ت٩٧٦هـ/ ١٥٦٨-٩م)، سراج الأنساب، مخطوط في مكتبة المرعشي، قم، ص٧٦؛ أبو الحسن علي بن زيد البيهقي(ابن فندق) (ت٥٦٥هـ/ ١١٦٩-٧٠م)، لباب الأنساب، قم، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص٥٩٥.

(٣) العبيدلي، المصدر السابق، ص١٦٩؛ إبراهيم بن ناصر بن طباطبا (ق٥هـ/ ١١م)، منتقلة الطالبية، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، النجف، ١٩٦٨م، ص١١٢؛ ابن عنبة، المصدر السابق، ص٢٢٨؛ فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩-١٠م)، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، (مخطوط)، مكتبة المرعشي، قم، ص٩٦؛ البخاري، سر السلسلة العلوية، ص٤١. توجد نسخة خطية من الكتاب في مكتبة كاشف الغطاء في النجف.

(٤) أشجار نسب خاصة؛ يونس السامرائي، القبائل العراقية، الجزء الاول، بغداد، ١٩٦٩م، ص١٠٦-١٠٧؛ عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الثاني، ص١٦٤.

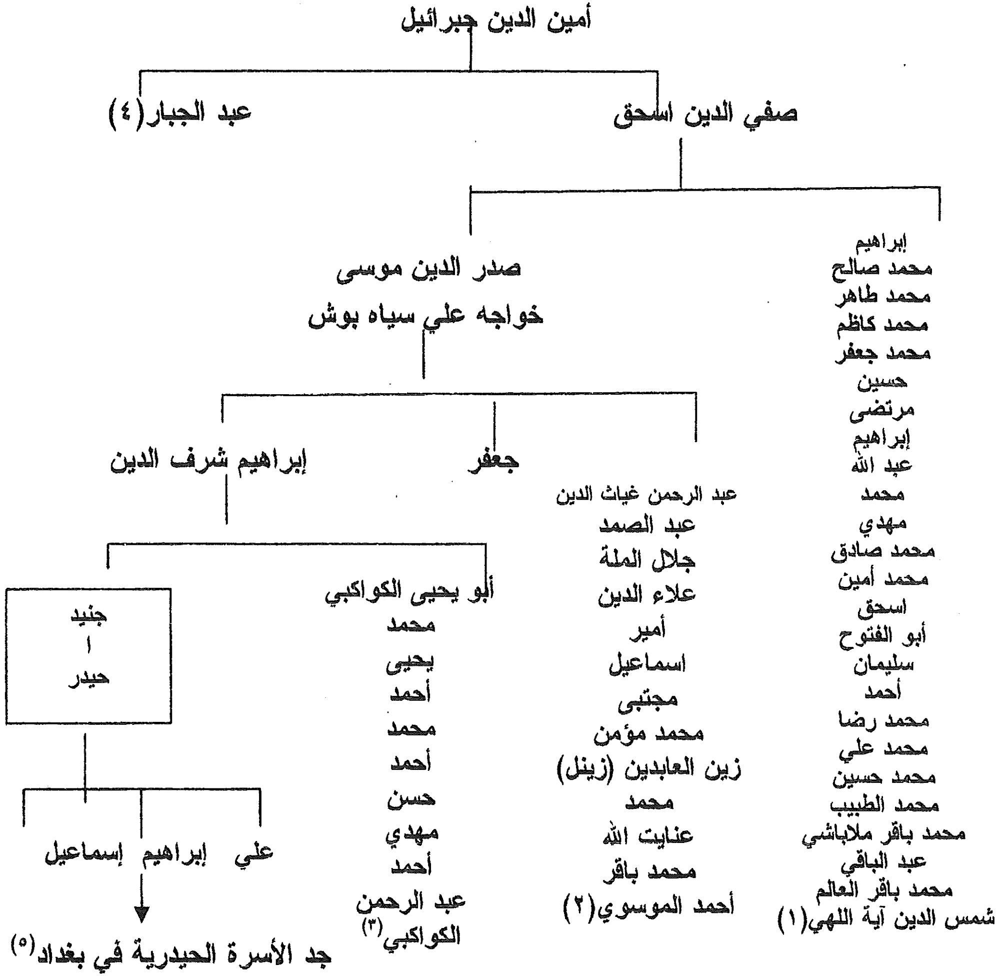
# شجرة آل عبد زيد في غماس - محافظة القادسية




(١) هو أيضا جد آل جار الله في الدغارة. حسين أبو سعيدة، المشجر الوافي، ج٣، ص١٤-٢٠.

**الملحق رقم (٤)**

## بعض مشجرات الأسر المرتبطة مع الصفويين




(١) وهو فرع من السادة الآية اللهية في شيراز.

(٢) هو أحمد البهبهاني الحائري المتوفى سنة ١٣١٥هـ/ ١٩٣٢م، صاحب كتاب اللئالي الأحمدية. عمر كحالة، المصدر السابق، ج٢، ص٨٤؛ أحمد الحسيني، تراجم الرجال، الجزء الأول، قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٨٧؛ حسين أبو سعيدة، المشجر الوافي، ج٣، ص١٥، ١٩. وهؤلاء هم فرع من آل الشهرستاني في كربلاء.

(٣) صاحب كتاب "طبائع الاستبداد"، المتوفى مسموما سنة ١٩٠٢م. يوسف اليان سركيس، المصدر السابق، ج٢، ص١٥٧٤؛ سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي سيرة ذاتية، بيروت، ١٩٩٨، ص١٥. والمؤلف حفيد المترجم له.

(٤) يراجع الملحق رقم (٢).

(٥) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٣، ص٣٣١.

**الملحق رقم (٥)**

## نص وقفية تيمور الـگورگاني إلى أوقاف خاجة علي سياه بوش

| | |
|---|---|
| سپاس بی قیاس حضرت حق را جلّت عظمته وعلت کلمته که خورشید ازل از مشرق لم یـزل قلـوب قابـل ونفوس کامل دوستان خود طالع ولامع گردانید، فیض آن در ظهور تجلّی به جلاء جمالی که سبب هـدایت عـالم وعالمیان است بر عرصهء ابدال واوتاد منبسط گشت تا حقایق و معانی از آن عبارات و اشارات بـر گزیـدگان جناب عزت احدیت گشت، از مکمن قابلیـت بـه معـدن خاصیت ﴿ذالک [ذلك] فضل الله یؤتی [یؤتیه] من یـشاء والله ذو الفضل العظیم﴾.<br>رساند وصلوات نامحدود و درود نامعدود به روح مطهّر عاقبت محمودی باد که جمیع کمالات مکارم اخلاق از حضرت خلاق من حیث الإطلاق إلی یوم التلاق وجود مبارک او بود علیه من الصلوات أزکاها ومن التحیـات أنماها، وبرآل وأولاد مطهّر او باد أجمعین والحمد لله ربّ العالمین: محمد المصطفی وعلـي المرتـضی والحـسن والحسین، نسله الإمام زین العابدین، نسله الإمام محمـد الباقر، نسله الإمام جعفر الصادق، نسله الإمـام موسـی الکاظم، نسله سیدنا الحق والهادي المطلق أبـو القاسـم حمزة، نسله السید قاسم، نسله السید محمـد الإعرابـي، نسله السید أحمد، نسله السید عوض الخـواص، نـسله السید محمد، نسله السید جعفر، نسله الـسید إبـراهیم، نسله السید محمد، نسله السید حسن، نسله السید محمد، نسله السید شرفشاه، نسله السید فیروز، نـسله الـسید إسماعیل، نسله السید محمد، نسله السید قطـب الـدین، نسله السید صلاح الدین رشید، نسله السید صالح، نسله السید جبرائیل، نسله السید الحق المعروف صفي الدین، نسله السید صدر الدین، نسله سلطان العارفین وبرهـان السالکین السید خواجة علي...[1]". | الشكر الجزيل لله سبحانه وتعـالى جلـت عظمته وعلـت كلمتـه الذي أشرق وأضاء نور الـشمس مـن قلـوب أصدقاه الأوفياء وانتشر فيـضه علـى الأبـدال والأوتاد ليهدي به العالم والعالمين ويكشف لهـم الحقائق والمعاني ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ سورة الجمعة، الآية ٤.<br>والـصلاة غيـر المحدودة والسلام غيـر المعدود علـى الـروح الطـاهرة والعاقبـة المحمودة الذي تجتمـع فيـه كمـالات ومكـارم الأخلاق مـن البـاري الخلاق من حيث الإطلاق إلى يوم التلاق، وعليـه من الـصلوات أزكاهـا ومن التحيات أنماها على آلـه وأولاده الطـاهرين أجمعين والحمـد لله رب العـالمين: محمـد المصطفى.... |

(١) مقتبس في: سيد حسن بن مرتضى حسيني استر آبادى، ازشيخ صفى تا شاه صـفي، ص٢٢-٢٣.

الملحق رقم (٦)

## شجرة الأسرة الحيدرية في بغداد

إبراهيم فصيح الدين الحيدري
صبغة الله
أسعد
عبد الله
صبغة الله
إبراهيم
حيدر
أحمد
حيدر
محمد
حيدر پير الدين
إبراهيم
حيدر
جنيد
إبراهيم
علي سياه بوش
صدر الدين
صفي الدين[1]

---

(١) اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين...، ج١، ص٨١٢؛ الزركلي، المصدر السابق، ج١، ص٤٤، ج٣، ص٢٠٠؛ عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص٤٠، ج٨، ص٢٦؛ العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ص٣٣١؛ محمد حمدي الجعفري، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٧-٢٣٨.

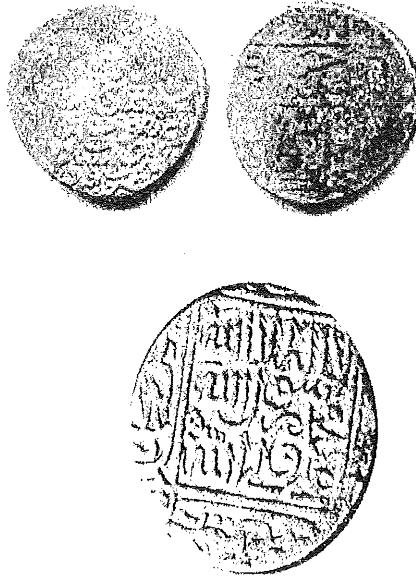
الملحق رقم (٧)

## المناصب الرئيسية في الدولة الصفوية أيام الشاه إسماعيل الأول

| المنصب | متوليه أيام الشاه إسماعيل الأول |
|---|---|
| وكيل نفس نفيس همايون | ١. حسين بيك لله شاملو ٩٠٧-٩١٣هـ/ ١٥٠١-١٥٠٧م<br>٢. الأمير نجم الدين مسعود الجيلاني "نجم الاول" (ت٩١٥هـ/ ١٥٠٩-١٠م).<br>٣. الأمير يار أحمد خوزاني الأصفهاني "نجم الثاني" (ت٩١٨هـ/ ١٥١٢م)<br>٤. الأمير نظام الدين عبد الباقي (ت٩٢٠/ ١٥١٤م).<br>٥. ميرزا شاه حسين الأصفهاني (ت٩٢٩هـ/١٥٢٣م).<br>٦. الخواجة جلال الدين محمد التبريزي |
| أمير الأمراء | ١. حسين بيك لله شاملو ٩٠٧- ٩١٥هـ/ ١٥٠١-١٥٠٩م<br>٢. محمد بيك استاجلو "چايا سلطان" حتى عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م<br>٣. بايزيد سلطان ت٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م. |
| قورچي باشي | ١. أبدال بيك دده ذي القدر<br>٢. سارو پيره استاجلو (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م)<br>٣. چون جليل سلطان ذو القدر<br>٤.برادرش خليل سلطان ذو القدر. |
| الصدر الأعظم | ١. شمس الدين اللاهيجي الجيلاني ٩٠٧-٩٠٩هـ/ ١٥٠١-١٥٠٣م<br>٢. القاضي محمد الكاشاني (قتل ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)<br>٣. السيد شريف الشيرازي (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)<br>٤. الأمير نظام الدين عبد الباقي (ت٩٢٠/ ١٥١٤م)<br>٥. ميرزا شاه حسين الأصفهاني(ت٩٢٩هـ/١٥٢٣م)<br>٦. الأمير جمال الدين الاسترابادي (ت٩٣١هـ/ ١٥٢٩م) |
| مناصب أخرى | <u>مهر داري:</u><br>١. ساري علي بيك تكه لو حتى ١٥٠٥م<br>٢. الأمير أمير بيك موصللو<br><u>تواجي باشي:</u><br>١. عبدي بيك شاملو<br><u>ايشيك آقاسي باشي:</u> ؟؟؟<br><u>خليفة الخلفاء:</u><br>١. خادم بيك طالش خليفة<br>٢. محمد كمونة (٩١٤-٩٢٠هـ/١٥٠٨-١٩١٤م)<br><u>أوجي باشي:</u> ؟؟؟ |

**الملحق رقم (٨)**

# العملة الصفوية



**لا اله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله وفي الحاشية أسماء الأئمة الاثني عشر(١)**

---

(1) http://users.rcn.com/roberts/196.htm

الملحق رقم (٩)

# وصف المسكوكات الذهبية والفضية في عهد الشاه إسماعيل الأول

| اسم العملة | وزنها |
|---|---|
| التومان | أي أربعة غرامات وستين سنتا من فضة، أو عشرة آلاف دينارا[١]. |
| شاهي | التي تساوي ٥٠ دينارا فضة، أي أن كل تومان يساوي ٢٠٠ شاهي. |
| أشرفي | يساوي ٤٥ ر٣غم من الذهب[٢]. |
| الفلس | مساو لنفس وزن التومان وحجمه، لكنه من النحاس. |
| بيستي | ٢٠ دينارا. |
| پول | ٢٥ دينارا. |
| محمدي | ١٠٠ دينار. |
| عباسي | ٢٠٠ دينار. |
| ٥ شاهي | ٢٥٠ دينارا[٣]. |

(١) ويساوي مثقالا من الفضة الخالصة، والتومان مساو للدينار الإسلامي ذي ٢٤ حبة، ووزن كل حبة ١٩٢ر٠ غرام.

(٢) ويساوي الدوكات الفينيسي أو المثقال ذي الوزن ١٨ حبة من الذهب أي وزن ثلاثة غرامات وخمسة أربعين سنتا.

(٣) دارلي دُران، نظام پولى دوره صفويان، كتاب "صفويان"، ص١٦٤-١٧٥؛ عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية، ص١٧٠-١٧٦.

الملحق رقم (١٠)

## عدد الأعيان الطالبيين المدفونين في مدن إيران الرئيسية قبل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في كتاب منتقلة الطالبية[1]

| ت | المدينة | عدد الأعيان | الصفحة |
|---|---|---|---|
| .١ | أبهر | ٥ | ٨-٩ |
| .٢ | أذربيجان | ٣ | ٨ |
| .٣ | أرجان | ٨ | ١٦-١٨ |
| .٤ | أردبيل | ٢ | ٩-١٠ |
| .٥ | أصفهان | ٣٣ | ١٩-٣١ |
| .٦ | أهواز | ٣٥ | ١٠-١٦ |
| .٧ | بروجرد | ٤ | ٨٨-٨٩ |
| .٨ | تستر | ٢ | ١٠٢ |
| .٩ | تفرش | ٢ | ١٠٢-١٠٣ |
| .١٠ | جبل | ٧ | ١١٠-١١١ |
| .١١ | جرجان | ٣٢ | ١١١-١١٨ |
| .١٢ | جنديسابور | ٢ | ١٠٨-١٠٩ |
| .١٣ | جيرفت | ٢ | ١٠٩ |
| .١٤ | جيلان | ٤ | ١٠٩-١١٠ |
| .١٥ | خراسان | ١٥ | ١٣١-١٣٣ |
| .١٦ | الديلم | ٦ | ١٤٠-١٤١ |
| .١٧ | دينور | ٨ | ١٣٨-١٤٠ |
| .١٨ | رامهرمز | ٣ | ١٥٠ |
| .١٩ | راوند | ٣ | ١٥١ |
| .٢٠ | رويان | ٢ | ١٦٧-١٦٨ |
| .٢١ | الري | ٦٦ | ١٥١-١٦٧ |
| .٢٢ | سابور | ٣ | ١٧٨-١٧٩ |
| .٢٣ | سجستان | ٣ | ١٧٩-١٨٠ |
| .٢٤ | سمرقند | ١٥ | ١٨١-١٨٣ |
| .٢٥ | سيرجان | ٢ | ١٧٩ |
| .٢٦ | شيراز | ٢٣ | ١٨٨-١٩٢ |
| .٢٧ | الطالقان | ٢ | ٢١٧-٢١٨ |

| ٢٨. | طبرستان | ٧٦ | ٢٠٥-٢١٧ |
|---|---|---|---|
| ٢٩. | طبس | ٢ | ٢١٨-٢١٩ |
| ٣٠. | طوس | ٦ | ٢٢٠-٢٢٢ |
| ٣١. | فارس | ٥ | ٢٣٣-٢٣٤ |
| ٣٢. | فسا | ٥ | ٢٣٤-٢٣٥ |
| ٣٣. | قزوين | ٢٧ | ٢٤٤-٢٥١ |
| ٣٤. | قم | ٢٣ | ٢٥١-٢٥٨ |
| ٣٥. | كازرون | ٢ | ٢٧٩-٢٨٠ |
| ٣٦. | كرمان | ٧ | ٢٨٠-٢٨١ |
| ٣٧. | مرو | ٨ | ٣١٩-٣٢٢ |
| ٣٨. | مكران | ١ | ٣١٣ |
| ٣٩. | نيسابور | ٢١ | ٣٣٤-٣٣٩ |
| ٤٠. | همدان | ١١ | ٣٤٦-٣٤٨ |
| ٤١. | ورامين | ٣ | ٣٤٥ |
| ٤٢. | يزد | ٢ | ٣٥٣-٣٥٤ |

---

**(١) إبراهيم بن ناصر بن طباطبا (ق٥هـ/١١م)، منتقلة الطالبية، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، النجف، ١٩٦٨م.**

الملحق رقم (١١)

# الجغرافية المذهبية لإيران خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي[1]

| ت | المدينة | وضعها المذهبي | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ١. | أردبيل | معظم أهلها شافعية يحبون الشيخ صفي الدين. | ٨١ |
| ٢. | أصفهان وأهر | أكثرها شافعية | ٤٩، ٨٣ |
| ٣. | اوجان | ساكنوها على المذهب الشافعي. | ٨٠ |
| ٤. | بيهق | شيعة اثنا عشرية. | ١٥٠ |
| ٥. | تبريز | أكثر أهلها شافعية، وفيها أتباع لكل المذاهب والأديان. | ٧٧ |
| ٦. | تستر | يدين أهلها بالمذهب الحنفي. | ١١٠ |
| ٧. | تفرش | أهلها شيعة اثنا عشرية. | ٦٨ |
| ٨. | جربادقان | وهي گلبايـگان الحالية، الناس فيها على المذهب الشافعي | ٦٨ |
| ٩. | جرجان | أهلها شيعة أولو مروءة. | ١٥٩ |
| ١٠. | جوين | أكثرها شافعية | ١٥٠ |
| ١١. | ديلمان | أهلها أقرب إلى الشيعة والباطنية. | ٦٠ |
| ١٢. | الري | أهل المدينة وضواحيها اثنا عشرية، إلا قرية قوهة أحناف. | ٤٥ |
| ١٣. | زنجان وكازرون | سنة شافعية. | ٦٢، ١٢٦ |
| ١٤. | ساوة | أهلها شافعية، بيد أن قراها كلها شيعية اثنا عشرية. | ٦٢-٦٣ |
| ١٥. | سجاس وسهرود | أهاليهما على المذهب الحنفي. | ٦٤ |
| ١٦. | سلماس | أهلها سنة. | ٨٥ |
| ١٧. | شاهرود | يقال أن أهلها شافعية، ولكن لا دين لهم. | ٨٢ |
| ١٨. | شيراز | سنة شافعية، وبينهم حنفية وشيعة. | ١١٥ |
| ١٩. | الطالقان | يزعم أهلها أنهم سنة، لكن ميولهم باطنية. | ٦٥ |
| ٢٠. | طهران | أهلها شيعة اثني عشرية. | ٥٥ |
| ٢١. | فراهان | أهلها شيعة اثنا عشرية، في غاية التعصب. | ٦٩ |
| ٢٢. | قزوين | أهلها معظمهم شافعية، وفيها أقلية حنفية وشيعة. | ٥٧ |
| ٢٣. | قم | الناس فيها شيعة اثنا عشرية، متعصبون جدا. | ٦٧ |
| ٢٤. | كاشان | أهلها شيعة، تتبعها ثماني عشرة قرية معظم أهاليها سنة | ٦٨ |
| ٢٥. | مراغة | معظم الناس على المذهب الحنفي. | ٨٧ |
| ٢٦. | مشكين | يدين أهلها بالمذهب الشافعي، وبعضهم حنفية وشيعة. | ٨٣ |
| ٢٧. | نخجوان | قاطنوها يدينون بالمذهب الشافعي. | ٨٩ |
| ٢٨. | نهاوند | أهلها أكراد على المذهب الشيعي الاثني عشري. | ٧٤ |
| ٢٩. | همدان | أكثر الناس فيها مشبهة ومعتزلة. | ٧١ |
| ٣٠. | يزد | يميل معظم الناس إلى المذهب الشافعي. | ٧٤ |

(١) حمد الله بن أبي بكر بن حمد مستوفي قزويني (ت٧٥٠هـ)، نزهت القلـوب. در صـفت بلـدان وولايـات وبقاع، به اهتمام: گی لسترنج، تهران، ١٣٦٢ش/ ١٩٨٣م.

الملحق رقم (١٢)

## بعض الدول التي حكمت في إيران قبل ظهور الصفويين[1]

| | الدولة | المدة |
|---|---|---|
| ١ | الطاهرية في خراسان | (٢٠٥-٢٥٩هـ/ ٨٢٠-٨٧٣م) |
| ٢ | الصفارية في فارس | (٢٥٤-٢٩٠هـ/ ٨٦٨-١٠٥٥م) |
| ٣ | السامانية في أغلب إيران وما وراء النهر | (٢٦١-٣٨٩هـ/ ٨٥٧-١٠٠٠م) |
| ٤ | الزيّارية في جرجان | (٣١٦-٤٣٤هـ/ ٩٢٩-١٠٤٣م) |
| ٥ | البويهيون في إيران والعراق | (٣٢٠-٤٤٧هـ/ ٩٣٢-١٠٥٥م) |
| ٦ | المظفريون | (٧١٣-٧٩٥هـ/ ١٣١٣-١٣٩٣م) |
| ٧ | الجلائريون | (٧٣٦-٨١٤هـ/١٣٣٦-١٤١١م) |
| ٨ | سلاجقة خراسان | (٤٣٢-٥٥٢هـ/١٠٤٠-١١٥٧م) |
| ٩ | سلاجقة كرمان | (٤٨٧-٥١١هـ/١٠٩٤-١١١٧م) |
| ١٠ | الإسماعيليون | (٤٨٣-٦٥٤هـ/١٠٩٠-١٢٥٦م) |
| ١١ | أتابكة أذربيجان | (٥٤١-٦٢٢هـ/١١٤٦-١٢٢٥م) |
| ١٢ | أتابكة فارس (السلغريون) | (٥٤٢-٦٨٥هـ/١١٤٧-١٢٧٦م) |
| ١٣ | ملوك كرت | (٦٤٣-٧٨٤هـ/١٢٤٥-١٣٨٣م) |
| ١٤ | الدولة الكيائية في بلاد جيلان والديلم | أوائل ق٨هـ/١٤م |
| ١٥ | بنو اينجو في فارس | (٧٠٣-٧٥٨هـ/١٣٠٣-١٣٥٧م) |
| ١٦ | السربداريون في خراسان | (٧٣٧-٧٨٣هـ/١٣٣٧-١٣٨١م) |
| ١٧ | المرعشية في آمل ومازندران | (٧٦٠-٩٨٩هـ/١٣٥٩-١٥٨١م) |
| ١٨ | الإيلخانية | (٦٥٤-٧٣٦هـ/ ١٢٥٦-١٣٣٦م) |
| ١٩ | التيمورية | ٧٧١-٩٠٧هـ/ ١٣٧٠-١٥٠١م) |
| ٢٠ | القره قوينلو | ٧٨٢-٨٧٤هـ/ ١٣٨٠-١٤٦٩م) |
| ٢١ | الآق قوينلو | (٨٠٦-٩١٤هـ/١٤٠٣-١٥٠٨م) |
| ٢٢ | الغزنويون | (٣٦٧-٥٦٣هـ/ ٩٧٧-١١٦٨م) |
| ٢٣ | المشعشعيون | (٨٥٠-١٠٢٩هـ/١٤٤٦-١٦١٩م) |

(١) ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ترجمة: محمد صبحي فرزات، الجزء الأول، دمشق، ١٩٧٤م، ص٣٠٢، ٣٠٣، ٣١١، ٣٢٠، ٣٦٥، ٥٣٩، ٥٨٨، ٥٩١.

# قائمة المصادر


أولا. القرآن الكريم.

ثانيا. المخطوطات:

أ. المخطوطات باللغة العربية:

١. أحمد بن محمد الكيائي (ت ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨-٩م)، سراج الأنساب، مكتبة المرعشي، قم.

٢. إسماعيل العلوي المروزي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤-٥م)، الفخري في أنساب الطالبيين، مكتبة كاشف الغطاء، النجف.

٣. شيخ الشرف العبيدلي (ت ٢٧٧هـ/٨٩٠م)، تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب، مكتبة الحكيم، النجف.

٤. ضامن بن شدقم (ت بعد ١٠٨٢هـ/١٦٧١م)، تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب الأئمة الأطهار، المكتبة القادرية، بغداد، تحت رقم ٦٥٧؛ مكتبة كاشف الغطاء، النجف.

٥. عباس العزاوي، مذكرات في الدولة العثمانية، المركز الوطني للمخطوطات، بغداد، برقم ٣٣٠٥٧، مسجلة على مايكرو فيلم تحت رقم ٧٥٠.

٦. عبد الله الأفندي الأصفهاني (ت١١٣٠هـ/١٧١٨م)، رياض العلماء وحياض الفضلاء، مكتبة كاشف الغطاء، النجف، تحت رقم ٧٠.

٧. علي بن محمد اللخمي (ت بعد ٩٢٣هـ/١٥١٧م)، الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان، مكتبة المرعشي النجفي، قم.

٨. فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩-١٠م)، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، مكتبة المرعشي، قم.

ب. المخطوطات باللغة الفارسية:

١. اسكندر بيك تركمان(ت١٠٤٢هـ/١٦٣٣م)، تاريخ عالم آراى عباسى، مكتبة المتحف العراقي، بغداد.

٢. صدر الدين سلطان ابراهيم الأميني (ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م)، فتوحات شاهي، كتابخانه مركزى دانشگاه تهران، شماره ١١٠٣.

٣. ميرزا محمد معصوم (ت١٠٨٨هـ/١٦٧٧م)، تاريخ سلاطين صفويه، كتابخانه مرعشي نجفي، قم.

٤. ناشناس مؤلف، جهانكشاى خاقان. تاريخ شاه اسماعيل، كتابخانه مركزى دانشگاه تهران، م٢/٢٩٦٣.

٥. ناشناس مؤلف، تاريخ شاه إسماعيل، كتابخانه مركزى دانشگاه تهران، م٢/٢٧٣٠.

٦. واعظ كاشفي (ت٩١٠هـ/١٥٠٤م)، روضة الشهداء، كتابخانه گالبايگاني، قم، ش٦٣١.

ثالثا. الكتب:

أ. الكتب باللغة الفارسية:


١- ابو الحسن قزويني (ت بعد١٢٧٧هـ/١٧٩٦م)، فوايد الصفوية. تاريخ سلاطين وامراى صفوى پس از سقوط دولت صفوى، تصحيح مقدمه حواشى: مريم مير احمدى، تهران، ١٣٦٧ش/١٩٨٩م.

٢- ابو القاسم طاهرى، تاريخ سياسى واجتماعى ايران. از مرگ تيمور تا مرگ شاه عباس، تهران، ١٣٨٠ش/٢٠٠٢م.

٣- أحمد بن محمد قزوينى غفارى (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧-٨م)، تاريخ جهان آرا، تهران، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣-٤م.

٤- أحمد تاج بخش، تاريخ صفويه، شيراز، ١٣٧٢ش/١٩٩٤م.

٥- احمد كسروى، تاريخ بانصد ساله خوزستان، تهران، ١٣٣٠ش/ ١٩٥٢م.

٦- احمد كسروى، شيخ صفي وتبارش، تهران، ١٣٢٣هـ/١٩٤٥م.

٧- احمد كسروي، نژاد وتبار صفويه، تهران، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.

٨- اسماعيل حقى أوزون چارشي لي، تاريخ عثماني، ترجمه: وهاب لى، تهران، ١٣٧٩ش/٢٠٠١م.

٩- أمير محمود خواندمير(ت٩٥٧هـ/١٥٥٠م)، تاريخ شاه إسماعيل وشاه طهماسب صفوي (ذيل تاريخ حبيب السير)، تصحيح وتحشيه: محمد على جراحى، تهران، ١٣٧٠ش/١٩٩٢م.

١٠- ايليا پاولويچ بتروشفسكى، اسلام در ايران. از هجرت تا پايان قرن نهم هجري، ترجمه: كريم كشاورز، جاب هفتم، تهران، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.

١١-"تذكرهٔ شاه طهماسب" شرح وقايع واحوالات زندگانى شاه طهماسب صفوى بقلم: خودش، برلن، ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م.

١٢-جان فوران، مقاومت شكننده. تاريخ تحولات اجتماعي در ايران، ترجمه: احمد تدين، چاپ پنچم، تهران، ١٣٨٣ش/٢٠٠٥م.

١٣-جهانبخش ثواقب، تاريخ نگارى عصر صفوية وشناخت منابع ومآخذ، شيراز، ١٣٨٠ش/٢٠٠٢م.

١٤-حبيب الله شاملوئى، تاريخ ايران از زمان تا بهلوى، تهران، ١٣٤٧ش/ ١٩٦٩م.

١٥-حسن بك روملو (ت بعد ٩٨٥هـ/١٥٧٧م)، أحسن التواريخ، جلد١١، به كوشش: عبد الحسين نوائي، تهران، ١٣٧١ش/ ١٩٩٣م.

١٦-حسين أبدال زاهدي (ت بعد١٠٥٩هـ/١٦٤٩م)، سلسلة النسب صفويه، برلين ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.

١٧-حمد الله بن أبي بكر بن حمد مستوفي قزويني (ت٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، نزهت القلوب. در صفت بلدان وولايات وبقاع، به سعي واهتمام: گى لسترنج، تهران، ١٣٦٢ش/١٩٨٤م.

١٨-خاندان نصيرى(القرن ١٢هـ/١٨م)، القاب ومواجب دورهٔ صفوية (منسوب)، تصحيح: يوسف رحيم لو، مشهد، ١٣٧١ش/ ١٩٩٣م.

١٩-داود دورسون، دين وسياست در دولت عثمانى، ترجمه: منصوره حسيني و داود وفائى، تهران، ١٣٨١ش/٢٠٠٣م.

٢٠-درويش توكلي بن إسماعيل بن بزّاز أردبيلي(ت٨٠٠هـ/ ١٣٩٧-٨م)، صفوة الصفا. در ترجمه احوال واقوال وكرامات شيخ صفي الدين اسحق اردبيلي، مقدمه وتصحيح: غلامرضا طباطبائي مجد، تبريز، ١٣٧٣ش/ ١٩٩٥م.

٢١-دريا دار، خليج فارس، تهران، ١٣٣٥ش/١٩٥٧م.

٢٢-دوسرسو، سقوط شاه سلطان حسين، ترجمه: ولي الله شادان، تهران، ١٣٦٤ش/١٩٨٦م.

٢٣-"ديوان سيف فرغاني"، تهران، ١٣٦٤ش/١٩٨٦م.

٢٤-راجر سيورى، ايـران عـصر صـفوى، ترجمـه: كـامبيز عزيـزى، چاپ دهـم، تهـران، ١٣٧٤ش/١٩٩٦م
٢٥-راجر م. سيورى، تحقيقاتي در تاريخ ايران عصر صـفوى (مجموعـهٔ مقـالات)، ترجمـه: عباسقلى غفارى فرد ومحمد باقر آرام، تهران، ١٣٨٢ش/ ٢٠٠٤م.
٢٦-رحيم زاده صفوى، شرح جنگهـا وتـاريخ زنـدگانـى شـاه اسـماعيل صـفوى، تهـران، ١٣٤١ش/١٩٦٣م.
٢٧-رسول جعفريان، تاريخ إيران اسلامى. دفتر جهـارم (صـفويه از ظهـور تـا زوال ٩٠٥-١١٣٥هـ)، چاپ دوم، تهران، ١٣٨١ش/٢٠٠٣م.
٢٨-رسول جعفريان، صفويه در عرصه دين فرهنگ وسياست، جلد اول، قم، ١٣٧٩ش/٢٠٠١م.
٢٩-سيد حسن بن مرتضى حسيني استرابادى (ت بعد ١١١٥هـ/ ١٧٠٣-٤م)، از شيخ صـفي تـا شاه صفي، به اهتمام: إحسان اشراقي، تهران، بلا تاريخ.
٣٠-سيد محمد علي حسيني زاده، علما ومشروعيت دولت صفوى، تهران، ١٣٧٩ش/٢٠٠١م.
٣١-شهباز آزاد مهر، تاريخ إيران إز كورش تا خاتمي، تهران، ١٣٨٢ش/ ٢٠٠٤م.
٣٢-عباس اقبال آشتياني وديكران، تاريخ ايران، تهران، ١٣٨٠ش/ ٢٠٠٢م.
٣٣-عباس إقبال، مطالعاتى در باب بحرين وجزاير وسواحل خلـيج فـارس، تهـران، ١٣٢٨ش/ ١٩٥٠م.
٣٤-عبد الحسين زرين كوب، روزگاران. تاريخ ايران از آغاز تا سقوط سلطنت پهلوي، تهـران، ١٣٨٣ش/ ٢٠٠٥م.
٣٥-عبد الحسين نوائى (گردآورنده)، "شاه اسماعيل صفوى. مجموعه اسناد ومكاتبـات تـاريخى همراه با يادد اشتهاى تفصيلي"، تهران، ١٣٤٧ش/ ١٩٦٩م.
٣٦-عبد الحسين نوائى (گردآورنده)، "شاه تهماسب صفوى. مجموعه اسناد ومكاتبات همـراه بـا يادداشتهاى تفصيلي"، به اهتمام: تهران، ١٣٦٤ش/ ١٩٨٦.
٣٧-عبد الحسين نوائى وعباس قلى غفارى فرد، تاريخ تحـولات سياسـى اجتمـاعى اقتـصادى وفرهنگ ايران در دوران صفويه، تهران، ١٣٨١ش/ ٢٠٠٣م.
٣٨-عبد الحسين نوائى، روابط سياسى ايران واوربـا در عـصر صـفوى، تهـران، ١٣٧٢ش/ ١٩٩٤م.
٣٩-عبد الحسين نوائى، روابط سياسى واقتصادى ايران در دوره صـفويه، تهـران، ١٣٧٧ش/ ١٩٩٩م.
٤٠-عبد الرضا هوشنگ مهدوى، تاريخ روابط خارجى ايران. از ابتداى دوران صفويه تـا پايـان جنگ دوم جهانى ١٥٠٠-١٩٤٥، تهران، ١٣٨٣ش/ ٢٠٠٥م.
٤١-عبد العظيم رضايى، تاريخ ده هزار رسالهٔ ايران، جلد توم. از سلسلهٔ غزنويان تا انقـراض صفويه، تهران، ١٣٨٢ش/ ٢٠٠٤م.
٤٢-عبد الله رازي، تاريخ مفصل إيران از تأسيس سلسله ماد تا عصر حاضر، چاپ دوم، تهـران، ١٣٣٥ش/ ١٩٥٧م.
٤٣-علي أكبر ولايتي، تاريخ روابط خارجى ايران در عهـد شـاه اسـماعيل صـفوى، تهـران، ١٣٧٥ش/ ١٩٩٧م.
٤٤-غلام سرور، تاريخ شاه إسماعيل صفوى، ترجمه: محمد باقر آرام وعباسقلى غفـارى فـرد، تهران، ١٣٧٤ش/ ١٩٩٥م.
٤٥-غلامرضا طباطبائي مجد، دردِ طلب أحوال وآراء شيخ صفي الدين اردبيلي، تبريز، ١٣٧٦ش/ ١٩٩٨م.
٤٦-غياث الدين بن همام الدين الحسيني خواندمير (ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٥-٦م)، تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد وبشر، تقديم: جلال الدين همايى، جلد چهارم، تهران، ١٣٣٣ش/ ١٩٥٥م.

٤٧-فاروق سومر، نقش تركان آناطولی در تشكيل وتوسعه دولت صفوی، مترجمين: إحسان اشراقی و محمد تقی امامی، تهران، ١٣٧١ش/ ١٩٩٣م.
٤٨-فاضل الموسوي الصفوي (خلخالي زادة)، شجرة طيبة، قم، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٤٩-فيروز منصوری، رازهايی در دل تاريخ. شاه اسماعيل شاعر نبوده وديوانی هم نداشته است، تهران، ١٣٣٧ش/ ١٩٥٩م.
٥٠-كورت فريشلر، امام حسين وإيران، ترجمه: ذبيح الله منصوري، چاپ سوم، تهران، ١٣٨٠ش/ ٢٠٠١م.
٥١-لارنس لاكهارت، انقراض سلسلهٔ صفويه، تهران، ١٣٤٤ش/ ١٩٦٦م.
٥٢-محمد جواد مشكور، تاريخ ايران زمين، شاه آباد، بلا تاريخ.
٥٣-محمد عارف اسبيناقجي باشازاده (مؤلف ومترجم)، انقلاب الاسلام بين الخواص والعوام. تاريخ زندكاني ونبردهاي شاه اسماعيل وشاه سليم عثماني. وقايع سالهاي ٩٠٥-٩٣٠هـ، به كوشش: رسول جعفريان، قم، ١٣٧٩ش/ ٢٠٠١م.
٥٤-محمد كريم يوسف جمالی، تشكيل دولت صفوی. وتعميم مذهب تشيع دوازده امامي به عنوان تنها مذهب رسمی، چاپ دوم، أصفهان، ١٣٧٧ش/ ١٩٩٩م.
٥٥-محمد كريم يوسف جمالی، زندگانی شاه اسماعيل اول، قم، ١٣٧٦ش/ ١٩٩٨م.
٥٦-محمد معصوم التبريزي (ت١٣٤٤هـ/١٩٢٥م)، طرائق الحقائق، تهران، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
٥٧-محمد يوسف واله أصفهانی (ق١١هـ/ ١٧م)، خلدبرين در روزگار صفويان، به كوشش: مير هاشم محدث، تهران، ١٣٧٢ش/ ١٩٩٤م.
٥٨-مرتضی راوندي، تاريخ اجتماعي ايران حكومتها وسلسله های ايران از حمله أعراب تا استقرار مشروطيت، جزء دوم، تهران، ١٣٥٤ش/ ١٩٧٦م.
٥٩-مريم مير احمدی، دين ودولت در عصر صفوی، چاپ دوم، تهران، ١٣٦٩ش/ ١٩٩١م.
٦٠-منوچهر پارسادوست، ريشه های تاريخی اختلافات ايران وعراق، چاپ چهارم، تهران، ١٣٦٩ش/ ١٩٩١م.
٦١-منوچهر پارسادوست، شاه اسماعيل اول پادشاهی با اثر های دير پای در ايران وايراني، چاپ دوم، تهران، ١٣٨١ش/ ٢٠٠٣م.
٦٢-مير أحمد بن مير محمد حسيني قمی (ت١٠٠١هـ/ ١٥٩٣م)، خلاصهٔ تواريخ، جلد اول، به تصحيح: احسان اشراقی، تهران، ١٣٥٩ش/ ١٩٧١م.
٦٣-ميشيل مزاوي، بيدايش دولت صفوی، ترجمه: يعقوب آژند، تهران، ١٣٤٣ش/ ١٩٦٥م.
٦٤-ن. و. بيگلوسكايا وديگران، تاريخ ايران از دوران باستان تا بايان سده هيجدهم ميلادی، ترجمه: كريم كشاورز، تهران، ١٣٥٤ش/ ١٩٧٦م.
٦٥-ناشناس مؤلف، تاريخ عالم آرای صفوی، به كوشش: يد الله شكری، تهران، ١٣٥٠ش/ ١٩٧٢م.
٦٦-ناشناس مؤلف، تاريخ قزلباشان، به كوشش: مير هاشم محدث، تهران، ١٣٦١ش/ ١٩٨٣م.
٦٧-ناشناس مؤلف، عالم آرای شاه اسماعيل، به كوشش: علي أصغر منتظر الصاحب، تهران، ١٩٧١م.
٦٨-نصر الله فلسفی، زندگانی شاه عبّاس اول، جلد اول. مقدمات سلطنت او از ولادت تا پادشاهی، چاپ چهارم، تهران، ١٣٦٩ش/ ١٩٩١م.
٦٩-نظام الدين مجير شيباني، تشكيل شاهنشاهی صفويه إحياء وحده ملی، تهران، ١٣٤٦ش/ ١٩٦٨م.
٧٠-والتر هينتس، تشكيل دولت ملي در إيران. حكومت آق قوينلو وظهور دولت صفوي، ترجمة: كيكاووس جهانداري، چاپ چهارم، تهران، ١٣٧٧ش/ ١٩٩٩م.
٧١-يحيى بن عبد اللطيف قزويني (ت٩٦٠هـ/١٥٥٣م)، لب التواريخ، بي جا، ١٣٦٣ش/ ١٩٨٥م.
٧٢-يك گروه مؤلف، تاريخ عتبة رضوية مقدسة، مشهد، ١٣٧١ش/ ١٩٩٣م.

ب. الكتب باللغة العربية:

١-إبراهيم الحيدري، تراجيديا كربلاء. سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، طهران، ٢٠٠٢م.
٢-إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية، القاهرة، ١٩٠٥م.
٣-إبراهيم بن ناصر بن طباطبا (ق٥ﻫ/ ١١م)، منتقلة الطالبية، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، النجف، ١٩٦٨م.
٤-إبراهيم سليمان، الأوزان والمقادير، صور، ١٣٨١ﻫ/ ١٩٦١-٢م.
٥-إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري (ت١٢٩٩ﻫ/ ١٨٨١م)، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد، ١٩٦١م.
٦-ابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦ﻫ/ ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٩م.
٧-أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ابن فندق (ت٥٦٥ﻫ/ ١١٦٩-٧٠م)، لباب الأنساب، قم، ١٤١١ﻫ/١٩٩٠م.
٨-أبو العباس أحمد الفاروثي (ت ٦٩٤ﻫ/ ١٢٩٤م)، إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين، القاهرة، ١٣١٠ﻫ/ ١٨٩٢م.
٩-أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦ﻫ/ ٩٦٧م)، مقاتل الطالبيين، الطبعة الثانية، النجف، ١٩٦٥م.
١٠-أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٥٨م.
١١-أبو الفرج محمد بن اسحق الوراق ابن النديم (ت٤٣٨ﻫ/١٠٤٦-٧م)، الفهرست، بيروت، ١٩٧٨م.
١٢-أبو الفضل مير محمدي الزرندي، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، قم، ١٤٢٠ﻫ/ ٢٠٠٠م.
١٣-أبو الهدى الصيادي (ت١٣٢٨ﻫ/١٩٠٩م)، الطريقة الرفاعية، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٦٩م.
١٤-أبو اليسر محمد بن محمد بن عبد الكريم البزودي (ت٤٧٨ﻫ/ ١٠٨٥م)، أصول الدين، القاهرة، بلا تاريخ.
١٥-أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣ﻫ/ ١٠٧١م)، تاريخ بغداد، بيروت، بلا تاريخ.
١٦-أبو سعيد نشوان الحميري اليمني (ت٥٧٣ﻫ/١١٧٨م)، الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، ١٩٤٨م.
١٧-أبو طالب تاج الدين علي بن أنجب بن الساعي الخازن البغدادي (ت٦٧٤ﻫ/ ١٢٧٥-٦م)، (منسوب) الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير، تحقيق: مصطفى جواد، بغداد، ١٣٥٣ﻫ/ ١٩٣٤م.
١٨-أبو نصر سهل بن عبد الله البخاري (ت بعد ٣٤١ﻫ/ ٩٥٢-٣م)، سر السلسلة العلوية، تقديم: محمد صادق بحر العلوم، النجف، ١٩٦٣م.
١٩-أبي الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي العلامة الحلي (ت٧٢٦ﻫ/ ١٣٢٦ م)، منتهى الطلب، تبريز، ١٣٣٣ش/ ١٩٥٤م.
٢٠-أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠ﻫ/ ١٠٦٨م)، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، طهران، ١٣٩٣ﻫ/١٩٧٣م.
٢١-أحمد أبو العباس بن علي الرفاعي (ت٥٧٨ﻫ/ ١١٨٢م)، الحكم الرفاعية، تحقيق: محمود السامرائي، بغداد، ١٣٨٨ﻫ/ ١٩٦٨م.
٢٢- أحمد الحسيني، تراجم الرجال، قم، ١٤١٤ﻫ/ ١٩٩٤م.
٢٣-احمد الكسروى، التشيّع والشيعة، طهران، ١٣٦٤ﻫ/١٩٤٥م.
٢٤-أحمد الوائلي، هويّة التشيّع، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٩٤م.
٢٥-احمد بن زنبل الرمال(ت٩٦٠ﻫ/١٥٥٣م)، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق: عبد المنعم عامر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٨م.
٢٦-أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤ﻫ/ ٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، الجزء الثاني، بيروت، بلا تاريخ.

٢٧-أحمد حامد الصراف، الشبك من فرق الغلاة في العراق، بغداد، ١٩٥٤م.
٢٨-أحمد حطيط، حروب المغول، بيروت، ١٩٩٤م.
٢٩-احمد زين الدين المعبري المليباري(ت بعد٩٩١هـ/ ١٥٨٣م)، تحفة المجاهدين في احوال البرتغاليين، تحقيق: محمد سعيد الطريحي، بيروت، ١٩٨٥م.
٣٠-أحمد شهاب الدين بن عربشاه الدمشقي الحنفي (ت٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)، عجائب المقدور في أخبار تيمور، لاهور، ١٨٦٨م.
٣١-أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، بيروت، ١٩٨٢م.
٣٢-أحمد عزت راجح، علم النفس العام، القاهرة، ١٩٨٣م.
٣٣-أحمد محمد الحوفي، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، القاهرة، ١٩٦٨م.
٣٤-احمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، الجزء الثاني (الدولة المغولية)، القاهرة، ١٩٥٩م.
٣٥-آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٤٧م.
٣٦-إدورد جرانڤيل براون، تاريخ الأدب في إيران. من الفردوسي الى السعدي[الجزء الثاني]، ترجمة: ابراهيم أمين الشواربي، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٣٧-أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، بيروت، ١٩٥٦م.
٣٨-أسعد وحيد القاسم، أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة. دراسة وتحليل، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٣٩-إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، جدة، ١٩٩٦م.
٤٠-اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢-٣م)، البداية والنهاية، بيروت، ١٩٨٨م.
٤١-بديع محمد جمعة، الشاه عباس الكبير، بيروت، ١٩٨٠م.
٤٢-بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي(ت١٠٣٠هـ/١٦٢١م)، توضيح المقاصد، قم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٧م.
٤٣-تقي الدين أبو الفرج الواسطي (ت٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م)، ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين، القاهرة، ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م.
٤٤-ج.ج. لوريمر، دليل الخليج العربي ــ القسم التاريخي، ترجمة: قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر، الدوحة، بلا تاريخ.
٤٥-جاسم شبر، تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم، النجف، ١٩٦٥م.
٤٦-جعفر السبحاني، رسائل ومقالات، قم، بلا تاريخ.
٤٧-جعفر المهاجر، الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي. أسبابها التاريخية ونتائجها الثقافية والسياسية، بيروت، ١٩٨٩م.
٤٨-جعفر باقر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، الطبعة الثانية، النجف، ١٩٥٨م.
٤٩-جعفر مرتضى، حياة الامام الرضا(ع) . دراسة وتحليل، بيروت، ١٩٧٨م.
٥٠-جلال الدين الحسيني، فيض الاله في ترجمة القاضي نور الله، طهران، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.
٥١-جلال يحيى، العالم الإسلامي الحديث و المعاصر، الإسكندرية، ١٩٨٩م.
٥٢-جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١-٢م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، ١٩٨٥م.
٥٣-جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩- ٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، بلا تاريخ.
٥٤-جمال الدين بن أحمد الحسيني ابن عنبة (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٥م)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، النجف، ١٩٨٨م.
٥٥-جمال الدين يوسف بن الحسن بن المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، منهاج الكرامة في معرفة الامامة، طهران، ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م.

٥٦-جواد بولس، التحولات الكبيرة في تاريخ الشرق الأدنى منذ الإسلام، بيروت، ١٩٨٠م.
٥٧-جورج كيرك، موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر، ترجمة: عمر الاسكندري وسليم حسن، القاهرة، بلا تاريخ.
٥٨-جوزيف عبود كبة وآخرون، أسس التربية وعلم النفس، الطبعة الثالثة، حلب، ١٩٦٣م.
٥٩-جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م، ترجمة: محمد أمين عبد الله، القاهرة، ١٩٧٩م.
٦٠-جيمس دفي، الاستعمار البرتغالي في افريقية، ترجمة: الدسوقي حسنين المراكبي، القاهرة، ١٩٦٣م.
٦١-حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٦٧م.
٦٢-الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام، قم، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٦٣-حسن شميساني، مدينة سنجار من الفتح الاسلامي حتى الفتح العثماني، بيروت، ١٩٨٣م.
٦٤-حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ إيران، الجزء الثالث (دراسة في التاريخ السياسي منذ ظهور الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية)، بغداد، ٢٠٠٥م.
٦٥- حسين الحسيني الزرباطي، الوجيز في أنساب الأسر والعشائر الطالبية، بغداد، بلا تاريخ.
٦٦-حسين الشاكري، الإمام محمد الجواد؈، قم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٦٧-حسين بن جمال الدين محمد الخوانساري (ت١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م)، مشارق الشموس في شرح الدروس، قم، بلا تاريخ.
٦٨-الحسين بن حمدان الخصيبي (ت٣٣٤هـ/٩٤٥-٦م)، الهداية الكبرى، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٩١م.
٦٩-حسين عبد الصمد العاملي (ت٩٨٤هـ/ ١٥٧٦-٧م)، العقد الحسيني، تحقيق: جواد المدرسي، يزد، بلا تاريخ.
٧٠-حسين مجيب المصري، تاريخ الأدب التركي، القاهرة، ١٩٥١م.
٧١-حسين ناظم بيك، تاريخ الإمارة البابانية، ترجمة: شكور مصطفى ومحمد الملا عبد الكريم المدرس، هه ولير، ٢٠٠١م.
٧٢-حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م)، خاتمة مستدرك الوسائل، الجزء الثاني، قم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٧٣- حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي (ت٤٢٧هـ/١٠٣٦م)، تاريخ جرجان، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٧٤-ديفيد مكدول، تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج آل محمد، بيروت، ٢٠٠٤م.
٧٥-رسول جعفريان، الشيعة في إيران. دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجري، تعريب: علي هاشم الأسدي، مشهد، ١٣٧٨ش/ ١٩٩٩م.
٧٦-رضي الدين أبي نصر الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم، قم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٧٧-روبرت أولسن، حصار الموصل والعلاقات العثمانية - الفارسية، ترجمة: عبد الرحمن الجليلي، الرياض، ١٩٨٣م.
٧٨-زياد أبو غنيمة، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، عمان، ١٩٨٦م.
٧٩-السائح علي حسين، لمحات من التصوف وتاريخه، طرابلس، ١٩٩١م.
٨٠-ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٠م.
٨١-سالم الرشيدي، محمد الفاتح، الطبعة الثالثة، جدة، ١٩٨٩م.
٨٢-سايروس وكيل الزاد، سوسيولوجيا المسجد في إيران، ترجمة: عبد الوهاب القصاب ولاهاي عبد الحسين الدعمي، (بيت الحكمة - محدود التداول)، بغداد، بلا تاريخ.

٨٣-ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ترجمة: محمد صبحي فرزات، دمشق، ١٩٧٤م.
٨٤-ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: ترجمة: جعفر الخياط، بغداد، ١٩٦٢م.
٨٥-سعد جلال، المرجع في علم النفس، القاهرة، ١٩٨٥م.
٨٦-سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي سيرة ذاتية، بيروت، ١٩٩٨م.
٨٧-سليم بن قيس الهلالي (ت٧٦هـ/٦٩٥م)، كتاب سليم بن قيس، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، النجف، بلا تاريخ.
٨٨-سليّمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي (ت١٢٩٤هـ/١٨٧٧م)، ينابيع المودة لذوي القربى، طهران، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م
٨٩-سليمان ظاهر، تاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني، تحقيق: عبد الله سليمان ظاهر، بيروت، ٢٠٠٢م.
٩٠-سميح عاطف الزين، ابراهيم بن أدهم، بيروت، ١٩٨٨م.
٩١-سمير الخادم، السلاح الناري وأثره في الشرق في القرنين السادس عشر والسابع عشر، بيروت، ١٩٨٠م.
٩٢-سيّار الجميل، بقايا وجذور. التكوين العربي الحديث، عمان، ١٩٩٧م.
٩٣-سيّار الجميل، تكوين العرب الحديث، عمان، ١٩٩٧م.
٩٤-سيّد أمير علي (ت١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م)، روح الاسلام أو حياة محمد وتعاليمه، ترجمة: محمود الشريف، القاهرة، ١٩٦٢م.
٩٥-شاهين مكاريوس، تاريخ ايران، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٩٦-شرف خان البدليسي (ت٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م)، شرفنامه، ترجمة: محمد علي عوني، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٦٢م.
٩٧-شمس الدين أحمد بن خلكان(ت٦٨١هـ/١٢٨٢-٣م)، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م.
٩٨-شمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦-٧م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، بيروت، ١٩٩٣م.
٩٩-شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، بيروت، ١٩٩٥م.
١٠٠-شمس الدين محمد بن طولون(ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)، أعلام الورى بمن ولى نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تصحيح: محمد أحمد دهقان، دمشق، ١٩٦٤م.
١٠١-شمس الدين محمد بن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٤م.
١٠٢-شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦- ٧)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.
١٠٣-شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، لسان الميزان، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
١٠٤-شوقي الجمل، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، القاهرة، ١٩٧١م.
١٠٥-شير الدين أبي عبد الله محمد بن شهر اشوب (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب، الجزء الثالث، النجف الاشرف، ١٩٥٦م.
١٠٦-شيفر وملمان، سيكولوجية الطفولة والمراهقة مشكلاتها وأسبابها وطرق حلها، ترجمة: سعيد حسني العزة، عمان، ١٩٩٩م.
١٠٧-صالح الورداني، مدافع الفقهاء، القاهرة، ١٩٩٨م.
١٠٨-صالح أوزبران، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١م، ترجمة: عبد الجبار ناجي، بغداد، ١٩٧٩.

١٠٩-صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٧٤م.
١١٠-عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية. الحرب والسلام بين العثمانيين و الصفويين، بيروت، ١٩٩٩م.
١١١-عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، بغداد، ١٩٣٩م.
١١٢-عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، بغداد، ١٩٥٨م.
١١٣-عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الأول، بغداد، ١٩٣٧م.
١١٤-عباس حسن الموسوي (كمال السيد)، نشوء وسقوط الدولة الصفوية. دراسة تحليلية، قم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١١٥-عبد الأمير الرفيعي، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، بغداد، ٢٠٠٥م.
١١٦-عبد الجليل إبراهيم الزوبعي وآخرون، علم نفس الطفل، الطبعة الثانية عشرة، بغداد، ١٩٩٥م.
١١٧-عبد الجليل عيسى، ما لا يجوز الخلاف فيه، القاهرة، بلا تاريخ.
١١٨-عبد الحسين ال كليدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، تحقيق: عادل الكليدار، بغداد، بلا تاريخ.
١١٩-عبد الحليم محمود، أقطاب التصوف. السيد أحمد البدوي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٥م.
١٢٠-عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١-٢م.
١٢١-عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥-٦م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٢م.
١٢٢-عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥-٦م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٧١م.
١٢٣-عبد الرحمن عيسوي، معالم علم النفس، الإسكندرية، بلا تاريخ.
١٢٤-عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، تاريخ العرب الحديث، بيروت، ١٩٩٠م.
١٢٥-عبد الرزاق كمونة الحسيني، موارد الإتحاف في نقباء الأشراف، الجزء الثاني، النجف، ١٩٦٨م.
١٢٦-عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث. الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون – الفرس – مسلمو الهند، بيروت، ١٩٩١م.
١٢٧-عبد العزيز عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، بيروت، ١٩٩١م.
١٢٨-عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، ١٩٧٨م.
١٢٩-عبد العزيز محمد الشناوي، أوربا في مطلع العصور الحديثة، القاهرة، ١٩٦٩م.
١٣٠-عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م، دمشق، ١٩٧٤م.
١٣١-عبد الله بن النصر بن الخشاب البغدادي (ت٥٦٧هـ/ ١١٧١-٢م)، تاريخ مواليد الأئمة، قم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
١٣٢-عبد الله بن فتح الله الغياث البغدادي (بعد ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م)، التاريخ الغياثي. الفصل الخامس من سنة ٦٥٦-٨٩١هـ/ ١٢٥٨-١٤٨٦م، دراسة وتحقيق: طارق نافع الحمداني، بغداد، ١٩٧٥م.
١٣٣-عبد الله نعمة، روح التشيع، قم، ١٩٨٧م.
١٣٤-علي الحسيني الميلاني، نفحات الأزهار في عبقات الأنوار، قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
١٣٥-علي الطباطبائي (ت١٢٣١هـ/ ١٨١٦م)، رياض المسائل في بيان الأحكام بالبدائل، قم، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٣٦-علي النمازي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق: علي بن حسن النمازي، قم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
١٣٧-علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، بغداد، ١٩٦٥م.
١٣٨-علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الأول، بغداد، ١٩٦٩م.
١٣٩-علي الوردي، وعاظ السلاطين، بغداد، ١٩٥٤م.
١٤٠-علي بن الحسين الكركي المحقق الكركي (ت٩٤٠هـ/ ١٥٣٣-٤م)، جامع المقاصد في شرح القواعد، تحقيق: مؤسسة آل البيت، قم، ١٩٨٨م.
١٤١-علي بن الحسين الكركي، الخراجيات، قم، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
١٤٢-علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٥م.
١٤٣-علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، طرابلس الغرب، بلا تاريخ.
١٤٤-علي سلطان، تاريخ العرب الحديث، طرابلس الغرب، بلا تاريخ.
١٤٥-علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ترجمة: حيدر مجيد، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٤٦-علي كمال، النفس. انفعالاتها وأمراضها وعلاجها، بغداد، ١٩٨٨م.
١٤٧-علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية. عوامل النهوض وأسباب السقوط، القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٤٨-علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، مقدمة كتاب "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" لمحمد يوسف الصالحي الشامي، بيروت، ١٩٩٣م.
١٤٩-عماد الجواهري، صراع القوى السياسية في المشرق العربي. من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني، الموصل، ١٩٩٠م.
١٥٠-عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، بيروت، ١٩٨٤م.
١٥١-غريغوريوس الملطي ابن العبري (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول، تحقيق: انطوان صالحاني اليسوعي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٩٢م.
١٥٢-فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، بيروت، ١٩٨٠م.
١٥٣-فاخر عاقل، مدخل إلى علم الاجتماع، بيروت، ١٩٦٨م.
١٥٤-فريمان جرنفيل، التقويمان الهجري والميلادي، ترجمة: حسام محيي الدين الآلوسي، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٦م.
١٥٥-فلاديمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة: عفيفة البستاني، موسكو، ١٩٧١م.
١٥٦-قطب الدين الحنفي النهروالي (ت٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م)، الإعلام بأعلام بلد الله الحرام، بيروت، ١٩٦٣م.
١٥٧-ك. م. بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٦٢م.
١٥٨-كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٦٨م.
١٥٩-كامل الشيبي، الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر. دراسة مزجية لأصول الشبك والنحل الصوفية في شمال العراق، بغداد، ١٩٦٧م.
١٦٠-كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التشيع والتصوف، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٩م.
١٦١-كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، الجزء الثاني (النزعات الصوفية في التشيع من بعد عصر الأئمة حتى سقوط الأسرة الصفوية)، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٢م.
١٦٢-كامل مصطفى الشيبي، شرح ديوان الحلاج مع نص محقق ومقدمة، الجزء الاول، بغداد، ١٩٧٤م.
١٦٣-كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥م.
١٦٤-كى لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، تعريب: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، ١٩٥٤م.

١٦٥-مأمون كيوان، اليهود في إيران، بيروت، ٢٠٠٠م.
١٦٦-مؤسسة النشر الاسلامي، مقدمة كتاب "الدروس الشرعية في فقه الامامية"، لشمس الدين محمد بن مكي العاملي، قم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
١٦٧-مؤلف مجهول (ق٣هـ/٩م)، أخبار الدولة العباسية. وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، بيروت، ١٩٧١م.
١٦٨-ماجدة مخلوف، مقدمة تاريخ بابر شاه "بابرنامه" لظهير الدين محمد بابر شاه، القاهرة، ٢٠٠٢م.
١٦٩-المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ/ ١٥٦٧-٨م)، كنز العمال، تحقيق: بكري الحياني وصفوة السقا، بيروت، بلا تاريخ.
١٧٠-مجموعة باحثين، علماء المسلمون والوهابيون، جمع وعناية: حسين حلمي بن سعيد استانبولي، استانبول، ١٩٨٤م.
١٧١-مجير الدين العليمي الحنبلي (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢٢م)، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، تحقيق: إحسان حقي، بيروت، بلا تاريخ.
١٧٢-محمد أسد الله صفا، تيمورلنك، بيروت، ١٩٩٠م.
١٧٣-محمد الأمين المحبي (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة، ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م.
١٧٤-محمد أمين بن عابدين (ت١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م)، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الابصار، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١٧٥-محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ترجمة: محمد علي عوني، القاهرة، ١٩٣٦م.
١٧٦-محمد امين غالب الطويل، تاريخ العلويين، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٦م.
١٧٧-محمد أنيس، الدولة العثمانية والمشرق العربي، القاهرة، ١٩٨١م.
١٧٨-محمد باقر الحسيني المرعشي الداماد (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الإمامية، قم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
١٧٩-محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ/١٦٩٩م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٣م.
١٨٠-محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصفهاني (ت١٣١٣هـ/ ١٨٩٥-٦م)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق وشرح: محمد علي روضاتي طهران، ١٣٤١ش/ ١٩٦٣م.
١٨١-محمد بن أبي السرور البكري الصديقي (ت بعد١٠٧١هـ/ ١٦٦١م)، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية، تحقيق: ليلى الصباغ، دمشق، ١٩٩٥م.
١٨٢-محمد بن أحمد الحنفي ابن إياس (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٨٤م.
١٨٣-محمد بن أحمد المقدسي (ت٣٩٠هـ/١٠٠٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، دمشق، ١٩٨٠م.
١٨٤-محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧-٨م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، الطبعة التاسعة، بيروت، ١٩٩٢م.
١٨٥-محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢-٣م.
١٨٦-محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت٢٨٠هـ/ ٩٠١م)، بصائر الدرجات الكبرى، تحقيق: ميرزا محمد كوچه باغي، طهران، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
١٨٧-محمد بن الحسن الحر العاملي(ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٢-٣م)، وسائل الشيعة، قم، ١٤١٤هـ /١٩٩٣-٤م.
١٨٨-محمد بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/٩٩١م )، المقنع، قم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٨٩-محمد بن حسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٢-٣م)، الإثنا عشرية، تحقيق: مهدي الأوزوردي الحسيني، قم، بلا تاريخ.
١٩٠-محمد بن رافع السلامي(ت بعد ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، تاريخ علماء بغداد "منتخب المختار"، تحقيق: عباس العزاوي، بغداد، ١٩٣٨م.
١٩١-محمد بن زكريا القزويني (ت٦٨٢م/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٦٠م.
١٩٢-محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣-٤م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار [رحلة ابن بطوطة]، بيروت، ١٩٨٥م.
١٩٣-محمد بن عز الدين يوسف بن الحسن الزرندي (ت٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول والبتول عليهم السلام، تحقيق: عبد الرحيم مبارك وسيد علي أشرف، مشهد، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٩٤-محمد بن علي بن الحسين القمي -الشيخ الصدوق-(ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، عيون أخبار الرضا، الجزء الثاني، بيروت، ١٩٨٤م.
١٩٥-محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤-٥م)، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع، القاهرة، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.
١٩٦-محمد بن الفتّال النيسابوري (ت٥٠٨هـ/١١١٤م)، روضة الواعظين، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، قم، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
١٩٧-محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١٩٨-محمد بن محمود الحلبي ابن آجا، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، صنعه: محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٩٨٦م.
١٩٩-محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء الثاني، بيروت، بلا تاريخ.
٢٠٠-محمد بن يعقوب بن إسحق الكليني (ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠-١م)، الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، الطبعة الثالثة، طهران، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨-٩م.
٢٠١-محمد بهجة الاثري، ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب وحملات نادر شاه على العراق في رواية شاهد عيان، بغداد، ١٩٨١م.
٢٠٢-محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني. أسباب انحطاط الدولة العثمانية وزوالها، بيروت، ١٩٥٤م.
٢٠٣-محمد حرز الدين، مراقد المعارف، النجف، ١٩٧١م.
٢٠٤-محمد حسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، النجف، ١٩٥٥م.
٢٠٥-محمد حسين المظفر، تاريخ الشيعة، النجف،١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.
٢٠٦-محمد رضا الطباطبائي، تنقيح الأصول. تقرير بحث آقا ضياء العراقي، تحقيق: محمد علي القاضي، النجف، ١٩٥٢م.
٢٠٧-محمد السعيد عبد المؤمن، الظواهر الادبية في العصر الصفوي، القاهرة، ١٩٧٨م.
٢٠٨-محمد صالح المازندراني (ت١٠٨١هـ/ ١٦٧٠-١م)، شرح أصول الكافي، قم، بلا تاريخ.
٢٠٩-محمد عبد السلام كفافي، في أدب الفرس وحضارتهم، بيروت، ١٩٧٠م.
٢١٠-محمد فؤاد كوبرلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٣م.
٢١١-محمد الفراتي، مقدمة ديوان روضة الورد (گلستان) لسعدي الشيرازي، طهران، ٢٠٠٤م.
٢١٢-محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العليّة العثمانية، بيروت، ١٩٨٣م.
٢١٣-محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، ١٩٧٦م.
٢١٤-محمد مهدي بحر العلوم(١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م)، رجال السيد بحر العلوم "الفوائد الرجالية"، الجزء الثاني، طهران، ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م.

٢١٥-محمد مهدي شمس الدين، أنصار الحسين عليه السلام، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨١م.
٢١٦-محمود بن عمر جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣-٤م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، بغداد، ١٩٧٦م.
٢١٧-مرتضى بن علي نظمي زادة (ت١١٣٦هـ/١٧٢٤م)، گلشن خلفا، ترجمة: موسى كاظم نورس، النجف، ١٩٧١م.
٢١٨-مرتضى مطهري، الاسلام وإيران، ترجمة: محمد هادي اليوسفي، طهران، ١٩٨٥م.
٢١٩-مصطفى طه بدر، محنة الاسلام الكبرى. زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول، القاهرة، ١٩٩٩م.
٢٢٠-ميخائيل مسعود، مسافات حضارية. بحث في البعد العربي عن حضارة العصر الحديث، بيروت، ١٩٩٧م.
٢٢١-ناصر ملكي، أسرار وعوامل سقوط إيران أو الملالية، ترجمة: مركز البحوث والمعلومات في مجلس قيادة الثورة، بغداد، ١٩٨٥م.
٢٢٢-نجم الدين أبي الحسن العلوي العمري (ت٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م)، المجدي في أنساب الطالبيين، تحقيق: أحمد المهدوي الدمغاني، قم، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٢٢٣-نجم الدين محمد بن بدر الدين الشافعي الغزي (ت١٠٦١هـ/ ١٦٥١م)، الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، تحقيق: جبرائيل جبور، بيروت، ١٩٤٥م.
٢٢٤-نصر الله فلسفي، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، ترجمة: محمد فتحي يوسف الريس، القاهرة، ١٩٨٩م.
٢٢٥-نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ/ ٨٢٧م)، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام هرون، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
٢٢٦-النعمان بن محمد التميمي القاضي المغربي (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٤م)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، قم، بلا تاريخ.
٢٢٧-نعمة الله الجزائري(ت١١١٢هـ/١٧٠٠-١م)،نور البراهين، تحقيق: السيد الرجائي، قم، ١٩٩٦م.
٢٢٨-نوال حمزة يوسف الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، الرياض، ١٩٨٣م.
٢٢٩-نور الله الحسيني المرعشي التستري (ت١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، شرح وتحقيق: شهاب الدين النجفي المرعشي، قم، بلا تاريخ.
٢٣٠-نيقولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية، ترجمة: يوسف عطا الله، مراجعة: مسعود ضاهر، دمشق، ١٩٨٨م.
٢٣١-هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ترجمة: محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، القاهرة، ١٩٦٦م، القسم الثاني.
٢٣٢-هارولد لامب، تيمورلنك، ترجمة: عمر أبو النصر، بيروت، ١٩٧٤م.
٢٣٣-هاشم معروف الحسني، بين التصوف والتشيع، بيروت، بلا تاريخ.
٢٣٤-هاملتون جب وهارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة، ١٩٧١م.
٢٣٥-وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان. دراسة في تجربتين تاريخيتين (العثمانية – الصفوية القاجارية)، بيروت، ١٩٩٠م.
٢٣٦-وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، عمان، ٢٠٠٣م.
٢٣٧-وليام شكسبير، تاجر البندقية، ترجمة: غازي جمال، بغداد، بلا تاريخ.
٢٣٨-يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، استانبول، ١٩٨٨م.
٢٣٩-"اليهود في البلدان الاسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠"، تحرير: صموئيل أتينجر، ترجمة: جمال احمد الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥.
٢٤٠-يوسف بن قزغلي بن عبد الله سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، تذكرة الخواص من الأمة في ذكر مناقب الأئمة، النجف، ١٩٦٤م.

ت. الكتب باللغة التركية:

١. احمد راسم، رسملى وخريطلى عثمانلى تاريخى، استانبول، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.
٢. أحمد فريدون بيك (ت٩٩١هـ/ ١٥٨٣م) مجموعة منشآت سلاطين عثمانية، استانبول، ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م.
٣. خير الله افندى، تاريخ دولت عليه عثمانيه، استانبول، ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م.
٤. "شاه اسماعيل خطائي أرثر لري"، دو جلد، آذربيجان، ١٩٧٣م، أيكى جلد ده.
٥. شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا زاده (ت٩٤٠هـ/ ١٥٣٣-٤م)، تاريخ آل عثمان، استانبول، ١٣٤١هـ/١٩٢٢-٣م.
٦. عاشق باشا زاده، تواريخ آل عثمان، استانبول، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.
٧. عبد الرحمن شرف، تاريخ دولت عثمانيه، جلد١، استانبول، ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧- ٨م.
٨. محمد توفيق، عثمانلى تاريخى، قسطنطينه، ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م.

ث. الكتب باللغة الإنجليزية:

1. A. K. S. Lambton, Landlord and Peasant in Persia, Oxford, 1953.
2. Ann k. Lambton, Islamic Society in Persia, London, 1954.
3. Allan Kandel, Addacesant and drogues, London, 1980.
4. Arnold Toynbee, Study of History, London, 1945.
5. Edward G. Browne, A Literary History of Persia, Bd. III, Cambridge, 1959.
6. Edward G. Browne, A Literary. History of Persia, Vol. IV, Modern Times (1500-1924), Cambridge, 1969.
7. Edward S. Creasy, History of the Ottoman Turks, London, 1878.
8. Fadlullah B. Ruzbihan Khunji, Persia in A. D. (1478- 1490) Tarikh-I Alam-Ara-Yi Amini, Edited and translation: Minorsky, London, 1957.
9. G. W. Bury, Arabia In Felix or the Turks in Yemen, London, 1915.
10. George Carson, Persia and The Persian Question, London, 1892.
11. Glen O. Gabbard, Psychodynamic Psychiatry Practice, Third Edition, London, 2000.
12. H. Inalcik, The Ottoman Empire. The Classical age 1300-1600, London, 1973.
13. John Kingsley Birge, The Bektashi Order of Dervishes, London, 1937.
14. Kaplan, H. & Sadock, B. J., Comprehensive text book of Psychiatry, Vol. VI, 6th Ed, Baltimore, 1995.
15. Leon Trotsky, The History of the Russian Revolution, London, 1967.
16. Lord Eversley, the Turkish Empire its Growth and Decay, Lahore, 1917.

17. Percy M. A. Sykes, History of Persia, London, 1915.
18. Reginald Stuart Poole,The Coins of the Shahs of Persia, London,1887.
19. Sir John Malcolm, the History of Persia. From the most early period to the present time, Tahran, 1976.
20. Stanford Shaw, History of Ottoman Empire and modern Turkey, Cambridge, 1976.
21. Stanly Lane Poole, Turkey, Beirut, 1966.
22. William Muir, The Mamluke or Slave Dynasty of Egypt, Amsterdam, 1968.

### ج. الكتب باللغة الفرنسية:

1. Jean Aubin, L' Avenetment des Safavids, Moyen Orient et Ocean Indian, Vol. V, Paris, 1988.
2. Rudi Matthee, Christians in safavid Iran, Delaware, 2000.

## رابعا. الرسائل والأطاريح الجامعية:

### أ. الرسائل والأطاريح الجامعية باللغة العربية:

١. حسين محمد القهواتي، تاريخ العراق بين الإحتلالين العثمانيين الأول والثاني ١٥٣٤– ١٦٢٨م، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد – كلية الآداب، ١٩٧٥م.
٢. علي حسن علي المكصوصي، إيران في ظل الاحتلال الأفغاني ١٧٢٢-١٧٢٩، رسالة ماجستير، كلية التربية- جامعة واسط، ٢٠٠٦م.
٣. علي خليل أحمد، الدولة العثمانية في سنوات المحنة. المقدمات الوقائع النتائج، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة بغداد، ٢٠٠٤م.
٤. فيصل عبد الجبار عبد علي، التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في إيران ١٥٠١-١٩٠٩، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الآسيوية والافريقية الملغي- الجامعة المستنصرية، ١٩٨٨م.
٥. محمد هليل الجابري، إمارة المشعشعين، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٧٣م.
٦. منى إبراهيم عبد الرحمن، السفارات الأجنبية في مصر في عهد المماليك، رسالة ماجستير، كليّة الآداب – جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.
٧. نايف محمد حسن الأحبابي، الموقف العربي والإقليمي من الهيمنة البرتغالية في الخليج العربي ١٥٠٧-١٦٥٠، رسالة ماجستير، كليّة الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٨م.

## ب. الأطاريح باللغة الفارسية:


١. حسن الجاف، حياة فرهنكي كرد در برتو اسلام، رسال دكترى، دانشگاه تهران- دانشگده إلهيات ومعارف اسلامى، ١٣٥٢-١٣٥٣ش/ ١٩٧٣-١٩٧٤م.


## خامسا. الموسوعات والمعاجم:

### أ. دائرة المعارف الاسلامية:


١-أبو سعيد. ف. بابنكر، "صفي الدين"، دائرة المعارف الاسلامية، إعداد وتحرير: ابراهيم زكي خورشيد وآخرون، الطبعة الثانية، المجلد الرابع عشر، القاهرة، ١٩٦٩م.

٢-إيوار، "بايزيد الثاني"، م٦.

٣-إيوار، "جعفر چلبى"، م١٢.

٤-ب. سبولر، "جيلان"، م١٣.

٥-بابنكر، "سنان باشا"، م١٢.

٦-بارتولد، "أبو سعيد"، م١.

٧-بارتولد و بڤردج، "أبو سعيد"، م١.

٨-بارتولد، "تاجيك"، م٩.

٩-باري، "بايزيد الثاني"، م٦.

١٠-تشودي، "بكتاش"، م٤.

١١-تيشنر، "آخي"، م٢.

١٢-تيشنر، "الأناضول-أناطولى-آسية الصغرى"، م٤.

١٣-ر. ن. فراي، "أردبيل"، م٢.

١٤-سافوري (راجر سيورى)، "جنيد"، م١٢.

١٥-سترك، "أرمينيا"، م١.

١٦-شترك، "أردبيل"، م٢.

١٧-فراي، "بلوچستان"، م٨.

١٨-ف. ل. ميناج، "جعفر چلبى"، م١٢.

١٩-كرامرز، "الچايتو خدابنده"، م٤.

٢٠-كرامرز، "سليم الأول"، م١٢.

٢١-كلود كاهن، "بابائي"، م٥.

٢٢-مينورسكي، "أوزون حسن"، م٥.

٢٣-هاريسون وهاردي، "بابر"، م٥.

٢٤-هيوارت، "آق قويونلي"، م٤.

## ب. الموسوعات والمعاجم باللغة العربية:

١- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٨٦م.

٢-أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٦م.

٣-إسماعيل باشا البغدادي(ت١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون على اسامي الكتب والفنون، بيروت، بلا تاريخ.

٤-إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين. أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، استانبول، ١٩٥١م.

٥-آقا بزرگ الطهراني (ت١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٣م.

٦-جورج طرابيشي (إعداد)، معجم الفلاسفة. الفلاسفة-المناطقة-المتكلمون-اللاهوتيون-المتصوفون، بيروت، ١٩٨٧م.

٧-حسن الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨-حسين أبو سعيدة الموسوي، المشجر الوافي. القسم الأول في السلسلة الموسوية، الطبعة الثالثة، قم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٩-خير الدين الزركلي، الأعلام، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٨٠م.

١٠-عباس القمي (ت١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)، الكنى والألقاب، تقديم: محمد هادي الأميني، النجف، ١٩٥٦م.

١١-عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، بيروت، ١٩٨٠م.

١٢-عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٣-عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين. تراجم مصنفي الكتب العربية، بيروت، بلا تاريخ.

١٤-مجمع الفكر الإسلامي، موسوعة مؤلفي الإمامية، قم، بلا تاريخ.

١٥-محسن الأمين (ت١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م)، أعيان الشيعة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٦-مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، بلا تاريخ.

١٧-هـ. أ. جب و ج. هـ. فالمرز، الموسوعة الإسلامية الميسرة، ترجمة: راشد البراوي، القاهرة، ١٩٨٥م.

١٨-ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٦م.

١٩-يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، قم، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

## ت. الموسوعات والمعاجم باللغة الفارسية:

١-أحمد سيّاح، فرهنگ دانشگاهي ٢ فارسي به عربي الف - ى، جاب دوم، تهران، ١٣٧٥ش/ ١٩٩٧م.

٢- محمد معين، فرهنگ فارسى، چاپ پنجم، تهران،١٣٦٢ش/ ١٩٨٤م، جلد اول.

### ث. الموسوعات والمعاجم باللغة الإنجليزية:

1. Golpinarly, "Kizill bash", in: Encyclopædia of Islam, Vol. VI, London, 1965.

### ج. الموسوعات والمعاجم باللغة التركية:

١. شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، جزء سوم، استانبول، ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠-١م.

## سادسا. البحوث:

### أ. البحوث باللغة العربية:

١- أحمد زكريا الشلق، "عرض وتحليل كتاب: عرب الخليج في المصادر الهولندية، تأليف: ب. ج. سلوت"، التنوير الثقافي (مجلة)، الدوحة، العدد الأول، ديسمبر/ كانون الأول، ١٩٩٨م.

٢- أحمد يشار أوجاق، "الحياة الدينية والفكرية"، الدولة العثمانية - تاريخ وحضارة" (كتاب)، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، ترجمة: صالح سعداوي، المجلد الثاني، استانبول، ١٩٩٩م.

٣- چان - لوى باركى-جرامون، "أوج الإمبراطورية العثمانية. الأحداث ١٥١٢-١٦٠٦"، تاريخ الدولة العثمانية (كتاب)، إشراف: روبير مانتران، ترجمة: بشير السباعي، المجلد الاول، القاهرة، ١٩٩٣م.

٤- چيل فاينشتاين، "الإمبراطورية في عظمتها. القرن السادس عشر"، تاريخ الدولة العثمانية (كتاب)، م١.

٥- حسن احمد محمود، "التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب"، المؤرخ العربي (مجلة)، بغداد، العدد ١٢، ١٩٨٠م.

٦- طارق نافع الحمداني، "دور مصر واليمن في مقاومة الغزو البرتغالي للبحر الأحمر والمحيط الهندي في اوائل القرن السادس عشر"، معهد البحوث والدراسات العربية (مجلة)، بغداد، العدد ١٢، ١٩٨٣م.

٧-عبد العزيز الشناوي، "المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرقي الجزيرة العربية"، دراسات شرقي الجزيرة العربية (مؤتمر)، الجزء الثاني، الدوحة، ١٩٧٦م.

٨- عبد العزيز عوض، "الاحتلال البرتغالي لموانئ الجزيرة العربية"، المؤرخ العربي (مجلة)، بغداد، العدد ٢٩، ١٩٨٦م.

٩- فريدون أمجن، "في اللغة التركية وآدابها"، "الدولة العثمانية- تاريخ وحضارة" (كتاب)، م٢.

١٠- نيقولا فاتان، صعود العثمانيين ١٣٦٢-١٤٥١، "تاريخ الدولة العثمانية" (كتاب)، م١.

١١- گوناي قوط، "الأدب التركي في الأناضول"، الدولة العثمانية- تاريخ وحضارة (كتاب)، م٢.

١٢- يوسف مراد، "منهج التحليل النفسي وطبيعته التكاملية"، علم النفس (مجلة)، القاهرة، عدد يونيو (حزيران)، ١٩٨٢م.

## ب. البحوث باللغة الفارسية:

١- احمد كسروى، "نژاد وتبار صفويه"، آينده (مجله‌ٔ)، مجلد دوم (٥)، شماره‌ٔ ١٧، مجلد دوم (٧)، شماره‌ٔ ١٩، مجلد دوم (١١)، شماره‌ٔ ٢٣، تهران، ١٣٠٥ش/ ١٩٢٧م.

٢- دارلي دُران، "نظام پولى دوره صفويان"، صفويان(كتاب)، ترجمه وتدوين: يعقوب آژند، تهران، ١٣٨٠ش/ ٢٠٠٢م.

٣- راجر سيورى، "مناصب عمده دولت صفوى در زمان شاه اسماعيل اول"، صفويان (كتاب).

٤- راجر سيورى، "اوضاع ايران در استانه ظهور صفويان"، صفويان (كتاب).

٥- رسول جعفريان، "مناسبات سياسى شاه اسماعيل صفوى با دولت مماليك"، مقالات تاريخى (كتاب)، دفتر يازدهم، قم، ١٣٨١ش/ ٢٠٠٣م.

٦- لارنس لاكهارت، "سپاه ايران در دوره‌ٔ صفوى"، صفويان (كتاب).

٧- لمبتون، "منصب كلانتر در دوره‌ٔ صفوى"، صفويان (كتاب).

٨- نصر الله فلسفى، "چند مقاله تاريخى وادبى (جنگ چالدران) "، دانشكده‌ٔ ادبيات تهران (مجله‌ٔ)، شماره‌ٔ ٢، سال اول، دى ماه ١٣٤٢ش/ ١٩٦٤م.

٩- هـ. ر. رويمر، بر آمدن صفويان، تاريخ ايران. دوره‌ء صفويان پژوهش از دانشگاه كمبريج (كتاب)، ترجمه: يعقوب ازند، چاپ دوم، تهران، ١٣٨٤ش/ ٢٠٠٦م.

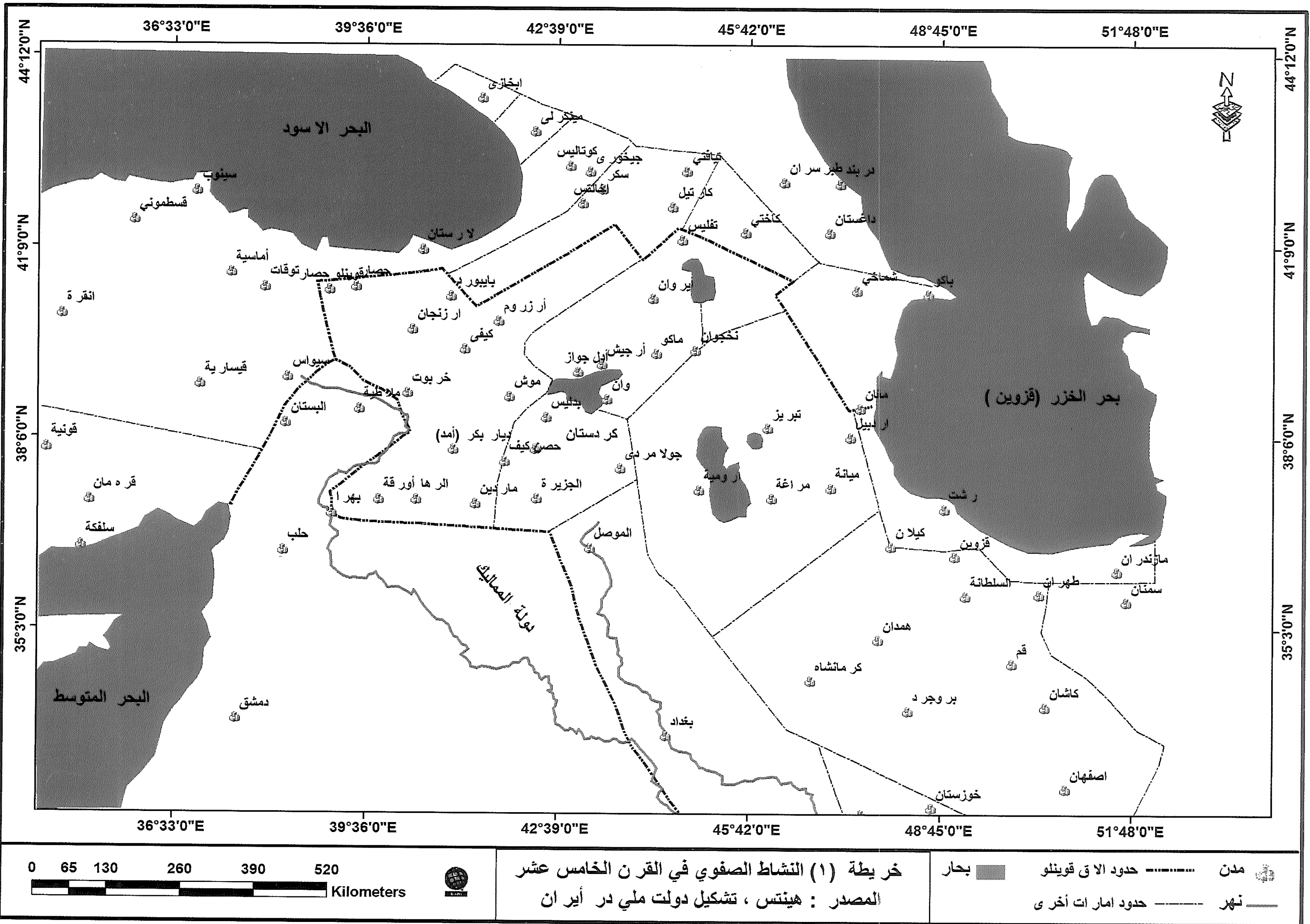
## سابعا. مواقع الانترنت:

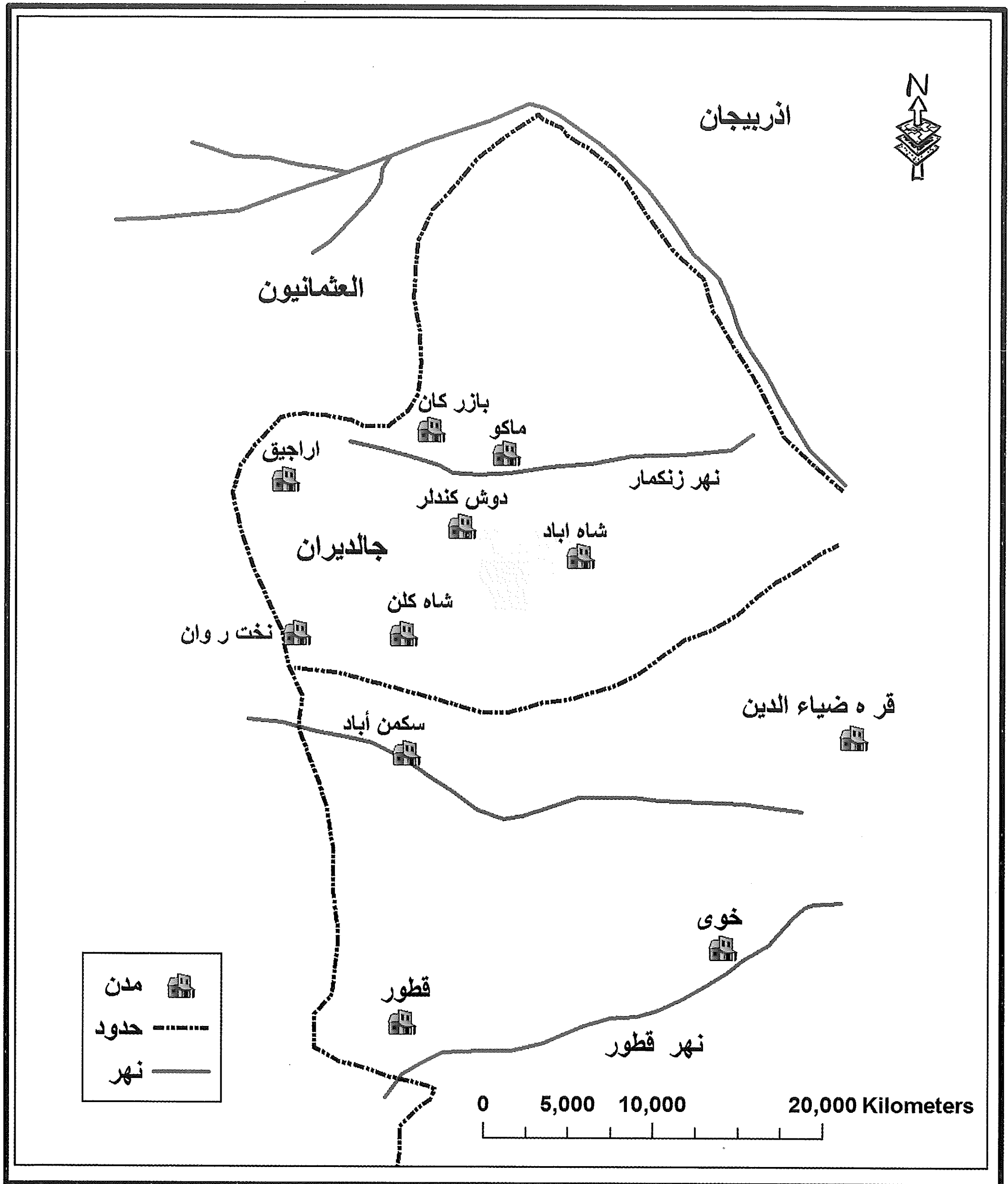
1. ar.wikipedia.org/wiki/جلال_الدين_الرومي
2. ar.wikipedia.org/wiki/حاجي_بكتاش-35k
3. bahzani.org/services
4. fkrh.com/modules
5. janus.lib.cam.ac.uk/db/node.xsp?id
6. saaid.net/feraq/sufyah/79.htm
7. users.rcn.com
8. www.alazhr.com
9. www.ancient-art.com
10. www.ansab-online.com
11. www.ara-amnesty.org
12. www.asharqalawsat.com

13. www.calgarycoin.com
14. www.d-sunnah.net/forum
15. www.fikr.com/cgi-bin
16. www.hrinfo.org/mena
17. www.ichodoc.ir/p-a
18. www.imamreza.net
19. www.imamreza.net
20. www.iraqirabita.org
21. www.islamonline.net
22. www.kasravi.info
23. www.kultur.gov
24. www.malakut.org
25. www.rafed.net
26. www.torkiye.com
27. www.kultur.gov.
28. www.turkmenstudents.com

# المؤلف في سطور

ولد الدكتور طالب محيبس حسن الوائلي في واسط / العراق، نال شهادة البكالوريوس في التاريخ من كلية الآداب – جامعة بغداد عام ١٩٨٨، والماجستير سنة ١٩٩٤، وحاز على دكتوراه الفلسفة سنة ٢٠٠٧ من القسم ذاته عن هذه الدراسة التي أشرف عليها الأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد. من أهم مؤلفاته: العِراق والقضيّة المغربيّة ١٩٥١ ـ ١٩٥٦ (دار الطيف للطباعة/ واسط)، العاهل والبارون. ملامح الحياة البرلمانية في بريطانيا. وعدد من البحوث والدراسات.يعمل الآن أستاذا مساعدا للتاريخ الحديث في كلية التربية – جامعة واسط.


البحر الاسود
بحر الخزر (قزوين)
البحر المتوسط
دولة المماليك
ابخازى
تفليس
تبريز
اردبيل
باكو
شماخي
داغستان
وان
موش
خربوت
ملاطية
سيواس
اماسية
قيسارية
انقرة
قونية
حلب
دمشق
الموصل
بغداد
همدان
قم
كاشان
اصفهان
خوزستان
طهران
السلطانية
قزوين
كيلان
رشت
مراغة
ميانة
كرمانشاه
بروجرد
ماردين
الجزيرة
الرها أورفة
ديار بكر (آمد)
حصن كيف
كردستان
جولامرك
ارزنجان
ارزروم
كيفى
بايبورد
لارستان
سينوب
قسطموني
سلفكة
قرمان
سمنان
مازندران
خريطة (١) النشاط الصفوي في القرن الخامس عشر
المصدر : هينتس ، تشكيل دولت ملي در أيران
مدن
حدود الاق قوينلو
بحار
نهر
حدود امارات أخرى
Kilometers
0 65 130 260 390 520
36°33'0"E
39°36'0"E
42°39'0"E
45°42'0"E
48°45'0"E
51°48'0"E
44°12'0"N
41°9'0"N
38°6'0"N
35°3'0"N




خر يطة (٣) موقع منطقة جالديران

المصدر : بار سادوست ،شاه اسماعيل ،ص٤٢٦ ،جعفريان ،صفويه از ظهور تازوال ،ص٥٨ .